# لُغز الخاتم

إليزابيث نيميرت

الكتاب : لغز الخاتم (رواية)

المؤلف : إليزابيث نيميرت

ترجمة : كامل صباح السبتي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٧

رقم الإيداع : ١٤٦٨٤ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 267 - 0

---

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٩٥٥٩ ش طارق أبو النور. الهضبة الوسطى. المقطم. القاهرة

ت فاكس: ٢٧٢٢٣٨٠٠٤ (٠٢)، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

---




إليزابيث نيميرت

# لُغز الخاتم

رواية

ترجمها إلى العربية

كامل صباح السبتي

إلى ذكرى أبي الحبيب الخالدة

إلى زوجتي وأبنائي

إلى كل أحبتي وأصدقائي

أهدي أول أعمالي

مع أطيب التحيات

كامل صباح السبتي

الماشية تموت

الأقرباء يموتون

وكذلك، أنت نفسك تموت

شيءٌ واحدٌ أعرف أنه لا يموت أبداً...

هو حكم الموت على الإنسان

هافامال

# مقدمة المترجم

ما الحضارة إلا نتاج إبداع بشري تراكم عبر حقب زمنية طويلة، وكان البناء الحضاري يتسع أفقيًا وعموديًا؛ نتيجة تلك الإضافات المتتالية لكل الأمم والشعوب التي عاشت على أديم كوكبنا الأثير... وإن اختلفت الإضافات الإنسانية من أمة إلى أخرى، ومن فترة زمنية لأخرى؛ فإن لذلك بالتأكيد أسبابًا، سواء بتأثير مسببات خارجة عن إرادة تلك الأمم، أو داخلية انبثقت من داخل مكوناتها.

الأمة العربية، حالها كحال العديد من الأمم، كان لها عبر التاريخ مشاركات واضحة المعالم، وإضافات غزيرة ومهمة تمت إضافتها لذلك البناء، الصرح الحضاري الإنساني، وعلى مدى حقب زمنية طويلة وعصور متعددة، إلا عبر جهد عقلي وفكري اضطلع به الكثير من العلماء العرب ومفكريهم، فالمرء أينما تلفَّت مستتبعًا لبنات ذلك الصرح العظيم؛ سيجد بصمات واضحة لأولئك الرجال الأفذاذ الذين كان لهم الباع الطولى، ليس في وضع طوبات صغيرات بذلك البناء الشامخ، وإنما كانوا أفذاذًا وضعوا صخورًا ومداميك ثقيلة ساندت البناء بكل قوة، جعلته يرتفع شامخًا وينبسط على أديم الأرض، فيشمل أصقاعًا لم يكن لها ارتباط مسبق بذلك الصرح للحضارة الإنسانية...

إن الحضارة الإنسانية ما هي إلا حضارة متشابكة مع بعضها، لا يمكن فصل أحد أنسجتها عن بقية الأنسجة، الحضارة حديقة أزهار متلاقحة فيما بينها، هذه الزهرة تُعطي تلك، وتلك الزهرة تأخذ من تلك، وهكذا هي الحياة أيضًا، كل منا يأخذ من الآخرين وكل منا يعطي للآخرين...

كذلك فإنه لم يكن هناك مضمارًا أو مجالاً من مضامير ومجالات الحضارة هو الركن الأهم، فكل مجالات الحضارة هي مجالات مهمة، ساهمت بطريقة أو بأخرى بإثراء الفكر البشري وثقافته، وكان لها دور بالتطور الحضاري، فلا الفلسفة أهم من الرياضيات، ولا الفيزياء أهم من طرق الإدارة والتنظيم أو الزراعة، ولا الملاحة أهم من دراسة علوم الفلك، إلا أنه، ومع ذلك، فبإمكان المرء أن يكون منصفًا ليقول إن هناك ثلة من الرجال كان لهم الفضل الأكبر والمساهمة الواضحة - على مستوى عالمنا العربي بشكل خاص- في صياغة فكر عربي، وتشكيل رؤى ثقافية وعلمية عربية ثبتت أركان ومساهمات الأمة العربية في إثراء وإغناء ذلك الصرح الحضاري الإنساني... إنهم المترجمون، حلقة الوصل والرابط القوي والجسور العريضة التي عبرت عليها ومن خلالها أفكار وأزاهير حضارة الإغريق والرومان، ومن الشرق الحضارة الفارسية والهندوسية وحضارات الشرق البعيد... فمَن مِن المفكرين والباحثين والعلماء العرب من ينكر ذلك الإبحار الشاق والمضني نحو الآفاق البعيدة، ذلك الإبحار المتسم بالحرفية الدقيقة الصادقة في مختلف بحور الفكر الإنساني، بمختلف اتجاهاته وألوانه، ومن ثم اصطياد أثمن لآلئ الفكر الإنساني العبقري، والعودة بها لإخضاعها لمزيد من الصقل والتشذيب على أيدي علماء العرب ومفكريهم، وما استتبع ذلك من إضافات فكرية وعلمية استفاد منها بناؤوا الحضارة الإنسانية الراسخة والأبدية...

تذكر كتب التاريخ أن الخليفة المأمون كان يمنح حنين بن إسحاق ما يساوي وزن كتبه المترجمة للغة العربية ذهبًا، وكذا ابنه إسحاق بن حنين، وما هذين الاثنين إلا مجرد مثالين رائعين من الأسماء التي لمعت ونبغت في هذا المجال.

إن فضل الأعمال الجليلة التي قام بها المترجمون العرب على الحضارة الإنسانية بمجملها كان شيئًا رائعًا، فلولا أعمالهم الجليلة بنقل وترجمة أمهات

الكتب من لغاتها الأصلية كالسنسكريتية والإغريقية واللاتينية وحتى الفارسية؛ لانتهى الأمر بتلك الموروثات العظيمة من الفكر البشري العبقري إلى النسيان والضياع، وذلك لفقدان النسخ الأصلية لها بلغاتها الأصلية، فكان أن عاد مفكروا وعلماء العالم إلى الكتب والمراجع العربية المنقولة بكل دقة وأمانة، فنقلوها من جديد إلى لغاتها الأصلية، والأدلة على ذلك كثيرة متعددة؛ منها على سبيل المثال كتاب الشعر وكتاب الأخلاق وكتاب الطبيعة لأرسطو، كتاب كليلة ودمنة لفيلسوف الهند بيدبا... وغيرها الكثير.

واليوم، وبعد تعثر الثقافة العربية وتلكؤها عن اللحاق بركب السائرين نحو الأمام، ونحو قمم المجد الإنساني؛ فإننا أحوج ما نكون لنقل فكر إنساني سبقنا بالمسير بعيدًا، ونقل تجارب إنسانية بلغت شأنًا عظيمًا في التطور والرقي، نحن أحوج ما نكون للاستفادة مما تبتكره البشرية سواء في مجالات العلم أو الأدب أو السياسة أو التكنولوجيا، أو في أي مجال آخر.

أعتقد جازمًا أن الحاجة ملحة اليوم قبل الغد لأولئك الذين لديهم الرغبة والنزعة على نقل المفاهيم البشرية الحديثة، ووضعها في متناول يدي أبناء العروبة ليستفاد كل في مجاله.

إن الترجمة علم وفن، وهي أمانة ورسالة، على من يضطلع بهذه المهمة أن يكون أمينًا ودقيقًا وواضحًا في عملية النقل من أي لغة إلى لغتنا العربية الجميلة والواسعة المفردات...

ولقد وقع اختياري على هذه الرواية "لغز الخاتم" لمؤلفتها الكاتبة السويدية المعروفة "إليزابيث نيميرت"، لتكون هي باكورة أعمالي المترجمة التي يشرفني أن أتقدم بها لإخوتي القرّاء العرب، حيث لم يكن هذا الاختيار اعتباطيًا، إن الأدب في اسكنديناڤيا وخصوصًا في دولة السويد؛ يعتبر من الآداب الإنسانية الرائعة والتي لا تقل شأنًا عن مثيلاتها في دول أخرى كثيرة كانجلترا أو فرنسا،

ولها نتاجات إنسانية رائعة، ولا أدل على ذلك إلا كون الكثير من الأدباء السويديين قد حظوا بشرف تكريمهم بجائزة نوبل للآداب.

إن المكتبة العربية تفتقر بشكل واضح إلى مثل تلك النماذج الرائعة من الأدب العالمي المرموق، إن هذه الرواية "لغز الخاتم"؛ بقدر ما تحمله من الإمتاع فإنها تطرح علينا جملة من الأحداث التاريخية والفكرية، التي نحن أحوج ما نكون لها لكي نكون ملمين بما قام به الآخرين لأجل بناء أوطانهم، وبالتالي فإني أعتقد أن مثل هذه الأعمال بما تحمله من فكر إنساني مشبع بعطر الحب النقي والعاطفة الصادقة؛ سيكون لها الأثر الكبير في فهم الآخرين فهمًا يجعلنا قادرين على التعامل معهم بكل بساطة وشفافية واحترام.

إن معرفة الأمم بعضها ببعض وتعرفها على أفكار وثقافات الآخرين؛ سيمنح الجميع القدرة على الفهم الواعي، بما يسمح لنا أن نعود من جديد لمشاركة الآخرين عملية بناء ذلك الصرح الحضاري الإنساني، والذي توقفنا عن المشاركة في فعالياته منذ أمد ليس بالبعيد، حينها سنتمكن من احتلال مركزنا الحضاري التي تستحقه أمتنا العربية... أخيرًا أتمنى لأخي القارئ العربي طيب الوقت وهو يمخر عباب الماضي، متمنيًا أن ألتقيكم في عمل جميل آخر.

# تـقـديـم

**هيثم نافل والي**
**قاص وروائي مغترب**
**ميونيخ / ألمانيا**

عرفت البشرية تراجم الآداب منذ عهود قديمة خلت؛ أثارت الاهتمام، حفزت الطاقات وجعلت الإنسان يتعذب لرؤيتها ومتابعتها وقراءتها، ويتوق للحصول عليها لما لها من أهمية ومازالت في رفع المستوى الإنساني الحضاري وجعله يتدرج في الصعود نحو الرقي والسعادة وصولاً إلى المثل الأعلى، المتعة الذهنية والفكرية الخالصة التي يكون ساعتها الإنسان كما تطمح تلك التراجم أن يكون الهدف المنشود والغاية.

كما لا يخفى أن حركة الترجمة في العصر العباسي كان لها الأثر الأكبر في تغيير خارطة الأهداف، السعي نحو الجودة، الحصول على المعلومة من مصادرها الأصلية ثم ترجمتها لتكون في متناول الراغبين بسهولة ويسر، الاعتماد عليها، تطويرها إن أحسن استغلالها، هكذا وجدنا بعد ذلك عمليات الترجمة تنتشر ويروج لها وتستمر، تنمو حتى وصل بها الحد أن هناك من بنى وأنشأ شركات خاصة، لا هدف من وراءها غير البحث عن الأعمال الجادة الملتزمة التي تفيد المجتمع الإنساني على مختلف مشاربه وأجناسه، وترجمتها إلى لغاتهم العاملة، التاريخ مليء بتلك الآثار التي لا يمكن للدهر مهما بعد فيها أن تمحو بصمتها، لأنها ببساطة تغلغلت في الجذور، باتت تسري مع الدماء والقلوب بها جمال وإبداع ينبض.

يطلّ علينا اليوم الفنان العراقي المغترب "كامل صباح السبتي" بباكورة أعماله الأدبية المترجمة من اللغة السويدية برواية واقعية..

الترجمة فن تحتاج إلى موهبة كالكتابة وسائر الفنون، كلما كانت ذات أسلوب رشيق، معبر عما يشعر به صاحب العمل؛ كانت أكثر صدقًا في نقلها، أقرب إلى ذوق الناس، وهو بذلك يدخل القلوب دون حاجة إلى طرق أبوابها، التاريخ يشهد لنا عن مترجمين كبار ظهروا في الساحة الأدبية العربية، كانت تراجمهم يركض وراءها القراء حيثما طبعت ونشرت لا لسبب إلا لأنها صادقة، حقيقية، لا تعرف في حياتها غير الإحساس الرقيق والشعور المرهف بالكلمات، فينقلونها بدقة وصدق وكأنهم يتعاملون مع اللغة الأم التي كتبت بها تلك الأعمال، هذا ما أعطاها عن جدارة حق الخلود.

حاز مترجمنا الفنان على بكالوريوس آداب من الجامعة المستنصرية في بغداد عام ١٩٦٧، ثم في عام ٢٠٠٢ على بكالوريوس الفنون من أكاديمية الفنون جامعة بغداد، عمل أمينًا لمكتبة إذاعة بغداد، ثم أمينًا لمكتبة تليفزيون العراق لفترة خمسة عشر عامًا، عضو في اتحاد المكتبيين العراقيين، عضو في نقابة الفنانين العراقيين، هاجر العراق بعد عام ٢٠٠٢ مضطرًا، متخذًا من السويد بلدًا يعيش فيه طالبًا الأمان بغية العيش بسلام. تعلم وأتقن اللغة السويدية بفترة قاسية، منحته تلك الفطرة، الموهبة الربانية التي زرعها الله فيه على نقل بعض من الأدب السويدي الذي يعتبر غريبًا لم يتعود عليه القارئ العربي.

أقام في بلده الجديد، السويد، معرضان تشكيليان، استحوذا على إعجاب الجالية العربية هناك كما السويدين أنفسهم، اكتشفوا أن موهبة الفنان كامل غير عادية، تصوره، عملية تفكيره ونقله للأحداث تختلف عما شاهدوه من قبل، تعاطفوا مع فنه، أحبوه، تعلقوا به وشجعوه، وها هو يطل علينا

كما قلنا بأول أعماله الأدبية وهو يخطها بقلمه مترجمًا لنا آداب الغرب الاسكندنافي بحرية وصدق قل مثيلهما.

أرجو له النجاح والتألق، وللقارئ العربي المتعة الفكرية، وما التوفيق إلا من سبحانه، خالق المواهب.

# الفصل الأول

في الحلم كانت نسراَ يرى كل شيء، طارت عاليًا، عاليًا نحو تلك السماء الزرقاء الصافية، سمعت صوت ضربات أجنحتها القوية، شعرت كيف داعبت الريح ريشها اللامع، وكيف أن الشعور بالتحرر لانعدام الوزن يجعل قلبها يخفق أسرع، ممتلئًا سعادة وامتنان، إنها الآن الفتاة التي أصبحت على هيئة نسر، في تلك اللحظة الطاهرة والتي لم تكن مثقلة بالذي قد كان أو بالذي سوف يأتي، ولذا فقد أصبحت متحررة من كل خوف...

بعيون نسر نظرت للأسفل نحو سطح الغابة الخضراء، رأت الطريق الذي يتلوى كأفعى صانعًا شرخًا في ذلك الاخضرار، على مقربة أصوات حوافر خيول رجال ذوي أصوات خشنة وسيوف مجلجلة... غناء رقيق لامرأة مع ضحكة طفل متلألئة، أخذها المنظر إلى هناك حيث أغرتها أكوام الثلج المحمية بالهبوط نحو أشجار الصنوبر العالية.

مجموعة من الفرسان، امرأة تجلس على سرجٍ ذي ظهر مرتفع، طفلان صغيران، رفرفة علم بالأصفر والأزرق وعليه رسمٌ لأسد شامخ محاطًا بأسلحة أسرة بيالبو(*).

بعيون النسر الحادة، رأت الحركة داخل الغابة المظلمة، رأت الرجل الذي شد أوتار قوسه، سمعت صوت الصفير القاتل لذلك السهم المنطلق كالريح، شعرت بالألم اللاهث عندما اخترق السهم ذلك القلب الرقيق.

---

(*) بيالبو هي إحدى الأسر أو العشائر السويدية القوية التي أسست مملكة السويد وشاركت في حكمها سنين طويلة، والأسد المنتصب على قائمتيه الخلفيتين هو شعارها الذي لا يزال هو نفسه شعار مملكة السويد حتى الآن/ المترجم.

استيقظت أنغريد ـ أيلفا على صوت صرختها، بسرعة جلست على سريرها مرتعشة، جعلها الألم في صدرها تتنفس بصعوبة، وجعل القلق جسدها يرتجف.

لقد بقي بعيدًا، منذ فترة طويلة، ذلك الشر الذي تحمله إشارات ذلك الحلم، وكان هذا يهون عليها ـ في أمل كاذب ـ بأنه قد تمَّت الاستجابة لها حين صلت لأن تتخلص من قدرتها على معرفة متى تقترب الكارثة من منزلها، ومع ذلك فإنها لم تستطع أن تفعل شيئًا إزاء ذلك، ولم يكشف لها الحلم متى ستحصل الواقعة أو من الذين سيكونوا من ضحاياها، الشيء الوحيد الذي كان واضحًا أن الحزن ما يزال في الطريق، آتيًا إليها، الحزن الذي كان دائمًا مصدرًا للحب.

في ذلك الحلم المؤلم كانت هي النسر الذي يرى الجميع والذي يعتقد أنه سيكون بمأمن، هناك في الأعالي بين تلك السماوات السبع. بلا مبالاة وبغرور، نظر النسر للأسفل، نحو الأرض، إنه يعلم جيدًا أنه الأقوى بين كل طيور السماء، يعجب به ويخشاه الجميع دون استثناء، بالضبط كما هي عليه، أنغريد ـ أيلفا سونيزدوتر، السيدة النبيلة سليلة عائلة بيالبو، والسيدة الأقوى في كل مقاطعة أوسترغوتلاند(*) ، ولكن ما نفع ذلك حين يطرق الحزن على الأبواب؟.

حين انسلت أنوار تلك الليلة الصيفية الصافية، وانحشرت داخل مزمار قرن الثور القوي، أصاغت بسمعها تجاه ذلك البيت الكبير، الناس نيام حتى الآن، ولكن بالنسبة لها فإن الليل قد مضى، أجبرتها آذانها أن تنهض من سريرها، هذه المرة احتوى حلمها على غناء امرأة وضحكات أطفال، قبض الرعب على حنجرتها، لبست ملابسها مسرعة، فقط واحد من الأطفال ـ بيرغر ـ ذو الأعوام العشرة، هو الوحيد الباقي في منزل عائلة بيالبو، إخوته الثلاثة الأكبر سنًا: ايسكل، كارل وبينغت، وأختهم كريستينا، كانوا كلهم خارج المنزل منشغلين تمامًا بأمور حياتهم الخاصة.

---

(*) أوسترغوتلاند: هي من أشهر مقاطعات السويد وأقواها، تقع في الشرق حيث يحدها بحر البلطيق، ومن أشهر مدنها العاصمة ستوكهولم حيث تدور أغلب حوادث هذه الرواية / المترجم.

فتحت أنغريد ـ أيلفا الباب وخرجت في تلك الليلة الصيفية حيث بدا الفجر يلمع في الشرق مثل حلية ذهبية، هل ينذر الحلم بزوال عهد كارل، ذلك الأسقف صاحب النفوذ في لينشوبنغ (*) الذي كان على رأس الحملة التي توجهت نحو استونيا لغرض نشر المسيحية بين الفلاحين هناك؟.

احتضنتها كل روائح الصيف الطرية، أسرعت الطيور لتحيتها، فبالنسبة لهم كان يومًا جديدًا قد بدأ بالفعل، ولكن أنغريد ـ أيلفا أصبحت عمياء عن جمال صباح الصيف هذا وهي تسير بين أبنية المزرعة؛ بيت الطعام، الحداد، كوخ الحياكة، بيت غسيل الملابس، بيت تخمير الجعة، بيت الماشية، مخزن الحطب، الإسطبل.

كانت بيالبو عالمًا في حد ذاتها، مدينة مصغرة، وكان عدد لا يُحصى من الناس يعتمدون على الزراعة فيها، وقد علق كل أولئك الأشخاص ـ ولأبعد حد ـ حياتهم وأمنهم عليها هي: أنغريد ـ أيلفا، حفيدة الملك سفيركير الأكبر وأرملة القاضي ماغنوس منيخولد سليل عائلة بيالبو.
خنقتها عبرة، تشعر أحيانًا أن المسؤلية التي حول عنقها ثقيلة ثقل حجر مطحنة، مشت بطريق مختصر، مرصوف بعناية نحو الكنيسة، كنيسة العائلة والتي كانت تستقبل السكان المحليين أيضًا، وكان لها في برج الكنيسة العالي ذو الطوابق الستة عدة غرف خاصة بها، يقتصر حق الدخول إليها على أعضاء سلالة بيالبو وضيوفهم.

من خلال المدخل المخصص للعائلة دخلت أنغريد ـ أيلفا إلى صالة الكنيسة الرسمية الباردة، وقد انشرح قلبها الخافق. جثت على ركبتيها أمام المذبح العالي، شابكة يديها مصلية لله، متضرعة أن يحمي عائلتها، أطفالها وأحبائها،

---

(*) لينشوبنغ أو سوق الحرير هي إحدى المدن المهمة في مقاطعة أوسترغوتلاند وفي كل السويد/ المترجم.

وفجأة بدا كما لو أنها عادت بالزمن إلى الوراء، عائدة إلى تلك اللحظات التي جثت فيها على ركبتيها كما هي الآن، طالبة الرحمة من الحزن...

قليلاً جدًا، سيساعد بالتأكيد، ولكن ماذا باستطاعتها غير ذلك؟ الموت المفاجئ، الحرب وسفك الدماء كان هو ميراثها الذي تابعها بإخلاص طوال حياتها، كان ذلك هو الثمن الذي عليها أن تدفعه لقاء مرتبتها العالية.

كان جدها الملك سفيركر الأكبر قد قتل وهو في طريقه إلى الصلاة فجر يوم بارد من خريف العام ١١٥٦، دفع ذلك الفعل المخزي إلى نشوب القتال بين المخلصين من سلالة السفيركر في أوسترغوتلاند وبين الأيريكيين في فيسترغوتلاند وهكذا أخذت البداية الدموية طريقها، والآن في سنة النعمة الإلهية(*) ١٢٢٠ لا تزال المعركة مستمرة.

كانت قد جثت على ركبتيها أمام المذبح العالي مصلية من أجل زوجها ماغنوس منيخولد، حينما ذهب في العام ١٢٠٨ للحرب ضد سلالة أيريك المطالبة بحقها بالعرش، في المعركة عند "لينا" فقد الملك سفيركر الابن عرشه لمصلحة أيريك كنوتسون. بعد سنتين كان سفيركر الابن قد حاول من جديد استعادة عرشه عند "جيستل رين"، ومن جديد جثت على ركبتيها في الكنيسة متضرعة من أجل حياة زوجها، وحتى في هذه المرة فقد خرجت سلالة الأيريكيين منتصرة في المعركة مخلفة ورائها زوجها ماغنوس منيخولد، الملك سفيركر وعددًا كبيراً من الجنود.

هامت أنغريد ـ أيلفا بالذكريات، ها هي عشر سنوات قد مضت، كانت حاملاً بابنها بيرغر عندما تلقت ذلك الخبر القاتم، ولكن زمن الملك أيريك كنوتسون في الحكم كان قصيراً، أربع سنوات فقط. لدى موته لم يترك سوى بنات، ولكن

---

(*) كان السويديون كعادتهم منذ أن كانوا وثنيين يعطون اسمًا أو لقبًا لكل عام؛ فهذا عام النعمة الإلهية وذاك عام الحزن الكبير وهكذا / المترجم.

زوجته ريكيسا كانت حاملاً، وفي المنفى الدنماركي ولدت ابنها أيريك أيريكسون، وعاد العرش لسلالة السفيركر.

دعكت أنغريد ـ أيلفا ـ ركبتيها المتوجعتين بينما كانت أفكارها تتجول في الطرقات، الملك الشاب الحالي يوهان سفيركيرسون لم يزل أعزبًا، بالإضافة إلى اعتلال صحته، فإذا لم يرزق بابن فإن عرش آل سفيركر سيزول مع وفاته، لكن هل سيعني ذلك نهاية العنف والصراع على السلطة؟ كانت تلك أمنية لا تزال تصلي من أجلها.

سمعت أنغريد ـ أيلفا بوابة الكنيسة وهي تفتح ثم تغلق، سمعت صوت خطوات، شخص ما قدم إلى صالة الكنيسة.. لم تلتفت، لا أحد غير ابنها بيرغر يتجرأ فيزعج تلك القوية ذات السحر والدهاء العظيم أنغريد ـ أيلفا القادرة على رؤية المستقبل. تنهدت أنغريد ـ أيلفا مرة أخرى، كيف عادت إلى الحياة كل تلك القصص عن رحلتها الشخصية؟ حاولت في البداية أن تضع الأمور في نصابها الصحيح، أوضحت في البدء أن كل ذلك كان مجرد حكايات طويلة غير حقيقية، قصصًا ربما ولدت نتيجة شرب الكثير من الجعة، أو ربما قد تدفقت خلال المساء حين تكون الظلمة حالكة، ولكنها اضطرت إلى التخلي، بل إنها أنكرت تلك المزاعم بقوة، تلك المزاعم التي تدعي وبصورة خرافية ما تمتلكه من قوى سحرية.

لحسن الحظ لم يكن هناك أحد قد اتهمها باستخدام قواها السحرية لخدمة الشيطان، بل على العكس فقد قالوا إن سيدة بيالبو العظيمة قد استخدمت قواها السحرية المزعومة من أجل حمايتهم والدفاع عنهم، كما في القصة التي تتحدث كيف أنها من فوق برج الكنيسة الشاهق، قد شهدت المعركة ما بين رجالها العظام وبين جيش دانماركي، فعندما أدركت أن أتباعها كانوا على وشك أن يخسروا المعركة؛ تناولت فراشًا مصنوعًا من الريش وهزت محتوياته حتى انتشر الريش مثل سحابة بيضاء في الهواء، وحيثما وطأ الريش الأرض تحول إلى

فرسان يمتطون خيولاً، فلم يسع جنود جيش الدانمارك إلا الهرب مذعورين، كان للقصة مصدرها الذي لم يعرف عنه شيئًا.

نظرت أنغريد ـ أيلفا إلى الأعلى، سمحت لنظرها أن يستريح على النحت الخشبي الذي يصور مريم العذراء مع الطفل الصغير يسوع وهو يستريح بسلام بين ذراعيها، وقد عاد الاضطراب بقوة متجددة، فشبكت ذراعيها طالبة الرحمة في صلاة صامتة، أغمضت عينيها وبنفس اللحظة سمعت في داخلها صوت أجنحة تخفق بقوة ورأت النسر العظيم يطير مرتفعًا نحو تلك السماء الزرقاء النقية، وعرفت أنغريد ـ أيلفا أنه لم تعد هناك رحمة ترتجيها، سيدق الحزن على بابها قريباً.

# الفصل الثاني

استيقظت كريستينا منيخولد بصمت.. عندما ذهبت للنوم مساء اليوم السابق عوت الريح مثل ذئاب جائعة حول جدران القلعة الملكية القوية. بحذر، كي لا توقظ توأميها ومربيتهما انزلقت من الفراش بقدمين عاريتين متسللة تنظر من كوة عميقة في إحدى غرف البرج.

تمتد بحيرة فاترن كمرآة عاكسة تداعب تلك الموجات المتعبة على شواطئ جزيرة فيسنغ، البحيرة الطويلة أفرغت غضبها حتى أخر قطرة، تلك الرياح القاسية السائرة كل يوم وهي تجلد الأمواج سالبة إياها قوتها، وهذه الشمس التي استيقظت للتو تبدأ رحلتها عبر السماء، وتلك المروج المائية المتسعة تتلألأ كأنها نجوم متساقطة، كان ذلك جميلاً ولطيفًا، وكان التباين مع اليوم السابق كبيرًا، كما هو الفرق بين الليل والنهار، وكما هو الفرق بين الحزن والسعادة.

كان نعيق غربان الحوادث في القلعة وبصوت عال؛ ينذر بحصول الشرور، أمواج عالية جدًا، الغضب الكبير الذي أظهرته بحيرة فاترن يوم أمس؛ كان يحصل فقط في أيام الخريف وليس في منتصف الصيف.

أما الآن، فإن الممرات المائية قد أصبحت صالحة للملاحة من جديد، وهي والأطفال يستطيعون البدء برحلة العودة المؤجلة. رجال من حرس الملك سفيركرسون ابتسموا لها، مما يعني أن الأمواج السيئة قد مضت بعيدًا، ولكنها كانت متمهلة، فهي لن تخاطر مطلقًا بحياة أطفالها من أجل حفنة من حراس الملك يريدون أن يظهروا مدى صلابتهم.. من على بعد رأت عددًا من المراكب التي كانت في طريقها نحو جزيرة فيسنغ، من الواضح أنها لم تكن الوحيدة التي تنتظر طقسًا أفضل.

كانت القلعة الملكية الواقعة على حافة الطرف الجنوبي لجزيرة فيسنغ معقل المملكة الاتحادية الفضفاضة، حيث كان لكل مقاطعة قوانينها، وحيث كانت العوائل النبيلة تمتلك قوة كبيرة. هنا على الجزيرة التي تتوسط غوتلاند الغربية وغوتلاند الشرقية كان الملك سفيركر الأكبر قد بنى القلعة في القرن الماضي، حيث كان لا يزال صغيراً، ومن جزيرة فيسنغ الواقعة في منتصف بحيرة فاترن حيث لم تقدم البحيرة إلا حماية كاذبة حاول أن يقود المملكة المضطربة، إلا أنه قد قتل بوحشية.

نفس المصير القاسي أصاب ابنه وخليفته، كارل سفيركرسون، وقد كان ذلك هنا في هذه القلعة، حيث اعتقد أنها ستكون آمنة.. قتله كنوت أيريكسون من عائلة الأيركيين، بعد أن عبر مع أتباعه في ليلة شتائية باردة من سنة ١١٦٧ متخفين عبر بحيرة فاترن المتجمدة.

أزاحت كريستينا منيخولد تلك الأفكار المظلمة بعيدًا.. لقد ألقى الماضي ظلالاً قوية.. استمعت لطفليها يتنفسان باطمئنان ويتقلبان بصمت في سريرها، جلست القرفصاء إلى جانبهم تجيل النظر بوجهيهما الصغيرين.

كضيوف على القلعة الملكية؛ كانوا يتمتعون بحراسة العديد من حراس الملك يوهان سفيركرسون، وبالتالي فقد كانوا يشعرون أنهم في المكان الأكثر أمنًا في كل مقاطعة غوتلاند. ولكن كريستينا كانت تدرك أنه في حضن السلطة لم يكن هناك شيئًا مؤكدًا.. دسائس، مؤامرات، شهوة بالسلطة والجشع، كل شيء يزدهر هنا، وكونها أم فإن الهم والقلق سيكونان رفيقيها الدائمين، شكرت خالقها على أن ابنها لن يكون مستقبلاً أحد المطالبين بالعرش، فلو أن الأمر كان كذلك لما كانت ستحصل على لحظة هدوء واحدة.

نعم هي وحيدة الآن مع طفليها التوأم منذ أن وافت المنية زوجها سيغتريغ بنغستون، توأميها هيلينا وراغنار كانا فقط في الخامسة من العمر حين فقدا أباهما، وكأرملة وابنة لماغنوس منيخولد ومن سلالة بيالبو؛ فقد كانت بيدقًا في

لعبة السياسة بين العوائل القوية في المملكة، لقد كانت السلطة الهشة تستند على التحالفات، وقد بنيت التحالفات من خلال الزواج الاستراتيجي المصلحي.

لم ترغب هي بذلك النوع من الزواج من جديد، على الرغم من أنها كانت شابة، كانت تريد أن تسيطر على حياتها الخاصة، بالضبط كما فعلت زوجة ابيها أنغريد ـ أيلفا، كم كان لديها ما لا تدين به لهذه السيدة التي لا تقهر؟.

لم يبقَ لديها من صورة أمها الحقيقية غير شيء مبهم، ذكريات غامضة، خطوط غير واضحة عن وجه، عن صوت رقيق، كان ذلك كل شيء.. ماتت الأم في إحدى تلك الحالات التي تعاني منها أثناء الولادة، ومثل بصيص أمل دخلت أنغريد ـ أيلفا حياتها وحياة شقيقها ايسكيل، أما الأب فقد تم تسميمه لأنه سليل ملكي، أنغريد ـ أيلفا ابنة كاترين(*) التي منحت بريقًا أكبر لسلالتها.

تمددت هيلينا في سريرها فرحة بنفسها وبأخيها الذي عانى من دوار الصحو المبكر من النوم، ابتسم كِلا الطفلين ابتسامة مشرقة عندما ألقيا نظرة عليها.

- صباح الخير حبتا قلبي.. الشمس تُشرق اليوم من جديد، أمواج بحيرة فاترن قد هدأت وأصبح بإمكاننا الإبحار حالما ننتهي من توضيب أمتعتنا.

- إذن فسوف ألتقي الجدة أيلفا؟

رفعت هيلينا عصاتها، أشرقت عينيها الزرقاوين بالأمل.

- نعم يا كنزي، سيكون لك ذلك.

بقفزة مستسلمة نهضت هيلينا من فراشها وبدأت تتجول في غرفة البرج، كان بين أنغريد ـ أيلفا ـ وهيلينا رابطة قوية، شيئًا ما كان يجعل كريستينا تشعر تجاهه بالامتنان العميق، سلطات أم العشيرة كانت كبيرة وكانت كريستينا ـ الابنة ـ تشعر بالأمان وهي محمية تحت جناحيها.

---

(*) كاترين سينزدوتر ولدت في ١٢٥٣، هي ابنة الملك سفيركير الأصغر، تزوجت من الملك ايريك ايريكسون في العام ١٢٤٤ فأصبحت ملكة السويد/ المترجم.

- هل بإمكاني المساعدة بشيء؟

تثاءب راغنار بشدة وهو مستلق..

- تستطيع سؤال البحارة عن ذلك، ولكن إذا ما كان هناك مزيدًا من الريح فسيعمدوا لرفع ما يكفي من الأشرعة وبذلك لن تكون هناك حاجة للتجديف.

أزاحت كريستينا عن جبين راغنار خصلة شعر شقراء رطبة، كان لطفليها أمزجة مختلفة تمامًا، فهيلينا التي كانت أول من خرج من رحمها، كانت ذات شخصية قيادية واضحة، تهوى الاطلاع على كل شيء، لا تخاف، متهورة؟ نعم... تقريبًا ومتوثبة دائمًا. تابع راغنار أخته حيثما ذهبت ولكنه حافظ دائمًا على مسافة قليلة خلفها، لم يكن يهاب شيئًا ولكنه كان أكثر حذرًا وأكثر حكمة.

كانا يظهران تباينًا لافتًا للنظر.. كلاهما كان أشقر الشعر، زرق العيون، بأنفين مستقيمين، فمين مليئين بالمشاعر وذقنين مرتفعتين. أما بالنسبة لجسميهما فإن هيلينا كانت رشيقة ولينة بينما كان راغنار أقوى بنيانًا وأكثر قوة بالفعل من أخته. كانا يتشاكسان، يستل كل منهما عصيًا ويتبارزان، ولكن عندما كان الأمر يميل لأن يصبح جديًا فإنهما كانا موالين لبعضهما البعض.. كانا قريبين جدًا لبعضهما حتى ليخيل إليها أنهما قد تقاسما نفس القلب ونفس العقل.

استيقظت أيضًا مربية الطفلين سيغريد وارتدت ملابسها على عجل..

- سأهتم بالطفلين الآن سيدة كريستينا، وسوف أخبر الخدم أن يجهزوا الأغراض وينزلوها إلى المركب.

- حسنًا سيغريد، خلال ذلك سأتحدث للملك سفيركرسون ليحدد لنا أيًا من المراكب سنبحر به، ومن سيرافقنا نحو ميناء هستهولمن.

قلبت كريستينا بين ملابسها حيث استقرت على الأزرق الفاتح، ثوبًا طويلاً ضيقًا في جزئه العلوي وخصرًا بلا طيات مع تنورة متماوجة وأكمام بحاشيات طويلة متدلية.

لفَّت شعرها البني الذهبي على بعضه وطوته مثبتة إياه على رأسها قبل أن تضع قبعة صغيرة مدورة من نفس قماش الثوب والتي تُشبه تاجًا على الرأس.. فتحت علبة المجوهرات الخشبية المزخرفة حيث تحتفظ فيها بمجوهراتها، تناولت سلسلة ذهبية ثقيلة يتدلى منها صليبًا مرصعًا بالماس وأدخلتها من فوق رأسها.. وضعت بروشًا تتدلى منه سلاسل، وتجمدت حين لم تجد الخاتم الذي أرادته.

أين الخاتم؟! كانت متأكدة أنها قد وضعته في العلبة مساء أمس.. نعم، لقد كان هناك شيئًا غريبًا بهذا الخاتم، كان يبدو كما لو أنه حي، هي تعرف أن ذلك تفكيرًا غير منطقي، ولكن مع ذلك، كان هذا ما تفكر فيه.

إنه من الغرابة بمكان أن ينتهي به المطاف فيكون ـ على نحو تام ـ في حوزتها.. كان مصدره بعيدًا جدًا، من أزمان الوثنية القديمة ولا يعرف أي كائن حي كم قد يكون عمره. لقد حصلت عليه ضمن ميراث من أحد أحفاد ايستر زوجة الملك كنوت أيريكسون، ويقول التاريخ إن الملكة ايستر هي من نقشته بنفسها.

لماذا هي فقط التي مُنحت هذه الهدية؟ لم تفهم ذلك حقًا، ربما كان ذلك لأنها تنتمي لسلالة بيالبو، التي كانت متحالفة بشكل وثيق مع عائلة الأيركيين؟ لم تستطع أن تعرف أبدًا وبشكل مؤكد، فكل النساء اللواتي قد حصلن على هذا الخاتم ـ عبر القرون ـ هن في عداد الأموات الآن.

مع ذلك فقد استرعى انتباهها أن الخاتم في إحدى المرات منذ أمد بعيد قد زين إصبع هيلينا كارلسدوتر أميرة سكوفدة، هذه المرأة الرائعة التي ذهبت في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة وعند عودتها ذهبت ضحية انتقام دموي، وفي المكان الذي قتلت فيه تدفق نبعًا ذو مياه صحية صافية.

- سيغريد، هل رأيت أين وضعت خاتمي الليلة الماضية؟ أنا أعني الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير الذي تحتضنه يدان من الفضة.. لقد قررت أن أضعه هنا في علبة المجوهرات هذه ولكني لا أجده الآن!

- كلا سيدة كريستينا، أنا لا أعرف أين يكون، ولكن قد تكون هيلينا تعرف.

رمقت كريستينا ابنتها التي تسلقت نحو كوة النافذة العميقة تنظر بفضول نحو ميناء القلعة، حيث المراكب محملة بكل أنواع الإمدادات والتي يكاد يضاف إليها المزيد.

- هيلينا، تعالي هنا، أود إن أتحدث إليكِ.

سمعت هيلينا صوت أمها المتصلب ولكنها مع ذلك بقيت واقفة عند النافذة، لقد كان المشهد في الميناء مؤثر جدًا، الحراس بدروعهم المعدنية والسيوف، التجار الذين يتبعهم الحمالون محملين بالسلع، مهرجين يرتديان بزات ملونة، اثنين من الرهبان بردائيهما الأسودين الطويلين حتى الكاحلين، وحفنة من المتسولين يصلون ممدودة أياديهم، صهيل خيول.. كان الميناء يضج بالحياة.

- هيلينا، هل رأيتِ خاتمي، ذو حجر الكهرمان الكبير؟

مشت كريستينا نحو ابنتها، أمسكتها من ذقنها مجبرة إياها أن تتلاقيان بنظراتهما.

- أماه، لقد نادى علي ذلك الخاتم، إنه لا يريد أن يكون سجين تلك العلبة، لقد ألقيته على السرير، انظري لقد بدأ المهرجان باللعب الآن.

أطبقت كريستينا شفتيها عن توبيخها.. هناك شيئًا في هذا الخاتم الملقى أبعد مما يمكن تصوره، أبعد مما تستطيع الكلمات أن توضحه.

في المرة الأولى التي وضعته في إصبعها أحست شعورًا بالرفض، كما لو أنه يرفض أن يتواجد هناك، بدا ذلك كما لو أنها كانت مجبرة على التوقف على جانب طريق محدد طويل، مجرد خادمة بدل أن تكون حاملة مختارة لتلك المجوهرات الموغلة بالقدم، بالتأكيد كانت هيلينا، أميرة سكوفدة إحدى النساء المختارات، وكذلك من الممكن أن تكون أنغريد ـ أيلفا إحدى الجديرات بحمل هذا الخاتم.

أنغريد ـ أيلفا التي تمتلك القوة والشجاعة للمضي في طريقها، أنغريد أيلفا التي لا تعرف حدودًا لحياتها غير تلك التي حددتها هي، ومع ذلك لم يذهب الخاتم إليها، بل جاء إلى كريستينا منيخولد، هي التي ورثته.

مشت كريستينا نحو فراش الطفلين، بحثت بين الأغطية والوسائد حيث كان الخاتم ملقى هناك.. التقطته، وزنته في كفها، وبأشعة الصباح بدا حجر الكهرمان يضج بالحياة، وضعته في إصبعها فشعرت كيف أنه قد ارتج.. أخافتها قطعة المجوهرات الغامضة تلك وأغرتها على حد سواء، عندما لم تكن تضعه في إصبعها فإنها تشعر بشيء يصعب تفسيره وحين تسارع لوضعه في إصبعها فإنها تحس بشعور يتآكلها من أن ذلك غير كاف.

- إن كنتِ لا ترغبين بذلك الخاتم أمي، استطيع أنا أن آخذه، أعتقد أن ذلك سيكون لطيفًا.. ثم إنني أعتقد أن الخاتم يريد أن يكون معي.

صوت هيلينا المشرق، ومرة أخرى شعرت بهزة خفيفة بالخاتم..

- حين تكبرين هيلينا ستتمكنين من الحصول عليه، ولكنك الآن صغيرة جدًا.

هيلينا ابنة سيغتريغ، ابنتها العنيدة.. هل يمكن أن تكون هيلينا إحدى حاملات الخاتم، إحدى اللواتي لا تتبع حياته الشيء المتوقع، تلك التي رسمت بالفعل؟ خفق قلب كريستينا خفقات اضطراب، فإذا ما كان القدر قد قرر ذلك، فإن حياة ابنتها لن تكون سهلة.. طرقات على الباب، تدخل إحدى سيدات القلعة الشابات إلى الغرفة منحنية بكل احترام.

- الملك يوهان سفيركسون يود التحدث إليكم سيدة منيخولد، إنه ينتظركم في غرفته.

- أخبري الملك أني قادمة على التو.

تراجعت المرأة الشابة، كانت السيدة منيخولد تشعر في القلعة الملكية وكأنها في بيتها، لذا فلم تكن محتاجة لأن يرافقها أي شخص.

- سيغريد، أرجو أن تتأكدي من أن الأطفال قد لبسوا ملابسهم كما يجب من أجل الرحلة، وأن يتناولوا إفطارهم.

تحسست كريستينا ثوبها ونظرت للقبعة التي تأكدت من أنها موضوعة في مكانها الصحيح، واستعجلت النزول على سلم القلعة الدائري الطويل نحو الطابق الأسفل الذي يجاور خط الساحل لبحيرة فاترن.

القلعة تضج بالحياة، في باحة القصر لا تزال خيام الجعة منتصبة بعد الاحتفال الكبير الذي أقامه الملك بعد عودته مع النبلاء من حملة صليبية في استونيا.. معظم الضيوف ذوي المقامات العالية غادروا جزيرة فيسنغ، ومن ضمنهم أخوها ايسكل ماغنوسون منيخولد، رجل غرب غوتلاند البارز ورجل القانون المحترم للغاية مع زوجته كريستينا نيلزدوتر.

الملك.. ابتسمت كريستينا في داخلها، يوهان سفيركرسون كان بالكاد أكبر من طفل، كان فقط في التاسعة عشر من العمر، أعزب ويبدو هكذا وكأنه بلا طفولة، يوهان هو ابن لابنة عمها انغيغيرد بيرغسدوتر.. وانغيغيرد كانت ابنة لذلك الدوق القوي بيرغر بروسا الذي أصبح ولي أمرها هنا في هذه القلعة في جزيرة فيسنغ، كان عمها قد مات ميتة طبيعية هنا.. آه، فقط لو تستطيع جدران القلعة الملكية أن تتكلم، لتحدثت عن تاريخ دموي من القتال المستمر، التمرد، الخيانة والاغتيال.

تجمدت كريستينا على الرغم من حرارة الصيف.. الأبواب الواسعة المؤدية إلى السكن الملكي الأكثر أمانًا من بين جميع غرف القلعة كانت مفتوحة على مصاريعها، ولكن جذب انتباهها وقوف اثنين من الحراس المدججين بالسلاح خارج الغرفة.

- يوهان؟

توقفت كريستينا عند عتبة الباب..

- قريبتي العزيزة، ادخلي..

خطت كريستينا نحو الغرفة.. تناثرت الوسائد على السرير الواسع كأنها ألوان قوس قزح، كانت الجدران مغطاة بمنسوجات ذات صور عن معارك، فرسان بدروع ثقيلة، خيول تصهل، أعداء ممددين. كعادته كان يوهان سفيركرسون شديد الأناقة بملبسه، فهذا الصباح كان يرتدي قميصًا أصفرًا مشرقًا بطول كامل وبردنين واسعين زررا بأزرار صغيرة عند الأكمام، وارتدى فوقه ثوبًا أزرقًا زاهيًا ذو حافات مطرزة بخيوط مغلفة بالذهب، وزوج من الأحذية ذات أناقة بارعة.

دققت كريستينا في هيأتها، كانت في طريقها لمعانقته، وكان هو يسعى لإثارة مشاعر الأمومة لديها، وكان من السهل جدًا تناسي أن ذلك الطفل الصغير ذو الصحة العليلة قد غدا الآن ملكًا.

- هل يجب أن تسافري الآن فعلاً، كريستينا؟ لم نحظَ إلا بوقت قصير للتحدث مع بعضنا.. وزوبعتيك الصغيرين بالكاد كان لدي وقتًا لتحيتهما.

- أنت ملك يوهان، ووقت الملك لا يمكن أن يتسع للكثير.

جلست كريستينا على أحد الكراسي جميلة النحت والتي تنتشر في الغرفة..

- عليّ الذهاب الآن لمنزلي في سكينينغ، يوهان، ولكن سنذهب أولاً إلى بيالبو لتحية أنغريد ـ أيلفا، إنها بانتظارنا..

أغلقت كريستينا عينيها وهي تنظر إلى وجه يوهان سفير كرسون اليانع وقد خيبت أمله، كان باردًا ووحيدًا في قلب السلطة، وهي كانت أحد الأشخاص القليلين المقربين منه الذين يستطيع أن يكون بصحبتهم.

- أنا أفهم أن أم العائلة، أنغريد ـ أيلفا لا ترغب أن نزعج بعضنا البعض، ولكني أرجو منك خدمة، إن كلا النبيلين، الدوق كارل الأصم ومستشاري الخاص،

أخوك، الأسقف كارل قد بقيا هناك في استونيا، إن لدي رسالة من الأسقف لأمه أنغريد ـ أيلفا، وبما أنك ستكونين هناك فلربما سترغبين بتوصيلها.

ناول يوهان كريستينا مخطوطين، عرفت كريستينا ختم الأسقف كارل عليهما..

- كم سيبقى كارل في استونيا؟

ليس كثيراَ بعد، فأنا لا أستطيع الاستغناء عن الدوق أو عن أخيك، مستشاري لفترة طويلة.. أنا أحتاج إليهما هنا في الوطن، لقد نجحنا في جعل المنطقة المحيطة بقلعة ليال خاضعة لنا، وبالتالي نستطيع أن نؤمن طرق التجارة إلى روسيا وهو أمر مهم جدًا للمملكة، وأولئك الرجال الخمسمائة الذين تركتهم في القلعة سنأمل أن يتمكنوا من وضع حد للغارات التي عانى منها السكان المقيمين على طول سواحلنا الشرقية.

- وكيف سارت عملية تنصير أولئك الوثنيين؟

استدار يوهان سفيركرسون منزعجًا مكورًا بين إصبعيه ذرات تراب رفعها من على ثوبه.

- نعم، ماذا أستطيع أن أقول؟ لقد اتضح عندما كنا هناك أن السكان المحليين قد اعتنقوا المسيحية على أيدي فرسان الصليب الألمان.. حتى الدانماركيين كانوا قد سبقونا إلى هناك.

غيرت كريستينا المحادثة بلباقة..

- قبل أن تبدأ العواصف الخريفية سوف آتي أنا والأطفال لتحيتك من جديد، هما يريان أن الحياة هنا في القلعة أكثر متعة منها عن الحياة المملة في سكينينغ، أو هناك في مزرعة بيالبو.

- يبدو هذا شيئًا جيدًا، أنتم أكثر من يُرحَب به هنا، تعرفين ذلك.. أنا أعلم أنك قد تركت رجال مزرعتك دال بلا رقابة تمامًا، كيف تستطيعين ذلك؟

- بعد وفاة سيغتريغ شعرت أني سأعيش بشقاء في دال، شكك أولاد زوجي بكل ما أقوم به.

سمعت كريستينا المرارة في صوتها..

- إن عشيرتي هي أغلى بكثير من زوجي الراحل وأنا لست بحاجة لتحمل مثل تلك الشكوك، ولكن يكفي الحديث عن هذا الأمر، إن واجباتكم تدعوكم، وأنا علي الاهتمام بنفسي على ما يستوجبه سفرنا، هل يعرف البحارة أيًا من القوارب سنستقله؟

- نعم يعرفون ذلك، ولكن هل لديك ما يكفي من الحماية من بين حراسك، لقد أتيتِ إلى هنا بصحبة القاضي ايسكيل وحرسه الكبير؟

ضحكت كريستينا بانشراح:

- عزيزي يوهان، إن المملكة يعمها السلام، وحين يتركنا رجالك عند الميناء في هستهولمين فلن يكون طريقنا طويلاً ونحن نمتطي الخيول، سنكون عند أبواب بيالبو قبل أن يهبط الشفق، بالإضافة إلى أنني أسافر تحت راية عائلة بيالبو وبحماية الأسد المنتصب.. ليس هناك ما أخشاه.

بنفس اللحظة التي تلفظت فيها بتلك الكلمات الشجاعة اهتز الخاتم الفضي الثقيل في إصبعها، ولكن الحركة كانت ضعيفة جدًا حتى أنها لم تلحظها.

# الفصل الثالث

استقبلت بحيرة فاترين المسافرين بريح معتدلة وأشرعة مشرعة بالكامل ورغوة بيضاء، تحيط ذلك المركب الكبير زقزقة عصافير وصيف.

أبحروا شمالاً، على جانبهم الشرقي تأرجح ساحل جزيرة فيسنغ، وعلى البر الرئيسي بدا جبل اومبيرغ المرتفع ينظر بغطرسة لمن هم في الأسفل، كانوا في طريقهم نحو ميناء هستهولمين والذي يقع في واحد من الخلجان المحمية على الطرف الشرقي لبحيرة فاترين.

أخذت كريستينا تراقب التوأم عن كثب، هيلينا تجول بين البحارة، فضولية ومتسائلة تجر خلفها راغنار. يرتديان معطفين طفوليين متشابهين مفتوحين من الأمام، ليس لهما أزرار بل يُربطان بحزام، وحذائين جلديين طريين، وفي عنقيهما وضعا سلسلتين متينتين متشابهتين يتدلى من كل منهما صليباً فضياً حصلا عليهما من أنغريد ـ أيلفا يوم تعميدهما.. الاختلاف الوحيد بينهما كان في قبعتيهما، فقبعة هيلينا المخصصة للفتيات مصنوعة من جزء وسطي تحيط به أجزاء على الجوانب أما قبعة راغنار فقد كانت مصنوعة من خيوط مرنة.

كانت كريستينا تكن احترامًا كبيراً للبحيرة، وتشعر دائمًا بالارتياح عندما تسير على الشاطئ حيث الشعور بالأرض الصلبة تحت قدميها، ولكن هذا اليوم الصيفي الرائع مع تلك الرياح اللطيفة والأمواج المعتادة جعلها مسرورة أيضًا برحلتها البحرية هذه.. جعلها ذلك تتخيل كما لو أن السفينة طائر يحلق للأمام فوق سطح الماء، وتشكل فرقًا كبيراً حين يترنح المرء على ظهر الجياد فوق الطرق الوعرة.

ضحكات هيلينا وراغنار المجلجلة، أصوات الرجال الخشنة، صيحات النوارس، غناء حمام بحيرة فاترين، إنه يومًا جميلاً يبعث على الكثير من الثقة، رفعت

كريستينا وجهها نحو السماء، أغمضت عينيها مستمتعة بلحظات من الدفء المبارك بالعناية الإلهية.. جلست لفترة ممتنة فقط كي تدوم مكانتها هذه طويلاً.

فتحت عينيها عندما شعرت أن المركب قد تأرجح، لقد كانوا بالطريق للدخول نحو هستهولمين، طوى البحارة قسمًا من الأشرعة فرحين بالمساعدة من قبل حرسها الخاص.

- هيلينا وراغنار، تعالا واجلسا بقربي، فلقد قاربنا على الوصول.

على مضض أطاع التوأمان وكانت كريستينا حازمة معهما، لم تستطع هيلينا أن تجلس بهدوء، ولم يكن للمرء أن يتوقع أبدًا ما يمكن أن تقوم به.

كان البحارة معتادين على الإبحار بين جميع المراكب الذاهبة والقادمة، ما بين هستهولمين بذلك الجانب الناطق بلهجة أهل الشرق من بحيرة فاترين، وبين هيَو بالجانب الناطق بلهجة أهل الغرب من البحيرة، حين تقترب القوارب من القلعة الملكية في جزيرة فيسنغ.

كانت المساحة ضيقة في رصيف الميناء، ولكن القوارب الملكية كان لها رصيفها الخاص.. ساعدت الأيادي الداعمة كريستينا والأطفال على النزول إلى البر، وفي أعالي الرصيف المزدحم كان صوت الزحام يصم الآذان، حيث كان الجنود بأسلحتهم اللامعة، التجار، رجال ونساء بمفردهم، عبيد، ماشية، كميات من جميع أنواع البضائع، روائح الطعام المحضر الطازج والخبز المخبوز للتو تدغدغ الأنوف.. أحست كريستينا بالدوار إلا أنها لم تنزل عينيها الصارمتين عن أطفالها..

- أقترح أن تذهبي سيدتي مع الأطفال كي تشربوا شيئًا بينما أذهب لأرى إن كانت خيولنا قد أسرجت.. سيغريد ورايم سيتأكدان من حدوات حوافر الخيول.

أومأت كريستينا مجيبة وانحنى بيورن ماتسون رئيس حرسها بلطف قبل أن يختفي متوجهًا نحو الإسطبل.

- تعالا الآن لنفعل ما اقترحه علينا بيورن، سنجلس هناك فنأكل ونشرب شيئًا ما.

أشارت كريستينا نحو مجموعة من الدكاكين البعيدة ومنازل العامة المتجمعة عند الشاطئ، وبطيب خاطر سار معها الطفلين، هيستهولمين كانت مكانًا ملائمًا تمامًا لذوقهم، تنقلوا بين الصناديق، العربات، الناس والحيوانات، وساروا بمحاذاة خطوط مساكن العامة حتى عثرت كريستينا على مكان يلائمها. دخلوا فجلسوا على مقعد حجري محفور بقرب الماء، وقد قدمت لهم فتاة شابة جعة خفيفة التركيز، عصير التوت البري وخبزًا ساخنًا.

تنهدت كريستينا بارتياح، كانت المحطة الأولى من رحلتهم قد انتهت ولم يبقَ سوى امتطاء الخيول لبضع ساعات قبل أن يصلوا المنزل عند أنغريد ـ أيلفا في مزارع بيالبو.

* * *

رجال مسلحون بالسيوف والأقواس، ومن خلال الندوب على وجوههم يمكن للمرء أن يقرر أنهم قد خاضوا العديد من المعارك، كان عددهم خمسة، وكانوا قد راقبوا الميناء في هستهولمين لعدة أيام.. لم تكن لديهم صعوبة بالاختلاط بحشود الناس التي تأتي وتذهب في الميناء، ولكن ولأسباب أمنية ومن أجل عدم إثارة أسئلة فضولية؛ ظلوا بالخارج يتناوبون الحراسة.. مهمتهم لم تكن معروفة وذلك الشخص القوي ذو المكانة المرموقة الذي استخدمهم لن يدفع لهم الجزء الأكبر المتبقي من أتعابهم في حالة إخفاقهم، كان لدى مستخدمهم خططًا طموحة ومن أجل ذلك كان عليه الزواج من سيدة تنتمي لواحدة من السلالات القوية في البلاد، وكان الحصول على النسب يعني المزيد من النفوذ والكثير من الثروة التي كانت متوفرة لدى عائلة بيالبو.

أحد الرجال الذي كان حارسًا هذا اليوم الصيفي الرائع، يراقب السيدة مع طفليها الغافلين، تراجع للوراء قليلاً وجلس مطمئنًا عند الشاطئ، كانت هي تسافر تحت راية الأسد المنتصب وقد قرر هو أن فترة الانتظار قد انتهت بالنسبة لهم، ببطء يدور طاويًا أكمامه ينظر بحشود الناس مستمتعًا بذلك اليوم الجميل، سحب الرجل نفسه خلسة مبتعدًا عن الميناء.. وبالضبط عند الغابة القريبة أطلق صفيرًا حادًا، ظهر حالاً أربعة رجال من مخبأهم الأخضر في الغابة.

- إن السيدة منيخولد وأطفالها هنا الآن.

- كم رجل يقوم على حراستهم؟

- عدد الذين استطعت أن أراهم مساويًا لنا، ولكننا نمتلك عنصر المفاجأة إلى جانبنا.. سيركبون خيولهم داخل ممتلكات آل بيالبو وأخر ما يتوقعونه هو تعرضهم للهجوم في أراضيهم.

صمت وتوتر لف الرجال الجالسين على ظهور خيولهم التي سرعان ما ابتعدوا بها من هناك.

* * *

صرخت هيلينا بصوت عال، بسحابة من الغضب وخيبة الأمل، فلقد كان دورها بالركوب مع مربيتها سيغريد على حصانها البطئ بينما كان الدور على راغنار لكي يركب أمام سفين أصغر حراس الملك، المحارب المفعم بالحيوية والرجولة.

- هيلينا أنت تعلمين جيدًا أن الدور الآن هو لراغنار وأننا سوف نقوم بالتبديل عند الصخرة المستديرة داخل كنيسة روك، لن يساعدك كم تفتحي فمك صارخة، الحق هو الحق، يكفي الآن، لا وقت لدينا لتلك الأفعال السخيفة.

فهمت هيلينا عندما تجهمت أن المعركة خاسرة، فسمحت لسيغريد أن ترفعها عن ظهر الحصان العريض.. احتفظ بيورن ماتسون بقبضة حازمة على لجام

حصان كريستينا عندما تسلقت على السرج قبل أن يجلس هو على سرج حصانه المحارب المتراقص، رفع راية الأسد للإشارة على المغادرة ولكز جواده الذي خب مطيعًا سائرًا في طريقه.

ألقى بيورن نظرة إلى الوراء للتأكد من أن الجميع قد كانوا بمعيته، تألفت القافلة التي تتبعه من كريستينا، الطفلين، مربيتهما، خمسة حراس ورايم. رايم ذلك العبد المحرر الذي يركب في أخر الموكب والذي كان مسؤولاً عن ثلاثة من الخيول التي تحمل الأغراض.

بخطوات بطيئة تابعوا الطريق الصاعد نحو كنيسة فسترا تولستاد، كان الناس الذين يلتقونهم يتنحون جانبًا لإفساح الطريق لهم، فلقد كانت راية الأسد المنتصب توفر الاحترام والقدسية، تمدد رايم فخورًا بنفسه حيث كان جالسًا على ظهر حصانه، تحسس بيده قوسه المعلق بكتفه، إنه الآن رجل حر، لم يعد مجبراً على تحمل قيود العبودية البغيضة، كان صيادًا وكان له الحق في حمل القوس والسكين.. في الواقع إنه لم يكن منتميًا إلى أي عائلة، وبالتالي فقد كان ينتمي إلى الطبقة السفلى من المجتمع، لكنه على الأقل كان أحد أولئك الرجال المتدينين.. ولم يعد فاقدًا لحقوقه القانونية، لم يعد شخص بلا ممتلكات، لم يعد لأي أحد الحق في أن يبيعه، يستخدم العنف معه، أو حتى يسلبه حياته.

مع ذلك فإن أمه لوفا كانت عبدة، وكان أطفالها الذين رزقت بهم لا يزالون ينتمون لسيدهم، يعاملهم بالضبط بنفس الطريقة التي يعامل بها الخنازير والماعز أو كما يفعل مع الأغنام، أما أطفال رايم فقد ولدوا أحرارًا، ولكنه يريد أكثر من ذلك بكثير.. إن حلمه الآن أن يكون فردًا من سلالة أو عائلة.. ولتحقيق ذلك يشترط أن يحصل على دعم ستة عشر رجلاً من نفس العائلة بهذا الشأن، مثل هذا التمجيد كان ضروريًا لتثبيت ذلك الالتماس، ولكن أين يوجد هؤلاء الأشخاص سوى في أحلامه؟.

سارت الخيول باتجاه كنيسة فسترا تولستاد، أرخى رايم قبضته على قوسه وبدل ذلك أطبق بيده، بكل الحب، على صليب خشبي مزخرف علقه بحبل جلدي حول رقبته، إنه يريد الوصول إلى الكنيسة من أجل تقديم الكثير من الشكر..

كان قد تلقى التعميد في كنيسة بيالبو حيث يُعلم الإيمان المسيحي أن جميع الناس متساوون أمام الله، لذلك فقد كان ذلك بالنسبة للكنيسة مأثرة إلهية عظيمة أن تقوم بتحرير أتباعها، ولكن ذلك كان بعيدًا جدًا عمن استمعوا لكلمات الكنيسة.. أعلن الكثيرون إيمانهم بالعقيدة المسيحية، ولكن حين تأتي لأرض الواقع كانت المتطلبات الشخصية شيئًا آخر مختلف، فعدد كبير من المسيحيين لا يزالون محتفظين بالعبيد معتبرين أنهم مخلوقات بلا تفكير ولا مشاعر، بدون حاجة لأي حب أو رعاية.

لقد أعطوا لأنفسهم الحق في أن يتحكموا بحياة الإنسان وموته، هذا الحق الذي لا يملكه ـ بحسب الاعتقاد المسيحي ـ إلا الله.. وبالنسبة له فقد استمع لأولئك الذين كانوا محظوظين، أصبحت أمه عاملة في مزارع بيالبو حيث كانت العبودية رجسًا بالنسبة لتلك المسيحية شديدة الإيمان، أنغريد ـ أيلفا، وفي مزارعها لم يعد هناك اليوم أشخاصًا غير أحرار.

لديه الآن زوجة وأطفال، وهو يعمل كصياد، كان ماهرًا بالقوس، ولم تكن تلك القدرة فقط هي التي أعطته المزيد من الحرية، والتي سمحت له أن يمكث في الحراسة.. كان يمتلك نظرًا حادًا كالصقر وسمعًا كسمع كلاب الصيد، كان يستطيع أن يشم أين تكمن الطرائد، في صدره تعيش روح الصياد.

في الغابة، في المروج الخضراء، في البرك السوداء، كان يرى آثارًا من الرب، وكان يشعر بالحب لكل تلك المخلوقات.. ابتداءً من أصغر الحشرات، وأكثر الزهور خجلاً، حتى أكبر الأيائل وأقوى النسور.. عندما يسقط فريسته كان يخر راكعًا

على ركبتيه، شاكرًا ذلك الحيوان لأنه وهبه حياته، وبتقديس يقطع قلبه ويدفنه حيث سقط، فالحيوان ينتمي للغابة وقلبه يجب أن يبقى هناك.

طلب رايم المرافقة في هذه الرحلة إلى جزير فيسينغ على الرغم من أن الأعمال المنزلية لم تكن من ضمن أشغاله، إلا أنه أراد ذلك لأجل أن يرى القلعة الملكية الأسطورية بأم عينه.

رأى الكثير في هذه الرحلة، كان قد أبحر على متن سفينة الملك الخاصة عبر بحيرة فاترين، رأى الملك يوهان سفيركرسون وكل ضيوفه النبلاء وتلك السيدات الجميلات وأولئك الرجال الأقوياء الفخورين، تشمم تلك العطور ذات الروائح النفاذة لكل تلك النفوس الناقصة والتي تحتشد حول مركز السلطة بحسد وغيرة، كالنحل حول العسل اللذيذ.. والآن وقد تم له ما أراد فإنه يريد العودة إلى عائلته، العودة للسلام بأرضه، وللتفكير الصافي في المزارع والحقول والغابات.

* * *

كانت الحرارة وذلك التفكير البطيء والمريح، وطنين من جميع أنواع الحشرات، كان لها تأثير منوم على الجميع، كان الإحساس بالنعاس قد جعلهم يدلفون داخل كنيسة روك حيث تلك الصخرة الدائرية الكبيرة تنتصب هناك كنصب تذكاري شاهد على التاريخ الذي مضى منذ أمد بعيد.

ذهبت الشمس بالفعل عبر السماء مبتعدة عن طريق رحلتهم، فشهر تموز/ يوليو كان يقترب من نهايته وليالي أب/ أغسطس المظلمة سوف تأخذ بدايتها، وكان يمكن بالفعل رؤية الغسق الأزرق.

كانت كريستينا متعجلة ترغب في الاستمرار لأنها لا ترغب أن تتأخر عن الوصول لمزارع بيالبو ولو حتى لساعة فقط.. تضحك هيلينا ويشرق وجهها الصغير بالفرح متناسية خيبة أملها بمجرد أن بدأت رحلتهم، حان الآن دورها للركوب برفقة سفين من على تلك الصخرة المستديرة، أما راغنار فقد ارتضى المشاركة مع سيغريد وحصانها البطيء.

تأكد رايم أن الأغراض مربوطة بإحكام وتأكد من حدوات الخيول قبل أن يستمروا برحلتهم بنفس البطء.. على مسافة ظهرت بحيرة توكيرن المتلألئة قبل أن تبدأ الغابة فتصبح أكثر كثافة من حولهم، في خيالهم كان معظمهم قد وصل بالفعل إلى بيالبو، والمحاربين إلى معسكرهم في هوف حيث سيقدم لهم إبريقًا مملوءًا إلى حافته بالجعة ذات الرغوة.

كانت كريستينا وسيغريد تتخيلان أنهما بالفعل جالستان عند مائدة أنغريد ـ أيلفا الباذخة، تتحدثان عن كل ما جرى في القلعة الملكية، فقط التوأمان ورايم هم من كانوا متيقظين بتلك اللحظات، هيلينا وراغنار والقابلية الطفولية التي تتواجد بطرفة عين، ورايم وبصيرة الصياد المتحفزة فيه دائمًا والمفتوحة على كل روائح الغابة، والأصوات والمناظر.

رأى رايم سنجابًا اندفع كالبرق عاليًا إلى جذع شجرة الصنوبر، بومة تعبة تنام على فرع بعد صيدها المسائي، لمح أرنبًا اندفع محتميًا تحت شجرة تنوب، سمع صوتًا خافتًا لغصين ينقطع وظن أنهم قد أخافوا غزالاً فلاذ بالفرار.. كان هذا عالمه، هنا يشعر أنه في منزله..

أخذ نفسًا عميقًا، لقد أحب روائح الغابة، خليط التربة، الطحالب، عصارة الشجر والخضرة، أثارته رائحة غريبة، شحذت بصيرته أكثر.. كانت لاذعة وغير سارة، بالغة الشر ولم يكن قد عرفها في موطنه، الغابة، بحث رايم في ذاكرة عطوره، بنفس الوقت الذي ألقيا هو وأحد الجوارح نظرة متفحصة بين الأشجار، التماعة في تلك الخضرة القاتمة جعلته يدرك للتو، بقبضة متعودة استلَّ قوسه، وضع فيه سهمًا وبكل ما في رئتيه من طاقة أطلق صرخة محذرة..

- أشهروا أسلحتكم، سوف نُهاجم من طرفنا الأيمن من الغابة.

أبدى أولئك الرجال الخمسة استياؤهم. فقد ضاعت مفاجأتهم سدى، لم يكن لديهم أية فرصة، قريبًا ستنتهي الغابة وسيكونوا بالفعل في أرض عائلة بيالبو، فإما الآن وإلا فلن ينفع أي شيء.

- لا تنسوا أننا نريد السيدة والطفلين ولا يجب أن يصابوا مطلقًا.. إذا ما حدث لهم مكروه فلن نكافأ بأي شيء.

بسرعة فائقة امتطوا جيادهم وخرجوا من الغابة، ستكون فوضى من العراك الدموي على الطريق الضيقة المتعرجة في الغابة.. صرخات رعب، ألم وصيحات، خيول تصهل بعنف، صوت حديد يقارع حديد، الوتر الذي كان ينشد، ولكن مع كل ذلك كانت هناك أم تصلي يائسة.

- أنقذوا الأطفال، حبًا بالله أنقذوا أطفالي..

كانت سيغريد قد اختفت بالفعل داخل الغابة مصطحبة معها على ظهر حصانها راغنار الذي كان يصرخ بجنون، ضغطت عقبيها على جانبي الحصان الذي تعثر شاعرًا بخوفها ثم اندفع بسرعة لم يبلغها في أي وقت مضى، أدمت فروع الأشجار وجه سيغريد ولكنها لم تلحظ ذلك مطلقًا.. لم يكن في رأسها إلا فكرة واحدة فقط وهي إنقاذ الطفل الذي استؤمنت عليه ومن أجل ذلك عليها الوصول إلى بيالبو، إلى أنغريد ـ أيلفا.

تردد صدى توسلات كريستينا منيخولد في الهواء، لم يعرف حارسها الشاب سفين ما يجب عليه فعله، لقد تدرب على القتال وقد أقسم على الدفاع في كل الأحوال عن كريستينا منيخولد من دون أن يلتفت لحياته. ولكن الآن، هناك طفلة تجلس أمامه على السرج، صوت كريستينا قطع تردده كسكين وأجبره على الالتحام في المعركة، بسيفه المرفوع فوق رأس هيلينا مهد له طريقًا للخروج من ذلك الاضطراب الدموي فلكز جانبي حصانه بمهمازيه، وبسرعة فائقة طار الحصان على الطريق مع هيلينا التي تشنجت ملتصقة بثبات بالسرج، أحد الرجال المهاجمين لاحظ هروبه، رفع قوسه وسدده بدقة، سمع سفين صوت السهم القادم، شعر بألم هائل عندما اخترق رأس السهم درعه وغار عميقًا في ظهره، سقط بقوة إلى الأمام فوق الطفلة بينما كان الحصان وبخوف عارم يسقط على الطريق.

سحب الرجل كريستينا بقوة ودفعها محاولاً إسقاطها عن الحصان، ركلت وضربت بعنف حولها من أجل تخليص نفسها.. عليها أن تحمي أطفالها، وليحدث لها ما يحدث، فقط ألا يصاب ايًا من أطفالها بمكروه، تصاعدت حدة المعركة من حولها، وأصبحت أكثر شراسة، بتلك المساحة الضيقة المتاحة كان من الصعب معرفة من هو الصديق ومن هو العدو.

سهم طائش، سهم لم يكن موجهًا نحوها، تلقفته السيدة بصدرها وأصبح كل شيء مظلمًا، رآها الرجال المهاجِمين تسقط فعرفوا أنهم قد فشلوا في مهمتهم.. بإشارة من قائدهم اختفوا في الغابة بسرعة كما ظهروا منها بسرعة.

# الفصل الرابع

صدى الحديد الذي يقارع الحديد، الضحكات والتشجيع على التحدي وصلت إلى داخل بيت الطبخ حيث كانت أنغريد ـ أيلفا تتذوق شرائح سمك الرنجة المطبوخة، والرنجة المهروسة مع البطاطا ومسحوق الجيلاتين اللذيذ، كانت تشعر أنه المساء الذي سوف تأتي فيه كريستينا والأطفال، ولقد أمرت الطهاة بإعداد الوليمة احتفالاً بوصولهم.

على مر السنين كانت قد تعلمت أن ترفع ثقتها بمشاعرها، وأن تقلل من الاعتماد على الغير، فزاد ذلك من قوتها.. كان ذلك ـ قدرتها على الاستماع لداخلها ـ هو الذي جعل المحيطين بها يثقون بأنها تملك موهبة العرافات على قراءة كتاب المستقبل.

عندما كانت في مقتبل العمر حاولت أن توضح أن جميع الناس الذين خلقهم الله لديهم هذه الموهبة، ولكنها تتطلب الكثير من الشجاعة، الثقة والإيمان الذي لا حدود له بقدرتك، ولكنها تخلت عن ذلك.

اجتاحت صرخة ظفر أطلقها ابنها بيرغر بيت الطبخ فأدركت أنه قد نجح بالحصول على ضربة من معلمه الفارس يوار، أحد حراس الملك.. جففت يديها قبل أن تخرج لفناء المزرعة لكي تراقب التدريب على السلاح، كانا يتدربان حيث إن ذلك يعتبر جزءاَ أساسياَ من تربية بيرغر والتي ستصبح يومًا أشد فتكًا وعنفًا.

جميع أبنائها كانوا مستعدين للمهام الكبيرة، وقد كان لها هي نفسها تأثيرَا كبيراَ على نقل تلك المهارات اللازمة، لأنهم في ذات يوم سيأخذون على عاتقهم دورًا نشيطًا في حكم البلاد، ولقد وظفت أفضل المعلمين الذين علموا الأولاد فنون الكتابة، والقراءة والحساب، علموهم كيف يتكلمون ليستمع الآخرين،

وعلموهم التفاوض، حفر الرهبان فيهم المسيحية وعلموهم اللغة اللاتينية، وإلى جانب التعليم المدرسي فقد تم تدريب الأبناء على كل ما يمكن القيام به في المعركة.

تابعت بنظراتها أصغر أبنائها، الذي ألقى الآن سيفه جانبًا، وتحت إشراف يوار بدأ التدريب على الرمي بالقوس والسهم، ذلك المصير المشؤوم الذي حذر منه الحلم لا زال يخيفها.. وعبثًا، في محاولة لوقف ذلك المصير فقد منعت أبنائها من مغادرة المزرعة في بيالبو، كان بيرغر غاضبًا بقوة عندما لم يستطع أن يتدرب مع الحرس في هوف، أو أن يركب حصانًا فيدور بين تلك المزارع الأربعة عشر التي تعود ملكيتها لآل بيالبو.. خبرتها الصادقة كانت وراء هذا القرار.

داعبت بنظراتها ذلك الجبين الطفولي الأملس، ذلك الذقن الذي يمتاز بالقوة، الحواجب السوداء التي تتناقض مع الشعر المحمر شبه الطويل، ذلك الأنف المستقيم، ذلك الفم المحدد وتلك العيون البنية الغامقة.

كان بيرغر طويلاً قويًا له عضلات، كان بالفعل فارسًا بارعًا ومشهورًا باستخدام السيف والقوس معًا، ولكن كانت له أيضًا تلك القوة الداخلية والتي جعلتها تعرف أنه من بين أبنائها كان هو، بيرغر ماغنوسون، هو الذي سوف يترك الأثر الأكبر بين كل معاصريه، لنقل إنه لم يصبه أي سوء، كان في العاشرة من العمر فقط، وكانوا يعيشون في وقت عنف حين كان للسيف القول الفصل وليس القانون.

دوت في الهواء الدافئ ضحكة ابنها المتألقة حين أصاب الهدف، وكلمات إطراء يوار.. ومن بيت الطعام سمعت غناء، ومن دكان الحداد تأتي أصوات طرقات عنيفة، بعيدًا عند المرج المزهر كان عدة من أطفال المزارعين يلهون بين الخيول التي ترعى، ومن البئر أتت فتاة نشيطة تحمل جردلاً مملوءًا بالماء.

هبط الغسق الأزرق ببطء فوق المزرعة، وقلقها يزعجها بصمت.. تقدم المساء والحياة كانت ممتعة، ماذا لو كان الحلم الشرير ذاك مجرد كابوس عادي وليس نذير شؤم بآلام قادمة؟ ولو في هذه المرة فقط.

ولكن بالكاد حين كانت الأفكار تأتي لنهايتها سمعت صوت الحوافر التي تركض، سيدة تصرخ يائسة طلبًا للعون وبكاء طفل ينفطر له القلب، بسرعة جنونية فائقة دخلت سيغريد باحة المزرعة، أمام أنغريد ـ أيلفا سقطت المرأة عن حصانها الذي يمطر عرقًا.

- ساعدونا، ساعدونا.

صرخت سيغريد مباشرة وهي في الخارج، قدم بيرغر مسرعًا وشد على لجام الحصان بقوة بنفس الوقت الذي أنزل فيه راغنار الصارخ بجنون على ظهر الحصان.

- لقد هوجمنا، لا أعرف من الذي بقي حيًا ومن الذي قد مات.. عليكم....

وبدأت سيغريد بالعويل..

- اهدأي سيغريد، واحكي لنا عن الذي جرى.

حاولت أنغريد ـ أيلفا أن تسبغ على صوتها الهدوء ولكن كل حواسها كانت متمردة، أجلست راغنار المرتجف بحضنها، همست بأذنه كلمات مريحة.

- أين هوجمتم؟

- لا أعرف بالضبط ولكن ذلك كان في الغابة، قبل أن نتمكن من الوصول إلى فوروسا.

وقبل أي كلمة أسرع بيرغر ويوار إلى جواديهما، لم تستطع أنغريد ـ أيلفا منع ابنها، كانا قد طارا بعيدا في طريقهما، وقد عرفت أنهما في طريقهما نحو هوف لكي ينذروا باقي الفرسان.

* * *

خرّ بيورن ماتسون على ركبتيه إلى جانب كريستينا منيخولد، عيونها كانت مغلقة، تنفست وإن كان بصعوبة، ببطء تحول لون فستانها الأزرق للأحمر بفعل الدم النازف من الجرح الذي في صدرها، السهم الذي اخترق صدرها لا يزال في مكانه ولكن كان هناك ما حد من قوة اختراق السهم.

نظر رايم والفرسان الأربعة إلى بعضهم البعض بذهول رهيب، كان الصليب المرصع الذي تعلقه كريستينا قد منع السهم من الوصول إلى القلب، بعناية سحب بيورن السهم خارجًا، سقط الزمرد المتألق وتناثر أشلاءَ.

- علينا أن نسرع بأخذها للمنزل.

بدأ بيورن بمسح الوضع في جميع الأنحاء، كان فرسانه الثلاثة على الرغم من إصاباتهم الدموية قادرين على الحركة، لم يصب رايم أبدًا، على الطريق وعلى بعد مسافة منهم كان أحد المهاجمين ملقى على الطريق ميتًا، لاحظ بيورن أنه قد أصيب بأحد سهام رايم، وبالقرب من ذلك الرجل الميت وقف حصانه.

- علينا عمل نقالة، يجب أن ننقل السيدة منيخولد، نحن لا نعرف مدى شدة إصابتها.. علينا أن نصلي لله أن تتجاوز ذلك.

استل رايم سكينه واختفى داخل الغابة..

- هل تمكن سيغريد وسفين من الابتعاد بالأطفال؟

ارتعد صوت بيورن بحزنٍ وبلومٍ لنفسه.. كانت وظيفته أن يحمي عائلة منيخولد بأي ثمن كان، ولقد فشل في تحمل هذه المسؤولية، كان قد سمح لنفسه أن يركن لشعور زائف بالأمان عندما وجدوا أنفسهم قريبين جدًا من بيالبو، ولم يعتقد أن هناك خطراً يتهددهم، لو لم يكن رايم موجودًا لخطفت كريستينا ولكان الجميع أمواتًا.

بدأ الرجال يتساءلون فيما بينهم، لا أحد فيهم يستطيع أن يؤكد ماذا حصل للأطفال.

- ستيفان، اذهب وفتش جيوب ذلك المعتدي وحقائب سرجه، حاول أن تجد ما يخبرنا عن شخصيته، ومن أين جاء.. أنتم الآخرون اجمعوا الخيول ذات الحدوات.

عاد رايم محملاً بجذعين كبيرين من البتولا مربوطين بساعديه، التقط عباءته الخشنة ولفة من الحبل المجدول، وبيديه المتمرستين عمل نقالة مؤقتة، حمل بيورن ورايم كريستينا بلطف ومدداها على النقالة، تألمت كريستينا بصوت واهن.

- ليس هناك ما يشير إلى هوية القتيل.. هل نأخذ الجسد معنا؟
- ضعه على حصانه، إن كنا محظوظين فقد يتمكن أحد من التعرف عليه، رايم وأنا سنحمل النقالة، والآن علينا أن نسير في طريقنا.

بدأ بيورن ورايم بالتقدم في طريقهم حاملين معهم حملهم الثمين العبء، أمامهم ركب ستيفان حاملاً راية الأسد المتوثب. كان شعار الفخر ذاك قد خدش بعمق وتلطخ بالدم، وراء النقالة ركب اثنان من الفرسان مع الخيول الحاملة للأغراض وحصان العدو الميت..
كان جمعًا حزينًا..

* * *

بيرغر ويوار كانا في المقدمة وخلفهما كان فرسان أنغريد ـ أيلفا متوجهين نحو فوروسا، هدرت حوافر الخيول بحدواتها الحديدية فوق الأرض محدثة غمامة من الغبار، لم يأملوا إلا بالوصول في الوقت المناسب، قبل أن تنفذ ساعة كريستينا والأطفال ومرافقيهم، ركبوا مستصطحبين معهم مصيراً لا يرحم، لا يفرق بين أعلى وأسفل، بين غني أو فقير.

هناك حيث الغابة قد تحولت إلى مزارع قمح التقوا بأقرانهم، أسرع بيرغر للأمام نحو نقالة كريستينا، تعتمل في داخله مشاعر الحزن، مشاعر اليأس والغضب.

- إنها لم تمت بيرغر، ولكن نبضها ضعيف.

- لماذا حدث ذلك بيورن؟ ما الذي كانوا يبحثون عنه؟

- اقتناص عروس، بيرغر.. أولئك التعساء كانوا يريدون أختك ولم نستطع أن نعرف من هم أو من الذي استأجرهم.. حين أصاب ذلك السهم الطائش السيدة منيخولد لاذوا جميعًا بالفرار، بقي منهم واحد، ولكن الإنسان الميت لا يتكلم.

كان صوت بيورن قويًا، يعد بالانتقام، أخذ بيرغر يد كريستينا المرخية، داعبها برفق.. تغلب الحزن على الغضب، كافح من أجل حبس دموعه.

- هل ستتمكن من البقاء على قيد الحياة؟

- ذلك شيء بين يدي الله بيرغر، كل ما نستطيع أن نفعله الآن هو أن نصلي من أجلها وأن نوصلها بأسرع ما نستطيع إلى المنزل في بيالبو.. إذا كان هناك من لديه قدرة على إنقاذ السيدة منيخولد فهو أمك.

* * *

كانت أنغريد ـ أيلفا واقفة تنتظر خارج منزل السكن الكبير، كانت عيناها مثبتتين على البعد، بداخلها كانت الصور تتداخل، كل صورة أكثر إثارة للخوف من الأخرى، ما حدث يفوق الخيال، من الذي تجرأ على مهاجمة عائلتها في عقر دارهم؟ ولماذا؟ وما هو الهدف؟.

من خلال الباب المفتوح سمعت صوت سيغريد وهي تغني لراغنار، كان فيها شيءٌ من الفرح، كانت تأمل جادة في أن يوقف الغناء بكاءه ويدفعه للنوم.

تحول الشفق الأزرق إلى ليلة معتمة، تحول إلى ظلام مخملي. وهناك، في أفقه برز القمر آتيًا، مكتملاً وبراقًا، لم يكن أحد من سكان المزرعة قد ذهب طلبًا للراحة، الكل كان منتظرًا. وكانت أنغريد ـ أيلفا قادرة على رؤية ظلالهم الصامتة بين البيوت.

ثم سمعت على البعد أصوات حوافر مكتومة، فتجمدت الحركة في جسدها، انتظرت حشد الرجال غير قادرة على الحركة، من صمتهم أتتها المخاوف الحقيقية، وفي مخيلتها رأت النسر العظيم يحوم فوق قمم الأشجار.

- أماه ساعديها..

أخرجها صوت بيرغر من جمودها، عليها الآن أن تكون قوية، فالحزن يستطيع أن يأتي لاحقًا. توجهت نحو النقالة، نظرت لوجه كريستينا المبيض المتشمع، وذلك الرداء المدمي، مدت يدًا متحسسة جبينها، وجعل الاسترخاء ركبتيها تضعفان عندما شعرت بأن ابنتها المتبناة كانت لا تزال ساخنة، وكأن الحياة لم تغادرها بعد، القوة والعزم قد عادا.

- تُحمل على الفور إلى المنزل، مددوها على سريري.

بعد ذلك ألقت أنغريد ـ أيلفا نظرة متأملة على الرجال والخيول واجتاحت الصرخة كل حنجرتها.

- أين هيلينا؟ ماذا فعلتم بحفيدتي؟

* * *

جمح الحصان على تلك الطريق المتعرجة، مطاردًا من قبل عفاريته.. كان ذلك الفارس الشاب صديقه، بينهما كانت رابطة حب وثقة قوية، ولكن الاتصال الآمن بينهما قد انكسر الآن، لم يعد هناك من يمسك باللجام، لم يعد هناك من يعطي أوامر الحركة أو التوقف، في ذلك الموقف تعلقت على ظهره حزمة فاقدة للحياة، كان خائفًا وكاد يتجمد وحيدًا.

التوى الطريق بشكل مفاجئ ولكن الحصان استمر يعدو للأمام، للداخل، في الغابة حيث أشجار الصنوبر والتنوب النامية بكثافة قد أجبرته على الإبطاء.. وقف الحصان على قائمتيه الخلفيتين باحتجاج متوحش فانزلقت تلك الحزمة الثقيلة من على ظهره إلى ذلك الطحلب الناعم.. اختفت العفاريت، والخوف

كذلك. ثم مشى الحصان من هناك بطيئًا نحو الحظيرة الآمنة في المنزل الواقع في هوف، والتي قد أصبحت تلوح بالأفق.

* * *

شعرت هيلينا كيف وقف الحصان على قائمتيه الخلفيتين وكيف أسقطهما هي وسفين أرضًا، ولكنها سقطت بلطفٍ فوق ذلك الفارس الشاب، فلقد كانت يداه تطوقانها وكان العدو بجنون قد توقف.

خلصت نفسها من قبضة سفين، وقفت على رجليها المرتجفتين ونظرت حولها باستغراب، لم يكن لديها علم بالمكان الموجودة فيه.

ومضات مرعبة مملوءة بسيوف ملتمعة، بوجوه رجال لهم سحنات قاسية تومض في رأسها.. سمعت أمها تصرخ ألمًا، رأتها تسقط، هدير رجال، صرخات الخيول، صوت صفير السهام، شعرت بصرختها التي أطلقتها عندما أسقطهما الحصان، إنها تريد العودة إلى المنزل، لأمها، لأخيها راغنار، لجدتها.. دفعت هيلينا سفين وسحبته، محاولة إيقاظه، حاولت مساعدته على النهوض.

- سفين، استيقظ، لا أريد البقاء هنا طويلاً أريد العودة إلى المنزل.

شعر سفين كيف كانت الحياة في طريقها لتركه، ذلك الشكل ذو الضوء الأبيض الساطع يقف إلى جانبه، على استعداد لمرافقته فوق ذلك الجسر المتلألئ الممتد فوق البلاد، حيث لا شر، لا وجود للمعارك، إنه يتوق فعلاً أن يكون هناك، ولكن كان هناك شيء عليه فعله قبل أن يغادر الحياة على الأرض، بجهد كبير فتح عينيه وضغط على نفسه مخرجًا أخر الكلمات..

- هيلينا، استمعي بانتباه لما سأقوله، يجب عليك أن تختبئي، يجب عليك تجنب الرجال الذين يحملون أسلحة، الرجال الذين يرتدون سلاسل مدورة أو دروع، إنهم يريدون أن يؤذوكِ، هل تسمعين ذلك؟ اركضي الآن من هنا وتذكري ما قلته وليحميك الله.

أخذه ذلك الضوء الأبيض الساطع من يده، لقد حل الوقت الآن، حان الوقت لتوديع الحياة الأرضية التي كانت قصيرة، ولكن وداع سفين كان بدون مرارة، عندما حلق فوق الجسر عرف أن عدد السنوات المعاشة لم تكن هي التي تحدد كم هي ثمينة الحياة.

* * *

- اهربي من هنا.. اختبئي.. احذري الرجال الذين يحملون أسلحة.

ترددت كلمات سفين في رأس هيلينا، فجأة أدركت كم هي مظلمة الغابة، الظلال أصبحت أشكالاً، أصبحت مخلوقات مخيفة، تحولت فروع الأشجار إلى مخالب تحاول الوصول إليها، بكت خائفة وبدأت بالعدو، تعثرت بالجذور والصخور، تشققت ركبتيها الصغيرتين وسالتا دمًا، ركضت بلا هدف، فقط بفكرة واحدة طحنت رأسها، يجب عليها الاختباء، يجب عليها أن تجد مكانًا لا يستطيع الرجال أصحاب الوجوه القاسية أن يجدوها.

فجأة اختفت الأشجار، وجدت نفسها في مكان مفتوح سابحًا بالضوء القادم من القمر والنجوم، على القرب لمحت تجمعًا من المنازل، وواحدًا لا نهاية له، مرآة ماء أسود، شعرت هيلينا بالغموض من حولها، لقد أبحرت على هذه المياه مع أمها وراغنار، كانوا في الخارج في ذلك المكان الآمن في الجزيرة، لربما كانت الأم موجودة هناك الآن؟ بقلب يدق هوت هيلينا نحو الماء، لقد وصلت ميناء هستهولمين، سمعت ضحكات تنطلق من الحانات وتذمر، ولكن الرصيف في الخارج كان مهجورًا وهادئًا، نامت الرياح على تلك الأشرعة المرفوعة والبحارة كانوا نيامًا.

- عليكِ أن تختبئي..

كلمات سفين في رأسها وكأنها فريسة سيتم اصطيادها، تسللت على متن أحد القوارب، في اسطبلٍ خالٍ كانت هناك عربة قش مغطاة بقماش شراعٍ خشن، ضغطت هيلينا جسدها الصغير تحت ذلك الغطاء الذي سيحميها محاولة أن

تجد لها مكانًا بين البراميل والأكياس، كورت نفسها كأنها جنين واستسلمت للبكاء، بكت حتى تعبت، بكت حتى تملكها النعاس رحمة لها.

عادت في حلمها إلى مزرعة بيالبو، كانت تسير ويدها بيد جدتها أنغريد ـ أيلفا بين عبق المروج أواخر الصيف، أفاقت هيلينا على اهتزاز حركات القارب وعلى أصوات كثيرة، ولكن ذاكرة الفتاة كانت خاوية في هذا الصباح الجديد، أغلق الخوف الباب على طفولتها، أصبحت كما لو أنها قد ولدت من جديد، لم تعد تحمل اسمًا، ليس لها عائلة.. كان ذلك هو اليوم الأول في حياتها.

# الفصل الخامس

تلك الأغنية القديمة كانت متأصلة في أوستلاند، فلقد سافرت عبر الصحاري، عبر البحار، تحملها تلك النساء التعيسات اللواتي أسرهن الأجداد في غزواتهم.

في شمال البلاد تصبح النساء جواري فاقدات للحقوق؛ ولكن عبر القرون تمكن البعض منهن من الاحتفاظ بتلك الأغنية وأورثنها لبناتهن... هذه الأغنية الرتيبة الموحية، تمتلك قوة الشفاء التي كانت وراء ما كان ممكنًا إنجازه بالكلمات.. هذا الإنقاذ، هذا الشيء الذي لا يمكن تفسيره، سميت تلك القدرة سحرًا ولعنوها.

أنغريد ـ أيلفا سونيزدوتر لم تكن منتمية لتلك المجموعة المنقذة، ولكنها بذلت أفضل ما لديها من قدرة لتطبيب جرح كريستينا، نظفت ما حوله وغطته بورقة من نبات قبعة النهار [الخروع] من أجل التئام الجرح، كانت تحاول أن تحث ربيبتها على ابتلاع شراب يحتوي على عصارة نبات الفاوانيا المصنع والذي يعتبر مقدسًا، والذي يستمد قوته من القمر، تلك الزهور الجميلة كان بإمكانها تسكين الألم، وتستطيع أيضًا تهدئة العاصفة، وإبطال مفعول السحر، ولكن يبدو ألا شيء بإمكانه المساعدة.. واصلت كريستينا سباتها العميق، لذا فقد دعت أنغريد أيلفا، سيبيلا.

هذه المرأة العجوز الجالسة أرضًا بالقرب من سرير كريستينا تغني تلك الأغنية التي ورثتها عن أمها.. كانت سيبيلا قد ولدت في العبودية، ولكن أنغريد ـ أيلفا، سيدة العائلة القوية رفعت عن كاهلها أغلال تلك العبودية؛ هي الآن امرأة حرة، كانت سيبيلا تهتز إلى الأمام وإلى الخلف بينما كانت تغني، كانت عيناها مغمضتين، ويداها مرفوعتين للأعلى كما في الاحتجاج، ملأت الأغنية فضاء الغرفة، كان اللحن يتبع إيقاع دقات القلب، تلك الكلمات الغريبة تجعل العقل ينفتح على مصراعيه.

شعرت أنغريد ـ أيلفا فجأة أن رياحًا قوية قد دخلت الغرفة وجعلت تنفس الهواء سهلاً، صمتت الأغنية، وقفت سيبيلا مشمرة أكمامها، أخذت ريشة بنية غامقة قوية، حركتها بشكل دائري سريع فوق جسد كريستينا، تدفق الضوء الخافت القادم من القمر والنجوم من خلال النافذة وجعل الريشة تومض.. بالكاد تنفست أنغريد ـ أيلفا خشية المقاطعة، توقفت سيبيلا معيدة الريشة في يدها قبل أن تستدير ناحية أنغريد ـ أيلفا..

- لقد تم انجاز ذلك، لقد سحبت روحها، كانت قد شرعت بالسير بعيدًا وهي بحاجة للعثور على طريق العودة، سيشفى جسدها الآن.

خفضت سيبيلا من صوتها إلى همس بالكاد يسمع.

- من ناحية أخرى، كيف سيكون الحزن في قلبها إن لم يتمكن الرجال من العثور على ابنتها؟ وأنا لا علم لي عن ذلك.

- سيتمكنون من العثور على هيلينا، هذا ما يجب أن يفعلوه، أنا اعرف أنها على قيد الحياة، هذا ما أحس به في قلبي، وأنا أشكرك سيبيلا لأنك قد ساعدت كريستينا، سأبقى مستيقظة بقرب فراشها أثناء الليل، ولكن أخبريني ما كان ذلك الذي فعلته بالريشة؟!

أشرقت على وجه سيبيلا ابتسامة:

- ألا تعرفين أيتها الحكيمة أنغريد ـ أيلفا أن الطيور هي رسل بين عالمنا والسماوات السبع، عن طريق تلك الريشة فتحت تلك البوابة الذهبية التي تستقر ورائها كل النعم..

- أي الطيور منحك تلك الريشة؟

مشت سيبيلا نحو الباب، كانت متعبة.. أخذت الأغنية الكثير من طاقتها..

- لقد حصلتُ عليها كهدية من النسر الملك، هذا الأقوى بين كل طيور السماء، هذا طير بدأتِ أنتِ تكوني صديقة له أنغريد ـ أيلفا

* * *

جلس رايم خارج كوخه محاطًا بعائلته، زوجته غونا وأولاده القاصرين الثلاثة، يستمعون بأفواه مفتوحة لما يحدثهم به رايم عن زيارته للقلعة الملكية خارج جزيرة فيسنغ.

القوارب الكبيرة مثل نوارس كبيرة مجنحة تحلق في السماء، فوق المساحات الزرقاء لبحيرة فاترن، القلعة الكبيرة لا يمكن تخيلها مع غرف مزينة فاخرة لجميع الضيوف الكرام، والحفلات الكبرى. كمية كبيرة من الطعام، الموسيقى، الرقص وألعاب الفرسان في باحة القصر.

رسم رايم لوحة عن كل ما رآه وشاهده، لوحة تضج بالحياة حتى أن أولاده اعتقدوا أنهم يسمعون تلك الموسيقى ويستنشقوا تلك العطور، ويشاهدوا الفرسان يتصارعون مع بعضهم.. ولكن بينما هو يلبس تجربته بالكلمات من أجل إسعاد عائلته؛ استمع طوال الوقت باهتمام لصوت الحوافر على الطريق ولأصوات الرجال، كان يستمع أكثر من كل شيء لصوت طفلةٍ مشرق، صوت هيلينا...

يقع كوخ رايم ملاصقًا لحافة الغابة، على مرمى حجر من الكنيسة، مسكن النزلاء، بيت الطعام، الاسطبلات، والحظائر والسقائف.. من هناك كان يستطيع بسهولة أن يرى الطريق وأن يرى الفرسان لدى عودتهم.

زحف أصغر أبنائه، تور، على ركبتيه فطوق رقبته بيديه الصغيرتين، داعب رايم شعر ابنه الناعم، وداخل نفسه شكر العناية الإلهية التي سمحت له بالجلوس هنا في تلك الليلة الصيفية مع عائلته، لو أن المصير قد اختار شيئًا آخر لحياته لكان ذلك هذا اليوم، بعيدًا، في طريق الغابة المتعرج ذاك.

- أعتقد أن الوقت قد حان الآن لكي يذهب أبناؤك للنوم، أو ماذا تقترحين غونا؟ سأحدثكم أكثر عن القلعة الملكية مساء الغد.

أنزل رايم ابنه تور إلى الأرض.

- سأبقى في الخارج قليلاً، لن أستطيع أن أكون مسرورًا فعلاً قبل أن أعرف ما الذي حدث لهيلينا والسيد سفين.

- نعم أعتقد أن الوقت قد تأخر وعلى الصغار الذهاب للنوم، سيستيقظوا في الصباح الباكر، تعالوا الآن أحبائي.

جمعت غونا أطفالها ودفعت بهم إلى الكوخ، سمعها رايم وهي تدخل المسكن، سمع الأطفال وهم يدمدمون قبل أن يصمتوا، كل يوم، أصوات مطمئنة، الصوت الذي يأخذه المرء بسهولة وكأنه من المسلمات.

جلس وحيدًا في ذلك الليل طالبًا الرحمة لأفكاره ومشاعره، قلق حول ما حدث لهيلينا وسفين، شاكرًا أنه نجا من الهجوم الغادر وبقى على قيد الحياة، شعورًا لم يكن لائقًا، هذا الكبرياء المجروح، تواجد كل شيء في نفس الوقت.. الغضب من بعض على بعض، تحدي البعض للبعض.

كان له الفضل، هو العبد السابق رايم، في أن يجعل مهمة خطف عروس غير مجدية، فلو لم يكشف الرجال الذين كانوا مختبئين في الغابة لكانت الأمور تختلف عما هي عليه، وكان سهمه هو الذي أسقط أحد الأشرار، ولكن لم يعترف بذلك إلا بيورن ماتسون، ولا أي فارس آخر ولو حتى بكلمة، لقد ولد عبدًا في نظر أولئك الرجال ذوي المكانة العالية، لم يكن رجلاً حرًا بكل معنى الكلمة.

دفن رايم عميقًا شفقته على نفسه، الشعور بالظلم القديم، عندما اعتقد فجأة أنه يسمع بكاء طفل متروك، تجمد رايم في مكانه، لم يأتِ البكاء من كوخه، نهض بعنف، أطل بنظره إلى الغابة، هل جاء صوت البكاء من هناك؟ ولكن لم يكن هناك الآن إلا صمتًا كبيرًا وعميقًا.. هرب منه ذلك الفخر الذي لا جدوى منه، لأنه كان يقظًا فقط وأنه قد أنقذ حياة.

ألم تكن، حقيقةً، عزة نفسه ضعيفة جدًا، وأن غروره كان من الضخامة بحيث إن معرفته تلك لم تكن كافية؟ هل كان بحاجة للمديح من أولئك الرجال الذين

كان يرى أنهم أعلى قيمة منه هو نفسه؟ إن كان الأمر على هذا النحو، فإنه لم يكن سوى البؤس الفاضح، الشيء الوحيد الذي يعني شيئًا الآن هو أن يكون الفرسان قد عثروا على هيلينا وسفين وهما بأحسن حال، وأن تتغلب كريستينا منيخولد على جروحها.

بين الحد الفاصل ما بين الليل والنهار، في ساعة الذئب، سمع رايم وقع حوافر، أطل بعيدًا ناحية الطريق ورأى خيالاً يقترب منه بسرعة.. بدأ يركض، عندما أصبح قريبًا من أمام الكنيسة التقى بذلك الخيال.. كان بيورن ماتسون، من تقاطيع وجه الفارس، عرف رايم أنه لا يحمل أخبارًا طيبة..

- لقد عثرنا على حصان سفين، كان يعدو بجنون على الطريق، ولكننا لم نعثر على أثر له أو لهيلينا، رايم نحن بحاجة لمساعدتك لنتمكن من العثور عليهما، أنا آسف لأني لم أدعك مسبقًا بسبب إغفالي الذي لا يغتفر فقد فقدنا وقتًا ثمينًا..

نظر رايم إلى بيورن ماتسون حيث كان يجلس على حصانه الأسود المحارب، ولأول مرة يشعر بأنه فارس في موقف سيء، في عينيه انتصب الندم واتهام الذات مكتوب.

- اسمح لي بأن أجلب قوسي وحصاني..

بخطى مسرعة استدار لكوخه وأسرع لإيقاظ زوجته ليقول لها إنه ذاهب.

حين داعبت أوائل خيوط الشمس قمم الأشجار سار رايم وبيورن راكبين، سارا صامتين بينما كان يومًا جديدًا يستيقظ من حولهما.. جعل الصباح المراعي والمروج تتألق كأنها أحجار كريمة وكان الهواء منعشًا ورقيقًا، وتفوح في الأنحاء رائحة الأرض الرطبة، حيث انتشر عطر الأرض الرطبة وعطر نباتات الابرادور والراتنج.

استيقظت جميع مزارع بيالبو مبكرة، السكان والعاملون في أعمالهم اليومية؛ الأبقار يجب أن تحلب، الاعتناء بالخيول، تنظيف الحظائر والاسطبلات، أشعلت النار في كور الحدادين، عُملت المعجنات في بيت الطعام وأعد طعام الإفطار، ثم تم غلي الماء في بيت الغسيل.. في أكواخ النسيج كان النساجون ينتظرون وضع اللمسات الأخيرة.. الحياة مستمرة، وعلى ما يبدو فإن الناس لم تدرك بعد حجم المصيبة التي تعاني منها عائلة بيالبو القوية.

- أين وجدتم حصان الفارس؟

كسر رايم الصمت..

- جاء يجري بجنون على الطريق، ليس ببعيد عن مكان تواجدنا الآن.. ما نستطيع أن نفهمه إن الحصان كان في طريقه نحو اسطبل المعسكر في هوف.

- حسنًا وأين هم بقية الحرس الآن؟

- الرجال يبحثون في الغابة بين فوروسا ومزرعة بيالبو.

- وما وراء فوروسا، قريبًا من هستهولمين، هل يبحث أحد هناك؟

- كلا، ولماذا عليهم أن يقوموا بذلك؟ عندما هرب سفين مع هيلينا فقد سار بالطبع باتجاه المنزل وليس بالاتجاه المخالف.

- ذلك لم يكن ما رأيته أنا.

ابطأ بيورن من سرعة حصانه ونظر بفزع ناحية رايم..

- ما الذي تقوله؟ بأي اتجاه رأيته راكبًا؟ ولماذا بحق الجحيم لم تقل ذلك من قبل؟

بدا على بيورن بأنه سوف يرمي بنفسه فوق رايم، ولكنه ثاب إلى رشده.

- لم يسألني أحد، وأنا افترضت أن الآخرين قد رأوا ما رأيته أنا.

عض بيورن على شفتيه وعلى كلماته القاسية، وكقائد للحرس فقد كان الذنب عليه وحده وليس على أحد آخر، عندما سأل سؤاله ذاك، إذا ما كان أحد قد رأى سفين وهو يهرب، كان رايم وقتها قد دخل الغابة من أجل إحضار مواد لعمل نقالة لكريستينا منيخولد.

- أفكر في أن ابدأ بحثي خارج فوروسا، بالقرب من كنيسة روك، وفي الميناء في هستهولمين، فنحن لن نعثر عليهما في هذه الأنحاء.

ضغط رايم بعقبيه على جانبي حصانه وسار مبتعدًا.. تبعه بيورن ماتسون صامتًا، ومع هذا الفارس الفخور، ركب العار والشعور بالذنب، إذا ما أعطى لرايم قيمته كإنسان حر، رجل وجد إنه جدير بأن يكون فردًا من السلالة؟ وجد إنه لا يستطيع مواصلة التفكير.

بضغط من الوقت اقتحما الطريق المتعرج، عندما أصبحا عند المكان الذي هوجموا فيه نزل رايم عن حصانه، كان العشب قد وطأ وتلطخ بالدم، هنا وهناك سهام مكسورة ملقاة، وككلب يقتفي الأثر دار حول المكان قبل أن يواصل طريقه إلى الأمام، لم يدع شيئًا يهرب من نظراته الحادة، هرول حصانه من خلفه.

ببطء وهدوء سار بيورن خلفه، مع مرور الوقت ونفاذ الصبر الذي يغلي بداخله.. فجأة توقف رايم وانحنى على الأرض.

- يجب أن يكون الحصان قد جمح، لذلك لم يستطع أن يحافظ على الطريق عندما ظهر هذا المنحنى الحاد، التحطم كان مباشرة في الغابة، هنا علينا أن نترك الطريق.

وفي الغابة كان من السهل اقتفاء الأثر، حفرت الحوافر آثارًا عميقة على العشب، أغصان مكسورة، بقع دم لا تحمد عقباها، توقف رايم بعيدًا يصغي لداخل الغابة، في أنفاس الأشجار شم رايم رائحة غريبة، وفي الريح كانت هناك شكوى هادئة، شيئًا ما أزعج الغابة، وشعر رايم بقلبه ينقبض، استمرا بالتقدم

إلى الأمام، جاء إلى بحيرة مظلمة حيث تراقصت حشرات الجنيات في الماء ورائحة الوحل كانت ثقيلة، تسللا أمام تلك الصخرة المغطاة بالطحالب وطن الوحوش والصيادين الأسطوريين.

جسد الحارس الشاب ممددًا على فراش من الطحالب البيضاء والنظرة الأولى كان يبدو كما لو أنه ممددًا لكي يأخذ قسطًا من الراحة، كانت عيونه مفتوحة ونظراته متجهة للأعلى تمامًا نحو السماء الزرقاء الصيفية، على شفتيه تستلقي ابتسامة مشرقة، وكان يشع سلامًا ووئامًا.

إن لم تكن بركة الدم الكبيرة هذه، والتي لونت العشب الذي تحته باللون الأحمر، هل كان يمكن للمرء أن يسمح لنفسه أن يتخيل بأنه لم يكن على قيد الحياة؟ خر بيورن على ركبتيه قرب سفين واضعًا يده على قلبه.

- لن تشعر بشئ سيد بيورن، فلقد غادرنا سفين.

- أعرف، أريد فقط أن أتأكد.

أطبق بيورن عينا الحارس الشاب، كم من المرات عليه أن يقوم بهذه العملية؟ الموت كان ضيفًا ثقيلاً في حياة الحر، وكقائد للحرس فلقد رأى الكثيرين يموتون، لقد بدأ الموت يكون صديقًا.

- اعتقد أن عليك نقل فارسك إلى المنزل، أنا سأستمر بالبحث عن هيلينا.

- كيف تعرف أن هيلينا كانت هنا مع سفين؟ هل عليها أن تبقى هنا؟

- يفترض بما فيه الكفاية أن تكون هنا، ولكن ربما لسببٍ ما قررت أن تبتعد عن هنا، ربما اعتقدت هيلينا أن بإمكانها العودة إلى المنزل اعتمادًا على نفسها، الجانب الجيد هو ألا أثر هنا للرجال الآخرين، هيلينا حية وإذا كانت معرفتي تخبرني بذلك فلسوف أجدها.

أجاب بيورن بتحريك رأسه، كان قد تعلم أكثر من درس منذ مساء اليوم السابق، وكان واحدًا منها، ألا يقلل من شأن هذا العبد السابق رايم، قبل أن يفترقا تعاونا على رفع جسد سفين ووضعه على ظهر حصان بيورن.

بخطوات متثاقلة تابع بيورن طريقه، كانت لديه أخبارًا حزينة، عليه أن يخبر بها، بداخل نفسه صلى ألا تكون كثيرة.

* * *

تسلل رايم تقريباَ في الغابة، لم تترك أقدام هيلينا الصغيرة إشارات واضحة، ولكن رجل الغابة رايم رآها كأنه النسر الذي لا يتمكن أحد غيره من رؤيتها، ومع أن عثوره على قبعة هيلينا معلقة على أحد الأغصان قد ساعده، إلا أنه عرف بأنه كان بالطريق الصحيح، عندما ظهر جزء كبير من الشمس وهي في مسارها الأبدي عبر السماء كان هو قد وصل إلى ذلك المكان الخالي الواقع أمام الميناء في هستهولمين، حيث كان هناك عدد كبير من الأشخاص، خيول ومركبات تمحي كل أثر.

أمضى جزءاَ من اليوم قريباَ من الميناء حيث سأل كل من صادفه إذا ما كانوا قد رأوا طفلة في الخامسة من العمر، طفلة ذات شعرٍ أشقر بلا صحبة من إنسان بالغ، ولكنه لم يتلق إلا إيماءة جواب...كلا. عندما شعر بالتعب، بالحزن واليأس؛ استدار عائدًا نحو بيالبو بنتيجة أن كل أثر لهيلينا سيغريدزدوتر قد ضاع في الميناء، في هستهولمين..

# الفصل السادس

وقف الأخ كليمنز والأخ بيتروس عند حاجز السفينة حيث سيبحران من هستهولمين صعودًا نحو شمال بحيرة فاترن، فيرسون في اسكيرسوند، في مساء اليوم السابق كان اثنان من مساعدي الرهبان قد شدوا الثور ودفعا العربة الممتلئة إلى داخل السفينة.

بعد صلاة الصبح تم توديعهم من قبل إخوانهم في أخوية سسترسينسر في دير الفاسترا، ثم توجها إلى الميناء، كانا في طريقهما نحو دير يوليتا بالقرب من بحيرة أوليارين في سفيلاند حيث كان الطريق طويلاً وشاقًا، طالما كان في وسعهما السفر عبر الممرات المائية فإن ذلك سيكون ممتعًا، ولكن الطريق البري بين اسكيرسوند وأوريبرو كانت طويلة ووعرة، وأن تصطحب معك ثورًا وعربة فإن ذلك سيأخذ وقتًا أطول.

شيئًا طبيعيًا أن يسير المرء على قدميه متنقلاً بين الأديرة الإخوانية، ولكنهم في هذه المرة كانت لديهم شحنة كبيرة من النبيذ ونباتات سيوصلوها إلى دير اوسترغورد، وبعض المخطوطات الثمينة التي كان الرهبان في يوليتا سينسخوها بأنفسهم، وكل ذلك كان من الاستحالة عليهما أن يحملاه.

بدا الأخ بيتروس خجلاً قليلاً مما كان عليه الأخ كليمنز، أخاه في الأخوية الذي كان أكبر سنًا منه بسنتين، والذي كان يحظى باحترام وإعجاب لتفانيه بزهده، لم يكن أي من رهبان دير الفيسترا من استطاع أن يكبح جماح شهواته بقوة، صام طويلاً وعاش بدقة حسب قواعد الدير الصارمة، كما فعل الأخ كليمنز. كان بيتروس يشعر أنه أقل منه مرتبة، وكان يعرف أنه لن يستطيع مطلقًا أن يكون قادرًا على الارتقاء إلى مستوى متطلبات الأخ كليمنز الصارمة في الكيفية التي يجب أن تكون عليها حياة خدام الله.

ولكن في أعماق نفسه لم يستطع بيتروس أن يتوقف عن الاعتقاد أن الصرامة والصلابة في مثابرة الأخ كليمنز كانت ذات طابع سيء مقارنة بذلك التواضع الذي أبداه ممثل إخوانية سسترسنسر، المدعو بيرنهارد كليرفو، والذي كان في حد ذاته الأساس في عمل الراهب، ولكنه احتفظ بهذه الأفكار السيئة لنفسه.. كان قد أصبح يشعر بمزيج من الفخر والعصبية حين أعلن ـ رئيس الدير ـ أنه قد تم اختياره مع الأخ المبجل كليمنز للسفر إلى يوليتا.

لأن العمل اليومي داخل الدير، في جزء كبير منه، كان يتم تأديته بصمت، والأحاديث بين الرهبان يمكن أن تتم فقط في غرف الدردشة، ولم يكن بيتروس يتبادل مع رفيقه في السفر غير عدة كلمات، ولكنهما الآن سيسافران معًا عدة أيام وخارج أسوار الدير لن تطبق نفس قواعد الصمت الصارمة، مسح بيتروس رقبته.. لديه الكثير من الأسئلة.

- هل زار الأخ كليمنز دير كلوستر سابقًا؟

- نعم، لقد قمت بذلك.

كان السؤال التالي على طرف لسان بيتروس عندما أدار الأخ كليمنز ظهره ومشى، ثم توقف على بُعد قليل بإشارة فهم منها أن كليمنز لا يفكر أن يقف لدى فضوله طويلا، خنق بيتروس تنهده، فتلك ستكون رحلة طويلة.

* * *

تحركت هيلينا بحذر تحت قطعة الشراع، في الزريبة يقف بقربها ثورًا مربوطًا، وأبعد قليلاً فَرَسَان يدقان الأرضية بقائمتيهما وهما مربوطين، من الأعلى أتت أصوات رجال خشنة، قرص الجوع معدتها وجف حلقها كأنه فطر الصوفان، انزلقت هيلينا من العربة للأسفل، شعرت بالخوف، وكحيوان مُطَارَد دارت تحت السطح، وجدت عند أحد الخيول دلوًا فشربت بشراهة بيديها المتعرقتين، أفرغت مثانتها على القش، عندمت سمعت أصوات رجال وخطوات تقترب اندفعت بسرعة عائدة إلى العربة محتمية بمخبأها.

سمعت هيلينا كيف عبث الرجال حولها بالضبط، سمعت كيف عمد الرجال لتهدئة الخيول والقلب الذي يدق بسرعة من الخوف، كورت جسمها محاولة تصغيره لأقل ما تستطيع، ضغط وجهها على أحد الأكياس ودخلت الرائحة اللذيذة للخبز خياشيمها، متناسية الخطر ومخاوفها مدت يدها للكيس ووجدت كنزًا، عددًا من قطع الكعك المخبوز، لحمًا مجففًا، تفاحًا وكمثرى.. التهمت بشراهة خبز وفاكهة، والألم غير المعتاد في معدتها قد اختفى.

حين هدأ الجسم أتت الأفكار؛ إنها الآن وحيدة، دون ماضٍ يمكن أن يجيب على جميع الأسئلة، إنها لا تعرف إلا شيئًا واحدًا، أنها في خطر وأن عليها الاختباء، هذه العربة أصبحت عالمها، أمانها.

زحف إليها الصداع، كانت اهتزازات القارب منومة ومع كل علامات الاستفهام والشكوك التي تطن في رأسها سقطت هيلينا في شرك النوم، نامت بعمق بينما كانت السفينة تبحر شمالاً نحو اسكيرسوند، ولم تستيقظ إلا حين كانت يد قوية تسحب العربة على رصيف الميناء وتربطها إلى الثور، ارتجفت خوفًا تحت قماش الشراع وهي تستمع باهتمام لصوت صرير العجلات، أصوات الرجال والنساء، نباح الكلاب، صهيل الخيول وزعيق الدجاج، كان الصوت الوحيد الذي يمكن سماعه ما زال هو صوت العربة وقد تجرأت أن تفتح فتحة في قماش الشراع الذي يغطيها.

رجلان يلبسان ردائين بنيين طويلين يجلسان في مقدمة العربة يوجهان الثور، عرفت الحيوان من خلال وجودها في السفينة، ففي مكان ما في الذاكرة المعتمة توجد ذكرى، ذكرى تقول لها ألا تخاف من أولئك الرجال الذين يلبسون مثل هذه الملابس، ولكنها لم تكن متأكدة من ذلك، عادت بجسمها تحت الغطاء.

* * *

اجتاحت الهواء صرخة، خرجت من خلال النافذة إلى الخارج، إلى باحة المزرعة، داخلة إلى كل منزل، التقت بجميع سكان المزرعة أينما كانوا، انخفضت المطارق

صامتة، توقفت أنوال الحائكين، تركت النار في غرفة الطعام لمصيرها، أيقظت الصرخة كثيراً من الألم الغافي، صرخة كريستينا منيخولد من اليأس والشوق لابنتها المفقودة، تركتها أنغريد ـ أيلفا تصرخ، فالحزن يجب أن يخرج وإلا فإنه سيخنقها.

حزن الأم، هل هناك ما هو أعمق وأكثر منه إيلامًا؟ كان ضد الطبيعة أن يقبل ساكني السماء طفلاً يصعد إليهم قبل والديه، ولكن طالما أنه لم يعثر أحد على جسد هيلينا فقد قررت أن تفعل المستحيل لكي تبقي الأمل حيَا، وصرخت كريستينا بصمت أيضًا، ملأت الغرفة دموعًا.

- لقد أرسلت الرجال لكل أنحاء غوتلاند من أجل البحث عن هيلينا، عليك ألا تفقدي الأمل كريستينا، تذكري أن رايم قد اقتفى أثر هيلينا لغاية الميناء في هستهولمين وأنا لا أعرف من يستطيع أن يقرأ الأرض جيدًا كما يفعل هو، هيلينا حية، وسوف نعثر عليها، ولا تنسي أن لديك راغنار الذي يجب أن تبعدي عنه الألم، إنه بحاجة إليك الآن أكثر من أي وقت مضى، علينا نحن كأشخاص أن نكون أقوياء طالما لدينا روح في أجسامنا.

نظر راغنار خلسة بفضول خائف في الغرفة، سمع صراخ أمه عندما كان في الخارج، في المرج..

- تعال إلى الداخل راغنار، اجلس بقرب أمك، إنها بحاجة لعزاء.

بنفس الوقت الذي خرجت الكلمات من بين شفتيها ندمت أنغريد ـ أيلفا، كان راغنار في الخامسة من العمر فقط، والحزن كان حزنه أيضًا، نظر مترددًا إلى جدته بعيون واسعة خائفة.

- صديقي العزيز.

رفعت أنغريد ـ أيلفا حفيدها بحنان وهزته ببطء..

- سنجلس كلينا نحن الاثنين بقرب أمك ونأخذ بيدها، إنها تبكي بسبب اشتياقها لهيلينا، وهذا ما نفعله نحن أيضًا أنت وأنا، علينا أن نعزي بعضنا.

- حسنًا هل ستعود؟

- هذا ما نأمله ونثق فيه راغنار، هناك العديد ممن ذهبوا للبحث عنها.

كانت كريستينا في حالة يرثى لها حتى أنها لم تلحظ وجود ابنها في الغرفة، رأته فقط من خلال دموعها حين وضع يده الصغيرة على يدها، حاولت جاهدة أن تُخفي دموعها وضغطت على نفسها من أجل رسم ابتسامة، هدأ ذلك أنغريد ـ أيلفا، فالحب لراغنار سيجبر كريستينا على ألا تدع الحزن يتغلب عليها.

- هل ستكونين بصحة جيدة قريباَ أماه؟ هل ستبرأين من جراحك؟

قبلت كريستينا يد راغنار ووضعتها على وجنتيها.

- نعم يا كنزي، قريباَ سوف أنهض وسأكون معك مرة أخرى، أما الآن فإني أريدك أن تخرج وتلهو، أرى الشمس مشرقة وأسمع أصوات الأطفال في الخارج.

نظر راغنار لجدته متسائلاً:

- نعم، اذهب، ولكن انتبه لنفسك خارج المنزل وافعل ما تقوله سيغريد.

اندفع راغنار من الغرفة مسرعًا كالسهم.

- هل سأل كثيراَ عن هيلينا؟

- نعم بالطبع لقد فعل ذلك، إنهما توأمان، ولقد كانا قريبين من بعضهما كثيراَ، قلبيهما ينبضان بوقتِ واحد، ولذلك فأنا متأكدة من أن راغنر سيعرف عن هيلينا في القريب العاجل، وإلا لكان حزنه الآن أكبر.

- ولكن ما هذا الشيء هنا؟ لم أرَ هذا من قبل.

رفعت أنغريد ـ أيلفا يد كريستينا اليسرى.

- هل تشعرين بألم في هذا الإصبع؟

نظرت كريستينا إلى يدها.. الإصبع، هنا وضعت ذلك الخاتم الذي ورثته، الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير الذي تحتضنه يدان فضيتان، كان الإصبع

منتفخًا ومنقطًا بطفح جلدي أحمر، وبينما كانت تراقب إصبعها شعرت فجأة بحكةِ لا تحتمل.

- انزعيه عني، حبًا بالله ساعديني وأبعديه عني.

بدت كريستينا حزينة، حاولت أنغريد۔ أيلفا سحب الخاتم ولكن الإصبع كان متورم وكان الخاتم جالسًا كالجبل.

- اهدأي.. سأدهن إصبعك بهذا المرهم الثمين الذي حصلت عليه هدية من كارل.

اشتكت كريستينا بصوتٍ عالٍ وحاولت أن تنتزع الخاتم بنفسها ولكنها لم تفلح.

- اعطني يدك.

دهنت أنغريد ـ أيلفا إصبع كريستينا حيث الطفح على جلدها أصبح أكثر وأكثر، جعل المرهم بشرتها ناعمة فانتزعت الخاتم، حين أخذت أنغريد ـ أيلفا الخاتم بيدها شعرت أنه كان ساخنًا جدًا.

- إنه خاتم هيلينا، إنه يخصها هي ولا يخصني، أنا فقط أحتفظ به من أجلها، والآن وحيث إنها ليست معي فإنه لا يحق لي أن أحمله، لقد قالت إن الخاتم يناديها.

بدأت كريستينا بالبكاء من جديد، باستغراب مشت أنغريد ـ أيلفا نحو النافذة ورفعت الخاتم في ضوء الشمس الساطع، راودها شعور كما لو أن حجر الكهرمان ذاك قد دبت به الحياة، وفي قلبها ومضت صورًا قديمة، وجوه نساء، فتيات وعجائز، أحداث قاسية وسعيدة، تحيات من أزمنة مضت، أصبح الخاتم أكثر سخونة وهو على بشرتها العارية ولم تطق حمله في يدها أكثر.

- علينا أن نضع الخاتم في علبة المجوهرات تلك، كريستينا، أما الآن فعليك أن تحاولي الخلود إلى الراحة كي تسترجعي قواك، لقد أعددت شرابًا يحتوي على

البابونج مما يساعدك على الهدوء، وعندما يأتيك النعاس تذكري أن كل محاربي عائلة بيالبو في هذه اللحظة يبحثون عن ابنتك.

سقت أنغريد ـ أيلفا ابنتها الشراب وجلست إلى جانبها حتى سمعت أنفاسها وهي نائمة، تركت الغرفة وأمرت إحدى الخادمات بحراسة كريستينا منيخولد.

سارت الحياة متأثرة بأحزان ومآسي البشر، وبالنسبة لسيدة آل بيالبو فقد كان لديها الكثير لتقوم به، ولكن قبل أن تقوم بأي عمل، بأي قرار، قبل أن ترد على أي سؤال.. ذهبت إلى الكنيسة، ركعت على ركبتيها، هناك عند المذبح، صلت للعذراء مريم من أجل حماية هيلينا، حفيدتها التي تسير الآن نحو المجهول.

عندما هبط الظلام المخملي على مزرعة بيالبو ونثر قمر آب/ أغسطس أشعته الفضية فوق الأراضي؛ كان ليل أنغريد ـ أيلفا قد حل، ألقت بجسمها على السرير بقرب كريستينا النائمة، أغمضت عينيها مستقبلة ذلك النوم الهادئ، ولكن النوم رفض أن يأتي، كان في الغرفة صوتًا غريبًا، كان صوت حيوان غريب يخربش للوصول إلى طعامه، جلست مستمعة باهتمام لتحديد مصدر الصوت، هناك عند النافذة تنتصب طاولةً تتبعثر عليها مراهم الجروح، أوراق نبات أذن الجدي، إبريق ماء وشمعدان، ولكن هناك أيضًا كانت علبة مجوهرات كريستينا حيث كان الصوت يأتي من هناك.

بحذر كي لا توقظ كريستينا، نهضت من على السرير وتقدمت نحو الطاولة، سمعت صوت الخربشة بصوتٍ عالٍ وبوضوح، بدا ذلك كما لو كان هناك فأرًا صغيراً مسجونًا يحاول أن يخرج من ذلك الصندوق، فتحت العلبة ببطئ محاولة ألا تحدث صوتًا.

بين القلائد والأساور والمدليونات كان الخاتم ذا حجر الكهرمان ملقى هناك... ولكنه لم يكن في نفس المكان الذي وضعته فيه. كان الخاتم مربوطًا بإحدى السلاسل الذهبية التي وضعتها كريستينا في العلبة.

تناولت تلك السلسلة متعجبة، وعلى ضوء القمر رأت كما لو أن الحجر يحترق، بينما كانت تراقب الخاتم خطرت على بالها ذكرى سابقة، ذكرى تحمل الآن معنى مختلفًا.

في الصيف الماضي زارت أنغريد ـ أيلفا ربيبها ايسكل، القاضي ذو النفوذ الواسع في غرب غوتلاند، وزوجته كريستينا، كان السبب الرئيسي للزيارة أنها كانت قد أعلنت عن رغبتها بلقاء "سنورا سترلارسون"؛ الشاعر الأيسلندي الشهير والزعيم القومي الذي كان بزيارة لمزرعة القاضي ايسكل. كان الشاعر المشهور قد حدثها أنه في الثانية من عمره قد أصبح ابنًا بالتبني لرجل أيسلندا القوي جوي لوتسون، في مزرعته أود كان هناك كنزًا من الأنساب العريقة، أشعار مديح وأعمالاً شعريةً محفوظة، لقد نشأ سنورا سترلارسون بين كل هذه الحكايا.

بخشوع جلست أنغريد ـ أيلفا ليالِ طويلة في صالة مزرعة القاضي تستمع للحكايا والأساطير التي كان يقصها الشاعر عن جزيرته الواقعة في ذلك البحر الأزرق، كانت تلك لحظات رائعة، وعندما ودعته شعرت بأنها تفتقده بشدة وعرفت أنها لن تلتقيه وجهًا لوجه في هذه الحياة.

والآن في هذه الليلة حيث القمر بدرًا نقيًا، كانت قد مرت بخاطرها إحدى حكايات ذلك الشاعر، تلك التي تحكي عن سيدات الخاتم الأيسلنديات، إحداهن التي كانت زوجة أحد المحاربين، البارع بالقوس والسيف وكل الأسلحة، السيدة التي كانت تلبس ملابس الرجال رافعة شعرها للأعلى كي تخفي أنوثتها، كانت نزقة، رفضت متحاملة أن تتوافق مع متطلبات محيطها، سيدة الخاتم تلك كانت تمتلك الحق بالميراث، وكان لها الحق بالمطالبة بالغرامات على سوء المعاملة، غرامات على شكل خواتم من الذهب والفضة، ولطالما كانت تلك الخواتم تحمل لغزًا بشكل دائم.

أعادت أنغريد ـ أيلفا بهدوء ذلك الخاتم ليسترخي مع سلسلته، كان سنورا سترلارسون قد تكلم كثيراً عن تلك الخواتم السحرية، لقد حصلوا على أعظم

القوى، هل يكون هذا الخاتم أحد تلك الخواتم المليئة بالأسرار؟ هل تمتلك كريستينا أن تجعله يسعى خلف هيلينا؟

غطت سحابة وجه القمر فبدت الغرفة مظلمة، عاد لها ذلك الألم الشديد، أين هي هيلينا الآن؟ هل هي خائفة، وحيدة، مصابة؟ لم يأتها الرجال الذين بعثتهم للبحث عنها بأي خبر، كأنما هذه الطفلة قد تبخرت من على الأرض، وفي كل يوم من أيام اختفائها سيزيد من ضياع آثارها أكثر، اهتزت السلسلة التي تمسكها بيدها وأحست بشعور غريب أن الخاتم يريد أن يقول لها شيئًا ما.

انزاحت الغيمة التي غطت تلك السماء الزرقاء الغامقة، فومض في الغرفة شعاع القمر كالسيف، غامراً وجه كريستينا النائمة بالسكينة والهدوء.

فهمت أنغريد ـ أيلفا، مررت الخاتم الموضوع بالسلسلة فوق رأس كريستينا وشعرت كما لو أنها تسمع تنهده حين كان الخاتم يستلقي مرتاحًا على صدر ابنتها النائمة.. وأخيراً فقد تغلب عليها التعب فألقت بجسدها على السرير، وخلال بضع نبضات قلب استغرقت بنوم عميق.

* * *

في الحلم كانت هي ذلك النسر ثاقب البصر، حلقت عاليَا وعاليًا نحو تلك السماء الوادعة، سمعت صوت جناحيها القويين، شعرت كيف تداعب الريح ريشها الملون، شعرت كيف جعلت الحرية قلبها يدق أسرع.

وبعيون النسر الثاقبة نظرت للأسفل، إلى قلعة خشبية وسط مياه شاسعة، كان الوقت ليلاً والظلام حالكًا، وعاليَا عند الأسوار كان هناك العديد من جنود الحراسة الذين يشعرون بالنعاس، كان قد تم قطع الأشجار حول القلعة كمانع للعدو من التسلل، ولكن الغابة كانت قريبة وكثيفة، وكانت مصدرًا للتهديد.

فجأة تفجر الليل بمطر من اللهب، ومن الغابة البعيدة قذفت القلعة النائمة بكرة ملتهبة مليئة بالقطران، تدافع عدد لا يحصى من الرجال الصارخين رافعين رؤوسهم وسيوفهم خارجين من الغابة.

من القلعة سُمع هدير من الألم عندما بدأ الناس والحيوانات يموتون تحت لهب النار، بسرعة اجتاز المهاجمون سور القلعة الخشبي وأصبحوا الآن وسط الأبنية المحترقة، كان الذي ذبح بتهور رجلاً.

بعيون النسر نظرت للأسفل، لتلك التي كانت قلعة، لم يبقَ منها إلا رمادًا منثورًا، كانت جثث الرجال الموتى والأشلاء تملأ الأنحاء، رائحة الدخان النفاذة، رائحة اللحم المشوي والدم تنتشر ثقيلة بكل مكان..

جفلت أنغريد ـ أيلفا من نومها بصرخة، مرة أخرى يزورها النسر في أحلامها، مرة أخرى تترقب بقلق في قلبها مطرقة نحو الطريق منتظرة أنباء حزينة جديدة، وقد كان الصباح الثامن من آب/ أغسطس من سنة النعمة ١٢٢٠.

# الفصل السابع

استدار الأخ بيتروس بمثل لمح البصر، ولكن متأخرًا، لم يتمكن حتى في هذه المرة أن يحصل على لمحة من ذلك الشخص، رجلاً أم امرأة، والذي كان يتبعهم كظلٍ من بعيد، لو لم تكن معتقداته المسيحية قد تجذرت في نفسه لكان من السهل أن يعتقد أنه قد كان واحدًا من مخلوقات الغابة الأسطورية، أو أحد حوريات الغابة، أو قد يكون قزمًا انضم إليهم مؤخرًا، ومن البداية كان قد أقنع نفسه أن ذلك محض خيال.

الطريق بين اسكيرسند وأوريبرو يتلوى ما بين المزارع وبيوت المزارعين والحقول والمروج والغابات الكثيفة، الغابة كانت وكرًا للصوص والخارجين على القانون، لم يكن بمستطاع المرء أن يسافر وحيدًا، وإنما يجب أن يكون ذلك ضمن مجموعات، ولكن الرهبان الفقراء لم يكن لديهم ما يستحق السرقة وبالتالي فإنهم نادرًا ما كانوا يشعرون بالخوف، ولكن في هذه المرة كانوا يصطحبون معهم حمولة مهمة من النبيذ، والتي قد تجلب مبلغًا جيدًا من المال إذا ما بيعت لشخص لا ضمير لديه.

كشف الأخ بيتروس عن هواجسه للأخ كليمنز، وقعت عليه كلمات الأخ كليمنز حادة حين قال له إن الرب هو الحافظ لأبنائه، وإن كان لا يشعر بالأمان إزاء هذه القناعة؛ فمرد ذلك فقط أن إيمانه قد بدأ يضعف بعض الشيء.

ولكن ومع مرور كل يوم كان بيتروس يتأكد من أنهم متبوعون فعلاً، لم يكن ذلك مجرد شعور أنهما كانا مراقبين، لقد بدأ يعتقد أنه يتخيل شخصًا يلوح متخفيًا بين الأشجار، شخصًا بدا أنه يواكبهم باستمرار، وكان أيضًا يشاركهم بمؤونتهم، فقد كان خزينهم من الطعام ينقص بسرعةٍ فائقة، بدا ذلك بشكل خاص منذ أن قرر الأخ كليمنز أن يصوم لبضعة أيام، كان بيتروس قد أجرى

محادثات مفصلة مع ضميره، وبعد دراسة متأنية قرر أن المشكلة مع تضاؤل مخزونهم الغذائي لم تكن بالأمر الذي يستطيع التحدث فيه مع الأخ كليمنز، لأنه إن تصرف بهذه الطريقة سيحرم رفيقهم غير المرئي من الطعام، وهذا ما يتعارض مع مبادئه المسيحية، وكان لديه شعور بعدم الارتياح ألا يكون كليمنز يشاركه الرأي بذلك.

كان قد لعن نفسه لأنه فكر بسلبية هكذا تجاه أحد الإخوة، ولكن كان في كل مرة يقرر التحدث علنًا كان هناك سبب يعيد الكلمات إلى جوفه.

التقوا بالطريق بمسافرين آخرين، مجموعة تجار، خدم، عبيد، فلاحين وأطباء، كان بيتروس يحيي الجميع كعادته، يتبادل معهم بعض الكلمات عن الطقس، وعن نور الرب المسالم الذي يلوح فوقهم، وكانت هذه اللقاءات البسيطة تأتي فتكسر الصمت المقدس لدى كليمنز.

عند إحدى النقاط تجاوزهم رجل ذو مكانة عظيمة مع حاشيته، فأرسل بيتروس فكرة حانية لأولئك المزارعين الذين وقفوا وفقًا لقانون زيارة ذلك العظيم لهم فإنه سيكون مضطرًا لاستيعاب هذا الحشد من الرجال الذين يعانون الجوع والعطش، وكان العديد من عوائل المزارعين قد نجحوا أن ينالوا غضب أولئك الرجال المخلصين لسيدهم وعنفهم.

اختار بيتروس المسير إلى جانب العربة بدل أن يهزها بصعوده إلى مقعد الحوذي بجانب الأخ كليمنز، وقد كان ذلك المتعالي متعبًا على طول الطريق، كان قد بدأ يأخذ ذلك كدرس في التواضع، ولكن الحياة بدأت تكون رمادية جدًا بالقرب من الأخ كليمنز، ذلك الفرح والامتنان الذي شعر به كان فقط عن طريق أولئك الذين يهيمون على وجوههم أواخر الصيف لتبديدهم الثروة، شاعرًا أن انضمامه للأخ كليمنز كان شيئًا خاطئًا.

كان بيتروس قد عرف من أولئك الذين التقاهم، بأنهم سيكونون غدًا أمام مدينة اوريبرو، العقدة التي تتوسط مقاطعة سفيلند، حيث النهر الأسود يكون

ضحلاً.. من الميناء، حينما يلتقي النهر الأسود بقناة بالمارين، سيكون عليهم أن يبحروا بسفينة ستنقلهم إلى نقطة إعادة الشحن عند ذلك الممر الضيق الذي يوصل إلى أوليارين، البحيرة التي يقع على شواطئها هدفهم النهائي، دير يوليتا.

عندما لون ضوء المساء المبكر الغابة باللون الذهبي، خيموا عند فتحة يترقرق من خلالها جدولاً نديًا، فك بيتروس رباط الثور وسمح لذلك الحيوان الصبور أن يروي عطشه، ركع الأخ كليمنز على ركبتيه مستغرقًا بصلاة عميقة.. كما هو الحال دائمًا في وجود الأخ كليمنز شعر بيتروس بعدم كفاءته، كما لو أنه لم يكن عضوًا جديرًا بكلماته، حملق بمؤونتهم من الطعام، أعطى لنفسه قطعة صغيرة من الخبز ولحمًا مجففًا وذهب بعد ذلك إلى الغابة.

كانت الغابة كنيسته، حيث السكينة، الحرية، فيرتفع حيث يشعر بأنه قريب لخالقه، هنا كان يستطيع أن يؤدي صلواته، كانت الأرض مغطاة بأغصان التوت الأزرق، ملأ بيتروس كفه بذلك التوت والتهمه، لقد كان غير ناضجًا كفاية ولكن طعمه لم يكن سيئًا، كتمت الطحالب الناعمة صوت خطواته، الصوت الوحيد الذي كان يقطع الصمت كان صوت عصفور يغرد بإيقاع.

* * *

تألمت ساقا هيلينا عندما زحفت طويلاً عند حافة الغابة، دار ببالها فكرًا واحدًا فقط وهو أن عليها أن تبقى على مقربة من ذينك الرجلين ذوي المعطفين البنيين الطويلين حتى القدمين، وتلك العربة الآمنة حيث يوجد الطعام.

أبقت عينيها متطلعة بقوة إلى الأمام، كي تكون على اطلاع عندما تتحول الغابة الحامية لها إلى مزارع مفتوحة تموج بالحبوب، ثم إنها يجب أن تحاول التسلل إلى العربة دون أن يلحظها أحد كي تعود فتختفي تحت قماش الشراع، ولكنها في بعض الأحيان لم تكن تجرؤ على ذلك لأن أحد الرجلين غالبًا ما كان يتمشى إلى جانب العربة، وكانت تخشى أن يكتشفها، في ذلك الوضع المخيف كانت تغدو

مجبرة على الانتظار حتى يبعد الرجل نظره، فتستطيع أن تُدخل نفسًا إلى رئتيها شاعرة بقلبها المفجوع وهو يعدو خلفها.

تجرأت في بعض الليالي على النوم في العربة، لقد عرفت أن الرجل يرفع جانبًا معينًا من الشراع في جزء محدد من العربة، حيث يوجد الطعام، ثم إنها يجب أن تجلس القرفصاء بين تلك البراميل المشحونة في العربة لكي تتجنب اكتشافها، ولكن ذلك كان شديد الخطورة، ولذلك كانت غالبًا ما تنام ملتحفة السماء المطرزة بالنجوم والقمر الذي كان رفيقها الوحيد.

يستيقظ الرجلان دائمًا عند الفجر، وقبل أن تلوح الشمس في الأفق يربطان الثور ويذهبان بعيدًا، كانت ذكريات ذلك الصباح الرهيب لم تزل ماثلة عندما استفاقت وهي تفرك عينيها لترى أن الرجلين والعربة قد اختفوا، جمدها الشعور بالوحدة، ذلك الشعور الذي بقى متعلقًا بها، ركضت هيلينا بأسرع ما يمكنها إلى الأمام على الطريق الرئيسي، وعندما لاحت لها العربة أخيرًا تقيأت من شدة الإعياء، ولكن مع ذلك فقد كان الأسوأ هو وصول الرجال المسلحين الذين يلبسون دروعًا ذات حلقات ممتطين جيادهم المهيأة للمعركة. كأنها فريسة سيتم اصطيادها، أسرعت للاختباء في الغابة محتمية تحت شجرة تنوب كثيفة، كانت هناك ترتجف خوفًا وتضغط بجسمها على الأرض إلى أن اختفت أصوات الرجال ووقع حوافر خيولهم.

خلال الأيام الماضية انشغلت هيلينا بدراسة الرجلين الذين اضطرت لمرافقتهما، ومع غريزة الطفل التي لا تخطئ، وشعور لا تتمكن من توضيحه موجود خلف الكلمات عرفت أن هناك مسافة شاسعة بين الرجلين، شعرت أن الرجل الأصغر سنًا بينهما كان ذو مظهر متفتح ومليء بالحب، بينما الآخر كان كأنه غرفة مظلمة حيث لا أحد يستطيع الدخول إليها.

ومع ذلك كان من الصعب أن تفهم لم كان الرجل المحاط بالضوء يبدو غير واثق، لديه - تقريبًا - بعض الخوف من الرجل الآخر الذي كان صارمًا والذي

يبدو وكأنه يحمل قطعة من الظلام، فكرت كثيراً مستغربة كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ ولكن جل قوتها كانت قد أنفقتها في متابعة السير، كان من الصعب أن تذهب بعيدًا في الغابة، كان من الأسهل عليها لو أنها تستطيع السير بذلك الطريق الواسع.

كانت تستقبل دائمًا الغسق الأزرق بفرح لأنه يجعل الرجال يخيمون، ولكن مع الظلام كان يأتي الخوف أيضًا، تبدأ الظلال ترتسم فتصبح أشباحًا مخيفةً تتبعها حتى في منامها، ولعدة ليال كانت تستيقظ على أنينها ونشيجها الصامت متألمة على ضياعها وتيهها، ألم يداخلها اشتياقًا لأي شخص تستطيع فقط أن تخبره بأنها ضائعة.

كوابيس الليل وأيام السير التي لا نهاية لها أخذت من طاقتها كل مأخذ، ولكنها لم تتساءل مطلقًا إن كان لرحلة الرجلين من نهاية، أو إن كان لهما وللحيوان الذي يجر عربتهما هدفًا من وراء رحلتهم.. لم تهتم هيلينا للوقت، فبالنسبة لها لم يكن هناك سوى الحاضر، لم تكن تأبه بما كان، ولا حتى بما سيأتي.

* * *

في ضوء الليل الذهبي وقد خيم الرجلين في موضع الغابة المقطوعة، هناك حيث يتماوج جدولاً سائرًا بعيدًا رأت هيلينا الرجل الأصغر سنًا يفك رباط الثور ويقوده نحو الماء، قرصها الجوع ولكنها كانت تعرف أن عليها الاختباء لحين يكون باستطاعتها الزحف نحو العربة فتسد رمقها بقطعة خبز صغيرة.

سارت بعيدًا في الغابة فرأت أغصان التوت الأزرق وقد غطت وجه الأرض، جلست القرفصاء وبدأت تأكل ما جادت به الغابة عليها، كان التوت حامضًا بعض الشيء ولكنه كان كفيلاً بإسكات جوعها.

* * *

في البدء فكر بيتروس أن تلك اللوحة الآسرة ما هي إلا وهم بصري ينبع فجأة من حكاية قديمة، هذا الضوء الذهبي، أشجار الصنوبر الشاهقة المثيرة للاهتمام، وبين أغصان التوت الأزرق تجلس طفلة صغيرة القرفصاء وقد أكسبت شرائط ضوء المساء الأخيرة شعر الطفلة الأشقر وميضًا ولمعانًا.. وقف بعيدًا قلقًا من أن يكون قد أخافها، بنفس الوقت الذي تقافزت فيه الأسئلة، ماذا تفعل طفلة صغيرة جدًا ووحيدة جدًا في الغابة؟ أين أبويها؟ نعم توجد على البعد مزرعة كانا قد مرا بها، ولكن هل يمكن أن يكون هذا المخلوق الصغير البالغ الإحساس الذي يتبعهم كظلهم منتمياَ لذلك المكان؟ لا يمكن لطفل صغير أن يقوم بشيء من هذا القبيل.

شعر بيتروس أنه محتار تمامًا، ماذا يستطيع أن يفعل؟ لابد له أن يعرف كيف يفعل شيئًا، ولكن كيف يكون ذلك دون أن يخيف هذه الصغيرة؟، مشى بيتروس خطوة مترددة محدثًا صوتًا عندما وطأت قدمه غصنًا، فكسر الصمت، جفلت هيلينا، وقفت مسرعة ونظرت حولها بفزع، أحد الرجلين، ذلك الذي ينبع من داخله ضوءَا، يقف بقربها تمامًا.

- لا تخافي صديقتي الصغيرة، لن أسبب لك أي أذى، هل أنتِ جائعة؟ خذي.. لدي هنا قليل من الطعام.

أخرج بيتروس قطعة خبز وقليلاً من اللحم المجفف.

- انظري سأضع الطعام هنا على الأرض وسأبتعد قليلاً، هناك عند شجرة الفوران العالية، يمكنك أن تأكلي بهدوء وسكينة.

أسرها ذلك الصوت الودود، حرك شيئًا ما بداخلها.

أدمت قلب بيتروس نظرة الطفلة التي ألقتها على الطعام، راقبها للحظة وسط ذلك الصمت المطبق بينما كانت الأسئلة تتزاحم بداخله..

- أهذه أنتِ التي كانت تتابعنا؟ منذ متى وأنت على هذا الحال؟ من أين جئت؟ أين هم أبويك؟

ولكنه لم يحصل على أي جواب، تمضغ الطفلة الطعام وتراقبه بنفس الوقت بعيون متأهبة، بقى بيتروس واقفًا هناك تمامًا، لقد فهم أن أي حركة بسيطة غير محسوبة ستجعل الطفلة تطير بعيدًا، استمر يكلمها، عرف أن الصمت سيزيد المسافة بينهما.

- اسمي بيتروس وأنا أسافر مع الأخ كليمنز، نحن رهبان دير سسترسينسر في الفسترا، ونحن في طريقنا لدير الإخوان في يوليتا.

تحدث بيتروس بشكل محموم، ورأى أن الطفلة تستمع إليه باهتمام..

- آمل أن نصل يوم غد إلى اوريبرو ومن هناك سنبحر بمركب خلال بحيرة يالمارن.

لم يفهم بيتروس إن كانت الطفلة قد فهمت ما قاله ولكنه شعر كما لو أن هذه الصغيرة قد أصبحت أقل توترًا وأنها لم تعد على وشك أن تهرب.

- ما اسمك يا صغيرتي العزيزة؟

وصلت الكلمات إلى ذاكرة هيلينا المحاصرة وتمكنت من التذكر قبل أن تغلق ذاكرتها تلك البوابة الثقيلة مرة أخرى.

- هيلينا، اسمي هيلينا..

تعلثمت الكلمات، رددت الكلمة أكثر من مرة هيلينا.. هيلينا.. هيلينا... بدت كما لو أنها مأخوذة لسماع صوتها، لقد نسيت متى كانت أخر مرة تحدثت فيها إلى أحد ما.

- أي اسم جميل لديك، هل تعلمين أن اسمك يعني المتألقة المضيئة؟ ولكن قولي لي يا هيلينا، كيف حصل أنك هنا، وحيدة تمامًا في هذه الغابة؟ وأين هم أبويك؟.

نظرت إليه هيلينا نظرات يملآها الشك في أن تثق به.

- لا أدري.. أنا لا أعرف أي شيء.

غطت وجهها بيديها وانهمرت ببكاء مفجوع يقطع أوصال القلب، طوى بيتروس ركبتيه جالسًا بقربها، مرر يديه الحانيتين فوق ظهرها الصغير.

- عزيزتي أيتها الطفلة الصغيرة، لا تحزني، أنا سوف أساعدك.

ولكن بنفس اللحظة التي خرجت الكلمة من بين شفتيه قفز سؤالاً؛ كيف سيقدر أن يساعد هذه الطفلة المجهولة الهوية؟ إنه يشعر أن الطفلة قد كانت صادقة جدًا حين قالت إنها لا تعرف شيئًا عن نفسها، لقد بدا كما لو أنها قد ولدت هنا في قلب الغابة بهذه اللحظة الرهيبة.

مما جعل الأمر أكثر صعوبة أنها كانت طفلة صغيرة، فلو أنها كانت صبيًا لكان يستطيع اصطحابها معه إلى دير يوليتا، وهناك يستطيع أن يطلب من رئيس الدير أن يأخذ الطفل تحت جناحيه ليرعاه ويحميه، ولكن ذلك لا ينفع الآن، لا تستطيع أي أنثى أن تجد لها مكانًا في الدير، ثم هناك رفيق سفره، أخوه المبجل كليمنز الذي احتوى احتقارًا كبيرًا لكل ما يسمى امرأة، شكر بيتروس نجمة سعده أنه استمع لصوته الداخلي، ذلك الذي حثه على عدم البوح أن هناك شخصًا ما يأخذ من طعامهم.

ولكن الله لم يلقِ بهذه الطفلة في طريقه دون غاية محددة، حول عنق الطفلة تعلق صليبًا فضيًا بسيطًا، اندهش بيتروس حين رأى أن الصليب قد بدا فجأة يتألق بلمعان غريب، وتذكر ذلك الوعد الذي يعطى مرة واحدة وتلك المنارة التي يتبعها، نحن كلنا أبناء الله نفسه وهدفنا على الأرض أن نهب الحب لكل المخلوقات.

توقفت هيلينا عن البكاء، وانحنت نحوه بثقة، الرجل ذو العينين الوادعتين، ذلك الصوت الدافئ جعلها تنسى أولئك المطاردين المرعبين.

مسح بيتروس رقبته، كيف يستطيع وبأبسط طريقة أن يحدث هيلينا كيف تسير الأمور، فهو لا يريد أن يتكلم بالسوء عن الأخ كليمنز، وبنفس الوقت عليه أن يوضح لها أنه من الأفضل أن تستمر بالاختباء، وأنه لا يفكر بالتخلي عنها، أو أن يتركها وحيدة في الغابة، سوف يصطحبها إلى يوليتا، وهناك فإنه يأمل من الرب أن يكشف لخادمه الأمين كيف له - بأفضل طريقة - أن يساعد هذه الطفلة المسكينة.

- هيلينا استمعي لي بانتباه.. سوف نفعل ما يأتي..

وبينما ظلام آب / أغسطس يرخي سدوله على ما حولهم شرح بيتروس خطته لهيلينا.

* * *

خيم فوق مزرعة بيالبو الأرق المؤلم الثقيل، عاد الرجال الذين أرسلتهم أنغريد - أيلفا للبحث عن هيلينا الواحد بعد الآخر، بنفس المضمون، ليس هناك من رأى أو سمع شيئًا يستطيع أن يوضح ما الذي حصل لهيلينا سيغتريغزدوتر.

غرقت كريستينا منيخولد بحزن عميق، أصبحت تقضي أيامها جالسة في الخارج عند باحة المزرعة بانتظار مستمر، محدقة بثبات وبتعلق شديد بذلك الطريق الواسع.

انشغلت أنغريد ـ أيلفا بالقيام بواجباتها بكل دقة من الصباح وحتى المساء، وكان الحزن والقلق يفعل فعله حين يخلد الجميع للراحة، لم يكن هناك من يعرف أنها كانت إلى جانب قلقها على مصير هيلينا المؤلم كانت تعاني من خوف آخر؛ ذلك الحلم الشرير الذي رأته أكثر من مرة، النسر ذو النظر الثاقب وكيف أنها كانت مجبرة على النظر لتلك القلعة المحترقة وكل أولئك الرجال القتلى المشوهين، قد استمر بتعذيبها.. كانت تعرف أنه يتحدث عن عذاب سوف يأتي، عذاب لن تستطيع أن تفعل إزاءه شيئًا.

عندما أتى رسول على صهوة جواده المنطلق داخلاً باحة المزرعة؛ وقفت أنغريد - أيلفا وكريستينا منيخولد متشابكة أيديهما منتظرتان، امرأتين مفزوعتين متوزعتين بين الشك واليقين.

ولكن الرسالة هذه المرة لم تكن عن هيلينا وإنما عن ابن أنغريد ـ أيلفا، الأسقف كارل ماغنوسون، ففي الثامن من آب/ أغسطس هاجم الأعداء وأحرقوا القلعة في ليال، كان الأسقف كارل بين القتلى وكذلك الدوق كارل الأصم، وأخبر الرسول أيضًا أنه في مدينة لينشوبنغ تمت تسمية بنغت ماغنوسون الابن الثاني لأنغريد - أيلفا أسقفًا جديدًا.

# الفصل الثامن

لم تستيقظ الرياح بعد، ولم تبد على مرآة الماء، اورليان، أدنى حركة تموج.. استراح دانييل اولوفسون على مجدافيه، وزوج عاشق من البجع كأنهما صاحبا جلالة مهيبان انحدرا سعيدين بالصباح الجميل، كان قد جدف عند الفجر لتفريغ شباكه وصيده من أسماك الابورة والبراكس التي كانت كثيرة، وكان في الشباك أيضًا زوج كبير من سمك اليدا وبطة قد علقت بالشبكة، إن الإخوة المدبرين المسؤولين عن إعداد الطعام في الدير سيكونون مسرورين.

استمر دانييل بالتجديف نحو جسر الدير وقد تبلل ظهره عرقًا، كان الطقس باردًا في الصباح الباكر، وكانت تباشير الخريف قد لاحت فعلاً، أما الآن فإن الشمس الدافئة ستحول الطقس ليكون يومًا لامعًا جميلاً.

انحدر القارب بين القصب العالي على حافة الشاطئ، أفزع عائلة بط فسبحت مبتعدة مستاءة، كان دانييل قد عد الصغار في بداية الصيف فكانوا ست كرات ناعمة، أما الآن فلم يبقَ إلا أربعة، ولكنهم قد كبروا بشكل واضح.

كان دانييل ينزل أحيانًا فيسحب القارب قريبًا نحو الشاطئ، كان يأخذ نفسًا عميقًا عدة مرات مشبعًا بعطر الماء، رائحة السمك، وعطر الصيف الرائع، امتلأ الصندوق الخشبي حتى حافته بالسمك الطازج وكان مع بعض الجهد قد استطاع رفعه من على القارب.

كان يسير بثبات على الدرجات الصاعدة نحو الدير، على كِلا جانبي الطريق انحنت ورود إكليل المروج البيضاء، أزهار حشائش الدود الصفراء، وورود الجرس الزرقاء والبابونج، صوت أجراس كنيسة الدير تتوزع على الحي، كان صوتًا يبعث على الطمأنينة والتكاتف بين الأجيال التي تأتي وتذهب.

لم يكن الناس العاديين يقصدون كنيسة دير يوليتا، فقد كان الدير يضم الرهبان والإخوة المساعدين لهم، وقد حصل هؤلاء المساعدين على حصتهم الجميلة من غرف الكنيسة أو من غرف الدير، كانت لديهم غرف نوم خاصة، قاعة طعام، ورشة وقاعة درس.

على حد تعبير رهبانية سيسترسينسيرنا فقد كان على الدير أن يكتفي ذاتياَ، كان على الرهبان والإخوة مساعديهم من خارج سلك الرهبنة بسبب ذلك أن يكرسوا أنفسهم لأعمال البستنة، الزراعة، العناية بالغابة وصيد السمك، من الدير انتشرت أساليب زراعة حديثة وأنواع من النباتات تم توزيعها على المزارعين في المنطقة المحيطة بالدير، مما أدى إلى زيادة الرخاء بين أولئك المزارعين، لم يكن الرهبان يخصصون إلا بضع ساعات للعمل البدني، فكل الوقت كان مخصصًا للصلاة، للعبادة ولاستنساخ المخطوطات.

حيا دانييل عددًا من الأخوة الذين كانوا في طريقهم لكوخ الطبابة في الدير لرعاية جميع من يحجون إلى الدير من أجل الحصول على علاج لأمراضهم، والمسافرين الذين يمرون بدير يوليتا كان بإمكانهم أخذ قسط من النوم في بيت الضيوف.

كان صندوق السمك ثقيلاً لذا فقد جلس دانييل على الأرض طلباَ لبعض الراحة، كان يسرح ببصره على المكان الذي يحيط به وكما هو الحال فقد كان مأخوذًا بجمال ما يراه، المنظر المتماوج الرقيق الذي جعله يفكر بتلافيف الجسد، والهيئة المغرية للمرأة، حقول الذرة الناضجة التي تحولت الآن في ظلال مليئة بالأصفر، جذوع أشجار البتولا البيضاء مع تيجانها الخضراء الواسعة، المياه الزرقاء اللامعة لبحيرة أوليارين، النوافذ العلوية في واجهات الدير الحجرية، وتلك المروج الواسعة المزهرة.

تطلع بعيدًا نحو مزرعته الخاصة، كان قلبه ينبض بشكل أسرع لشعوره بالفرح ومن الحزن المرير بنفس الوقت، ووراء الغابة يقع كوخه الخشبي بجانب ذلك

المسكن العتيق حيث يسكن الأبناء وأسرهم الآن، كانت ملكية مزرعة أيستونا تعود لأسرته منذ أمد بعيد يصعب تذكره، وكانت الأرض قطعة من ذاته، في كل مرة كان ينظر فيها لأملاكه كان يستطيع أن يحس بجذورها، ويسمع أصوات كل الذين عاشوا حياتهم فيها، ولكن في الوقت الحاضر لم يكن هناك غير الألم والمرارة، الألم أن جزءاَ من أرض أباءه لم يعد عائدًا له والمرارة المتأتية من تلك الطريقة الظالمة التي تم فيها انتزاع الأرض منه، في الواقع لقد بذل جهدًا كي لا يجعل المرارة تسيطر على عقله، لأن هذا الشعور يخرب الروح، لأنه يدرك أنه إن ترك ذلك يحدث فسيسمح لذلك الرجل النبيل تور أيرلاندسون أن يكون انتصاره مضاعفًا، ولكنه في بعض الأحيان لا يستطيع منع نفسه من تذكر بعض الذكريات الأليمة.

كان قد دعي إلى محكمة منطقة اوبوندا بناء على طلب النبيل تور ايرلاندسون مالك القصر الكبير خينسوند (*) والذي يقع إلى الشمال من مزرعته، لفترات طويلة كان الانسجام قائمًا بين قاطني القصر وبين الفلاحين في المناطق المجاورة، ولكن حين غدا تور ايرلاندسون هو المالك فقد تغير كل شيء.

يشتمل قصر خينسوند على عدد من المزارع وقطع الأراضي الواسعة، وأكثر من ذلك بكثير، ولكن جوع تور ايرلاندسون للأراضي لم يكن ليشبع، لقد تحكم الجشع في عقله.

في محكمة مقاطعة اوبوندا كان النبيل قد أظهر للقاضي وثائق تثبت أن تلك الغابات الجميلة ونجمة الغابة التي تُشبه العين السوداء الملتمعة وسط ذلك الاخضرار تعود ملكيتها لقصر خينسوند، كان الناس في استونا ومنذ أمد بعيد يعتبرون الأرض ملكهم وأن هذا المقتحم الجائر يريد أن يلغي ذلك الآن.

---

(*) من عادة السويديين منذ أزمان سحيقة ولحد الآن أن يطلقوا أسماء على ممتلكاتهم، وكل ما ورد من أسماء في الرواية هي أسماء حقيقية، أما بالنسبة لأسماء الأشخاص الرئيسيون في الرواية فهي أسماء حقيقية / المترجم.

كان دانييل في إيمانه الساذج يعتقد أن الحقيقة سوف تسود ويعم الأمان، وعلى القاضي ينس أن يفهم أن تور ايرلاندسون قد قدم وثائق مزيفة، ولكن بما أن رائحة تور كانت أي شيء إلا أن تكون رائحة طيبة، ومن أجل أن يؤمن نفسه فقد جلب معه أربعة شهود يثبتون أنه يقول الحقيقة.

والذي حصل أن القاضي ينس قد رضخ للقوة وانحنى للثروة، وعندما أقسم جميع شهود تور ايرلاندسون أن وثائق النبيل كانت كلها حقيقية؛ فإن المحكمة قد حكمت لصالح تور، وخسر دانييل بضربة واحدة تلك الأرض التي ورثها عن أجداده جيلاً بعد جيل، وبكل المرارة التي في قلبه عرف أن القانون يرتبط بالقوة، وأن من يمتلك القوة على حق دائمًا، كان الريفيون يجبرون على الخضوع للنبيل بكل سذاجة.

ومع ذلك فلم يكن هو الوحيد من المزارعين المحليين الذين عانوا كثيراً من هذه الورطة، فالفلاح سفين آرنولدسون كانت له أرضًا محاذية أيضًا لممتلكات قصر خينسوند، وقد اضطر لدفع حياته ثمنًا لذلك، فقد قدَّم تور ايرلاندسون إلى المحكمة وثائق تثبت أن الأرض الواقعة على الحدود بين أرضه وأرض ارنولدسون تعود ملكيتها له، ولقد أصيب سفين آرلنسون بالغضب لدرجة أن تحدث مع النبيل بانفعال ووبخه متهمًا إياه بالكذب والخداع، وقد كان ذلك إهانة كبيرة.

إن الرجل الذي لا يدافع عن شرفه إزاء كل تلك الاتهامات؛ لن تقبل له أية شهادة، وبعد ذلك فإنه سوف يخسر كل قضية قد يرفعها للمحكمة، لن يقبل به أحد ـ بعد ذلك ـ كضيف في منزله أو أن يرتبط بإحداهن عن طريق الزواج.

بعد هذه الإهانة لم يكن إلا شيئًا واحدًا يقوم به؛ وهو أن يترك المجال للسيف أن يتكلم، وكانت نتيجة المعركة بين المحارب ذي الخبرة تور وبين الفلاح سفين معروفة مسبقًا.. مع عذاب الموت الذي قد كتب على جبينه فقد سأل المبارزين

بالسيف الواحد بعد الآخر أن يأخذوا مكانه، وأنه سيدفع مزرعته ثمنًا مقابل ذلك إلا أن الجميع قد رفض عرضه.

كان دانييل يتذكر صورة تور ايرلاندسون بابتسامته المنتصرة، ونظرة سفين المتألمة عندما التقى الاثنان داخل دائرة الحكم، فبضربة واحدة وجهت بشكل جيد كان النبيل قد أنهى حياة سفين آرنولدسون ودمر حياة زوجته وأولاده، واستطاع تور بعد ذلك إضافة كثير من الأراضي المسروقة لممتلكاته.

اهتز دانييل وهو يسترجع تلك الذكريات الأليمة، رفع صندوق السمك الثقيل من جديد واستمر بالمسير ناحية مطبخ الدير، إذا كان من الصعب عليه إطعام عائلته قبل أن يفقد جزءاَ من أرضه فإن الحال قد غدا الآن أقسى بعد تلك الخسارة، ولقد انضم هو وعائلته على كل حال لأولئك الذين كانوا محظوظين.

لقد كانت مهارته كصياد شاهدًا له، ولطف رئيس الدير ستيفن هما اللذان أنقذا أسرته من الجوع ومزيدًا من الانتهاكات من قبل تور ايرلاندسون، لقد غدا على عاتقه مهمة تزويد ساكني الدير بما يصطاده من الغابات التي تعود ملكيتها لدير يوليتا، كانت أراضي الدير ومنذ زمن بعيد إلى "سابي" أو منطقة المزارع الملكية، ولكن الملك كنوت أيريكسون قد تبرع بها لمصلحة رهبانية سسترسينسيرنا.

كان راتب دانييل هو أنه تمكن من الاحتفاظ بمزرعته، والتي تستطيع أن تبعد الجوع عن عائلته، وبسبب مولده بالقرب من بحيرة اوليارن، ومعرفته أين تفقس أسماك اليدة بين القصب وأين تكمن أسماك الابورا بأعداد كبيرة، وأين هو المكان المفضل للبط، فقد كان قادرًا على توفير أعداد كبيرة من السمك.

وبسبب توليه خدمة الأب ستيفان؛ وفر له ذلك الحماية من مراكز القوة في الكنيسة، وأيضا إزاء ذلك النبيل ايرلاندسون الذي لم يكن بمقدور الكثيرين مواجهته.

كان باب غرفة المطبخ مفتوحًا على مصراعيه وقد سمع كيف يتنقل الإخوة المساعدين في المطبخ، كان الإخوة المساعدين هم الرجال الذين تخلوا عن ممتلكاتهم، قدموا نذور الصمت، ووهبوا حياتهم لخدمة الله.

تناول أحد الإخوة المبتسمين منه السمك، التقط الجزء الأكبر مما في الصندوق الخشبي تاركًا جزءاَ منه لدانييل كي يأخذه إلى منزله، شكره دانييل متمنياَ له يومًا سعيدًا.

كان الاسطبل يقع عند بيت ضيوف الدير، ومن هناك كان على دانييل أخذ حصانه، كان عليه الذهاب إلى منزله لكي يعطيهم السمك قبل أن يمتطي حصانه متوجهًا إلى المضيق الصغير الذي يربط بحيرة أوليارين ببحيرة يلمارين.

كان رئيس الدير ينتظر زيارة من أخوة دير الفاسترا، كان أولئك الرهبان الزوار يحملون شراب العشاء الأخير، ومخطوطات كان رئيس الدير ينتظرها بفارغ الصبر.

المراكب التي تمخر عباب بحيرة أوليارين لم تكن كبيرة بما فيه الكفاية لكي تستطيع نقل حيوانات السحب، ولذلك كان على دانييل أن يقود الثور على الطريق الواسع، بينما يستقل الرهبان المتعبين بعد هذه الرحلة الطويلة مركبَا، كي يقطعا الجزء الأخير من سفرتهما نحو دير يوليتا، لقد جاء بالفعل إلى هنا عدة مرات بالأيام الأخيرة لكي يوصل الراهبين القادمين من الفاسترا، ولكنه لم يرَ لهما أثرَا سابقًا.

هز حصانه رقبته مرحبًا حين دخل الاسطبل، كانا صديقين منذ سنوات طويلة، وكانا واثقين من بعضهما تمامًا، عمد دانييل حصانه ذاك الثقيل والضخم تحت اسم روريك، وقد كان هذا اسمًا تعود الحصان على سماعه، تعود دانييل أن يتشارك مع صديقه ذو الأربع بأفكاره، أفراحه وآلامه، كان متأكدًا أن روريك يفهم كل ما يقوله له.

متكئًا على ظهر حصانه العريض، بكى محزونًا لفراق زوجته التي توفيت، وعلى أطفاله الأربع الذين فارقوا الحياة وهم بعد صغار جدًا، كان مملوءًا بالمرارة على أرضه التي فقدها، ولكنه مع ذلك كان مملوءًا بالسعادة والامتنان لمن بقي من أبناءه وأحفاده، وكذلك لأنه كان صحيح الجسم بلا أمراض، وعلى أنه كان حرًا يستطيع أن يطوف بالغابات والأراضي، كما في هذا الصباح المبارك عندما داعبت الريح وجنتيه وكانت الشمس تشرق بوداعة ولطف.. امتطى روريك ولوح مودعًا للإخوة الذين كانوا يعملون في الحقل، وقاد حصانه نحو المنزل.

* * *

صلى الأخ بيتروس لله، صلى مرة أخرى طالبًا من الله أن يهديه لأفضل طريقة يستطيع من خلالها مساعدة تلك الطفلة التي وبشكل غريب أصبحت في رعايته، لقد كان مندهشًا كم كان الأمر سهلاً بإخفاء هيلينا عن الأخ كليمنز، كان ذلك كما لو أن أحد قد ألبس الطفلة عباءة تخفيها عن النظر، ولكن ما كان يزعج وجدانه بشدة أنه قد ترك زميله خلف ظهره، وذلك القلق الدائم شعور لم يستطع تحرير نفسه منه.

عندما سارا عبر مدينة اوريبرو بطريقهم نحو الميناء المزدحم عند شاطئ يلمارين كانت هيلينا مختبئة في العربة، وكان هو يشعر بهدوء واضح، ولكن الأسوأ هو أنهما سيصعدان إلى ذلك المركب الذي سيوصلهما إلى نقطة إعادة الشحن الواقعة بالقرب من بحيرة أوليارين، كان قلبه يخفق بشدة بكل مرة يفكر فيها بهذا الشيء.

عندما زحزح البحارة تلك العربة الثقيلة نحو عنبر الشحن لم تستطع هيلينا البقاء في العربة، كان بيتروس يعرف أن الأخ كليمنز سيتفقد حمولة العربة عندما تشحن على ظهر المركب، ليتأكد ألا شيء قد فُقد من حمولته أو أن شيئًا قد كسر، لم يجد أي طريقة لكي يجعل هيلينا تستقل المركب معهم بدون أن يلاحظها أحد ما، ولكن تلك الطفلة، يبدو أنها تتمتع بحماية كبيرة، فبالضبط

قبل أن يضعوا الأقفال، وهو نفسه كان يشعر بالمرض من الهم والقلق، اندلعت ضجة كبيرة من عنبر الشحن، حيث إن اثنين من التجار الأثرياء المسافرين تحت حراسة مسلحة قد اشتبكا بنزاعٍ عنيف، إهانات وشتائم لاذعة تطايرت في الهواء، وبدأت أنصال السيوف تومض بضوء الشمس، معركة لا يمكن أن تنتهي إلا بدمًا مسفوكًا وموتًا عنيفًا لا بد منه، لم يسع الأخ كليمنز إلى التدخل، وبينما كانت الكلمات الأخوية بما تحمله من تأثيرٍ للقوة الكنسية على الشعب فقد عم السلام بين المتخاصمين، وكان اهتمام الجميع قد انصب نحوهما، مما أتاح المجال لبيتروس في أن يساعد هيلينا على الاختباء على السطح.

سارت الرحلة وسط الموجات الرقيقة الهادئة لبحيرة يالمارين وقد أكسبت أشعة الشمس الرقيقة جمالاً ساحرًا لكل المناطق المحيطة بهم، المروج الخضراء، حقول الذرة الصفراء الناضجة، الغابات التي تحولت ألوانها إلى اخضرار داكن، المزارع الصغيرة السعيدة على البعد، البيوت الرابضة والإقطاعيات الكبيرة، وبيتروس المتطلع مملوءًا بالسعادة لكل ما يراه.

ولكن يلمارين لم تكن باتساع بحيرة فاترن ولقد شارفت الرحلة على نهايتها، وسريعًا سوف يصلون إلى دير يوليتا، ولكي يمد من أمد الرحلة فقد طلب أن يقود الثور بنفسه على شاطئ أوليارين وحتى الدير بينما يكمل الأخ كليمنز باقي الرحلة برفقة حمولته الثمينة على ظهر المركب، وبذلك سوف يكونان هو وهيلينا وحدهما ولن يعد هناك من داعٍ لأن تُخفي نفسها أكثر من ذلك، ولأول مرة سيكون لديهما وقتًا من أجل أن يستمتعا بالهدوء، وأن يتكلما بأمانٍ مع بعضهما، ومن هناك سيتمكن بيتروس أن يرى مكان التقاء البحيرتان مع بعضهما، وكان بإمكانه بالفعل مشاهدة الأشخاص الذين كانوا على الرصيف مع حيواناتهم.

* * *

شعرت هيلينا بالهدوء، فذلك الرجل الطيب الذي اسمه بيتروس قد أصبح صديقها، هذا الذي كان فيما سبق ترى ضرورة أن تختبئ منه قد أصبح الآن ـ بعد أن اكتشفها ـ شيئًا أشبه بلعبة، بدا كما لو أن مخاوفها واضطرابها قد غادرتها إليه، شعرت بقلقه وسبب لها ذلك بعضًا من الألم، ولكن كان من السهل على شخصٍ بالغ أن يأخذها تحت جناحيه وأن يحميها من كل شيء.

كان الجانب السلبي الوحيد في وضعها الجديد هذا هو الأوقات القادمة، تلك التي لن تتوقف ولو للحظة واحدة، قد أصبحت في سباق معها الآن. لقد أصبحت واعية أنها قد فقدت ذلك الذي قد كان، لم يعد لديها الكثير مما علق بذاكرتها، والتفكير بما سيأتي قد أصبح شاغلها، هل سيظلان مسافرين دائمًا، في الطرقات حينًا وحينًا في البحيرات؟ أم أنهما في طريقهما لمكان ما؟.

كان بيتروس قد أجابها، قال إنهما في طريقهما نحو الدير في يوليتا، وأن البضاعة التي ينقلانها سيسلماها إلى الرهبان هناك، وذلك ما سمح لها أن تستمتع قليلاً، أصبحت ثقتها ببيتروس كبيرة، كان هذا ما يستحقه، وكان هذا ما تستحقه هي أيضًا، وفكرة أنه هذا الرجل الذي يشرق الضوء من داخله قد يخونها؛ لم تخطر على بالها قط.

من تماوج المركب ومن أصوات البحارة فهمت أنهم قد أصبحوا قريبين من الأرض، قفزت هيلينا من العربة وأخذت تلف حول نفسها متسائلة هل عليها أن تصل إلى أرض المرفأ قبل أن يفرغ الرجل حمولة العربة، أم أن عليها الانتظار لما بعد ذلك؟ وأين عليها بعد ذلك أن تختبئ؟، إذا ما نجحت بالنزول إلى الأرض فلن يكون هناك من سيكلف نفسه بطرح الأسئلة عليها، لأنها ستكون واحدة من العديد على أرض المرفأ، طلب منها بيتروس أن تختبئ في مكان قرب الميناء وألا تحاول الاتصال به قبل أن يبحر الأخ كليمنز على المركب الآخر.

احتك القارب بحافة الرصيف بقوة حتى أنها كادت تسقط، أمطرت اللعنات في غرفة الشحن، زحفت هيلينا تحت كومة قش ملقاة في زريبة الخيول الفارغة،

كفأرة صغيرة مرعوبة انحشرت هناك تستمع لكل صوت، صرير عجلات العربة حين سحبها البحارة، صوت خطوات حوافر الثور، لهاث الرجال وانتفاخ أوداجهم لدى رفعهم الأغراض الثقيلة، الصناديق والبراميل.

عندما حل الهدوء أخيراً في غرفة البضائع تطلعت هيلينا بحذر من تحت القش، كان المكان فارغًا، وبسرعة السنجاب صعدت إلى سطح السفينة..

- هالو... أنتِ، من أين جئت؟ لا يوجد هنا ما تفعلينه..

بأخر لحظة استطاعت هيلينا تفادي قبضة الرجل وقفزت إلى الأرض، هرعت بأسرع ما تتمكن ساقاها الصغيرتان أن تبعداها عن المرفأ، نحو مرتفع قربه، من زاوية عينها استطاعت أن ترى بيتروس الذي كان واقفًا يتكلم مع الأخ كليمنز ورجال آخرين.

توقفت خلف الحظائر تلهث متعبة، يدق قلبها بقوة فيتردد صداه في رأسها، اختلست نظرة مسرعة وقد شعرت بالاسترخاء يجتاحها، لم يعد هناك من يلاحقها، جثت هيلينا على الأرض، فذلك هو ما كانت بحاجة لأن تقوم به وهي تنتظر قدوم بيتروس.

* * *

استجمع بيتروس كل قدراته العقلية من أجل ألا يتدخل عندما دوت صرخة البحار تقطع الهواء، وحين قفزت هيلينا كفريسة شاردة هاربة نحو الشاطئ لم يلاحقها الرجل، ووجد بيتروس نفسه مجبراً للتحدث إلى ذلك البحار والذي كان سيرافق كليمنز والحمولة إلى يوليتا.

كان قلقًا جدًا أن يغير كليمنز رأيه فيرافق العربة بينما يستقل هو القارب، ولكن لم يكن لقلقه ما يبرره، عندما نظر إلى عيني الأخ كليمنز شعر بالهدوء، ولكن مندهشًا أيضًا لتلك الحمولة، كان من المهم لكليمنز أن يوصل ـ أيًا منهما ـ تلك المخطوطات الثمينة والنبيذ إلى رئيس الدير، وربما كان ذلك لأن الأخ

كليمنز أراد أن يظهر بمظهر جيد أمام رئيس الدير؟ أليس الأمر أكبر من ذلك؟ ومرة أخرى وبخ نفسه لانجراره وراء تلك الأفكار المتدنية عن رفيقه، وحقيقة فإنه قد شعر بسكون عميق حين استدار الأخ كليمنز ملوحًا، وحين رأى المركب تتوجه نحو ذلك المضيق الصغير.

قاد بيتروس ثوره الصبور على ذلك الطريق الفارغ مبتعدًا به عن الميناء بينما كان منشغلاً بمراقبة هيلينا، لاح الشعر الأشقر المشرق المجعد في الأفق وجاءت إليه هيلينا راكضة، كانت يدًا صغيرة واثقة قد أمسكت بيده، وأحس بيتروس بالدفء يغمره.

كان القرب المادي نادر الحدوث في حياة الراهب وأصبح الآن خائفًا تقريباً من الفرحة التي غمرته، هل كان إثمًا أن يشعر بذلك؟، هل كان هذا إحساسًا يحصل عليه الراهب من خلال معرفته بالله؟، ملأت ذهنه صورة يسوع المصلوب وترددت أنغام المخلص في رأسه، أنغام الأطفال تأتي إليّ ولا أشفى منها لأنها تسمع في ملكوت ألله.

حبه للآخرين لم يكن خطيئة، فذلك هو المعنى الحقيقي للحياة، وحبه لتلك الطفلة الوحيدة لن يبعده عن الله ولا عن حب أي أحد آخر، إن جوهر الحب هو أنك ستكون أقوى كلما أعطيت أكثر، أخذ بيتروس نفسًا عميقًا مريحًا، شاعرًا فجأة بزوال كل مخاوفه مما سيحصل لهيلينا، وبدل ذلك كان هناك فضوليًا ينتظر.

- إنني جائعة.

قطع صوت هيلينا المشرق حبل أفكاه، داعب خصلات شعرها ونظر إليها طويلاً.

- أوه صديقتي الصغيرة، أنتِ تعرفين أين يوجد الطعام، لم يعد لدينا منه الكثير ولكنه بالتأكيد سيكفي لكي يسد جوعك.

تركت هيلينا يده وسارت مبتعدة في الطريق الذي كان خاليًا، كان يرنو إليها حين صعدت العربة وبدأت تمضغ قطعًا من الخبز الجاف وبعض الفواكه التي بدأت تتيبس، وعادت الأسئلة تراوده بشكل مستمر؛ من تكون هي، تلك الطفلة ذات الشعر الذهبي، التي على الرغم من وضعها المزري هذا فقد كان لديها تلك القوة المبهمة والإرادة التي لا تُقهر للعيش؟ من أين أتت وأي مهمة لا يمكن التنبؤ بها تنتظرها مستقبلاً؟

* * *

رآهما دانييل من مسافة بعيدة، كانا يهدئان من سير الثور الذي كان يجر العربة على الطريق الوعرة، كان الراهب يجلس على مقعد السائق ولقد عرف أنهما من انطلق من أجل مقابلتهما، ولكن كان هناك شيئًا غير منطقي في هذه الصورة، فإلى جانب الراهب جلس طفلاً صغيراً، وقد خمن أنه كان ولدًا بسبب سفره مع أحد الإخوة من دير سسترسينسيرنا.

قفز فجأة إلى رأسه مقطعًا شعريًا كان الأب ستيفانوس قد ألقاه ذات مرة: "الطريق غير المتوقع يصل إلى الله"، تذكر أنه قد فكر قليلاً عما يمكن أن تعنيه تلك الكلمات، ولكنه لم يفهم حقًا ما تعنيه، بالإضافة لأنه لا يعرف لماذا تذكرها الآن، حث روريك الذي كان يسير متمهلاً..

رأى بيتروس ذلك الراكب والحصان القوي الذي سرعان ما أصبح قريبًا منه، كان الطريق ضيقًا بحيث إنهما إذا التقيا فسيكون على أحدهما الخروج عنه لإفساح المجال للآخر بالمرور، ولكن ومن خلال ملابس الرجل فهم بيتروس أن الرجل لم يكن نبيلاً، ولذلك فإنه لن يطلب من بيتروس أن يتنحى جانبًا.

مشى الرجل الراكب على حصانه يتقدمهم، لاحظ بيتروس أنه في الأربعينات من العمر، كان طويلاً وليس له عضلات ولكنه يبدو قويًا، كان شعره أسودًا مع خصلات فضية، جلده متغضن بسبب الطقس، التقت عينا بيتروس بنظرات الرجل الذي امتزج بصره بالحزن والفرح معًا.

- طاب يومكم وأهلاً بكم في أرض يوليتا، اسمي هو دانييل اولفسون، وأنا صياد الدير، أرسلني الأب ستيفانوس لكي أساعدكم في قيادة الثور والعربة، أنا آسف من أعماقي لأني لم أستطع الوصول إلى مكان وصولكما بالوقت المحدد، ثم ألم تتمكنا من إكمال سفرتكما بالقارب بدل الخضخضة في هذا الطريق الوعر؟.

لاحظ بيتروس المفاجأة التي ارتسمت على وجه دانييل وفهمها، ولكنه لم يعرف ما يمكن أن يضيف.

- هل يمكنني الركوب على حصانك؟

أدارت هيلينا رأسها ناحية دانييل وابتسمت له ابتسامة مشرقة.

- ولكن هيلينا، هل تجرؤين حقًا على ذلك؟ هل فكرت في أنكِ يمكن أن تسقطي عن ظهر الحصان وحينها سيشعر دانييل بالحزن على ذلك؟.

بدا على بيتروس عدم الارتياح..

- بالطبع أجرؤ على ذلك، فأنا ماهرة بامتطاء الخيول.

أمسك بيتروس بحماس خيط الذاكرة.

- هل أنتِ كذلك، أين تعودت أن تركبي الخيل؟ هل لدى ذويك خيولاً؟

- لا أدري ولكني أعرف أنني أستطيع ذلك.

أصابت الحيرة دانييل أكثر وأكثر، راهبًا يسافر بصحبة طفلة، والآن هذا الجواب الغريب!.

- والآن، هل أستطيع الركوب إذًا؟

بدت هيلينا نافذة الصبر.

- لا بأس بذلك بالنسبة لي، فروريك حصان لطيف جدًا وهادئ.

قفزت هيلينا من العربة ومدت ذراعيها نحو دانييل من أجل أن يرفعها، أثرت به تلك الزائرة المليئة بالثقة، أجلسها على ظهر روريك العريض وأخذت هي لجام الحصان بيدها.

- ألن أركب إلى جانبك؟

- لا حاجة، فأنا قادرة على ذلك.

ضحك دانييل عاليًا، كان لدى الطفلة شيئًا عظيمًا من الثقة بالنفس، ووجد أن ذلك شيئًا لا يمكن هزيمته.

- حسنًا إذن، سأجلس بدل ذلك على مقعد العربة بجانب الأخ بيتروس.

- نعم بإمكانك فعل ذلك.

ربتت هيلينا على روريك بفخر، وغمزت جانبيه بقدميها، وببطء بدأ الحصان الضخم يتمايل متقدمًا في الطريق، وأخذ دانييل مكانه في العربة، لم يكن يعرف إن كان من حقه أن يسأل، ولكن الفضول أمسك بتلابيبه.

- بالحق، من هذه الطفلة، وكيف حصل أنكما تسافران معًا؟ لم يصل للأسماع عادة أن أحد رهابنة سيستر سينسيرنا يسافر مع صبية!

جلس بيتروس صامتًا لحظة طويلة، استمع لصوتٍ في داخله، إننا نرى بوضوح من خلال قلوبنا، هناك شيء من الأمان، ومن الثقة لدى هذا الرجل، إنه يشعر أن هناك الكثير من التواضع بداخله، هذا ما يجعل الحياة محمية كأي راهب في دير، حيث كانت حياتهم تختلف عن الناس العاديين المكافحين، كان في حوزة دانييل اولوفسون تجربة في الحياة لم يحصل على مثلها، ولمثل هذا الرجل يستطيع أن يحكي عن هيلينا.

- أنت تتساءل من هي هيلينا؟ يا ليتني كنت أعرف، أنت تفهم أن التصرف بهذا الشكل...

وبينما كانا يجتازان الطريق ببطء خلال تلك المناظر الخلابة تحدث بيتروس كيف أنه وهيلينا قد أصبحا رفاق درب واحد.

- نعم دانييل لقد عرفت الآن، وحين نصل إلى الدير فإني لا أعرف ما سوف أفعل، فالنساء لا يسمح لهن بالمكوث طويلاً في الدير، هي تستطيع ـ بالتأكيد ـ البقاء عدة ليال في بيت الضيوف، ولكن بعد ذلك... لا أعرف.

صمت بيتروس غارقًا بأفكاره، لم يكن يسمع في ذلك السكون إلا تغريد هيلينا وهي تتحدث إلى روريك، فجأة سمع دانييل نفسه يتحدث، كان ذلك كما لو أن أحدًا آخر غيره قد استعار صوته.

- يمكن لهيلينا أن تعيش معي، بمزرعتي، إلى أن نتمكن من الحصول على شيء أفضل، أو لحين أن تستطيع هي أن تتذكر من تكون.

نظر بيتروس نحو الأعلى، نحو تلك السماء الزرقاء المذهلة شاكرًا ربه أنه قد استجاب لصلاته.

# الفصل التاسع

إنه العاشر من آذار/ مارس من سنة النعمة ١٢٢٢ حيث تلألأت الغيوم الرمادية، وحلقت قريبة من صفحة الماء في بحيرة فاترين، تكافح العديد من رقائق الثلج المترنحة بين الأمواج من أجل البقاء، وعلى الشواطئ الشمالية لا يزال الثلج موجودًا، ولكن انزياحه كان يجري بسرعة، كانت الليالي ما تزال باردة بعض الشيء، والصباحات كانت ملونة ببياض الثلج، ولكن الشتاء قد خسر المعركة هذه المرة واضطر إلى ترك المكان ـ على مضض ـ لربيعٍ رائع، وها هي بعض أضواء الربيع بدأت تضيء شيئًا من ظلام الشتاء الطويل.

هناك في القلعة الملكية في جزيرة فيسينغ ساد سكون عميق، فالملك الشاب يوهان سفير كيرسون يعاني من حمى ساخنة وكان الجميع يخشى على حياته، اجتمع في القلعة ممثلي الأمة المرتبطين ارتباطًا فضفاضًا، وممثلي العشائر الأكثر نفوذًا، إذا ما تغير الملك فسيكون ذلك شيئًا جيدًا ولكنه سيكون أمرًا مقلقًا، فخليفته يجب أن يشغل مكانه بسرعة وإلا فإن البلاد ستنزلق إلى حربٍ دموية وصراعًا حول النفوذ، لم يكن لدى الملك من يخلفه على العرش، ففي موته سيموت آل سفيركير وهم هناك في دروعهم.

وبينما كان الملك الشاب يصارع ـ في مخدعه ـ من أجل الحياة؛ كان أولئك النواب ذوي النفوذ مجتمعين في القلعة، كان هناك الأسقف روبرت أسقف فيستراوس، الدوق اولف فاز، والد الملك بالتبني ايرنغسل فيغ، كنوت هولمغيرسون، الأسقف أولوف "قائد اللجام"، وابن أنغريد ـ أيلفا، الأسقف بينغت، أسقف لينشوبنغ.

تحت إحدى المناضد العديدة في الصالة، اختبأ بيرغر ماغنوسون ذو الاثنا عشر عامًا مع ابن أخته راغنار سيغتريغسون ذو السبعة أعوام؛ يستمعان لأحاديث

الرجال، لم يفهم راغنار كثير مما كان يقوله الرجال، الشيء الوحيد الذي كان مهمًا بالنسبة له أنه كان مع بيرغر، فقد كان لديه إعجاب لا حدود له بخاله، وكان كأنه جروًا صغيراً يقوده بيرغر خلفه.

كان بيرغر يستمع من مكانه باهتمام لكل كلمة كانت تقال حول مائدة أولئك الرجال، كان يحاول بكل جد أن يربط الكلمات مع بعضها، فصل منها كلمات التهديد غير المعلن والمغلفة بشكلٍ جيد، والتي كانت في أساسها تعبيراً عن الشهوة للسلطة، عن تلك الكلمات المعبرة عن القلق الصادق لمصلحة خير الأمة، كان مستمتعًا بالاستماع إلى لعبة القيادة المعقدة، ولمعركة الكلمات التي لو ساءت أكثر فإنها سوف تنتهي بسفك الدماء وستقود إلى مملكةٍ متفككة.

استمع بيرغر وتعلم وحلم فيما إذا كان سيجلس يومًا هو نفسه حول مائدة متمتعًا بالسلطة والقوة ليقود مفاوضات مثل هذه التي تجري الآن والتي ستنتهي بحلٍ ناجح.

* * *

احتضنت كريستينا منيخولد الملك يوهان سفيركيرسون بحنو وهي تستمع لصفير أنفاسه، يلقى أخوها الأسقف بنغت اعتراف الملك داعيًا له بالمغفرة وبأن تتواصل روحه مع الرب، كان يوهان متلهفًا وهو يطلب المغفرة لخطاياه ولأولئك الذين جعلوه شريرًا، بعد ذلك مسح الأسقف عيناه، شفتاه، أنفه، يداه ورجلاه بذلك الزيت المقدس، قبل أن يغادرهما نحو المجلس في صالة القلعة، تاركًا إياها وحيدة من جديد مع الملك، كانت قد وصلت جزيرة فيسنغ برفقة بيرغر وراغنار قبل أسبوعين للاشتراك بالحفلة الكبيرة التي دعى إليها الملك، في اليوم الثالث كانت هناك دعوة لحفل عشاء كبير، ألعاب بهلوانية، ألعاب بالسيوف ومشاهد تمثيلية مدهشة، ولقد استمتع الكثير من النبلاء بذلك الكرم الملكي.

وبسرعة مفاجأة، كما هو لمح البصر، بدأ الملك يوهان يعاني من حمى غير مفهومة، وبدأت الشائعات تنطلق مسرعة، هل تم تسميم الملك؟ ومن الذي يقف وراء هذا الموت المفاجئ؟ لم يكن هناك نقص بالمرشحين، فمن أجل الحصول على السلطة كان هناك العديد من المستعدين للتضحية بفرسانهم.

افتقدت كريستينا منيخولد في تلك اللحظات الصعبة؛ للقوية والذكية أنغريد ـ أيلفا، ولكن الأم الكبيرة اختارت عدم مرافقتها لجزيرة فيسينغ مع الوعد أنها سوف تشارك في الاحتفالات القادمة.

- سيكونون بحاجة إليّ هنا في المنزل، فإذا ما ساد الجشع والجوع للسلطة فإنه سيكون لدينا أوقات انتظار عصيبة.

هكذا تساقطت كلمات أنغريد ـ أيلفا ولم تفهم كريستينا المعنى الضمني لتلك الكلمات، ولم تعطها أمها بالتبني أي إيضاح، فقط تمنت لهم رحلة سعيدة وطلبت من بيرغر أن يطيع أخته، ولكنها عرفت الآن ما كانت تعنيه أنغريد ـ أيلفا بكلماتها، فمستقبل المملكة موضوع الآن في كفة ميزان.

رمى الملك يوهان بنفسه على سريره متألمًا بينما كان يدمدم بجمل غير مترابطة، ولكنها استطاعت أن تفهم أنه كان يردد اسم أمه طالباَ منها العون.

شعرت كريستينا أنها بلا حولٍ ولا قوة، لقد نجحت في أن تسقيه شراباً من منقوع قشرة الصفصاف والكشمش الأسود وزهرة اليارو لكي تخفض الحمى، ولكن ذلك لم ينفع كثيراَ، لقد شعرت بقلق يوهان، خوفه من تلك النهاية التي لا مفر منها، ولقد كان من السهل عليها أن تقنع نفسها أن هناك حياة أخرى بعد هذه، حياة خالية من كل الأحزان والأسى عندما تغني الحياة بداخل المرء، ولكن عندما يقف ملاك الموت بجانب سرير أحدهم منتظراَ فإن الثقة تضعف ويصبح القلق صعباَ أكثر..

فهمت كريستينا أن الملك متمسك بقوة وبشكل متزايد بالحياة، لذا فقد كان أملها كبيراَ، لمست جبهته الساخنة المتعرقة وألبست الكلمات كل الذكريات

المشرقة التي كان قد أهداها لها، ذكرته بمحبة شعبه له طوال الفترة التي اعتلى بها العرش، ففي ظل حكومته عم السلام في المملكة وتمتع الجميع بالبركة، استطاع يوهان بأعمق ما تكون الثقة أن يتطلع إلى تلك اللحظة التي يقف فيها وجهًا لوجه مع خالقه.

كانت خطايا يوهان سفيركرسون قليلة؛ ولذا فقد كانت بوابات السماء الذهبية مفتوحة له، همست بأذنه تلك الكلمات التي سمعتها من أنغريد - أيلفا عدة مرات: إن الموت ليس بالشيء الصعب، إن الصعوبة هي بالجرأة على العيش بالطريقة التي يشتهيها القلب، وبينما كانت الدموع تنهمر على وجنتيها نطقت تلك الكلمات التي ترددت طويلاً قبل أن تقولها:

- يمكنك أن تحرر قبضتك الآن يوهان، نحن من نحبك سنشتاق إليك بعمق، ولكن يمكنك أن تثق وأنت تغادرنا أننا سنمضي في طريقنا، يمكنك الذهاب بكل راحة بال.

رفع يوهان عيناه الزرقاوين فتلاقتا بنظرات كريستينا، وابتسم لها تلك الابتسامة المضيئة التي أحبتها كثيراً قبل أن يغمض عينيه أخيراً إلى الأبد، ألقى الحزن العميق هدوءه على الغرفة، وأدركت كريستينا منيخولد أن الملك يوهان سفيركيرسون قد استسلم لمصيره، أشارت كريستينا للفارس الذي يقف حارسًا على الباب، فأسرع الرجل في طريقه.

عندما صمت أخوها الأسقف بينغت وبقية النبلاء وخيمت الجدية في أركان الصالة، كانت أنفاس يوهان قد أصبحت متقطعة، لم يتنفس للحظات طوال مطلقًا، ثم فجأة كان يأخذ نفسًا عميقًا متحشرجًا الأمر الذي أجفل الجميع، ضمت كريستينا منيخولد يدا الملك الشاب بين يديها عندما أخذ أخر شهقة وغادرت روحه جسده برعشة، ارتعد ذلك الخاتم الثقيل الذي علقته بسلسلة حول رقبتها، أصبحت المملكة الآن بلا حاكم، واحتدم نضال أولئك الرجال بالفعل على السلطة.

* * *

كانت أنغريد ـ أيلفا تقف وسط مخبز مزرعة آل بيالبو تتأمل العاملات وهن يضعن قطع الخبز في الفرن الحجري، ولقد عملت النساء أشكالاً دائرية جميلة من عجينة دقيق الشيلم المتخمر، ثم وضعنها على أطباق حديدية قبل إدخالها إلى الفرن، كان الخبز أساس النظام الغذائي سواء للفقراء أو الأغنياء، ومع عمليات بناء المزيد من المطاحن التي تدار بالمياه أو بالريح فقد تم الاستغناء عن ذلك العمل الذي كان يجري سابقًا بطيئًا وشاقًا، وتلك الزيادة بالدقيق المطحون ساعدت على إبقاء الجوع بعيدًا عن الكثير من المزارع والبيوت.

قدمت غونهيلد التي عينتها أنغريد ـ أيلفا مشرفة على المخبز، قطعة مصنوعة من دقيق الشيلم، حارة وعطرة، أمسكت أنغريد - أيلفا قطعة الخبز بيدها وأخذت قضمة، الخبز يعني الحياة، كان طعمها رائعًا.

بينما كانت واقفة هناك مستمتعة برائحة الخبز وضحكات العاملات؛ إذا ما يشبه حجابًا قد نزل عليها فجأة، كما لو أنها - من خلال غلالة ضباب - نظرت إلى الفرن المشتعل، إلى تلك المنضدة الخشبية الواسعة التي صف عليها الخبز بأكوامٍ كبيرة، كانت موجودة في غرفة المخبز، ومع ذلك فإنها لم تكن موجودة، وقد عرفت أن ذلك الحلم في الليلة الماضية الذي تراه الآن كان هذه الطاولة المليئة بالخبز.

أعطت نصف قطعة الخبز المتبقية لابنة غونهيلد الصغيرة التي قدمت لها الشكر على ذلك، أسرعت بعد ذلك بالخروج من غرفة المخبز، كانت بحاجة للبقاء وحيدة إلا من أفكارها.

توجهت مسرعة نحو الكنيسة، نحو برج الكنيسة، هناك حيث غرفتها الخاصة، حيث لا يحق لأي أحد غيرها دخولها، صعدت عن طريق السلم الصغير الملتوي إلى الطابق السادس والأخير في البرج، من هناك حيث يستطيع المرء أن يُلقي نظرة على مروج بيالبو الواسعة والحقول والغابات.

بالتاكيد لم يتم بناء البرج بهذا الارتفاع من أجل أن يستمتع المرء بالنظر إلى هذه المناظر الخلابة، طلوع الشمس أو القمر، أو مشاهدة قوس قزح وألوانه المتعددة المتألقة.. كلا، كان الدافع شيئًا آخر مختلفًا، فمن أعلى قمة البرج يستطيع المرء أن يرى الاعداء من مسافةٍ بعيدة وبذلك يستطيع أن ينذر فرسان العشيرة للدفاع.

تركت أنغريد ـ أيلفا نظراتها تسرح في مروج بيالبو متسائلة في ذهنها الهادئ إذا ما كانت تلك الأراضي ستكون يومًا سببًا لذلك الاسم الشائع، أسرة بيالبو الدامية، الاسم الذي حصلوا عليه بعد كل المعارك الدامية التي خاضوها هنا.

وعلى شكل نسر يتمكن من رؤية كل شئ؛ حلقت في تلك الليلة فوق عباب بحيرة فاترين، نحو المزرعة الملكية في جزيرة فيسنغ، سمعت البكاء قادمًا من القلعة، أحست بالحزن ولكنها سمعت أيضًا قعقعة أسلحة، وشعرت برائحة الخوف النفاذة، لقد عرفت أن زمن الملك يوهان سفيركيرسون على الأرض قد شارف على نهايته، كانت تعرف تمامًا أن ذلك كائن كما تنبأت به النجوم، ولكنها لم تكن تعرف كم كان ذلك قريبًا.

خلال العامين الماضيين منذ اختفاء هيلينا وسقوط ابنها كارل قتيلاً في معركة ليال؛ عملت كما نصحتها سيبيلا، فحاولت أن تكون صديقة لذلك النسر ذو النظرة الشاملة، ولكن بلا جدوى، كان لا يزال يأتي إليها بأحلامها حين تكون بأمس الحاجة إليه، لم يأتِ إليها مطلقًا عندما كانت تناديه.

نسيت أنغريد - أيلفا نفسها مستغرقة بأفكارها، كان ذلك الملك الشاب حاكمًا بلا قوة خاصة به، لقد تولى العرش لأن آل سفيركر وسلالة أيريك الحاكمة وذوي الأنساب المؤثرة في سفيلاند قد قرروا ذلك، على الرغم من أن الكنيسة كانت تقف وراء يوهان سفيركرسون، كان قد توج ملكًا من قبل رئيس الأساقفة في كاتدرائية لينشوبنغ في العام ١٢١٩. ولكن انتخابه لم يكن بالإجماع، كان

هناك من يرى أن التاج يجب أن يذهب إلى ابن الملك أيريك كنوتسون، الابن أيريك أيريكسون الذي ولد في المنفى، في الدانمارك، بعد وفاة والده.

تنهدت أنغريد ـ أيلفا، يبلغ أيريك الآن السادسة من العمر، وكان أولئك الرجال العظماء مثل ديوك نارية متصارعة، يتشاجرون الآن حول القوة التي يمكن أن تدعمه والتي هي من أهم القضايا الآن، من أو كيف سيتمكن من إدارة شوؤن البلاد حتى بلوغ الملك السن القانونية؟ وأهم من كان يقف بقوة إلى صفه هو الدوق اولف فاز من آل بيالبو.

ولكن الجوع إلى السلطة كان مدمرًا في تلك الأراضي التي نما فيها الغدر والقسوة والجشع، أكثر من مرة كاد خطر صراع دموي أن يطيح بالبلاد.

أغلقت أنغريد أيلفا عينيها مفرغة عقلها من أي أفكار مقلقة ودعت إليها النسر، لقد قامت بذلك مرات لا تحصى في تلك السنتين الماضيتين عندما أصبح الهم رفيق مضجعها، ولكن بلا أدنى فائدة، لم يستمع إليها ذلك النسر الذهبي العظيم، صوت خفقات أجنحة ثقيلة وصرخات طائر ثاقبة، ومن ثم الشعور بانعدام الوزن، كانت أنغريد ـ أيلفا قد امتلأت بالشكر والتواضع، لقد استمع النسر لتوسلاتها.

ولكن في هذه المرة كان التقائهما مختلفًا، أنغريد ـ أيلفا لم تعد نسرًا، ولم تحلق عاليًا في السماء، ولم تعد الريح تداعب ريشاتها العظيمة، انها ما تزال جالسة في برجها إلا أن النسر قد وهبها الآن قدرته الواسعة على النظر لكل شيء، تلك القدرة التي لم تكن مقيدة بوقت، صور مستقبل أشخاص مبعثرة بغموض بدأت تومض وهي تدخل إلى عقلها، كانت تنتقل بسرعة حتى أنها لم يتح لها أن تفسرها، باستثناء حدث واحد.

رأت ابنها الأصغر بيرغر وهو شاب، شاهدت رجلاً مع قوة هائلة يحوم حول اثنين من التيجان، بيده اليمنى يحمل سيفًا يقطر دمًا، مرة أخرى سمعت خفقات تلك الأجنحة الثقيلة، صرخات الطائر الثاقبة وتلاشي الصور.

ارتجف جسد أنغريد ـ أيلفا كله، اختفى الشعور بانعدام الوزن، أبدًا لم تشعر بثقل أطرافها كما هي عليه الآن، جلست طويلاً في برجها، محاولة أن تفسر وتفهم رؤيتها تلك ولكنها لم تحصل حين عادت إلى عالمها الخارجي، سوى على فتات متناثرة، فذلك الذي رأته بعيون نسرها كان يثير أسئلة أكثر مما يعطي أجوبة.

عندما بدأت بالنزول على سلم البرج الحلزوني الحاد برزت فجأة إحدى تلك الصور التي رأتها بشكل واضح وقاطع، رأت يدًا في أحد أصابعها كان خاتم كريستينا يلتمع، ذلك الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير، ولكن أنغريد ـ أيلفا وخلال بحثها لم تتمكن من رؤية وجه الشخص الذي كان يلبس هذا الخاتم.

* * *

جفل الأسقف بنغت، فلقد مر شيئًا ما على ساقه، ألقى نظرة سريعة لأسفل الطاولة فالتقت عيونه بعينين بنيتين نشيطتين، كان من الصعوبة على الأسقف أن يخفي إعجابه ودهشته، كان أخوه الأصغر بيرغر يجلس تحت المنضدة مختبئًا، بدت له آذان بيرغر وهي تومض حرصًا على ألا تفوتها ولا كلمة واحدة مما يتفوه بها السادة ذوي المراتب العالية الجالسون إلى طاولة المجلس.

كان ذلك بعد يوم واحد من وفاة الملك المأساوية، لم تكن الأخبار قد غادرت جزيرة فيسينغ بعد، وقبل أن يتمكن من فعل المزيد أو يتخذ قرار بشأنه؛ نقل الرجال الكبار مداولاتهم من صالة القاعة الواسعة حيث يكون للجدران آذان، إلى غرفة في الطابق الأعلى في البرج الغربي، كان الرجل قد بدأ بما كان الأسهل، يعني ذلك كم من الرجال سوف يرافق الملك إلى الفاسترا حيث تكون مدافن آل سفيركر.

ثم جاء بعد ذلك ما هو الأصعب: وهو السؤال حول من سيكون حاكمًا على البلاد، فإن لم يتمكن أولئك الرجال ذوي النفوذ المجتمعين في غرفة البرج من

ترشيح أحد، سوف تقع البلاد فريسة حرب دموية طاحنة، كان ذلك شيئًا حيويًا وبالتأكيد لم يكن مناسباَ بالنسبة لفضول أذن فتى في الثانية عشر.
تعمد الأسقف بنغت إسقاط منديله على الأرض وانحنى لالتقاطه، شاهد بيرغر إصبعًا محذرًا على الفم، إشارة إلى أن أخاه الأكبر لن يكشف سره، وفي تلك اللحظة شعر أسقف لينشوبنغ أنه من المناسب تمامًا أن يسمع أخاه الصغير سرَا حينما يتم تحديد مصير مستقبل المملكة.

عندما حل الليل على القلعة الملكية في جزيرة فيسنغ كانت المداولات قد انتهت وكان الرجال قد اتفقوا، ما كان عليهم القيام به الآن هو أن يعودوا لمنازلهم من أجل طرح ما قرروه على كل فرد في العشيرة، فبعد مناقشات اتسمت أحيانًا بالانفعال والصعوبة، فإن الاقتراح قد تم على تسليم الحكم للملك ذو الستة أعوام أيريك أيريكسون المنفي.

عندما ترك الرجال غرفة البرج هابطين إلى صالة القلعة حيث كانت وليمة باذخة بالانتظار، بقى بيرغر مختبئ هناك، غرقت الغرفة بالظلام بعد انطفاء كل الأضواء، لم يبقَ غير ضوء قمر شاحب يومض من خلال فتحات الرماية الصغيرة، كان قد استمع بشكلٍ واضح لأحاديث الرجال، وبالرغم من أنه لم يشارك بنفسه في المجلس إلا أنه قد لاحظ أن وجود مثل أولئك الرجال المتحمسين الملتفين حول المائدة ربما كان شيئًا غير مفهوم بالنسبة له.

بالتأكيد قد اتفقوا حول شخص أيريك أيريكسون، لكنه هو، بنفسه قد سمع أن أحد أولئك السادة الكبار كان لديه في قلبه وجهة نظر أخرى، أحد النبلاء كان يريد اعتلاء العرش، وقد ارتاب بيرغر في أنه يفكر فقط منتظرَا الوقت المناسب، وآجلاً أم عاجلاً سوف يقول السيف كلمته.

كان اسم الرجل الذي وضع شهوته للسلطة قبل مصلحة وخير الأمة هو كنوت هولمغيرسون والذي يكنى بكنوت الطويل.

# الفصل العاشر

هيلينا مستمتعة على أكمل وجه وهي تمتطي روريك، هناك في الحقول الملونة بألوان الصيف، كانت في الخارج من أجل تفحص فخاخ دانييل والتي كانت تفغر فاها فارغة، لكنها لم تكن محتاجة للعودة للمنزل في رعية "استونا"، نادرًا ما كانت سهام هيلينا تخطئ هدفها، ولقد كان صيد اليوم، ثلاثة أرانب برية.

كان من المهم بالنسبة لها ألا يصاب دانييل بخيبة أمل، ذلك الإنسان المتواضع الذي فتح لها بيته في ذلك اليوم قبل ثلاث سنوات، حيث كان برفقة الأب بيتروس الذي تركها قاصدًا الدير في يوليتا، إنه يعني الكثير بالنسبة لها، فلقد بقيت في استونا يومًا بعد يوم، وشهر يتبع شهر آخر، الحياة مع دانييل وعائلته قد أصبحت حياتها أيضًا.

وجودها قبل الرحلة إلى يوليتا لا يزال يكتنفه الغموض، ولكن في بعض الأحيان، في الأحلام، تظهر شظايا من أشياء لا تزال عالقة في وعيها، صوت رقيق، رائحة عطر، ملاذًا آمنًا، وجه امرأة جميل، طفل صغير ينظر إليها باشتياق وحنين.

بإحدى المناسبات كانت قد رأت برجًا عاليًا كاد أن يصل لسماء زرقاء مضيئة، وهناك كانت تقف امرأة على قدميها، امرأة يبدو عليها علامات القوة والسلطة، ولكنها حين تصحو، كانت تضيع وتختفي محاولاتها تجميع شكل محدد من تلك الشظايا، كان لديها إحساس أن تلك الذكريات البعيدة كانت تسخر من محاولاتها العقيمة أن تنجح باستعادتها مرة أخرى.

ما بين كثبان الغابات لمحت انعكاسات مياه بحيرة أوليارين اللامعة ففلتت منها تنهيدة عميقة، كانت الشمس قد ارتفعت في السماء منذ برهة، وقد شعرت أن بيتروس ينتظر ظهورها بفارغ الصبر، كانت تشعر بعمق وصدق مشاعر الأخ بيتروس وكانت تدرك أن هناك الكثير مما تشكره عليه.

ولكن في يومٍ رائع كهذا، حينما تتسلل خيوط الشمس عبر السماء الصافية، وعندما تنتشر روائح الغابات والمروج، ومياه بحيرة أوليارين وهي تدعو للسباحة، فقد كان مجرد التفكير بالجلوس في الداخل، في بيت الضيوف المظلم ذاك، والانغماس عميقًا باللغة اللاتينية، المنطق، البلاغة أو الخوض في أحاجي الرياضيات المخادعة، ليس بالشيء الذي يغري حقًا.

تذكرت هيلينا كم اندهش، بل روع الأخ بيتروس، تقريبًا حين اكتشف أنها تستطيع القراءة، كانت قد أتت إلى الدير مع دانييل كي تعطيهم طائر الحجل الذي علق في شباكهما عندما عثر دانييل على وثيقة ممهورة مخبأة بين أدغال الحديقة، أعطاها للأخ بيتروس راجيًا إياه أن يقرأها له، ولأن هيلينا غالبًا ما كانت تشعر بأنها محتاجة لأن تعرف عما لديها من جديد فقد قفزت مسرعة، وبكل ثقة قرأت لهما الوثيقة بصوتٍ عال.

لم تكن تفهم ما كان فيها من أشياء كانت تبدو غريبة جدًا، ثم بعد ذلك فإنها لم تتمكن من التراجع عن مزحتها لأن ذلك سيتبعه أن الأخ بيتروس ـ وبكل جدية ـ سيقوم بمهمة استمرارها على التعلم من خلال الكتب، كان من الصعب على هيلينا أن تفهم لم سيكون ذلك جيدًا، إنها بالفعل كان لديها معلمًا هو دانييل، فمن أول لحظة تبعته فيها إلى الحقول كان قد علمها أن تقرأ كتاب الغابة، أراها أماكن الغزلان، الأيائل، وقد كان للأيائل مساراتها المحددة، علمها أين تكون فخاخ الأرانب البرية وطيور الدراج، وأين يكمن طائر الحجل، وأين تقع بحيرات وبرك الغابات حيث تروي الحيوانات ظمأها، إنها تستطيع تقليد غناء كل الطيور، تعرفت على كل عطور التربة، وكان قلباهما، هي والغابة ينبضان بنفس الوقت.

كانت قد أمضت وقتًا طويلاً من أجل تطوير مهاراتها بالقوس والسهم، وبرغم صغر سنها فقد كانت رامية بارعة، ولكن وأكثر من أي شيء آخر فقد غرس دانييل في نفسها أهمية الخشوع والاحترام لتلك الحيوانات التي تعطي حياتها هدية لها، لدانييل، لعائلته، للإخوة في الدير، وتكون طعامًا على مائدة الرهبان.

* * *

تركت الغابة ورائها وذهبت راكبة جوادها بتلك المروج الممتدة حتى شاطئ المياه، في المراعي البعيدة كانت هناك بقرات ترعى، خيول وأغنام، وخارج الدير كان هناك العاملون المدنيون يعملون بكل جد، حثت روريك فاستجاب ذلك الحيوان الذكي لدعوتها فخب مسرعًا قاصدًا مطبخ الدير.

خلال السنوات التي عاشتها في استونا كانت قد أصبحت ضيفة دائمة على الدير، وقد علمها الرهبان أشياء كثيرة عن الحياة، كان التسلسل الهرمي في الدير لا تهاون فيه سواء في داخله أم خارجه، كان لرئيس الدير كل الرفعة والاحترام وكانت كلماته تعتبر قانونًا، فهو وبقية الرهبان أتوا من طبقات المجتمع الرفيعة، كانوا ينتمون للطبقات النبيلة، البرجوازيين الأغنياء أو كبار ملاك الأراضي من الفلاحين المهيمنين، أما الأخوة العاملين فقد كانوا يأتون من أولئك الفلاحين الفقراء أو من عوائل المزارعين البسطاء، وغالبًا ما كانوا لا يجيدون القراءة أو الكتابة.

كان بيتروس قد أخبرها أن الدير كان يعتمد في وجوده على التبرعات التي تأتي على شكل أراضي مع ساكنيها ليتمكنوا من رعاية تلك الأراضي، وأولئك الذين كانت لديهم الفرصة للتبرع بهذه العطايا العظيمة، من أجل غفران خطاياهم وحتى من أجل الحصول على مكان في الجنة، لم يكونوا سوى الملوك والنبلاء.

كان دير الفاسترا حيث بدأ بيتروس قبل أن يكمل الوعود الرهبانية ديرًا غنيًا بشكلٍ خرافي، بفضل الهدايا الملكية من سلالة سفيركر، على النقيض من ذلك كان دير يوليتا ديرًا فقيرًا يناضل رئيسه بشكل مستمر من أجل تغطية نفقاتهم.

وصلت هيلينا إلى مطبخ الدير فترجلت وأنزلت حمولتها من على ظهر الحصان روريك.

- أوه... انظروا من الذي حضر إلى هنا، أليس هذا غابرييل بنفسه؟

سلم الأخ "سونيه" بسعادة على هيلينا، لم يعد هناك من يدعوها باسم هيلينا منذ أمد بعيد ولقد أصبح الاسم غابرييل هو الاسم الذي غدت تستعمله على

مر تلك السنين، كان ذلك خطأ في البداية ولكن ثبت أن ذلك نعمة وقد ساهم في حل أكثر من مشكلة، ولكن الذي كان لديه دائمًا وجهان من عملة أو كذبة واحدة فإنه دائمًا ما كان يبرر الكذبة.

عندما جاءت أول مرة لمزرعة دانييل في ذلك اليوم، قبل ثلاث سنوات بالضبط منذ أن كان قميصها قذرًا بشكل لا يوصف وممزقًا، وبينما كان دانييل وابنته "أديث" يغسلان قطع ملابسها البالية فإنه لم يعد في البيت ملابس ملائمة عدا بناطيل ضيقة تم استعمالها بكثرة، وسترة من الكتان الخشن تعود لأبناء دانييل.

وكأنه قدر ومصير مكتوب فقد أخذ تيار الماء قميصها عندما علقت أديث الغسيل على حاجز الجسر، كانت الملابس في ذلك الوقت باهظة الثمن ولم يكن لدى الناس الفقراء أي زيادة في الملابس مما اضطر هيلينا لارتداء ملابس الأولاد تلك، ولقد كانت مناسبة لها بشكل مرضي، على ظهر الحصان وفي الخارج عند الغابة أو في الحقل كانت البناطيل مريحة تمامًا وأكثر فعالية من تنانير النساء.

لم يقصد دانييل أو بيتروس أن يكذبا حول جنسها ولكنه شيئًا حدث صدفة، فكل من رآها فكر بما تراه عيناه، وما رأوه كان ولدًا صبيًا.

- ماذا لديك اليوم غابرييل؟

نظر إليها الأخ مستبشرًا..

- ثلاثة أرانب برية سمان، وسوف يكون حسنًا إن احتفظتم باثنان منها وتركتم واحدًا لسكان استونا، ما هو رأيك؟.

مالت برأسها جانبًا وابتسمت مصلية، فلقد كانت تعرف ـ وبحسب خبرتها ـ أن هذه الحركة لها تأثيرها.

- أيها الوغد الصغير، نحن نقول وهو كذلك، والآن أما عليك أن تهم مسرعًا فإن الأخ بيتروس بانتظارك في دار الضيافة.

- نعم، نعم..

تنفست هيلينا الصعداء مرة أخرى وألقت نظرة مليئة بالشوق نحو القارب المتمايل الموجود بقرب جسر الدير، ذلك الذي ما زال يغريها على النزول لاصطياد السمك، قادت روريك من لجامه وأخذته للخارج كي يرعى مع باقي الخيول.

- ستكون بخير يا صديقي الذي يجب أن تخرج للهواء الطلق.

وبخطوات سعيدة مشت نحو دار الضيافة، رأت هناك بيتروس واقفًا لدى الباب المفتوح ملوحًا لها، ردت على تحيته باحتجاج متجهم.

* * *

لم يتمكن بيتروس من منع نفسه من الضحك، لم تترك لغة جسد هيلينا أي مجال لتفسيرات بديلة، وكما في كل مرة حين يراها يصبح أكثر دفئًا في داخله.

كانت فائدتها ترتفع بصورة مثيرة للذهول خلال السنوات الماضية، أصبحت هيلينا طويلة بشكل غير عادي ورشيقة مثل فهد، يلتمع شعرها القصير المجعد ويتألق كالذهب وملامحها التي تذكره بلوحة سبق أن رآها للعذراء وابتسم للمقارنة، نعم كانت هيلينا طيبة القلب، تكره الظلم، وكانت تقف دومًا إلى جانب الضعيف، لكن مع ذلك فقد كان لديها ـ على الأقل ـ اثنان من الثعالب خلف أذنيها، كان من السهل عليهما تتبعها كما يتبعان قبضة من البراغيث.

حتى بعد ثلاث سنوات فإنه لم يتساءل عن مدى سهولة وسلاسة كل شيء يمكن أن تفعله هذه التي كانت طفلة، بدا كما لو أن هناك يدًا خفية تقود خطواتها.. فتح لها دانييل بيته بطيب خاطر لتقيم فيه، وبالرغم من مرور السنين فإنها لا تتذكر أنه قد نطق بكلمةٍ واحدة يذكر فيها أنه يريدها أن ترحل.

كان لدى بيتروس ـ فضلاً عن ذلك ـ شعورًا أن دانييل فزع من ذلك اليوم الذي سوف تكتشف فيه هيلينا أصلها الحقيقي حيث ستعود إلى عائلتها الحقيقية،

وأن تنتمي لطبقة النبلاء الملكية فإن ذلك كان شيئًا آخر غير ممكن، ولكن قرأتها وكتابتها كانت إشارة واضحة على ذلك.

كان هناك شيئًا واحدًا يثير غضب هيلينا وكان ذلك ناتجًا عن سوء الفهم حول جنسها، لم يكن أبدًا يريد الكذب بشأن ذلك، عندما كان يدعو في صلواته كان يجب أن تكون أفكاره نظيفة تمامًا، لكن عندما جاء دانييل برفقة هيلينا إلى الدير بعد يومين من قدومه إلى يوليتا فإنها كانت ترتدي ملابس صبيان واسعة جدًا، وعندما سأل أحد الإخوة، بدون أن يساوره أدنى شك عن اسم الصبي، كان الجواب جاهزًا وانطلق بلا أي تفكير.

- إنه يدعى غابرييل، ألا ترى أنه يشبه ملاكًا، خصوصًا مع خصلات شعره المشرقة؟

ولقد غدا مرعوبًا من كلماته تلك، وكيف أنه كان من السهولة على تلك الكذبة الشائنة أن تنجح بتوريطه، وبأسرع فرصة لاحت له طلب إجراء مقابلة مع رئيس الدير ستيفانوس، ولا يزال بيتروس يتذكر اضطرابه خلال تلك المقابلة، كان في أعماقه شعور من التقديس والاحترام لرئيس دير يوليتا، ولم يكن ستيفانوس رجلاً بالكلمة فقط، ولكنه كان كذلك في الواقع، عاش على أساس رسالة محبة المخلص، فقد كان رئيس الدير يعتبر أن رعاية ومحبة أخيه الإنسان من أهم الأشياء في الحياة.

ومن شدة حبه لهيلينا ورئيس الدير فقد طلب البقاء في يوليتا بدل العودة إلى الفسترا، تلك الغنية والمزدهرة، ولقد شعر بيتروس في يوليتا أنه أقرب إلى الله.. استمع رئيس الدير الطيب لاعترافه المتعثر بصمت، وبدلاً من أن يلومه فقد سأله سؤالاً بسيطًا:

- لماذا تعتقد أن الله قد وضع في طريقك هذه الطفلة؟

هز بيتروس رأسه لا يجد جوابًا.

ابتسم رئيس الدير ستيفانوس ابتسامة غامضة ثم لاذ بصمتٍ طويل، شعر بيتروس أنه قد تكلم مع شخص لا يمكن له - من خلال عيونه الدامعة - أن يراه.

- عزيزي بيتروس الطيب إلى أن تحصل على إجابة على سؤالي فإني اقترح أن هذا الطفل الذي يحمل اسمين أن يستمر بحمل هذه الهوية المزدوجة، بالضبط كما شعرت بذلك حين التقيته في الغابة لأول مرة، وحتى أنني أشعر أن مصير هذا الطفل سيكون مرتبطًا بمصيرنا، الزمن سيكون كفيلاً، سيحل لنا هذا اللغز وأنا انتظر تلك اللحظة بشغف.

وبهذه الطريقة أصبحت هيلينا هي غابرييل بالنسبة للرهبان وللإخوة ولكل العيون، ومنذ أن كان قد اكتشف أن هيلينا تستطيع أن تقرأ وتكتب، تحسب وحتى بعض المعرفة باللاتينية، فقد عالج بيتروس مستعينًا بذاكرة رئيس الدير الواسعة مسألة تعليمها، كانا يجتمعان في بيت الضيافة حيث كانت النساء هناك قد تعودن على قبول ذلك أيضًا.

بالنسبة لبيتروس فقد كانت دعوة رئيس الدير له ولهيلينا أن يزوراه في بيته في منطقة الدير في أكثر من مناسبة، تُشكل مفاجأة كبيرة، كان البيت واقعًا بالضبط قرب الشاطئ ومن عند النافذة كان المرء يستطيع أن يُلقي نظرة ملهمة على صفحات مياه بحيرة أوليارين، كان بيتروس قد فهم أن رئيس الدير ستيفانوس كان مفتونًا وكان فضوليًا أيضًا لمعرفة من تكون تلك الفتاة، وقد كان أيضًا مسرورًا جدًا من صراحة هيلينا، ومن ثقتها بنفسها وحزمها.

ولكن كان هناك شيئًا آخر يثير قلق بيتروس، وهو كيف يمكنه مساعدة هيلينا على كسب عيشها، كراهب فقد تخلى عن كل ممتلكاته الدنيوية، وكان يدرك جيدًا أن دانييل وعائلته يعانون الأمرين من أجل لقمة العيش، ولكن هذه المشكلة قد تم حلها أيضًا.

إن مهارات هيلينا بالقوس قد جعلت بإمكان دانييل أن يأخذ الكثير من اللحوم للدير مما يعني أن حصته من اللحوم قد ازدادت، ولكن كانت مقدرة هيلينا على القراءة والكتابة هي التي ساهمت في كسب الرزق للعائلة، فأن تقرأ وتكتب كانت من المهارات القليلة جدًا ولا يتقنها الكثيرون، وحينما كان الناس العاديين بحاجة للمساعدة في كتابة ولو كلمة فإنهم كانوا يتوجهون إلى الدير حيث كان الرهبان يقومون بهذه الخدمة مقابل دفع بعض النقود، ومع ذلك لم تكن جميع الحالات ملائمة للتقوى والعرف الثقيل بعيون الرهبان، وهناك حصلت هيلينا على وظيفة مهمة.

جاء الناس قاصدين استونا مسافرين عبر طرق طويلة من أجل الحصول على مساعدة ذلك الفتى الرائع المتعلم، وكانت مدفوعاتهم تمثل إضافة لا بأس بها لخزينة المزارع، وحتى في هذه المناسبات لم تكن تظهر في شكلها الحقيقي، ابنة فلاح خائفة تستطيع أن تقرأ وتكتب، إن ذلك لا يمكن أن يكون شيئًا آخر عدا عن كونه سحراً، وكأي ظاهرة مؤذية كان على المرء أن يولي الأمر عناية كافية.

ومن خلال تعليمها فقد استطاع بيتروس المساهمة أيضًا في كسب رزقها، وهذا هو ما كان على وشك القيام به الآن، حتى وإن كان تلميذه أي شيء إلا أن يكون مولعًا.. بأقدام ثقيلة كأنها من رصاص كانت هيلينا تقطع المسافة القصيرة بين المطبخ وبيت الضيافة، والآن فإنها تقف أمام بيتروس بكتفين متدليين وبتعبير على وجهها يمكن وصفه بكلمة واحدة: معاناة، احتاج بيتروس لكل جهد في العالم ليمنع نفسه من الضحك.

- يومًا سعيدًا، غابرييل، لقد انتظرتك طويلاً، لقد تأخرت كثيراً، فهل حدث شيئًا ما؟

- كلا، لقد كنت اصطاد في الخارج، لقد جئت بأسرع ما أستطيع.

- هذا ما أعتقده بالتأكيد.

صوت بيتروس المتصلب جعل هيلينا تستطرد بقولها.

- بالمناسبة، هل تعرف أي يوم هو اليوم؟

- كلا، إنه ليس أكثر من يومٍ مشرق جميل حيث ربما لا أحد سيكون مجبراً أن يبقى جالسًا في الداخل.

- أتعتقد ذلك، صديقي الفضولي؟! ولكن يحدث الآن في الواقع إنه في هذا اليوم الحادي والثلاثين من تموز/ يوليو من عام الميلاد ١٢٢٣ قد توج لدينا أيريك أيريكسون ملكًا جديدًا من قبل الأسقف اولوف "قائد اللجام"، ولقد حدث ذلك هنا في كاتدرائية سترنغنس في سفيلاند، ولقد سافر رئيس ديرنا إلى هناك من أجل حضور الحفل الرسمي، ولهذا صديقي الشاب، فقد حان الوقت لنكرس أنفسنا للمنطق، على نحوٍ أدق مناقشة عامة في موضوع الحقوق والواجبات الملكية، هل سيكون ذلك مثيراً للاهتمام؟

- بالتأكيد.

تكلمت هيلينا بأقل ما يمكن أن يحدث مللاً.

- ولكن وكما أشرت بحق، فإنه لمن المحزن الجلوس في الداخل بمثل هذا اليوم الجميل، فكرت في أنه يمكننا الخروج للاستمتاع على ضفاف بحيرة أوليارين وسنبدأ درسنا هناك تحت السماء الصافية، بالطبع إذا رغبت أنت بذلك؟

ذراعان طريان طوقا وسط بيتروس، وابتسامة كانت تنافس الشمس جعلت الجواب واضحًا، وبينما هيلينا تقفز مثل عجل في المراعي، قفزت قبل بيتروس نحو البحيرة، وبدأت بإعداد كافة الالتزامات التي تعتقد هي أن من واجب الملك الالتزام بها نحو الشعب الذي يقوده.

- المهمة الرئيسية للملك هي حماية شعبه، من كلا التهديدات الداخلية والخارجية، يجب على الملك أن يكون درعًا حاميًا للضعفاء والفقراء ضد القوى القمعية والاستبداد، لا يجب على الملك أن يكون مسؤولاً فقط عن مصالحه الخاصة بل يجب عليه أن يقبل بما يقوم به الآخرين، وعلى الملك الذي يعتبر

نفسه معصومًا بطبيعته أن يفكر بأنه لن يكون معصومًا حين يرتكب أفعالاً شريرة، لذا يجب على الملك الصالح أن يمتلك التواضع والشجاعة لأخذ المشورة من ذوي الخبرة والعقلاء. الملك المتغطرس يستمع فقط لما يكون في مصلحته والذي يعتقد أنه دائمًا على حق.

- نعم، نعم صديقتي العجولة، ولكن وفقًا لقوانين المنطق والبلاغة فإنه لا يكفي أن نكوم الكثير من المطالبات فوق بعضها البعض، يجب عليك أيضًا أن تكوني قادرة على القول والتحليل واستخلاص النتائج.

كانا قد أصبحا أمام الجسر فقفزت هيلينا نحو القارب وأخذت مكانًا لها عند المجاديف.

- أعرف ذلك بيتروس.. انتظر قليلاً، فقبل أن نصل إلى مكان تجمع أسماك الابورا خاصتنا أنا ودانييل سأكمل إصدار الإعلان الملكي.

نزل بيتروس حذرًا إلى القارب وجلس عند المؤخرة، وعندما جدفت هيلينا بهدوء وقوة ناحية مياه أوليارين المتألقة أنزل بيتروس كفه بتلك المياه الدافئة وجعلها تنساب بين أصابعه، إنه أحد الأيام التي تجعل الحياة رائعة.

* * *

كانت كريستينا منيخولد تجلس في تلك الفسحة خارج كاتدرائية سترانغنس، الكنيسة المبنية من الخشب والتي بنيت خلال المائة عام الماضية، تقع في أعلى الهضبة الشمالية للمدينة، وعندما ارتفعت سحب الضباب بدت الكنيسة وكأنها معلقة بالهواء، كانت سترانغنس، تلك البلدة الصغيرة، متشبثة بالمنحدر المنزلق نحو الماء.

كانت كريستينا تقف على مسافة مناسبة من شوارع المدينة الضيقة والمزدحمة والأزقة المليئة بفضلات الخيول والخنازير والثيران، والتي تترك رائحة كريهة يصعب تحملها، من ذلك المكان في أعلى الجبل كان النظر نحو مياه مالارين،

نحو الخلجان والجزر الصغيرة في البحيرة يشكل منظرًا جميلاً مدهشًا، كان أخيها الأسقف بنغت قد حدثها بأنه في هذا المكان الذي تقع فيه الكنيسة، كان القديس "ايسكل" قد تعذب وعانى حتى الشهادة، ارتجفت كريستينا على الرغم من أن الشمس كانت مشرقة.

جاء المبشر ايسكل بأحد الأيام من الألفية الأولى قادمًا من انجلترا إلى بلدان الشمال من أجل نشر تعاليم المسيحية، كان قد حقق نجاحًا كبيراً، وبموافقة الملك "أنجي" فقد انتخب أسقفًا وكان مقره في "تونا"، وهي مكان لا يبعد كثيراً عن سترانغنس، ولكن المعارضة لتلك التعاليم الجديدة كانت قوية جدًا، كانت المعتقدات الوثنية تشدد من قبضتها على عقول الناس.

كان يحتفل بأعياد الأضاحي الكبيرة كل تسع سنوات، في مدينة اوبسالا وفي سترانغنس، في احتفال التضحية الذي أقيم في سترانغنس، وفي نفس المكان الذي تقف به كريستينا الآن جاء الأسقف لإلقاء خطبة مدوية لجموع الوثنيين، ولكن استجابة الغوغاء كانت رجمًا للأسقف بالحجارة.

عندما أعاد أتباعه جسده المهترئ إلى تونا من أجل دفنه، تفجر نبع صافي من أعلى الجبل، وقد طوب الأسقف اسكيل قديسًا، والآن فإن لديه يوم عطلة والذي يصادف الحادي عشر من حزيران/ يونيو، حيث تحتفل جميع الكنائس في الإبرشية سترانغنس، ولقد أصبح الناس يحجون عند النبع من قريب ومن بعيد من أجل الحصول على البركة المقدسة، لا يبعد النبع كثيراً ولقد قصدته كريستينا وهي عائدة من رحلتها إلى بيالبو، ولقد أخبرها بنغت أيضًا أن الناس قد عمدوا مدينتهم حيث تسمى الآن ايسكلستونا، كانت كريستينا مستغرقة بأفكارها حتى أنها لم تلاحظ في البدء أن هناك أحدًا ما يتعلق بحماس بكم ثوبها.

- هل أستطيع أن أرافق بيرغر أمي، سنذهب إلى الإسطبلات، ثم إلى ساحة المدينة لمشاهدة اللاعبين، لن نذهب بعيدًا، أعدك أن نعود بوقتٍ مناسب من أجل التتويج.

أشرق التوق بعيون راغنار الزرقاء، بالنسبة له كانت كل الضجة التي تحيط بتتويج أيريك أيريكسون مجرد مغامرة حقيقية.

- أتفكران بأنكما ستذهبان بمفردكما؟

- لا أبدًا، سيرافقنا اثنان من الفرسان.

- نعم، نستطيع أن نقول حسنًا، ولكني أحذركما من مغبة التأخر بالعودة.

أسرع راغنار يشع فرحًا في طريقه، تابعته كريستينا بحنان، الى أين يأخذ الطفل الصغير راغنار طريقه؟ لقد كبر بسرعة لم تستطع أن تلاحظها، أو ربما أن الحزن والشوق لابنتها التي فقدتها قد عماها عن رؤية ابنها الذي بقى إلى جانبها؟ جعلها التفكير تتألم.

بشكل غريزي مدت يدها إلى الخاتم الذي وضعته في سلسلة وعلقته حول رقبتها وضمته بقوة.. نعم، ستنتهي رحلتهم عما قريب واصلين إلى هدفهم، وبشكلٍ واضح تمامًا شعرت أن الخاتم يتحرك، بدا ذلك كما لو أنه قد عاد للحياة بعد نوم طويل، كان يتراقص على صدرها رقصة تستطيع أن تفهم حركاتها.

كانت بحاجة لتلك الذكية أنغريد ـ أيلفا إلى جانبها، ولكن أم العشيرة قد أصيبت بالضبط قبل موعد سفرهم من بيالبو بمرضٍ شديد في معدتها، اضطرها إلى ملازمة المنزل، كانت أنغريد ـ أيلفا خلال سنوات اختفاء هيلينا الطويلة والتي لا تنسى، رغم أنها كانت قريبة من فقدان حياتها هي نفسها، إلا أنها لم تفقد الإيمان أن هيلينا ما تزال على قيد الحياة.

- افتحي قلبك كريستينا - كانت متعودة أن تقول - واقرأي ما هو مقدر ومكتوب، إن وهج نورنا الداخلي هو فقط ما نراه بوضوح، إن انعدام الأمل هو شيء أكثر وطأة من الخوف، أنا أعرف، بأعماق قلبي أن هيلينا حية ترزق، ومع ذلك فإن ما لا أفهمه هو لماذا أخذت منا؟ لا يزال هذا شيئًا غامضًا بالنسبة لي، ولكني متأكدة أننا سوف نفهم ذلك في يومٍ ما.

بنحنحة خجولة انحنت الخادمة بعمق مذكرة إياها أنه قد حان وقت الذهاب نحو بيت التاجر حيث ستقيم هي والأطفال، حان الوقت لكريستينا كي تتهيأ لحفلة التتويج.

* * *

حضر ممثلون من جميع أنحاء المملكة، ومن النبلاء وذوي النفوذ إلى الكنيسة لتقديم أنفسهم ولتقديم دعمهم للملك الشاب، علاوة على ذلك جذب التتويج الكثير من الفلاحين الفضوليين، كان هناك الكثير من الناس، التجار، الأطباء، الممثلون، بائعات الهوى والنشالين، بلحظة كان عدد السكان في سترانغنس قد تضاعف، لم يعد هناك مجال للحصول على سرير فارغ، ولقد استفاد سكان المدينة من ذلك فائدة مادية كبيرة.

الملك، النبلاء، الأساقفة جاؤوا جميعهم بمرافقة مواكب من الفرسان لإظهار قوتهم وأهميتهم، لم يكن في المدينة متسع لكل أولئك الفرسان، ومن أجل حل هذا الإشكال فقد أحضروا معهم لدى سفرهم خيامًا كبيرة.

وفي ساحة المدينة نادى التجار على بضائعهم: أقمشة من كل الألوان كأنها ألوان قوس قزح، مصوغات براقة، منسوجات بأشكال مختلفة، أباريق وأواني، سكاكين وسيوف، في ساحة المدينة كان هناك كل ما يحتاجه المرء ويبغيه.

وفي خيام بيع الجعة تدفقت أنهار الجعة لتروي ظمأ العطاش، ترنح الرجال سكارى في الأزقة الضيقة فكانوا هدفًا سهلاً للنشالين الماهرين، لم يكن لدى

النسوة اللواتي يعرضن أجسادهن من أجل لقمة العيش الوقت الكافي لتلبية طلبات كل الزبائن.

في وسط الساحة كانت فرقة مسرحية متنقلة تؤدي مشهدًا من دراما تقطر دمًا وحبًا عاطفيًا، وفي العديد من الأماكن في المدينة التقى الرجال من مختلف طبقات المجتمع من أجل القيام بصفقاتٍ تجارية، عقد تحالفات أو التخطيط لعمليات زواج، وقد آن أوان الاحتفال في سترانغنس.

تعلقت عيون بيرغر وراغنار بكل ما رأوه وسمعوه، كانا يقفان في الساحة جنبًا إلى جنب، وسط صيحات الجمهور، وعاشا بكل حواسهما ما يحدث حولهم في تلك الساحة المتهالكة، أطلقا صيحاتهم محذرين البطل الذي - رغم كل المخاطر - كان يحاول إنقاذ حياة البطلة الجميلة، واحتجا بعنف عندما أخبرهما الحارسان أن الوقت قد أزف للذهاب إلى الكنيسة.

انتشر صوت أجراس الكنيسة فوق المدينة وفوق مياه بحيرة مالارين عندما مر كوكب التتويج الكبير، محاطًا بعدد كبير من الفرسان والرايات المرفرفة، والكثير من الفضوليين يخرجون من مقر إقامة الأسقف يقصدون الكاتدرائية.

إلى الأمام كان الملك الطفل يرتدي رداءَ كنسيًا بسيطًا باللون الأبيض، وعلى مقربة خلفه يأتي الرجال الذين سيحكمون البلد فعليًا إلى أن يبلغ الملك السن القانوني، وقد حملوا الشعارات الملكية: الصولجان، التفاحة، السيف والتاج، وقد كانوا: مسؤول تربية الملك أو والده بالتبني ايرينغسل فيغ، وهو أحد أهم أفراد عائلته المقربين، كنوت هولمغيرسون، كنوت كريستيانسون، مستشار الملك، الأسقف بنغت أسقف مدينة سمارنا، الأسقف روبرت أسقف مدينة فسترأوس، الأسقف بنغت أسقف مدينة لينشوبنغ، والدوق اولف فاز.

كان أولئك النبلاء يختلفون عن الملك بملابسهم الرائعة فقد كانوا يرتدون عباءات ملونة مطرزة بشعارات عوائلهم، ثم تلاهم الرجال ممثلي عائلات "سفير" و"غوتار"، تلك الأسر النبيلة الأكبر والأهم في البلاد.

بعد ذلك جاء موكب النساء النبيلات ومن ضمنهم أخوات الملك الأكبر منه سنًا، النساء اللواتي يرتدين الملابس الغالية من المخمل والديباج بالأحمر، الأزرق، الأخضر والمطرزة بزخارفِ ذهبية جعلت الجموع تفغر أفواهها، لم تشهد سترانغنس مثل هذا المشهد الرائع من قبل.

عندما دخل أولئك النبلاء واختفوا داخل الكاتدرائية وأغلقت تلك الأبواب الضخمة وقف الرجال خارج الساحة منتظرين، كان الكل يريد تحية أيريك أيريكسون عندما يخطوا على سلم الكنيسة كملك متوج جديد.

* * *

في داخل قاعة الكنيسة القاتمة، أخذ الضيوف أماكنهم، جلست كريستينا بين ابنها وبين شقيقها الأصغر، كانت تعرف أن بيرغر يتألم عندما يعامل كطفل، فكم كان يرغب في أن يكون له مكان بين الرجال.

جلس الملك أيريك أيريكسون للأمام عند المذبح حيث رئيس الأساقفة اولوف الملقب بقائد اللجام، لقد حان وقت طقوس التزييت الرسمي للملك، مسح رئيس الأساقفة المبارك بالزيت المقدس على رأس الملك، قفصه الصدري، أكتافه، ظهره، مرفقيه ويديه وبذلك فقد أعطي أيريك أيريكسون، وببركة الله الحق في إدارة المملكة.

بينما كانت كريستينا تراقب الشعائر تساءلت بينها وبين نفسها كيف هي مشاعر هذا الطفل الملك في هذه اللحظة، كانت تفهم كل ما حدث، فلقد كان هو بيدقًا في لعبة السلطة، كان قد اقتلع من بيئته التي اعتاد عليها في الدانمارك وجيء به إلى هنا، إلى هذا البلد الغريب عنه تمامًا، لكي يصبح ملكًا عليه.

المجلس، هذه الظاهرة الجديدة في المملكة، ما هي السلطة التي سوف يحصل عليها هذا المجلس؟ هل ستخضع الدولة للنبلاء الأعضاء الذين يديرونه؟ في محاولة عنيفة منها دفعت كريستينا جانبًا الأفكار التي انتابتها حول مستقبل المملكة غير المؤكد.

عند المذبح أقسم الملك الصغير اليمين، وقوفًا أولاً وفي المرة الثانية وهو جالس على العرش الذي تم جلبه إلى سترنغنس من القلعة الملكية في الجانب البعيد من جزيرة فيسينغ، والآن ها هو يرتدي رداء التتويج الرائع وعلى رأسه تاج الملك اللامع، يمسك بيده الصولجان، الذي يرمز للسلطة الدنيوية، في حين أن السيف والتفاحة قد وضعا على وسادة مخملية قرمزية اللون وضعت إلى جانب العرش، أيريك أيريكسون ابن السابعة من العمر قد أصبح الآن الملك المتوج على أقوام السفير والغوتار.

إن المهمة الأولى للملك الجديد ستكون توزيع الوظائف ونثر الأوقاف والعقارات على الكنيسة والنبلاء لمكافأة من دعموا ترشيحه، وهو ما كان سائدًا في ذلك الحين، الذي اختلف هذه المرة هو أن الملك لم يكن هو من يقرر من سينال المكافأة، هذه المرة كان أعضاء المجلس الجديد هم من يقرر ذلك.

في مكانه البعيد في الكنيسة جلس بيرغر ماغنوسون من سلالة آل بيالبو إلى جانب أخته كريستينا منيخولد، كان قد ابتلع غمه وبدل ذلك وبكثير من الاهتمام تابع طقوس التتويج، ولكنه قد ركز الآن اهتمامه في مكان آخر، كان يعرف أن القوة تعتمد اعتمادًا كلياَ على التحالفات.

كان لدى أيريك أيريكسون ثلاث أخوات، جعل بيرغر نظراته تسرح بواحدة منهن، "أنغيبورغ"، وفي تلك اللحظة اتخذ قراره، ستكون انغيبورغ زوجة له بأسرع ما يمكن أن يسمح به العمر.

# الفصل الحادي عشر

أجالت تلك المهرة الكستنائية اللون نظرها وأطلقت صرخة وحشية، أصبح الوجود كابوسًا منذ أن انتهت عند أولئك الرجال ذوي الأصوات القاسية والأيادي التي لا ترحم، هي التي اعتادت المداعبات أصبحت لا تتلقى الآن إلا الضرب بالسياط والركلات، اختفت الحظيرة الآمنة، بدل ذلك ها هي الآن مقيدة إلى جذع شجرة في الغابة.

ولكن كان لا يزال هناك الملكوت بالمقارنة مع ما كانت تتحمله الآن، ركب ثلاثة رجال كبار على ظهرها وأجبروها على حملهم خلال تلك الغابة الكثيفة، كان الرجال الثلاثة الخارجين على القانون في حالة معنوية عالية، منذ التتويج في سترنغنس كانت لديهم أيام الخبز ذو المذاق الحلو، كل أولئك التجار ذوي المحافظ المنتفخة الذين سافروا عبر غابات المدينة قد أصبحوا أهدافًا سهلة، حياة الخروج على القانون كانت صعبة وكان الأقوى فقط والأكثر قسوة هم الذين يستطيعون البقاء على قيد الحياة.

لم يكن التجار يسافرون بمفردهم، بل كانوا غالبًا ما يسافرون مجتمعين، وكانت لدى عدد منهم القدرة على إحاطة نفسه بحراسة مسلحة وبالتالي فإنهم نادرًا ما كانوا يتقابلون مع أولئك الرجال الخارجين على القانون، في الأيام الأخيرة كان التجار منتشين بغنائمهم الكبيرة وقد تحسبوا أكثر من أي وقت مضى للمخاطر والهجوم، لذا فقد ساروا بجانب حراسهم، ولقد فقد الخارجون على القانون اثنين من شركائهم أثناء إغارتهم على بعض قوافل التجار، إلا أن الأرواح التي أزهقوها هم كانت أكثر عدة مرات، وكانت الغنيمة قد أصبحت الآن مقسمة على ثلاثة بدلاً من خمسة.

مر أسبوعًا على التتويج وغدا السفر عبر الغابة مثير للمتاعب، لذلك قرر أولئك الثلاثة أن يوسعوا رقعة صيدهم، بعيدًا عن دير يوليتا الذي قصده العديد من المسافرين للحصول على مكان لقضاء ليلة، من حسن حظهم أن أحد رفيقيهم المقتولين قد ترك لهم حصانه، فكان أن جعل هذا الحصان المسكين رحلتهم أقل عناء.

بينما كانوا يركبون عبر الغابة بدأوا يرسمون خطة مفصلة لمستقبلهم الذي بدا لهم الآن مضيئًا، فقبل أن يأتي الشتاء سوف يذهبون نحو الجنوب، بعيدًا عن هذه الأنحاء التي حكم فيها عليهم أن يعيشوا كخارجين على القانون، سوف يتجهون للأسفل نحو المناطق الدانماركية حيث تطبق فيها قوانين أخرى، أصبح لديهم بالفعل أموالاً كثيرة، ولكن لا يستطيع المرء أن يخمن كم كانت تلك الأموال، من خلال رنين القطع النقدية فقط.

* * *

كان كِلا التاجرين آرنولد كارلسون وروبين لارسون قد قاما بنشاط جيد في سترانغنس، فباعا أقمشة، أشرطة، أمشاط وخرز زجاج ملون، ولم يبقَ لديهم الآن الشيء الكثير، ولقد حملا ما تبقى معهم نحو المدينة الواقعة عند شاطئ بحيرة مالارين، أما محافظهم فهي على العكس غدت مليئة وأصبح وزنها مريحًا.

كانا في طريقهما نحو سوق مدينة "سكانينغ" من أجل بيع ما تبقى لديهم، بعد ذلك سيواصلون طريقهم منحدرين نحو "لوند"، تلك المدينة الدانماركية من أجل شراء بضاعة جديدة من التجار الدانماركيين الذين يتجمعون هناك، وكان المال الذي كسبوه يشكل خطرًا، إذ أن رحلتهم من سترانغنس يجب أن تمر في أعماق الغابات حيث ينتشر اللصوص، بالتأكيد لم يكونا غير معتادين على استخدام سيفيهما، ومع التفكير بما سوف يخسروه من أموالهما النقدية، فقد قررا استئجار أحد الفرسان من أجل الحماية، ولقد سارت الرحلة حتى تلك

اللحظة بلا توقف، في المساء كانوا بالفعل قد وصلوا أمام دار الضيافة في دير يوليتا.

بينما كانا يقودان الخيول التي تحمل أغراضهم خلال غابات سورملاند وبحماية حارسهم كانا يخططان لأعمالهما في المستقبل الذي بدا مشرقًا.

* * *

تسللت هيلينا على تلك الأرض المغطاة بالطحالب، كانت قد أمضت زمنا طويلاً من حياتها في تلك الأراضي المليئة بالغابات حتى أصبحت قطعة منها وكأنها إحدى مخلوقات الغابة، فغدت يقظتها، حساسيتها للأصوات والروائح ولأبسط تحول في الوسط النباتي تستطيع أن تنبئها عن نوع الحيوانات البرية الموجودة في المكان.

كانت صيادة ماهرة ولم تكن تخرج مطلقًا من دون قوسها وسهامها، لقد غدا القوس قطعة من حياتها، ولكن ذلك اليوم لم يكن مخصصًا للصيد، كانت في طريقها نحو جحر الثعالب لكي تنظر - بدون أن تثير الاهتمام - لتلك الجراء الخمسة وهم يلهون خارج الجحر، ألعابًا تجعل الجسم والدماغ متهيئًا لتلك الحياة القاسية التي تنتظرهم وأيضًا لكي يحصلوا على شيء من المرح.

ملأت هيلينا كفها بالتوت البري الطازج وجعلت تتذوق طعمه بفمها قبل أن تبتلعه، رأت أن التوت كان مُغطى بمادة صمغية وشعرت بالرائحة القوية لثمر العليق، كانت مخازن الغابات مملوءة حد التخمة.

زحفت في أخر جزء من سيرها لغاية الجحر تتشمم في الهواء لتعرف من أين تأتي الرياح، يجب عليها أن تقترب إلى الجحر من الجهة الصحيحة وإلا فإن الجراء سوف تشم رائحتها فتختفي مسرعة داخل جحرها.

من خلف صخرة نظرت إلى الجراء مملوءة بالإثارة، وقد وضعت يدها على فمها لمنع أصوات سعادتها وتعجبها، جميع الجراء الخمسة في الخارج، ثلاثة

منها كانت تدور راكضة وراء بعضها والاثنان الأخريان كانا مستلقيان نائمين يحتضنان بعضهما، لم يكونوا بعيدين عن أنظار أبويهم، كانوا آمنين من الصيد، كان توفير الطعام لأولئك الصغار الجائعين مهمة صعبة.

كانت هيلينا تود لو أنها تشارك دانييل متعة هذه اللحظة، ولكنه كان يجب عليه أن يذهب صوب منطقة إعادة الشحن عند مصب بحيرة اوليارن لاستقبال بعض الرهبان القادمين، لذا فقد كانت هنا وحدها تعيش هذا المشهد الآسر للغابات.

كان ذلك منذ أمد بعيد حين شاهدت أول مرة جحر الثعالب، وقد تعلمت خلال تلك الفترة كيف تميز بين الجراء، كان المفضل عندها ذلك الجرو ذو طوق الفراء الأخف مما لدى أشقائه، وكان هو الجرو الذي تظهر عليه علامات الزعامة بلا منازع، حينما كانت تلك الجراء قد بدأت بمحاولة الخروج إلى الخارج كان هو من أخذ زمام المبادرة، غير خائف وفضولي، وقد سمته هيلينا باسم "تورا" لقد كانت مقتنعة تمامًا بأنه أنثى.

فجأة بدا كما لو أن هناك موجة عنيفة بين مجموعة الثعالب الصغيرة، نبح تورا بصوتٍ خافت وفي لمح البصر كان الصغار قد اختفوا داخل جحرهم، وفي خلال لحظة كانت أمهم تجري مسرعة ورائهم داخل الجحر.

وبأسرع من لمح البصر أيضًا وقفت هيلينا تتطلع بنظرها حولها وتشمشم في الهواء، جفلت كما لو أنها قد ضربت، حيث شعرت بتلك الرائحة اللاذعة النفاذة، كانت رائحة لم تعهدها في الغابة من قبل، رائحة خداع، احتيال وخبث، بدأت ـ بصمت ـ تتبع أثر الرائحة، بنفس الوقت الذي تحركت فيه يدها مستلة قوسها حيث وضعت فيه سهمًا ذو رأس حاد وقاطع.

* * *

كانت المهرة ذات اللون الكستنائي تزبد تعبًا، ربط الرجال قائمتيها الأماميتين قبل أن يتسللوا بين الأشجار، لم تعد تستطيع الوقوف منتصبة، التوت رجلاها فسقطت متهالكة على الأرض.

لم تكن الطرق عبر الغابة أوسع من المسار الذي يسير عليه المرء، بدا اللصوص الثلاثة فرحين ببعضهم وهم يتسللون منبطحين بين الشجيرات، سمعوا أصواتًا تقترب وفهموا أن الغنائم لم تعد بعيدة، استلوا سيوفهم الحادة وجثا أحدهم على ركبتيه وقد هيأ قوسه، ثم انتظروا بصمتٍ مطبق.

* * *

كان آرنولد وروبين ينظران إلى بعضهما نظرات كثيرة ذات معنى، من المؤكد أن حارسهم المرافق كان يقوم بواجبه بكل جدية، ولكن ألا يتحدثا إلى بعضهما كان شيئًا جيدًا كذلك، يجب أن يكونوا الآن قريبين جدًا من دير يوليتا، وإذن فما الذي سوف يحدث؟ هل يغامر اللصوص بالاقتراب من منطقةٍ مأهولة؟ بالكاد توصلوا إلى تلك الفكرة البالغة الشجاعة حتى انقلبت صفحة الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها.

سمعوا صوت صفير سهم ورأوا مرعوبين كيف أن السهم قد استقر بصدر حارسهم بقوة جعلت الرجل ينقلب من على سرج حصانه، خرج من الغابة ثلاثة رجال مندفعين يلوحون بسيوفهم، وبالنسبة للتاجرين فقد كان الموت هو الذي يقترب منهما.

ذكريات من حياتهم التي مرت آخذة نصيبها العادل من الألم والفرح، السعادة وسوء الحظ جعلت الماضي يومض داخلهم، كانت هذه اللحظات في حياتهم، وأسئلة الحياة الأخرى قد تهيأت، كيف تصرفت بذلك الزمن الذي منحت إياه؟ هل فعلت من الخير ما يمكن أن يعوض عن الشر الذي قد أكون فعلته في الحياة التي عشتها.

تلمسوا سيوفهم التي لم ينتظروا أن تنفعهم كثيراً، فارِق القوة كان كبيراً والعدو كان همجيًا جدًا، ألقت هيلينا نظرة واحدة على ما يحدث على طريق الغابة الصغير ذاك، كان ذلك يشبه الدقائق الأخيرة من مسرحية قبل أن تنتهي بمأساة.

كان اللصوص الثلاثة المستلقين يتربصون بأولئك المسافرين المطمئنين، طلب الحارس المعتلي صهوة جواده من التاجرين توخي الصمت دون أن يعرف أن الوقت قد فات على ذلك.

تدفقت صورًا سوداء ومرعبة إلى عيني هيلينا الذي لم يزل يتواصل، خيول تشب على قوائمها الخلفية، صهيل الخيول الخائفة، دماء فرسان فقدوا حياتهم، ثم جاء أكثر ما يؤلم.. سيدة؛ كانت هيلينا تعرف بأعماق قلبها أنها كانت أمها تلك التي سقطت عن حصانها بلا حراك، لم تكن قد رأت السهم الذي انغرز في صدر الأم ولكنها شعرت في قلبها أن تلك الأم قد سقطت، رغم مرور هذه السنوات إلا أنها ما تزال تسمع صرختها التي أطلقتها وتشعر بتلك الدموع التي انهمرت، لقد فقدت أولئك الذين كانوا الأقرب لها.

أنزلت الحجاب الأسود، عادت هيلينا من ذلك الماضي إلى اللحظة الراهنة، شاهدت سقوط الفارس الحارس، والغضب العارم الفائق الحمرة ارتفع في داخلها بشكلٍ لم يسبق له مثيل من قبل، رفعت قوسها.. سهم هيلينا نادرًا ما كان يخطئ هدفه.

ثلاثة رجال قتلى، ثلاثة لصوص، سوف يقفون للتو بين يدي خالقهم للمساءلة على أفعالهم الشريرة التي أدت إلى سقوطهم أرضًا بفعل ثقوب السهام، حدق التاجرين بحيرة بذلك الصبي الذي خرج من بين أشجار الغابة ماسكًا قوسه بيده، بالنسبة إلى الوضع الميؤوس منه الذي كان يحيط بهم فإن ما حدث أمام ناظريهم يعتبر معجزة، وذلك الذي حصل الآن لا يمكن وصفه بغير تلك الكلمة، سقطا بسهولة يرتعش جسديهما فجثيا على ركبهما يقبلان يديها شاكرين، أحست هيلينا بخجل كبير يكتنفها.

- يجب أن نعتني بفارسكما، لنرى إن كان لا يزال حيًا.

جلست القرفصاء بقرب الرجل الذي سقط، ومدت يدها إلى صدره، صرخت بفرح حين شعرت أن قلبه لا يزال ينبض، فتح الرجل عينيه ونظر إليها بعينين مرهقتين.

- لقد خفف درعه ذو الحلقات من سرعة انطلاق السهم ولكني لا أعرف كم هي سيئة إصابته، لنقدم له المساعدة بأن نجلسه على الحصان، يجب أن نصل إلى كوخ التطبيب في الدير بأسرع ما نستطيع.

بذلوا جهدًا جميعهم حتى نجحوا بوضع ذلك المحارب الثقيل على حصانه، سقط الرجل أمامًا على رقبة حصانه..

- يجب أن يسير أحدكم إلى جانبه وأن يمسكه بقوة، وإلا فإنه سوف يسقط.

لم يكن صوت هيلينا يسمح بأي أخطاء، بدأ آرنولد وغونار يتعافيان من الصدمة..

- من أنت؟ ما اسمك؟ لقد أنقذت حياتنا، كيف يتسنى لنا أن نكافئك على ذلك؟ ولكنك مع ذلك ما تزال طفلاً، كيف استطعت التعامل مع ثلاثة لصوص؟!

- اسمي غابرييل وأنا أعيش مع الصيادين في الدير، ولكن يكفي ذلك، علينا أن نسرع لنتابع، الدير ليس بعيد عن هنا، سوف أتولى أمر خيول اللصوص وسوف ألحق بكما حالما أستطيع.

- ولكن ما الذي سنفعله بهذه الجثث الملقاة هنا؟

توجه آرنولد بسؤاله إلى هيلينا.

- ضعوا الجثث على ناصية الطريق، دعوهم يُصبحون تحذيرًا لكل من في الخارج الآن الذين يفكرون بنفس منطقهم..

وخلال لحظة اختفت في الغابة.

* * *

كانت المهرة ذات اللون الكستنائي مرمية على جانبها تكاد أنفاسها تتفجر، تألم قلب هيلينا شفقة حين اكتشفت آثار الدماء على خاصرة المهرة، تكلمت بعطف مع هذا الحيوان الذي يتعذب بينما كانت تقترب منها بحذر، جثت على ركبتيها ولمست بلطف كمامة الحصان الناعمة.

- صديقي المسكين، ما الذي فعلوه بك؟ لكن كل شيء قد انتهى الآن، لن يستطيع أحد أن يؤذيك مرة أخرى.

نظرت المهرة إلى هيلينا نظرة من يستعيد ثقة مفقودة، ولكن الصوت الصديق لطفل إنساني واليدين الحانيتين جلبت ذكريات.

- عليكِ أن تحاولي المسير، سوف آخذك معي إلى المنزل، سوف أعتني بك.

كان حلمًا لدى هيلينا أن يكون لديها مهرة تعتني بها، وكان حلمًا بعيد المنال أن يكون لديها حصانًا خاصًا بها، ولكنها تشك أن هذه المهرة قد سرقت وبالتأكيد فإن مالكها في مكان ما من هذه الأنحاء، ولكنها لم تستطع أن تبعد فكرة أنها ستكون ملكها، فلربما كان أولئك اللصوص قد قتلوا صاحبها؟ ولربما لن يكون هناك من سيسأل عن هذه الفرس الجميلة.. في أعماقها سألت الله المغفرة لأنها استسلمت للجشع، أحد الخطايا السبع المميتة، إلا أن ذلك لم يساعد كثيراَ، الأمل في أن تحتفظ بالمهرة قد أصبح راسخًا، أمسكت لجام الفرس بقوة وبدأت بسحبه..

- يجب أن تحاولي السير، يجب.. لا يمكنك البقاء هنا.

تحول صوتها الرائق إلى لحن، لحن أفضى إلى أغنية، حثت الفرس أن تستجمع كل ما بقي لديها من قوة وأن تناضل من أجل أن تنهض ولقد نجحت.. قادت المهرة المتعبة على ذلك الطريق الذي يخترق الغابة وطوال الوقت كانت تكلمها برفق، وبالضبط قبل أن تلمح من بعيد دير يوليتا فقد استطاعت أن تلحق ببقية الركب.

رآهم دانييل من بعيد، التاجران مع خيولهم المحملة، الحصان القوي الذي يحمل فارسًا لم يتمكن من الجلوس بوضعٍ مستقيم، وفي المقدمة كانت هيلينا تقود فرسًا كانت تبدو أنها بالكاد تستطيع السير.

كان ما سمعه قصة يمكن أن تروى، كان يخشى أن يكون هذا نذير شؤم، وأن تكون هيلينا بشكل من الأشكال جزء منه، شعر بطعنة قلق في خاصرته، كيف يمكن أن يحدث أن الحياة بدت دائمًا تدور حول هذا الطفل؟ سمعها تناديه باسمه فأسرع للقائها.

- لدينا جريح دانييل، إنه بحاجة للرعاية بأسرع ما يمكن.
أمسك دانييل بلجام الحصان وجعله يسرع بالمسير.
- هل يمكن لأحد أن يحدثني عما جرى؟ كلا، لست أنت..

بحركة من يده أوقف دانيال تدفق الكلمات من فم هيلينا كأنها النهر، وبدلاً منها بدأ التاجرين بالكلام بينما كانوا يسرعون نحو كوخ الطبابة في الدير حيث تقدم راهبان هناك لمساعدة الفارس.

بينما كان التاجران يتحدثان بما جرت عليه الأمور، بدأ دانييل وببطئ يعي الخطر في أن تكون هيلينا قد كشفت عن نفسها لهم، لقد أنقذت حياة ثلاثة رجال، ولكنها أيضًا قد أصابت ثلاثة لصوص بمقتل، لم تكن إلا طفلة، ومنذ الآن فإن الدماء قد لطخت يديها.

- غابرييل، استمع دانييل إلى صوته وهو يرتجف، كيف حالك؟
- هل آخذها للعناية بها دانييل؟ إنها ليس لها أحد غيري! قطاع الطرق أولئك قد عاملوها بقسوة، انظر إلى الجروح التي سببها السوط..

أشارت هيلينا للأماكن وقد اتكأت الفرس برأسها المتعب على صدرها، ابتلع دانييل ريقه، رغم الإدراك العميق بكم كان الموت قريباَ إلا أنها لم تكن قد وصلت إلى مرحلة إدراك ذلك، هناك متسع من الوقت للتعامل مع ذلك الشيء،

الآن سيصبح لديها شيئًا يشغل فكرها وسيكون مؤلمًا له إن هو خيب ظنها، فهو يعرف كم كانت تتمنى أن يكون لديها حصانها الخاص.

- طفلي العزيز، إن هذه المهرة مسروقة، إن سعرها غالٍ جدًا لدرجة أنها لا يمكن أن تكون بلا مالك، إذا ما كان مالكها على قيد الحياة فبالتأكيد سوف يستعيدها، سنعتني بها طالما هي بحاجة لذلك، ولكن لا تنسَ أنها ليست ملكك.

- ولكنها تريد أن تبقى معي، ألا ترى ذلك؟

انهمرت دموعها التي كانت على أهبة الاستعداد، تابع التاجران تلك المحادثة المهمة، ثم إذا بروبين لارسون يرفع صوته فجأة مقررًا:

- إن صديقي الموقر وأنا، وكتعبير عن شكرنا الكبير للخدمة النفيسة التي قدمها لنا غابرييل حيث أنقذ ـ في الحقيقة ـ حياتنا وممتلكاتنا، قد قررنا أن نودع مبلغًا من المال لدى رئيس الدير، هذا المبلغ سيخصص لشراء هذا الحصان مهما كان ثمنه، إن تقدم مالكه، وإن لم يحصل ذلك فإن المبلغ سوف ينتقل إلى غابرييل، سيد دانييل كم تعتقد ستكون كلفة هذه المهرة؟

لم تسمع هيلينا إجابة دانييل، أحاطت رأس المهرة بفرحٍ غامر وقالت لها هامسة:

- والآن أنا وأنت، فقط أنا وأنت.. واسمك سوف يكون نايك.

# الفصل الثاني عشر

كان السكون قبل أن تمطر، العصافير ساكنة، أخفت الأزهار كؤوسها واستراحت الرياح فوق قمم الأشجار، امتطى رايم حصانه باتجاه الميناء في هستهولمين، كان في عجلة من أمره كي يعثر على سقف يحتمي به قبل أن يأتي المطر الذي طال انتظاره، كانت الأرض الجافة تصرخ طالبَا للماء، وفي الخارج في الحقول تدلت كيزان الذرة ذابلة.

ترك حصانه في الاسطبل ثم دلف إلى الداخل كي يستأجر سريرًا في الحانة، وكالمعتاد فقد كان المكان مكتظًا بالمسافرين الذين ينتظرون الحصول على مكان بأي من المراكب التي تبحر في بحيرة فاترين، والذين كانوا بحاجة ماسة لتهدئة جوعهم وإرواء ظمأهم، وجعلت الأمطار التي تقترب أن لا أحد منهم يرغب بالنوم تحت السماء العارية، هز صاحب الحانة رأسه كجواب على سؤال رايم، فكل الأسرة قد تم شغلها بالفعل.

- ولكن اسأل في الاسطبل، فلربما كان لديهم مكانًا في العلية، سيكون الجو بالفعل غير جيد خلال المساء وسيكون مطرَا شديدًا مصحوبًا بالرعد، هذا ما يمكن أن تشعر به من الهواء، عذرًا عليّ الآن أن أعتني بزبائني، أنا آسف لأني لا أستطيع المساعدة.

ترك رايم تلك الغرفة المزدحمة المملوءة بالدخان وتوقف خارجًا على السلم، شعر بالهواء رطبًا وحارًا ومن على بعد سمع هدير الرعد المكتوم، كان ذلك هو الهدوء الذي يسبق العاصفة بالفعل، كان هناك سحر بذلك الترقب جعله يتأخر في التماسه، وبدل ذلك هبط نحو رصيف الميناء عند المراكب التي ألقت بمراسيها هناك وسرح نظره نحو المياه الفيروزية لبحيرة فاترين، كانت تفوح رائحة البحر والقطران.

كم صيفًا مر عليه وهو يأتي إلى هستهولمين ولنفس السبب؟ رجع بالعد إلى الوراء، عشر سنوات، كثير من السنوات مرت وفي قلبه قلقًا وهو يتتبع آثار هيلينا إلى هنا في هستهولمين، هنا فقط كانت تنتهي آثارها.. وهو، الذي كان أشهر متتبعي الأثر في بيالبو قد فشل في مهمته، وكانت هذه هزيمة لم يعترف بها.

واصل بحثه عن هيلينا مستعينًا باسم أنغريد ـ أيلفا، وبكيس نقودها، ولكن بلا أي نتيجة تذكر، كان يأتي في كل صيف إلى هنا، إلى هستهولمين، كي يصعد إلى مركب يطوف به على كل المرافئ الواقعة على شواطئ فاترين.

من تلك المرافئ كان ينطلق راكبًا حيث يدور على كل المدائن، القرى، المزارع والحقول الصغيرة المسورة، سائلاً كل من يلتقيه إن كان قد رأى أو سمع حكايا عن طفلة ذات شعر أشقر والتي اختطفت رغمًا عنهم، كان الجواب على الأغلب بالنفي ولكن مع قليل من الفرص الذهبية، فقد التقى بأناس ادعوا أنهم قد رأوا هيلينا وقد كان يتابع تلك الآثار الباهتة مفعمًا بالأمل، ولكنه لم يكن يصل إلا إلى طريق مسدود.

بعد عشر سنين من البحث العقيم بدأ يفقد الأمل في أن يكون هناك أحد ما قد رأى ابنة كريستينا منيخولد وهي على قيد الحياة، ولو لم يكن لأنغريد - أيلفا أن تتنازل عن رفضها التخلي عن الأمل، لكان قد انتهى على الأرجح من أسفاره.. ولربما لا، أحيانًا، حين كان يستيقظ فجرًا، معتقدًا أنه كان يسمع صوت هيلينا الذي يحضه متوسلاً بعدم الكف عن البحث عنها.

شعر رايم بأول قطرات المطر الثقيلة التي تسقط على جبهته، قطع وميض البرق تلك الغيوم الرمادية، وسمع بقلق صوت الرعد الذي يقترب، كان على وشك الدخول ليستعجل بطلب الحصول على مأوى، عندما وقع نظره على اثنين من الإخوة العاملين في دير قد جاءا يجران عربة ذات ثور، كان يبدو على العربة أنها ثقيلة جدًا، ولقد أسرع رايم مادًا يد المساعدة لهم.

- هذا لطف كبير منك، لقد وضعنا ثور الدير في الاسطبل، ولابد الآن من وضع العربة في غرفة المخزن قبل هطول المطر.

بينما كان الأخوان يسحبان العربة وقد انتفخت أوداجهم أخذ رايم يدفعها من الخلف.

- على أي قارب ستسافران؟ هل هناك قارب يبحر الليلة؟

- كلا، أول قارب سينطلق غدًا عند الصباح الباكر، ولن نستقله نحن، هناك الراهبان من آلفسترا، آموند وغيلبرت، حيث سيسافران للقاء إخوتهم في دير يوليتا مصطحبين معهم حمولة ثقيلة، مهمتنا أن نأتي بالعربة والثور إلى هنا في هستهولمين.

كانوا قد وصلوا إلى رصيف الميناء حين بدأت الأمطار بالهطول.

- بأي المراكب تشحنون عربتكم؟
نظر الرجلان إلى بعضهما مترددين.

- ذلك الذي سيبحر إلى اسكيرسوند، الذي يمكن أن يكون الآن في مكان ما، لقد تأخرنا بسبب أن إحدى عجلات المركبة قد كسرت، والآن يبدو أنه لا أحد من البحارة موجود هنا، إلي أين سنذهب الآن؟.

- لا بأس بذلك، فأنا أعرف أي مركب سيبحر إلى اسكيرسوند، إنه ذلك الذي يقع ثانيَا على الجانب الأيمن من الرصيف، إن الممشى مقطوع لذا فمن الواضح أن عليكما الانتظار.

نجحت جهود رايم في مساعدته الأخوان على زحزحة العربة الثقيلة ورفعها على متن القارب، كان المطر يطرق سطح السفينة غير أن عنبر الشحن كان جافًا.

- نقدم لك الشكر للمساعدة، فبدونك لم يكن باستطاعتنا فعل شيء، ولكننا نرجو المعذرة، فنحن لم نخبرك بمن نكون ولم نسألك كذلك عن اسمك، نحن أخوة دير ألفسترا، اسمي هو بيرتراند وهذا هو الأخ أيسكل.

أخذ رايم يديهما الممدودتين فصافحهما بأدب..

- اسمي رايم وأنا أعمل صيادًا لدى أنغريد ـ أيلفا في بيالبو.

- إنها لمتعة أن نتعرف عليك رايم، إننا الآن متأكدان من أنك تريد الحصول على راحة في سريرك، أما نحن فعلينا أن نقضي الليل هنا على ظهر المركب، حيث لا أحد من البحارة يلوح في الأفق، ونحن مضطران للبقاء هنا لحراسة حمولة العربة.

رأى رايم نفسه في عنبر الشحن، في ذلك الاسطبل يوجد الكثير من القش النظيف.

- لسوء الحظ ليس لدي مكان آوي إليه، ليس هناك من مكان خال في الخان، أتعتقدان أني أستطيع المكوث معكما هنا؟ بإمكاني مساعدتكما على الحراسة وفي الغد سأسأل البحارة إن كان هناك مكان لي ولحصاني على المركب، فأنا مثلكما أريد السفر إلى اسكيرسوند، والى أماكن أخرى.

نظر الأخوان باستغراب..

- أليس لديك وجهة معينة لسفرك، رايم؟!

وبينما كان الطقس السيء يُغطي سماء بحيرة فاترين حدثهما رايم عن أنه يبحث عن طفلة اختفت آثارها منذ عشرة أعوام.

* * *

توقفت الأمطار، وبدت المياه في فاترين هادئة تلتمع، أطفأت الأرض عطشها واغتسلت الأشجار، وأصبح الهواء شفافًا كأنه الزجاج.

ذلك الهيام الأبدي، هذا الذي يسمى القدر، قد توقف في طريقه، إن لديه مهمة يجب أن يؤديها في ذلك المكان الذي يسميه الناس هستهولمين، غلبه النوم رغم عيونه التي تنظر متأملة الرجلين النائمين، في هذه الليلة الصيفية كان

دوره في الحصول على زيارة، هذا العبد السابق، رايم، كان سيكافأ على أمانته وولائه، خالج ذلك الهيام الأبدي رايم فإذا به يسبح في حلم.

كانت هيلينا موجودة في الحلم.. رآها رايم تخرج من الغابة، رآها تتسلل نحو رصيف الميناء في هستهولمين، شعر بخوفها، بيأسها الصامت، رأى كيف أنها قد تسللت دون أن يراها أحد إلى أحد المراكب.

في الحلم كان بالقرب من كعبها حين انسلت نحو عنبر الشحن، التقت عيناهما ـ بالحلم ـ حين رآها تنظر إلى غطاء العربة، هذه العربة، التي عرف - في الحلم - أن رهبان الفسترا سوف يأخذونها إلى الدير في يوليتا، قلب مقاطعة سفيلاند.

* * *

استيقظ رايم بلكزة فاستوى واقفًا بسرعة، نظر بعينيه بصبر نافذ في عنبر الشحن المظلم، حقيقي جدًا، كان حلمًا حيَا أشعره كأن هيلينا كانت هنا، وقف صامتًا، كي لا يوقظ الأخوين، همهم وهو يتقدم نحو تلك العربة المغطاة، هل يمكن أن يكون الذي حدث هو ما تراءى له في الحلم؟ هل أخفت هيلينا نفسها بعربة كهذه؟ ألذلك كانت آثارها تنتهي عند الميناء؟ ولكن إذا كانت لا تزال على قيد الحياة، فلماذا لم ترجع إلى عائلتها؟ هل بإمكانه الحصول على إجابة في يوليتا؟.

انحدر القارب وئيدًا في ميناء أسكيرسوند وأمطار المساء قد لطفت الجو، جعلت التنفس سهلاً، وقف رايم عند حافة السفينة، في هذا الصباح، يملأه حلم المساء بالأمل، فبعد سنوات من البحث اليائس أصبح لديه الآن هدفًا، دير يوليتا.

كان قد تحدث مع الأخوين، الأخ آموند والأخ غيلبرت وقد سألهما إن كان بإمكانه مرافقتهما، ولكنه لم يحدثهما عن حلمه، كيف يوضح المرء بكلمات أنه ينوي متابعة حلم من دون أن تتم السخرية منه؟ لأنه كان يؤمن أن إمكانيته على تفسير ذلك ستكون صعبة، ولم يسأله الأخوان أية أسئلة، عدا أنهما كانا ممتنين لأنهما يسافران جنبًا إلى جنب صياد عائلة بيالبو لضمان أمن أكثر أثناء

سفرهما عبر غابات سفيلاند الكثيفة، كان مطلوبًا أن تصان الهدايا المرسلة من الفاسترا من مكر اللصوص.

* * *

كانت الكذبة كأنها "هيدرا" تلك الأفعى الخرافية ذات الرؤوس الكثيرة، إن قطع المرء رأسًا نمت بدله رؤوسًا أكثر.

ركب دانييل على حصانه روريك وإلى جانبه كانت هيلينا تمتطي فرسها نايك، كانا في طريقهما نحو مجمع الإدارات في منطقة "أوبوندا"، وكان قلق دانييل عميقًا، بدا الضعف على القاضي "ينس" واضحًا، فخلال السنين كان بصره يضعف، لذلك كان يطلب المساعدة لكتابة الأحكام التي كان يصدرها في المحكمة، ووقع الاختيار على هيلينا.

كانت المحاكم أماكن للرجال فقط، أما النساء الوحيدات اللواتي كن يتواجدن فيها، هن النساء المتهمات بارتكاب جرائم، أصبحت هيلينا أكبر سنًا، وأصبح من الصعوبة الاستمرار بالكذب فيما يخص جنسها، صوتها أصبح أكثر نعومة، جسدها غدا رشيقًا، وتكور صدرها الطري، لحسن الحظ أن سترتها الواسعة كانت تُخفي ذلك، ولكن ولزيادة الأمان فقد قامت كنتا دانييل بشد صدرها بقوة.

كان هو والأخ بيتروس قد تحدثا طويلاً عن مستقبل هيلينا، قريبًا ستبلغ سن الزواج، فما الذي سيحدث إذن؟ كم من الوقت تستطيع أن تعيش ـ بعد ـ بهذه الكذبة؟ وما الذي سيحدث إن انكشف أمرها؟.

ولكن كل نقاشاتهما كانت تنتهي بنفس الطريقة، عليهما أن ينتظرا الآن، بدا كما لو أنهما يريدان أن يجبرا الزمن على التوقف، رافضين الاعتراف أنه عما قريب ستصبح هيلينا امرأة بالغة ولن تبقى بعد طفلة، أما الآن فقد تم استدعائها للمحكمة.

كانت هيلينا تتكلم بسعادة وهي تركب إلى جانبه، غافلة تمامًا صعوبة أنها امرأة، ستوضع تحت تصرف محكمة، كان يبدو عليها شعورًا بأمل مفعم وفضول على حد سواء، ولكن اضطراب دانييل لم يكن فقط بسبب أن سر هيلينا قد ينكشف، لم يكن هذا وحده ما أقلقه في ذلك اليوم، ولكن الخطر الأكبر كان إحساسها بالعدالة.

كان القاضي ينس في قمة السلطة وكان دانييل يعرف أن ابن تور أيرلاندسون، المدعو كورت قد استدعي من قبل آيلين سيغريدزدوتر ابنة مزارع، لقد اتهمت ذلك النبيل أنه قد دنسها عندما كانت في الغابة ترعى أبقار العائلة، كورت تورسون الذي داهم المزارع هو وفرسانه واغتصب النساء العزل، فإن كان والده بخيلاً مخادعًا فإن ابنه كان شريرًا، وسارقًا لا يرحم.

حمل دانييل لآيلين سيغريدزدوتر أعمق إعجاب لأنها تجرأت على الوقوف بوجه السلطة للدفاع عن شرفها الذي فقدته، أصبحت حاملاً بعد أن تم اغتصابها، وقد رفض الرجل الذي كانت مخطوبة له أن يتم زواجه عليها، ولكن دانييل شعر أن النهاية قد تم تحديدها بالفعل.

سوف يطأ كورت تورسون أرض المحكمة مصحوبًا بعدد كبير من المريدين والفرسان وكان قد تردد أن القاضي ينس قد عزم أن يتحدث طويلاً عن حكم الله، كانت آيلين سيغريدزدوتر مجبرة عن طريق نصل حديدي أن تثبت ادعائها، إذا ما حدث ذلك فإنه يعرف كيف سيكون رد فعل هيلينا، وإن لم تستطع أن تعقد لسانها فإنه ستكون هناك كارثة حقيقية فعلاً.

عند وصول دانييل وهيلينا إلى قاعة المحكمة كان هناك بالفعل عددًا كبيرًا من الناس، تركا حصانيهما لدى الخدم الذين كانوا مكلفين برعاية حيوانات زوار المحكمة، أحكم دانييل قبضته على ذراع هيلينا وقادها أمامًا نحو القاضي ينس الذي كان يجلس على منصة حجرية مرتفعة، حياها القاضي بلطف.

- أنت غابرييل أولفسون، اجلس هنا في الأسفل، عليك أن تقوم بتسجيل كل ما أقوله لك، الرق وأدوات الكتابة لديك هناك.

أشار القاضي إلى صخرة مستوية مقابلة لمنصته الحجرية، كان دانييل يود البقاء إلى جانب هيلينا ولكنه رأى أن ذلك مستحيلاً.

- غابرييل، سوف أذهب للجلوس هناك، إلى جانب جارنا القريب.

ضغط على كتفها مشجعًا.

- أنا واثق أنك ستجتاز ذلك على خير وجه.

قال ذلك لكي يهدئ من روعه هو، كما هو الحال دائمًا عندما تواجه هيلينا تحديًا جديدًا، بينما تكون هي هادئة إلى حد مزعج.

كانت محكمة اوبوندا مليئة بالبشر عندما طالب القاضي ينس بالصمت من أجل إلقاء الضوء على تلك القضية التي سوف يبدأ بحثها فورًا.

- لتكن رحمة الرب والقديسة مريم معنا نحن الذين نأتي ثم نذهب، أنتم الذين تنشدون الحق والسلام، أنتم الذين لا تقبلون العبودية أو الحرمان من بركة الكنيسة، كل الذين ينتمون إلى منطقة أوبوندا مرحب بهم هنا في قاعة محكمة اوبوندا.

غرق صوت القاضي ينس وسط هدير الكثير من حوافر الخيل واستدارت الرؤوس كلها نحو الاتجاه نفسه، دخل إلى قاعة المحكمة تورا أيرلاندسون وابنه يلحق بهم الكثير من الأتباع.

كان الهدوء في المحكمة مزعجًا وبالنسبة إلى هيلينا فقد كانت مفاجأة مذهلة عندما تنحى القاضي ينس عن منصته وهرع للقاء النبيل ايرلاندسون، انحنى القاضي احترامًا وطأطأ هامته مرحبًا بوجوده وصحبه في المحكمة.

لم يبدِ الواصلون الجدد الكثير من الاهتمام، كل ما فعلوه أنهم أبعدوا الرجال الذين حضروا مبكرين وأخذوا أمكنتهم بالقرب من منصة القاضي، انتظرت

هيلينا من القاضي أن يوبخ أولئك الرجال الوقحين، أن يقول لهم إنه سيكون من الأجمل لو أنهم جلسوا بعيدًا إلى الخلف، ولكنها انتظرت بلا طائل.

عاد القاضي فأخذ مقعده، وقد أمر الآن أن يتم تنفيذ حكم الشنق باثنين من الخارجين على القانون، سرت همهمة مليئة بالأمل بين جمهرة الناس وقد تضاحك عديدين بصوت عال عندما توسل الرجلين من أجل حياتهم، لم تشعر هيلينا بشفقة للإدانة، لقد نالا جزائهما العادل ولكن سخرية الحشد أصابتها بالغثيان.

ثم جاء الوقت لأصحاب الحقول، فلاحون تشاجروا حول الأراضي والثروة الحيوانية، كتبت هيلينا بدقة وحرفيًا كل الكلام الذي نطق به القاضي.

- أسرع الآن أيها القاضي، لا يمكننا البقاء هنا طوال اليوم، أنت تعرف ما ننتظره جميعًا.

رفع تورا أيرلاندسون عقيرته، مع تأفف متضايق من أولئك الذين تجمعوا على سلالم المحكمة في أوبوندا ارتفعت إلى السماء الزرقاء التي لا تؤتمن، فجأة بدا على هيلينا كأن الحشد قد توقف عن أن يكون أفرادًا منفردين، بل بدا كما لو أنهم قد ذابوا فأصبحوا جسدًا واحدًا وإرادة واحدة سهلة القيادة، شعرت كيف تسلل إليها الضيق، ومن فوق منصة القاضي الحجرية الفارغة التقت نظراتها بدانييل، أومأ لها برأسه وكان من السهل أن تفهم أنه يشعر بنفس شعورها، كان دانييل يبدو مثل مشعل وحيد في وسط ظلام دامس.

ما حدث بعد ذلك سيبقى محفورًا في روحها إلى الأبد، وسوف يسيطر ـ إلى حدٍ كبير ـ على مسار حياتها المستقبلية..

- اقتربي للأمام، آيلين سيغريدزدوتر.

كالسيف الحاد قطع صوت القاضي دمدمة الشفاه، دخلت قاعة المحكمة امرأة نحيفة يدفعها بعنف رجلين بالغين، بدا واضحًا أنها حاملاً، يتبعهم راهبًا يدمدم صلاة باللاتينية.

- هل أنتِ آيلين سيغريدزدوتر التي أهانت بالكلام هذا النبيل المبجل، كورت تورسون واتهمته أنه قد دنسك؟

كان صوت القاضي ينس يقطر احتقارًا وازدراء، وقفت المرأة الشابة باستقامة ونظرت حولها بتحد..

- نعم، هذه أنا..

شعرت هيلينا بإعجاب كبير بابنة المزارع هذه التي كان لديها الشجاعة كي تقف مدافعة عن حقوقها وأن تخوض معركة مع هذا النبيل، كانت جميلة وما تقوم به الآن كان جديرًا بأن يكون مثالاً يحتذى، ولكنها كانت وحيدة تمامًا، وشعرت هيلينا بأنها تريد أن تترك كل الذي تقوم به وأن تقف إلى جانب هذه المرأة لحمايتها ودعمها.

- هل لي أن أرجو من السيد تورسون أن يكون مهذبًا جدًا فيتقدم للأمام؟

مع ابتسامة واثقة ملأت لحم شفتيه سار الرجل النبيل ليصل إلى القاضي.

- كورت تورسون، لقد وضعتم أمركم بين يدي الله وهذا يقودكم إلى الفخر، وأنت قد قبلت بحكم الله لإثبات براءتك، وهذا ما سوف يكون.

كان صوت القاضي يسمع بالكاد وسط هدير أولئك الأعوان المتحمسين، وهذا ما كان الرجل قد انتظره، فلقد كان الترفيه هو السبب الرئيسي وراء سفر هذا الرجل إلى محكمة أوبوندا.

تجمعوا معًا بفرحة مسموعة غامرة بلا حدود عندما دخل حدادان إلى وسط الدائرة الحجرية، وقد أمسكا بأيديهما ملقطين حديديين ضخمين يساعداهما على حمل قضيبين حديديين ملتهبين، توقفا أمام الكاهن المنهمك بالصلاة وقد رش البخور والماء المقدس على الحديد الساخن فسمع صوت أزيز عال حين لامست قطرات الماء ذينك القضيبين الملتهبين.

كانت هيلينا قد سمعت بعض الحكايا عن نصل الحديد، واحدة من عدة أحكام ربانية ولكنه لم تكن ـ حتى اليوم ـ إلا مجرد كلمات بالنسبة لها، كلمات مجردة بلا أي معنى، مجرد صور بلا مشاعر أو روائح.

انفلتت من يدها ريشة البطة التي تكتب بها، صلَّت بحرقة للعذراء لتحمي هذه الإنسانة البريئة، لأن آيلين سيغريدزدوتر كانت بريئة من الزنا، كان يجب أن يكون ذلك واضحًا للجميع وبدون استثناء، وإلا فإنها لن تجرؤ على رفع أي دعوى ضد أي نبيل في أي محكمة، وقد تحدث كورت توريسون عن سمعته وعن نفسه، ثم تحدث القاضي ينس:

- لإثبات برائتك سيغريدزدوتر يجب عليك أن تحملي بيديك العاريتين هذين القضيبين المتوهجين وأن تسيري بهما تسع خطوات، ثم سيقوم القس بفحص جروحك، إذا ما كانت الجروح عميقة فسوف تدانين بالزنا، أما إذا لم تجرحك تلك القضبان الحديدية، فإنك وبمعونة الله سوف تثبتين برائتك.

اعتقدت هيلينا أنها قد سمعت شيئًا خاطئًا، لا يوجد أي إنسان كيفما كان أو كانت، غير مذنب أو غير مذنبة؛ بقادر على حمل الحديد المتوهج بيدين عاريتين من دون أن يحترق لحمه، ارتفع إعجاب هيلينا لشجاعة المرأة الشابة مع كل نبضة في قلبها.

من دون خوف وبصلاة من شفتيها مدت آيلين سيغريدزدوتر يديها المعروقتين، وبجهد واضح وضع الحدادين نصلي الحديد المتوهجين على يديها، صرخت المسكينة ألمًا وانتشرت رائحة اللحم المشوي في كل أرجاء المحكمة.

كادت هيلينا أن تتقيأ وفي تلك اللحظة تمنت لو كان عندها حشد كبير من المحاربين إلى جانبها، رجال يشبهونها هي نفسها، رجال يدركون أنه يوجد هنا رجل شرير أساء لاسم الله وذلك باسم القانون وذكرى الكنيسة الطيبة.

نجحت آيلين سيغريدزدوتر أن تتقدم عدة خطوات مترنحة قبل أن تسقط على الأرض فاقدة للوعي.

نهضت هيلينا كي تندفع مسرعة نحو تلك المرأة المعذبة عندما رأت نظرات دانييل المحذرة على الجانب الآخر من المحكمة فتوقفت، كان هذا شيئًا متأخرًا فقد فات الوقت على إنقاذ آيلين سيغريدزدوتر، فإذا ما حاولت التدخل الآن فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى شقائها وشقاء دانييل.

نهض القاضي ينس من على منصته الرخامية وقام هو والراهب بتفحص يدا المتهمة، كان القضيبان المتوهجان قد أحرقا الجلد واللحم حتى بلغا العظام، تكلمت تلك الجروح الخطيرة بلغة واضحة، كان الله في حكمته قد أثبت خطيئة آيلين سيغريدزدوتر.

أعطى القاضي الأوامر لرجاله، المرأة سيغريدزدوتر التي لا يزال قلبها ينبض والتي تحمل في أعماقها طفل الخطيئة، يجب أن تعلق الآن.

بكل عجزها، وبكل الألم الذي ملأها، وبكل الغضب المجهول رأت هيلينا كيف تم جر المرأة بعيدًا، كيف وضعت الأكف الخشنة الحبل حول عنقها، وكيف تم رفعها إلى شجرة إلى جانب ذينك الخارجين على القانون، ارتعاشات كبيرة وكثيرة، وروحين بريئتين قد تم إخمادهما.

عاهدت هيلينا نفسها بأنها، مطلقًا، لن تنسى شجاعة آيلين سيغريدزدوتر، من بعيد وكأنها في عالم آخر سمعت القاضي ينس يتحدث إلى الجمع بصوت مرتفع.

- عدالة الله قد أظهرت أن النبيل كورت تورسون بريء من التهمة التي أقيمت ضده، وقد نالت آيلين سيغريدزدوتر عقابها العادل وبذلك فقد استعاد كورت تورسون شرفه، وكتعويض صغير عن الأضرار التي تعرض لها فأنا هنا أحكم أن يأخذ النبيل تورسون نصف ممتلكات المرأة المذنبة.

بدت هيلينا كأنها مخدرة، رسمت أصابعها الحروف على الرقعة الجلدية المتيبسة دون أن تكون على علم بما كان ذلك، فهذا الذي شهدته والذي سمعته لا يمكن أن يكون حقيقة، لا يمكن أن يكون صحيحًا، يجب أن يكون ذلك مجرد كابوس، حلمًا سوف تستفيق منه سريعًا.

- ها هي أجورك.

ألقى القاضي ينس كيسًا من الجلد تجلجل فيه القطع النقدية، نظرت هيلينا إلى الكيس مأخوذة متخدرة، وقفت ببطء متناولة الكيس بإبهامها وسبابتها، كما لو كان الكيس مجرد قذارة لا تريد لمسها، ثم رمته بعد ذلك تحت قدمي القاضي ينس.

- أيها القاضي، احتفظ بنقودك اليهودية أنا لا أريدها، وعليك أن تعرف أني لن أعمل بعد الآن كاتب لديك.

برأس مرفوع وبألم وغضب يعتمل في قلبها تركت هيلينا بناية المحكمة، وبعيون أعمتها الدموع بحثت عن فرسها، وعندما رأت نايك أخيراَ انحنت متثاقلة على خاصرة المهرة وبكت كما لم تبكِ من قبل، حاولت عبثًا أن تنسى تلك الصورة المرعبة عن آيلين ولكن رائحة اللحم المحترق كانت تحوم حولها، ذراع حول كتفها، كفًا حانية تحاول أن تمسح دموعها.. دانييل..

- علينا أن نبتعد عن هنا وبسرعة.

من خلال دموعها رأت هيلينا أن دانييل كان خائفًا جدًا.

- لقد سمعت ما قلته للقاضي، أنا معجب بك من أجل ذلك، ولكن السؤال هو إن كان في ذلك شيئًا من الذكاء؟ القاضي ينس يمتلك السلطة، والسلطة لا تسمح لأحد أن ينجو من العقاب.

# الفصل الثالث عشر

- عزيزي رايم، أنا والأخ آموند نشكرك لأننا قد سافرنا معك، ولكننا الآن سنمضي في طريقنا، سنكون قريباً عند المضيق في طريقنا نحو أوليارين وسوف نترك هناك عربتنا مع الثور وسنكمل مشوارنا على متن زورق آخر، إن السفن التي تُبحر في أوليارين صغيرة جدًا لا يسعها حمل الأحمال الثقيلة كالتي لدينا وأعتقد أنك ستمتطي حصانك، رئيس الدير ستيفانوس سيرسل رجلاً ليقود عربتنا على الطريق الكبير حتى يوليتا.

- شكرًا لكما على الرفقة الطيبة، ولكن ألن نلتقي في يوليتا؟ هل أستطيع الحصول على صحبة رجال آخرين في الدير؟

- بالتأكيد يمكنك ذلك، ولكننا أنا والأخ آموند سنودعك هنا، سوف نكون مشغولين تمامًا داخل جدران الدير.

ودع رايم كلا الراهبين شاعراً بالفراغ، حقيقية أنهما لم يتحدثا كثيراً خلال الرحلة، كانا يميلان إلى الصمت، ولكنهما مع ذلك كانا قريبين منه.

رأى رايم أن رصيف الميناء مملوء بالناس، لكنه عرف غريزيًا من الذي كان بانتظار الراهبين القادمين من ألفسترا، كان الرجل يرتدي رداء بسيط من قطعة واحدة وسترة من الكتان البني الفاتح الخشنة، وفي قدميه انتعل حذاءًا جلديًا طريًا وعلق على كتفه قوسًا وجعبة سهام، ربما كان في نفس عمره هو، كان شعره متوسط الطول أشقر بلون نبات الشيلم وكانت ملامحه دقيقة حادة، كان يتحرك بخفة أعطت رايم انطباعًا بأن هذا الرجل كان معتادًا على العيش في الغابة كما في السهول.

بلغ البحارة رصيف الميناء وألقوا مسرعين الجسر المتحرك، كان رايم والراهبين أول الواصلين إلى الأرض، تقدم الرجل ذو القوس نحو الراهبين.

- مرحبًا بكما هنا، أرجو أن تكون الرحلة قد مرت بدون مصاعب، اسمي هو دانييل أولوفسون وأنا الصياد الخاص بدير يوليتا، وسوف أتولى أمر عربتكما.

- نشكر لك لطفك، اسمي هو الأخ غلبرت وهذا هو الأخ آموند، ثم استدار الأخ غلبرت ناحية رايم، وهنا رفيق سفرتنا، رايم، وهو مثلك بالضبط دانييل، إنه صياد، وهو في طريقه أيضًا نحو يوليتا.

نظر كلاً من رايم ودانييل إلى بعضهما، وراق لهما ما شاهداه من بعضهما.

- إن كنتما، الأخ آموند والأخ غلبرت، تريدان أن تصعدا - كما أتوقع - إلى القارب الذي يلقي بمرساته هناك، عند الجسر داخل تلك القناة الضيقة، فسوف أعتني أنا بالعربة والثور.

أشار دانييل إلى مركب صغير، أحنى الراهبين رأسيهما شكرًا ومشيا في طريقهما مبتعدين.

- هل أستطيع أن أطلب مرافقتك نحو دير يوليتا؟

نظر رايم إلى دانييل متسائلاً.

- بالطبع، فإن في الصحبة متعة.. سأرى فقط إن تم إخراج العربة والثور من عنبر الشحن، هل حصانك هناك؟

أومأ رايم برأسه إيجابًا ثم صعدا إلى المركب سويًا..

ربت رايم على حصانه وتحدث إليه مهدئًا بينما كان يقوده فوق الجسر المتحرك للمركب، هو نفسه كان بحاجة لشخص ما يتكئ عليه، شخص يمكن أن يلجم شكوكه المتزايدة، الأمل الذي اشتعل، والذي احترق تمامًا عندما غادر هستهولمين قد هدأ الآن، لم يبق غير جمرات صغيرة مشتعلة من كل ذلك الحريق الذي كانت نيرانه عنيفة، كان يطارد حلمًا، وبالطبع كلما اقترب من هدفه سمع الشياطين وهي تضحك متهكمة، كيف يمكن أن يكون بمثل هذا الغباء، ساذج بما فيه الكفاية لكي يحمل نوعًا من الإيمان بحلم؟!

- إذن، ألا يجب علينا أن نسير في طريقنا الآن؟ لقد تركت حصاني هناك في أعلى التل، إنه الذي يقف هناك يدك الأرض بحافريه بفارغ الصبر قرب شجرة البتولا العالية.

لسع دانييل الثور بلجامه كي يجعله يبدأ بالسير، أصلح رايم وضعية قوسه الذي علقه على ظهره ثم امتطى صهوة جواده وببطء غادرا منطقة إعادة الشحن.
الفارق عن الراهبين كان حب دانييل للكلام، فبينما كانا يسيران بمحاذاة شاطئ بحيرة أوليارين حدثه دانييل عن المنطقة، وعن الناس الذين يعيشون فيها، عن الدير وعن إمكاناته بمطاردة الفرائس، شعر رايم أنه مستمتع في صحبة دانييل أولوفسون، أسبغ عليه الرجل سلامًا وراحة، هدأ قلق رايم الذي أزعجه والشكوك التي ما انفكت تلازمه.

ولذلك حين جاء وقت السؤال فإنه لم يكن مستعدًا له، كان ذلك غريبًا بما فيه الكفاية في أن يكون معلقًا بين السماء والأرض أكثر من أي وقت منذ أن التقيا ببعض على رصيف الميناء.
- من أجل ماذا أتيت إلى يوليتا، هل ستزور أحد؟

خفق قلب رايم بشدة أكبر وتعالت أصوات الشياطين في داخله محذرين أن يتحدث عن قضيته، إنه فقط سيسخر منك وسوف تفقد احترامه لك، ولكن في تلك اللحظة الذهبية توهجت نار الأمل مرة أخرى وتجرأ رايم على الإيمان بحلمه.

- أبحث عن فتاة، طفلة، اختفت منذ عشرة أعوام دون أن تترك أثرًا، كنت في كل صيف منذ ذلك الوقت أخرج باحثًا عنها، ولكن دائمًا بلا جدوى، أستطيع أن أقول بصراحة إني قد بدأت أفقد الأمل، ولكن لا يزال هناك بقية من أمل...

بينما كانت قصة رايم تنطلق متدفقة؛ توقف دانييل عن التنفس، أطبق على إبهاميه بكل قوة حتى ابيضت مفاصل أصابعه، هل يمكن أن يكون ذلك معقولاً؟

- ما اسمها، ابنتك؟ أنا افترض أن من تبحث عنها هي ابنتك.
كان دانييل خائفًا من الجواب..

- اسمها هيلينا سيغريدزدوتر وهي ليست ابنتي، إنها ابنة كريستينا منيخولد سليلة عائلة بيالبو، مؤسسو المملكة الأوائل، والدتها هي ابنة دوق المملكة، وأحد أشقاء أمها بيرغر ماغنوسون خطيب شقيقة الملك، والآخر هو الأسقف بينغت أسقف يانشوبنغ، أما الشقيق الثالث لأمها فهو القاضي أيسكل، قاضي مقاطعة فسترغوتلاند، هل تعرف شيئًا عن مصير هيلينا؟ هل تكون قد قدمت إلى هنا... إلى يوليتا؟.

لم يفهم دانييل سؤال رايم فلقد كان مشوشًا، إنها ليست بالطبع هيلينا العائدة له، الطفلة التي ترعرعت وكبرت في بيته، هي المقصودة بسؤال رايم.. مشاعر الشك، الألم، الفرح، التعجب وعدم اليقين سرت كلها في داخله، يجب أن يتكلم مع الأخ بيتروس ليسمع منه ما يجب فعله مع أسئلة هذا الرجل.

- هناك إلى الأمام تقع يوليتا، هل يمكن للمرء أن يتصور مكانًا أجمل منها لبناء دير؟
حاول دانييل أن يجعل صوته ثابتًا.

شعر رايم أنه مجروح، لقد تم تجاهله، عندما امتلك الشجاعة ـ أخيراَ ـ للتحدث عن حلمه لم يحصل إلا على شخص مضجر غير مكترث، وهذا ما لم يكن ينتظره من دانييل الطيب هذا.

- سأدلك على المضافة، يمكنك أن تترك حصانك في الاسطبل المقابل للدير.

كانا في الجزء الأخير من رحلتهما نحو الدير، وقد غرق كل منهما بصمتِ عميق، كلاهما كان مشغول بأفكاره الخاصة.

التقى الأخ المساعد بالأخ بيتروس خارجًا في حديقة الدير، كان بيتروس يقوم بقلع بعض الأدغال وقد أحيط بسحابة من الفراشات المرفرفة فوقه، فراشات

بيض كزهرة القرنابيط، وأخرى صفراء كأنها الليمون، فراشات ذات وبر مليئة بالألوان وفراشات ذات أجنحة عريضة زرقاء.

أخبره المساعد أن دانييل أولوسون يود التحدث إليه بأقرب ما يمكن بقضية بالغة الأهمية، أمسك الاضطراب فورًا بالأخ بيتروس فمنذ الذي جرى في محكمة أوبوندا فإنه ودانييل قد كانا على ثقة أن القاضي ينس سيجد طريقة ليعاقب بها هيلينا لشعوره بالإهانة التي ألحقتها به، ركض الأخ بيتروس بكل سرعة لدرجة أنه كاد يتعثر بكعبيه، كان دانييل بانتظاره خارج بوابة الدير، أومأ برأسه إيماءة خفيفة للتحية.

- دعنا نذهب نحو الجسر، هناك يمكننا التحدث بهدوء.

- ولكن دانييل ما الذي تريد أن تسأل عنه؟ هل حدث شيء خطير، هل هو شيء يتعلق بما فعله غابرييل؟

كان الأخ بيتروس يشعر بصعوبة في اللحاق بدانييل، سارا على الجسر داخل القصب الذي احتجز سمكة..

- كنت اليوم في موقع الشحن لمساعدة الراهبين القادمين من ألفسترا.

- نعم هذا ما أعرفه، ولكن ادخل في المسألة دانييل.

- لم يكونا وحدهما، لقد كانا يسافران بمعية رجل من بيالبو أوسترسوند، إنه يبحث عن طفلة قد اختفت منذ عشر سنوات، اسم الطفلة هو هيلينا.

جلس رئيس الدير ستيفانوس والأخ بيتروس في غرفة مكتب رئيس الدير، ذهب دانييل لإحضار رايم من نزل الضيوف.

- إذن فأنت تقصد أن غابرييل، أعني هيلينا من الممكن أن تكون هي هيلينا سيغريدزدوتر التي يبحث عنها الصياد رايم؟

بدا على رئيس الدير ستيفانوس الانزعاج الشديد.

- بالفعل لقد كان شيئًا كبيراً جدًا، أن تُخفي نفسها في عربة من هستهولمين، ولكننا لن نكون متأكدين قبل أن يُلقي عليها نظرة، رايم هذا.. على الرغم من أنه قد تغير فيها الشيء الكثير خلال السنين العشر، ولكن....

قاطعه رئيس الدير:

- لقد كنا نشتبه دائمًا أنها لابد أن تكون قد جاءت من عائلة ما، ولكن أن تكون من عائلة بيالبو، إن ذلك يبدو تقريباً شيئًا غير محتمل!.

سمعا طرقًا على الباب، دخل دانييل ورايم.

* * *

لقي رايم حفاوة في استقبال أحد الأخوة المساعدين في المضافة أو نزل الضيوف، دله على سريره وأخبره أن موعد الطعام سيكون حين تبدأ السماء بالظلام، وقد شعر هو نفسه بالحيرة أكثر من أي وقت مضى أثناء بحثه الطويل.

أين يجب أن يبدأ؟ هل يتحدث إلى بعض الرهبان أو الإخوة المساعدين، أو ربما مباشرة مع رئيس دير يوليتا؟ و... ما الذي حدث مع الصياد دانييل أولوفسون الذي تصرف في البداية باهتمام بالغ وهو يستمع لقصة بحثه عن الطفلة المفقودة، ولكنه بعد ذلك بدأ يتجنب الإجابة على أسئلته؟ أخذ يشعر أن نزل الضيوف أصبح فجأة ضيقًا لا يتسع لأفكاره.

خرج إلى خارج البيت وتنفس عدة مرات بعمق، وجعل ينقل نظراته في المكان مستكشفًا، على يمينه يقع الدير خلف جدرانه المرتفعة، ويرتفع برج الكنيسة الدقيق نحو سماء زرقاء.

تحيط الدير مروجًا مزهرة، وحقولاً منسقة، وليس ببعيد جدًا بدت غابات خضراء مغرية، أمامه بدت أوليارين ملتمعة، وقد كان الهواء مشبعًا بعطور أواخر الصيف المفعمة، نزل إلى الشاطئ، حيا بطتين ملونتين تتهاديان مع فراخهما الصغيرات اللواتي سرعان ما سبحوا داخلين إلى ذلك القصب الكثيف،

قريباَ منه طارت عدة نوارس تصرخ بصوتٍ عال، جفل حين شعر بيدٍ ثقيلة على كتفه، كان دانييل أولوفسون يقف خلفه.

- يود رئيس الدير ستيفانوس أن يتحدث إليك، رايم.
- معي؟ لماذا؟ وكيف عرف رئيس الدير أنني هنا؟
- هذا ما سيقوله لك بنفسه، ولكن تعال الآن، رئيس الدير ينتظرك، إنه رجلٌ مشغول جدًا.

سمح لنفسه بالانشراح لذلك، فتح أحد الإخوان المساعدين بوابة الدير المغلقة وحياهما مرحبَا، أخبر دانييل أن رئيس الدير بانتظارهما، تطلع رايم بفضول نحو ذلك العالم المغلق الذي أقامه الدير بينما كان يسرع الخطى بعد دانييل، حاول أن يستوضح عن كيف يجب أن تكون الحياة خلف هذه الجدران، عن العيش حياة في صلاة وهدوء، لشخص مثله صديق للحرية في الفضاء، في الغابات والسهول، سيكون ذلك شيء غير وارد.

كانا قد وصلا قريبَا من بناء يعتبر منخفضًا بالنسبة لهما، وقد افترض رايم أنه منزل رئيس الدير، مشى دانييل صاعدًا بخطوات واسعة بدون أن يبتعد كثيرَا عنه، وعبرا من خلال غرفة واسعة قبل أن يكونا أمام باب موصد، طرق دانييل الباب ففتح وسمح لرايم بالدخول، رأى في الغرفة رجلان، رئيس الدير وأحد الرهبان.

انحنى رايم طويلاً ورأى نفسه يقف في غرفة جميلة تمتاز بالبساطة، مكتب قوي البنية مشوش بأكوام أنيقة من وثائق مربوطة بإحكام، عدد من المقاعد، مائدة، شمعدانيين معدنيين وعلى الجدار المطلي باللون الأبيض قد علق صليبَا.

- تفضل واجلس بني.
أشار رئيس الدير إلى أحد المقاعد.. جلس رايم حذرًا..

- إنك تتساءل حتمًا عن أي من القضايا أود أن أتحدث بها معك؟ لقد تنامى إلى علمي أنك تبحث عن طفلة مختفية، لربما استطعنا مساعدتك على حل هذا

اللغز، ولكن أولاً أود لو أسمع المزيد، هل بإمكانك أن تحدثني عن كل شيء من البداية؟ حدثنا عمن تكون تلك التي تبحث عنها، من أي عائلة تنحدر وكيف يمكن أن تكون قد اختفت؟

مسح رايم رقبته وشعر بهدوء عجيب، ولكن مع ذلك فإنه متعب بشكل لا يمكن أن يوصف، إنه يشعر كما لو أنه قد أنهى يوم عمل شاق، وها هو الآن يستطيع أن ينال قسطًا من الراحة، أخذ نفسًا عميقًا وتحدث لأولئك الأتقياء الثلاثة المستمعين باهتمام، حدثهم رايم عن تاريخ اختفاء هيلينا سيغريدزدوتر المأساوي.. مر ملاكًا خلال الغرفة.

- السؤال الذي سأسألكم إياه هنا في يوليتا هو نفس السؤال الذي كنت قد سألته لعدد لا يُحصى من الرجال طوال فترة بحثي، هل تعرفون شيئًا عن المصير المحزن لهيلينا سيغريدزدوتر؟.

كان الصمت الذي تبع ذلك مشحونًا ومليئًا بالمزيد من الأسئلة، نظر دانييل وبيتروس لرئيس الدير ستيفانوس، منتظرين منه أن يتكلم بدلاً عنهم..

- طرق الرب لا يسبر غورها، والآن فإنه قد أرسلك إلينا هنا أيها الطيب رايم، قبل عشرة أعوام جاء إلى هنا الأخ بيتروس من الدير في الفسترا، وكانت معه طفلة صغيرة، طفلة فقدت كل ذاكرتها.. بدت كمن ولد حديثًا رغم أنها كانت في الخامسة تقريبًا، لقد أخفت نفسها تحت غطاء العربة التي كان الأخ بيتروس وأخ آخر قد سافرا عليها، ولكن الآن فلقد جاء دوركما بيتروس ودانييل منذ ذلك النهار الصيفي منذ عشر سنوات مضت.

أصغى رايم بينما كانت دموعه تنهمر على أخاديد وجهه، طوى يديه على بعضهما شاكرًا ربه.

- ومع ذلك، لا يزال هناك شيء واحد قبل أن نكون متأكدين أن هيلينا التي عندنا هي نفس هيلينا سيغريدزدوتر التي يبحث عنها رايم.

عاد رئيس الدير للكلام.

- عليك أن تقابلها، أو على الأقل انظر إليها، فإذا ما عرفتك فلربما ستنفتح أقفال الذاكرة، إنها تعتقد أن أمها ميتة، وكانت الروئا المرعبة هي التي ـ على الأرجح ـ قد أغلقت الباب على ماضيها، ولكنها إن لم تتعرف عليك فلن تكون مجبرة على الذهاب معك.

نظر بيتروس إلى رايم بجدية..

- أين هي الآن؟

ارتعد صوت رايم بحركة كابحة، ابتسم دانييل من ذلك.

- ذلك ما تعرفوه، إن لدى هيلينا دروبها الخاصة، لربما تكون في الخارج، في الغابة أو خارجًا تصطاد السمك عند أوليارين، قد تكون في المنزل في أستونا، أو لربما هنا في منطقة الدير، لا يوجد أحد بإمكانه السيطرة على هيلينا، ولكني أقترح أن نركب إلى المنزل في مزرعتي، على الأقل سوف تأتي إلى هناك، هل علينا أن نقوم بذلك؟

كان ستيفانوس يرغب في أن يرافقهم ولكنه خشي أن تثار كثير من الأسئلة عن سبب زيارة رئيس الدير لمنزل صياد الدير، رغم أن ذلك كان مغريًا.

- أيها الأخ بيتروس رافق رايم ودانييل وعند عودتك أرجو أن تسارع لتخبرني عما سوف يحدث، حتى وإن كان الوقت متأخرًا، الآن علي أن أودعكم، فواجباتي تدعوني للعمل.

ترك الرجال الثلاثة بيتروس، دانييل، ورايم منزل رئيس الدير، وأسرعوا لإسراج خيولهم ثم ركبوا مسرعين قاصدين ايستونا، خلال سنوات بحثه كان رايم قد سافر عددًا لا يحصى من الأميال ولكنه لم يشعر أن الطريق طويل كما هو عليه الآن، وعندما وصلوا كان قلب رايم يدق وكأنه سيخرج من صدره.

لم تختلف مزرعة دانييل عن باقي المزارع، حول الفناء يوجد اثنين من البيوت الصغيرة، حظيرة، مخزن لأغراض المزرعة، ومستودع، عاد الشك يشتعل في داخله، الشياطين تهمس مرددة في أذنه: إنها ليست هي، لن تستطيع ابنة

عائلة بيالبو أن تعيش في مثل هذه المزرعة الفقيرة، أنت شخص مجنون رايم، هيلينا سيغريدزدوتر ميتة.

جاء سكان المزرعة لتحيتهم، متسائلين عمن يكون هذا الغريب، أبناء دانييل الشباب وزوجاتهم، ولكن كان هناك أيضًا عدد من الأطفال، أجال رايم النظر في وجوههم وكانت خيبة أمله أكبر من أن يخفيها، ليست هيلينا من بينهم، كان قد تابع أثرًا أعمى أكثر من مرة.

- لدينا ضيف، رايم، إنه صياد ويعيش في أوسترغوتلاند، لنُحضر الآن الطعام والشراب، هل يعلم أحد أين هو غابرييل؟

ذهبت زوجة ابنه مبتعدة، خائفة من الجدية في صوته..

- كلا، ليست لدينا أية فكرة، إنه على كل حال يصطاد في الخارج، هل هو مطلوب لشيء ما؟

بدا الاضطراب على غونار ابن دانييل الأكبر.

- كلا، أبدًا، أنا أتسأل فقط أين هو، الأخ بيتروس يود أن يكلمه.. أليس كذلك بيتروس؟

دمدم بيتروس مجيبًا.. ذابت خيبة أمل رايم وعاوده الأمل، وبسرعة أحضر الطعام، ووضع على مائدة ريفية ذات ركائز صنعت من خشب الصنوبر جعة ذات رغوة، خبز أسمر، مرقة نخاع كثيفة الدهن معطرة بالزعتر البري.

شعر رايم كيف انخسفت بطنه جوعًا، كان ذلك قبل ساعات من الغسق حيث أخر خيوط الشمس وهي تلون الأشجار، الأرض والبيت الذي في الحديقة بلونٍ ذهبي، كان الحديث حول مائدة الطعام يدور بسيطًا، أشياء عن المزرعة، الطقس، الحصاد، الحيوانات.

في داخل عقله الهادئ فكر رايم أنه إذا كانت هيلينا قد عاشت هنا مع أولئك الناس الطيبين فإنها بالتأكيد محظوظة، ولكن للأسف فإنها لن تكون مهيأة للانسجام مع علية القوم في البلاد من الرجال والنساء، سيكون ذلك شيئًا صعبًا،

إن كانت هي فعلاً سليلة عائلة بيالبو التي أخذها دانييل وبيتروس تحت جناحيهما لحمايتها.

أصوات حوافر تقترب مسرعة، فتوقفت الأحاديث حول المائدة، كل الأنظار قد توجهت نحو الطريق، جاء شاب في مقتبل العمر إلى الفناء يركب فرسًا يعدو بقوة، كان يمتطي مهرة كستنائية جميلة ونادرة، أوقف الشاب فرسه بصعوبة قرب المائدة وقد تطايرت الحجارة والحصى من تحت حافريها، وكأنه فهدًا رشيقًا قفز من على ظهر فرسه وبضحكةٍ مجلجلة استدار مسرعًا متبخترًا بمشيته، تراقص الشعر المجعد المشرق في الهواء.

توقف الوقت بالنسبة إلى رايم، كان ذلك كما لو أنه قد وجد نفسه وسط حلم جميل، كان الشبه مع راغنار سيغريدزسون مذهلاً، التقت أخر خيوط ضوء النهار مع الصليب الفضي الذي وضعه الفارس حول رقبته، وابتلع رايم ريقه بصعوبة، كانت حلية يعرفها جيدًا، حصل كل من هيلينا وراغنار على صليبين متشابهين من جدتهما أنغريد ـ أيلفا عندما تم تعميدهما، التقت نظرات رايم بنظرات دانييل وبيتروس المتسائلة وقد أومأ هادئًا.

- إني جائع كذئب.. هل احتفظتم لي ببعض الطعام؟

ألقت هيلينا بنفسها بين اثنين من أحفاد دانييل وبحثت عن قطعة خبز.

- لدينا ضيف غابرييل، سيكون من المستحسن أن تُلقي التحية.

طارت هيلينا واقفة..

- أوه، عفوًا، فأنا لم أره!

- إنه رايم، صياد، بالضبط كما نحن.

مدت هيلينا يدها بتهذيب وصافحت رايم.. عندما لم ير في عينيها الزرقاوين أي خوف ولا ذلة تدب فيها؛ أوقف كل مخاوفه وألقاها بعيدًا، إنها هي هيلينا سيغريدزدوتر من تقف أمامه، ليس بالجسد فقط بل روحها وقلبها.

ولكن بالنسبة لهيلينا فإن مرأى رايم لم يعيد ذاكرتها النائمة إلى الحياة، بخفة ألقت بنفسها ممتلئة حيوية بعد صيد ما بعد الظهر، ومضت كأنها ثعلباَ ووشقًا بنفس الوقت، وقد نجحت باصطياد ظبي.. استدار رايم نحو بيتروس وهمس بصمت:

- غدًا في الصباح الباكر سأسافر عائدًا نحو بيالبو.. الأخ بيتروس، هل تستطيع إبلاغ رئيس الدير ستيفانوس أني أنوي العودة قريباَ حيث سأصطحب معي كريستينا منيخولد، وسوف تأتي مسافرة مع عدد كبير من الأتباع.

# الفصل الرابع عشر

كان الصباح باكرًا في مدينة سكانينغ ومع ذلك فإن الحياة قد بدأت تدب فيها، إنه يوم الافتتاح السنوي لسوق الجعة الشعبي، وكان رجال الاعمال وزائري السوق قد جاؤوا راكبين من كل حدب وصوب، في مكان السوق المقابل لكنيسة جميع القديسين عرض التجار أفضل بضائعهم في أكشاك السوق، وعلى مرج قريب من مضيق نهر "سكينا" تجمعت الماشية المعروضة للبيع.

لم يعد هناك منذ أمد بعيد سوق لبيع العبيد في مدينة سكانينغ، فلقد أمرت أنغريد ـ أيلفا بإلغاء ذلك السوق، في السابق كانت الماشية والعبيد يجمعون في مكان واحد، وكان العبيد يباعون بنفس قيمة بيع الماشية، أو بالأحرى لم تكن للعبيد أية قيمة، كانت سكانينغ سوقًا مهمًا للتسوق، كانت تقع وسطًا بين مجتمع زراعي مزدهر وبين نهر سكينا ذلك الممر المائي المزدحم، تتفاخر المدينة بكنائسها الثلاثة وأيضًا بشيء آخر ألا وهو مستشفى الجذام.

يقع منزل كريستينا منيخولد في شارع الكنيسة المقابل لكنيسة جميع القديسين، وموقع السوق والذي سبق أن حصلت عليه كهدية صباح أول يوم لزفافها، لم تكن تمكث هناك أحيانًا طويلة، فلقد كانت هي وراغنار يمضيان جل أوقاتهما في بيالبو والتي تبعد ما يقرب من ساعة ركوب عن سكانينغ، ولكنها لم تشأ تفويت فرصة التواجد في ذلك السوق ولا حتى أنغريد ـ أيلفا كذلك.

كانت فرصة أن يلتقي الناس بأقاربهم وأصدقائهم خلال أيام السوق، يتبادلون الأخبار، يبيعون ويشترون ويسمحوا لأنفسهم بأن يجربوا كل تلك الأشياء الجميلة التي يعرضها التجار، كان السوق في سكانينغ هو الاحتفال الطويل الوحيد.

كانت أنغريد ـ أيلفا قد واجهت صعوبة كبيرة في النوم وهي تسمع أصوات صرير عجلات العربات، وقع حوافر الأبقار التي تخور، وصهيل الخيول وهي تتوغل إلى غرفة نومها، كانت قد نهضت من مكانها، لم تكن هناك فائدة من محاولة النوم، ارتدت ملابسها وخرجت إلى تلك الحديقة الكثيفة التي كانت تعزل البيت الكبير عن الشارع، وقليلاً لأسفل الحديقة يتدفق نهر سكينا وما زال، وحيث كانت واقفة فإنها تستطيع أن ترى الجسر الذي يؤدي إلى الجانب الآخر من النهر حيث تقع كنيسة سانت مارتن.

تابعت أنغريد ـ أيلفا بنظراتها دوامات المياه المتدفقة وسرى بها تفكيرها يجري نحو فاترين، ومن ثم إلى جزيرة فيسينغ حيث يسكن ابنها بيرغر.

كان بيرغر قد غدا محبوبًا جدًا من قبل الملك الطفل، وقد أخذ على عاتقه دور الحامي لجلالته.. الملك، الذي لقب بأريك الأعرج المتلعثم، حيث كان يعاني من إعاقة في التكلم وكان أعرجًا، كان خاضعًا كلية لمجلس إدارة الدولة، وكان بحاجة لكل صديق يمكنه الحصول عليه.

عبرت بفكرها نحو جزيرة فيسنغ، باحثة عن ابنها، ومن أجل التخفيف عن كاهلها فقد شعرت أن كل شيء حول بيرغر كان جيدًا، لم يكن هو مصدر أرقها، كان هناك شيئًا آخر هو الذي طرد نومها الهادئ وجعله يطير في الهواء.

جلست على أريكة حجرية مسرحة نظرها فوق النهر، هدأ عقلها فاستدعى ذلك النسر الذي يرى الجميع، سمعت خفقات أجنحة، تحسست ذلك الريش الناعم بيديها، أدركت بساطة الجسم. بنظرات النسر؛ تلك التي لم تكن مقيدة لا بزمان ولا حتى بمكان، حاولت العثور على مصدر قلقها.

من الظلال خرجت صورة فارس يمتطي صهوة جواد جامح يسرع الخطى على الطريق الواسع، كانت تستطيع أن تشعر بنفاذ صبره الذي لا يهدأ، كان يجلب معه خبر عن شيء عظيم، خبر لم يكن محزنًا، ولكن عن شيء عظيم طال انتظاره منذ أمد بعيد، جعلت الفرحة وجنتيها تحمران من كثرة الترقب.

- إذن فأنت هنا، لقد بحثت عنك في كل أرجاء المنزل.

جاءت كريستينا منيخولد تسير نحوها، وفي تلك اللحظة شعرت أنغريد ـ أيلفا بأنه من المهم أن تخفي سعادتها وترقبها عن ربيبتها، إنها لا تستطيع أن توضح لماذا، ولكن الحياة قد علمت أنغريد ـ أيلفا أن تثق بحدسها.

- نعم كريستينا، إني أجلس هنا مستمتعة بالصباح، الأصوات القادمة من الشارع قد أيقظتني، لقد اعتدت على الهدوء هناك في بيالبو، هل هناك شيئًا معينًا تبتغينه؟

- كلا مطلقًا، لقد شعرت بالقلق فجأة، لقد تراءى لي أنه قد حدث معك شيئًا ما.. يا للغباء، ما الذي يمكن أن يحصل لك؟

- الكثير كريستينا، ممكن أن يحدث الكثير معي، ولكن ليس اليوم، فالحياة اليوم تبدو جميلة، إنها أيام السوق وأنت وأنا سوف نقضي أوقاتًا سعيدة تمامًا، أليس كذلك؟ أعتقد أن راغنار قد استيقظ بالفعل، لقد كان ينتظر هذا اليوم منذ أمد طويل.

- نعم، فعلاً.. ذلك يذكرني أنني يجب أن أطلب من أحد عمال المزرعة مرافقته عندما يتجول بين أكشاك السوق، أعتقد أنه لا يرغب أن يسير برفقتنا أنا وأنت.

أسرعت كريستينا مختفية داخل المنزل، سمعتها أنغريد ـ أيلفا وهي تنادي على ابنها راغنار الذي أصبح في الخامسة عشر، وليس ببعيد فإنه لن يبقى طفلاً وإنما سيكون رجلاً شابًا، أي طريق قد سلكته السنين؟ إنها تتذكر كما لو كان بالأمس عندما جلست قرب الكاهن خلال تعميد هيلينا وراغنار، وبعد انتهاء المراسيم فقد علقت حول رقبتيهما الغضتين صليبين فضيين.

هيلينا، تلك التي انتظرتها أنغريد ـ أيلفا بذلك الألم الذي ألفته في قلبها لتفكيرها الدائم باختفائها الذي لم تصدقه، بدل ذلك رأت بداخلها فارسًا، فارسًا رأته بعيون النسر، ولكنه لم يعد الآن يركب على ذلك الطريق الواسع المحاط

بالعشب المتماوج، والذي تصفر على جانبيه قمم الأشجار، بل إنه الآن في شارع تصطف على جانبيه البيوت الخشبية المنخفضة.

فجأة بدت أنغريد ـ أيلفا مستعجلة، ركضت إلى الخارج، في شارع الكنيسة وهي ترتدي تنورتها الفضفاضة، نظرت بصبر نافذ بعيدًا بالاتجاه حيث يلتقي شارع الكنيسة مع شارع فوك وشارع "كورب"، ولكن كان من الصعب تمييز شخص معين في ذلك الحشد، كان ذلك أشبه بالبحث عن إبرة بكومة قش، عدد كبير من الناس، خيول وعربات محملة تمامًا محشورة في ذلك الزقاق الصغير، وعلى الرغم من أنه كان شارع ديغرا الواسع الذي يقع على الجانب الآخر من الكنيسة؛ إلا أنه كان الجزء الرئيسي من السوق، ولتجنب التعرض للتصادم فقد وقفت على مقربة من جدار منزل، إلا أنها قد أبقت عينيها مفتوحة بحزم على الشارع، لم تغلق أنغريد ـ أيلفا عينيها خوفًا من أن تفقد أثر الفارس، ذلك الذي سيأتي بالخبر السعيد.

سمعت إلى قربها أشخاصًا يذكرون اسمها كنوع من التحية، ابتسمت وأومأت برأسها ولكن من دون أن ترى أولئك الذين كانوا يمرون أمامها.

اكتشفته أولاً حين كان في الأعلى عند كنيسة جميع القديسين، رايم العبد السابق.. رايم ألذي لم تنتظر أن تراه قبل مضي عدة أسابيع من الآن، إذا لم...

تشبثت أنغريد ـ أيلفا بتلك اللحظة بقوة، واحدة من لحظات الحياة الكريمة والذهبية، لم تعد تسمع من حولها، لم تعد تشعر بضيق المكان أو برائحة عرق الأجسام، إنها تستريح مملوءة بالامتنان والسعادة.. ترجل رايم عن جواده وتقدم نحوها.

- لقد وجدت هيلينا، إنها حية ترزق.

أمسكت أنغريد ـ أيلفا بذراع رايم واعتصرتها بقوة كما لو أنها لا تفكر أن تتركها مطلقًا..

- نعم أنغريد ـ أيلفا، لقد وجدت هيلينا وهي على قيد الحياة.

- تعال، يجب أن نتحدث ولكن ليس هنا، أريد أن أعرف المزيد قبل أن نقول شيئًا لكريستينا.

قادا حصان رايم من لجامه يشقان طريقهما بين جموع الناس منحدرين نحو نهر سكينا، عبرا الجسر ومشيا بعيدًا نحو المرج الذي يقع خلف كنيسة سانت مارتن، هناك كان يمكنهما التحدث بهدوء.

- الآن رايم، أريد أن أسمع الآن كل شيء.. كيف هي، كيف تبدو، لماذا لم تعد إلى المنزل؟ لدي الكثير من الأسئلة وأرجو أن تعطيني أجوبة.

- يمكنك أن تهدأي أنغريد ـ أيلفا، ليس هناك من بأس على هيلينا، إنها موجودة في دير يوليتا في سفيلاند وهي تتمتع بصحةِ جيدة، ولكن قبل أن أخبرك أين كانت هيلينا خلال الأعوام العشرة التي مضت منذ اختفائها فإني أريد أن تعرفي أننا يجب أن نسرع بالذهاب إلى يوليتا.. إنها لم تنحط، إنها تقف بوجه السلطة، إن لديها موقفًا مما هو صحيح وسليم وبشكلٍ ما فقد أصبح لديها عدو هو القاضي في سفيلاند، والآن فإن أولئك الرجال الطيبون الصالحون الذين أخذوا على عاتقهم رعاية حفيدتك، خائفون من أن ذلك القاضي الظالم، الذي جعله النبلاء هناك آداة طيعة، قد خرجوا الآن للانتقام، القاضي ينس يعتقد أن هيلينا هي ابن أحد الفلاحين الفقراء، وإزاء فرد كهذا فشخص مثل القاضي ينس يستطيع أن يفعل به ما يشاء.

- رايم، أنا لم أعد أفهم الآن.

- اجلسي على هذه الصخرة الآن أنغريد ـ أيلفا.. قصتي ستأخذ بعض الوقت.

كانت كلمات رايم بالنسبة لأنغريد ـ أيلفا كقبلات الشمس في يوم شتائي، كتذوق العسل البري، كغرغرة ضحك رضيع سعيد، كعطر الورد، عشر سنوات من الشوق واللهفة قد ذابت بسرعة مثل أخر قطعة ثلج في يومٍ ربيعي دافئ، عندما أنهى رايم حديثه جلست هي ساكنة لحظة طويلة، في محاولة لأن

تتخيل كيف عاشت هيلينا، اختلطت الفرحة العارمة بكون هيلينا حية ترزق مع القلق من ذلك التهديد الذي يحوم حولها، كرئيسة وأم لسلالة بيالبو فقد كان متروكًا لها الأمر الآن في كيفية التصرف.

- رايم، سنفعل الآن ما يلي: سوف أكتب على الفور رسالة إلى بيرغر، رسالة ستحملها أنت، إنه موجود في القلعة الملكية في جزيرة فيسينغ، وهناك ستحكي له كل شيء عن تاريخ هيلينا.. ولكن قبل أن تتوجه إلى جزيرة فيسينغ؛ عليك أن تركب إلى هوف حاملاً مني رسالة إلى قائد الحرس، بيورن ماتسون، كل حراس بيالبو يجب أن يقودهم بيرغر بمساعدة منك رايم، تتوجهون بعد ذلك وبأسرع ما يمكن نحو يوليتا، كريستينا، راغنار وأنا سنلحق بكم بأسرع ما يمكننا.

- هل ستخبري السيدة مينسيخولد أنه تم العثور على ابنتها وهي بخير؟

- ليس الآن رايم، بقدر ما أريد أن أفعل ذلك أفكر في أنه لا بد لي من الانتظار، أخشى أن كريستينا لن تستطيع أن تفقد هيلينا مرة أخرى، إذا ما آذى هذا القاضي اللعين حفيدتي بطريقة أو بأخرى فإني سأجعله يلعن اليوم الذي ولد فيه، لن أقول شيئًا لكريستينا قبل أن يأتي اليوم الذي تقابل فيه الأم ابنتها وجهًا لوجه.

- ولكن ما الذي ستقولونه للسيدة مينسيخولد إذا طلبتم منها فجأة مرافقتكم في رحلتكم إلى الدير في سفيلاند؟

- سأبحث عن عذرٍ ما رايم، لا تقلق بشأن ذلك، أما الآن فعلينا العودة للمنزل، لدي رسالتان كي أكتبهما، وأنت يجب أن تأخذ معك شيئًا ما قبل أن تمتطي جوادك من جديد.

حين رجعتا من السوق، أنغريد ـ أيلفا وكريستينا؛ كان الغسق الأزرق قد نشر أجنحته فوق سكانينغ، نشرتا كل الأغراض التي اشترينها من السوق على الطاولة الخشبية الواسعة في غرفة المعيشة.

- هذا القماش الذي اشتريته من التاجر الألماني، إنه جميل بشكلٍ مذهل، ألا تعتقدين ذلك؟

رفعت كريستينا منيخولد ذلك القماش الحريري ذو اللون الفيروزي المتلألئ وجعلته ينزلق من بين أصابعها.

- نعم سيكون فستانًا أخاذًا.

كانت الحياة في ظل السلطة قد علمت أنغريد ـ أيلفا أن تخفي مشاعرها، ألا تظهر بتصرف أو بلمحة ما يدور في داخلها، على السلطة أن تظهر أقل ما يمكن من علامات الضعف من أجل غاياتها الخاصة، واليوم فقد واتتها تلك القدرة لأبعد الحدود، كيف تسنى لها ألا ترفع ذلك الحزن من فوق كتفي كريستينا فتخبرها أن ابنتها حية ترزق وتتمتع بصحةٍ جيدة! ولكنها لم تجرؤ.

ماذا لو أن رايم قد ارتكب خطأ ما؟ ماذا لو أنها لم تكن هيلينا، تلك التي عثر عليها، وماذا لو أن القاضي ينس استطاع أن ينفذ انتقامه من هيلينا قبل أن يصل إليها بيرغر مع فرسانه؟.

بينما كانتا هي وكريستينا تطوفان بين أكشاك السوق تنتقيان ما ترغبان به من الأغراض الجميلة؛ كانت هي تشغل عقلها بما يجب أن تفعله للقيام فجأة بتلك السفرة الطويلة إلى منطقة يوليتا، ولقد وجدت الجواب على تساؤلها ذاك، فعندما أخذ التعب منها مأخذًا في السوق دلفتا كلتاهما في ظلام كنيسة كل القديسين طلبًا للراحة، حيث جثتا على ركبتيهما أمام تمثال السيدة العذراء، وفي صلاتهما للعذراء مريم جاءها الجواب، لم تعد بحاجة للإتيان بكذبة بيضاء كي توضح لكريستينا لماذا هي بحاجة للسفر إلى دير أخوية سسترسينسر في يوليتا.

عرفت أنغريد ـ أيلفا أيضًا من سيشعل الحماسة من أجل القيام بهذه السفرة الطويلة، ذلك الذي سيساعد على إقناع كريستينا أن القيام بمثل هذه السفرة الطويلة قد أصبح ضروريًا، بالنسبة لراغنار فإن هذه الرحلة ستكون مغامرة.

كان رايم قد ذكر أن ما لم تستطع السنين أن تغيره هو ذلك الشبه الكبير جدًا بين هيلينا وراغنار، ذلك ما كان يقطع أوصال القلب حين تفكر بالصبي، هي تعرف أنه لم ينقطع عن التفكير والاشتياق لأخته، حين كان صغيراً كانت تسمعه يردد اسمها أثناء نومه، ولكن الذي أصابه بالألم أكثر هو شعوره بالذنب لكونه هو الذي نجا من ذلك الهجوم وخرج سالمًا وليست هيلينا.

حاولت كلتاهما هي وكريستينا أن تشرحا له سخافة هذه الأفكار، كانتا تأملان أنها سوف تعود قريبَا، ولكنه لم يكن قادرًا تمامًا على التخلص من شعوره بالذنب.

- أماه، أين ذهبت بأفكارك، ليس معي على كل حال؟ حسنًا، إنك لم تسمعي كلمة مما قلته لك، أليس كذلك؟

- اعذريني كريستينا، ما الذي قلته؟

- إنه ليس شيئًا مهمًا، حدثيني أنت، ما الذي كان يشغلك، هل هناك ما أستطيع المساعدة فيه؟

أسرع راغنار بالدخول إلى الغرفة، عيناه ملتمعتان وقد اشتعل خداه احمرارًا شديدًا..

- إني جائع مثل عشرة ذئاب، متى سوف نأكل؟

ألقى راغنار بنفسه على كرسي، فيومًا طويلاً قد بدأ يلقي بظلاله.

- فعلت خيراَ بمجيئك راغنار، هناك شيئًا أود أن أكلمكما عنه أنتما الاثنان.

صمتت أنغريد ـ أيلفا طويلاً باحثة عن الكلمات المناسبة.

- كما تعرفان أن عائلتنا قد تبرعت بالكثير من الأموال والأراضي للكنيسة ودير سيسترسينسير في فارنهايم وفي ألفسترا، لقد تناهى إلى سمعي أن دير الأخوية في يوليتا يواجه مشكلة كبيرة في استمراره بالعمل، بالعكس من الأديرة في الفسترا وفي فارنهايم فإن دير يوليتا يعاني من الفقر، نحن نمتلك أراضي واسعة هناك في سفيلاند، والآن فإن مسؤوليتنا كمسيحيين أن نؤمن للدير استمراره بالوجود،

لقد قررت أن أتبرع تبرعًا كبيراَ لدير يوليتا، ولكن قبل أن أقوم بذلك فإني أريد أن ألتقي برئيس الدير لكي أناقش معه أفضل الطرق لمد يد المساعدة لهم، يجب أن يتم ذلك على عجل، إن وضعهم حرج وأنا أريد السفر إلى هناك بأقرب ما أستطيع، ولكني لا أريد أن أسافر وحدي، أريدكما أن ترافقاني في هذه الرحلة، ماذا تقول عن ذلك راغنار؟ هل تريد أن ترافقني في هذه الرحلة؟ سنسافر معًا برفقة عدد قليل من الحراس، وسيكون سيفك مرحب به معنا.

قفز راغنار من مكانه عاليًا، طار بعيدًا في الهواء.

- نعم جدتي، ذلك ما أرغب فيه، إن سيفي تحت تصرفك، أنت تعرفين ذلك.

نظرت أنغريد ـ أيلفا إلى كريستينا حذرة، أملت بداخلها ألا تُكتب رغبتها الحريصة على إخفائها على جبينها، ابتسمت كريستينا منيخولد وطوقت بذراعيها كتفي أنغريد ـ أيلفا.

- ستكون هذه رحلة تقررت على عجل، لم تترجيني في كثير من الأحيان أنغريد ـ أيلفا، فإن كنت قد اخترتِ أن نكون أنا وراغنار رفيقا رحلتك؛ إذن بالطبع سنرافقك، متى سيكون ذلك؟.

* * *

مشى بيرغر ماغنوسون على طول شاطئ بحيرة فيسينغ، كان يحتاج للابتعاد لحظة عن القلعة الملكية، بعيدًا عن كل المؤامرات والمكائد التي بدأت تلقي بظلالها على جدران القلعة بشدة.

بدا الملك أيريك أيريكسون كفرخ عاجز محاط بطيورٍ جارحة جائعة، يشعر بيرغر أحيانًا أنه الوحيد الذي أحب الملك الشاب بصدق، وهو الوحيد الذي يقف معه بوجه المجلس ونبلاء المملكة الأقوياء، أما الآخرين فقد كانوا يسعون لتحقيق مكاسبهم الخاصة الدنيئة.

صحيح أن أخاه الشقيق الأسقف بينغت، أسقف يانشوبنغ أحد أعضاء المجلس، ولكنه كان رجل كنيسة تتلخص مهمته الرئيسية في تحقيق مصالح الكنيسة وحاجاتها قبل المملكة.

كان لابد لبيرغر أن يقنع الملك الشاب أن يرافقه للجلوس معه خلال اجتماعه مع أعضاء المجلس لحمايته، وأن يبلغ بيرغر بكل ما يتم مناقشته وإقراره، ليس لأن لقرارات المجلس معنى كبير، بل كانت ضعيفة جدًا وواهية، القوة الحقيقية في المملكة كانت لا تزال هي قوة تلك العائلات الأوسع نفوذًا، كان أعضاء المجلس يسعون وراء قضايا مهمة لعائلاتهم، وبالتالي فإنهم نادرًا ما كانوا يتفقون على شيء له أهمية، لكن الذي جعل بيرغر يبدو أكثر قلقًا في تلك الأيام هو خوفه من أن "كنوت هولمغيرسون" لم يكن متواجدًا في الاجتماع الأخير للمجلس، والشائعات مستمرة بالادعاء بأنه كان يجمع حوله كل أتباعه في مزرعته "سكو" الواقعة في أبلاند، كان ذلك هو القلق الأكبر.

طالما كان بيرغر يشك بكنوت الذي كان يطلق عليه لقب كنوت الطويل، في أنه يطمح أن يضع التاج على رأسه هو، فإذا ما كانت تلك الأحاديث حقيقية فإن ذلك سيكون تهديدًا للسلام الهش، سيكون بديلاً عن انتظار صراعًا دمويًا على السلطة، كان هو بلا حول ولا قوة، وكان هذا الوضع هو ما يثير اشمئزازه أكثر من أي شيء آخر.

توقف هناك ناظرًا إلى صفحة مياه فاترين المتلألئة، يومًا جميلاً هادئ الريح، مثل هذا اليوم كان من السهل أن يؤدي إلى الاعتقاد أن البحيرة غير خطرة، ولكن فقط لمن لم ير غضب فاترين، هديرها الخريفي وسياط موجاتها الموجعة والتي أودت بحياة العديد من البحارة، الخير والشر، النور والظلام، يسيران دائمًا جنبًا إلى جنب.

عد الأمواج، وعندما بلغت الموجة السابعة صخور الشاطئ أعطى لنفسه وعدًا؛ في يومٍ ما ستصبح السلطة بين يديه، وجعل من السماء والشمس والماء شهودًا،

ووعد بأنه عندما يأتي ذلك اليوم لن يسيء استخدام السلطة، لن يستعملها كأداة لتحقيق مآرب شخصية دنيئة، كلا سيبني مملكة حيث يشعر الرجال العاديون، النساء، الأطفال والمسنين بالحرية، وغير الأحرار يجب أن يشعروا بالأمان، مملكة تدار من قبل ملك ذو سلطة قوية يتمكن خلالها من كبح جماح النبلاء وضبطهم، مملكة تُدار عن طريق قوانين مشتركة بدلاً من أن تكون لكل محافظة قوانينها الخاصة كما هو الحال عليه الآن.

نظر بيرغر نحو القلعة الملكية في جزيرة فيسينغ في نهاية الطرف الجنوبي الحاد، حيث تقع قريبة من المياه لمسافة تبدو وكأنها في خضم تيار قوي تستطيع موجات فاترين من اجتياحها.

إذا ما امتلك بيرغر ماغنوسون السلطة بين يديه ذات يوم فإن قلب المملكة لن يبقى طويلاً على جزيرة في فاترين، فمن أجل السيطرة على الأجزاء الشمالية للمملكة وحمايتها يجب على مركز إدارة الدولة أن ينتقل للأعلى، نحو سفيلاند، فقط لو أن السلطة تصبح بين يديه.

بالنسبة له فإنه لا يشعر برغبة ملحة لوضع التاج على رأسه، ربما تكون رغبة شخصٍ آخر، فلا بأس الآن أن يبقى يعمل في الظل فذلك يوفر له مجالاً أوسع للمناورة.. تقدم نحوه رجلاً بدا وجهه مألوفًا يسير بسرعة على الشاطئ، يظهر - من خلال ملابسه - أنه ليس محاربًا، إنه رايم، شعر بوخزة في البطن، ورفرف فوقه قلقًا بدأ يطارده، شيئًا ما يجب أن يكون قد حدث في بيالبو.. يالله، ماذا لو كانت الأم؟.

- السيد بيرغر؟

تقدم رايم للأمام وانحنى انحناءة قصيرة.

- إني أحمل إليكم رسالة من والدتكم، عندما تكمل قراءتها سنحتاج كلينا للحديث معًا.

- ما الذي حدث رايم؟ هل أمي ليست على ما يرام؟

- اقرأ الرسالة أيها السيد بيرغر، إنها لا تحمل أخبارًا مزعجة، فالعكس هو الصحيح.

عندما اختفى أفق الشمس مسرعًا؛ سار رايم وبيرغر ورجالهما نحو المركب التي ستنقلهم نحو أسكيرسوند، حيث يلحقون ببقية الفرسان الذين سوف يسيرون من بيالبو.

كانت مشاعر بيرغر قد انقسمت قسمين، فقد كان من جهة مليئًا بالسعادة والامتنان لأن ابنة أخته لا تزال على قيد الحياة وكان تواقًا تمامًا لنجدتها، ولكن من الجهة الأخرى فإنه لا يريد أن يترك الملك، وخطيبته "أنغيبورغ"، ظل كنوت الطويل ألقى ظلاله السوداء على فرحته.

ولكن الوقت كان ضيقًا وعندما يصلون إلى أسكيرسوند عليه أن يركب مع فرسانه قبل أن تجف بصقة لعابه نحو مدينة أوريبرو، ثم يبحروا على ظهر مراكب تنقلهم على طول نهر يالمارين.

كان بيرغر ماغنوسون قد أخبر رجاله أن أحد أفراد العشيرة الذي يقيم في دير يوليتا مهدد بالقتل ولذلك فهو بحاجة ماسة إلى المساعدة.

# الفصل الخامس عشر

ضحك القاضي ينس ضحكة صامتة دنيئة مقتنعًا بما كتبه وهو يعيد قراءته أكثر من مرة، تطلب الأمر الكثير من التفكير لمعرفة أفضل السبل لمعاقبة غابرييل أولوفسون للإهانة الهائلة التي تعرض لها هو، القاضي.

نعم لقد ذهب الأمر لأن يتهم ذلك الكاتب بالذنب العظيم لما أقدم عليه، لأن ذلك يمكن أن يقوض سلطته كقاضي، إن ما أقدم عليه ابن فلاح عادي يشكل شيئًا نادرًا، فالجرأة على التشكيك بأحكامه ربما ستدفع آخرين أن يحذو حذوه، وهو لن يتجرأ على المخاطرة بمركزه، كان يعرف أن هناك الكثير من سكان المقاطعة الذين كانوا غير راضين لأنه ينحاز دائمًا بأحكامه لصالح النبلاء، وإن حدث واتفق مجموعة من الناس معًا فاشتكوه لدى مجلس المملكة؛ فمن الممكن أن يؤثر ذلك على منصبه كقاضي.

ولكن من الناحية الأخرى فإنه لا يستطيع أن يترك مثل هذه الإهانة من قبل أولوفسون تمر مرور الكرام، لابد من القتال مرة أخرى، وذلك ما كان ينوي القيام به بالجانب الآخر من المبنى الإداري.

سكب لنفسه كأسًا أخرى من النبيذ وشرب مستمتعًا بالشراب ذو لون الياقوت الأحمر، داعب تلك الوثيقة الجلدية المتيبسة بمحبة واضحة، إن انتصاره سيكون مزدوجًا.

من خلال مراجعته لرسالة التنازل القديمة تلك والتي تبين فيها بشكل واضح وجلي أن جد دانييل أولوفسون المدعو أولوف أينوكسون قد تخلى عن مزرعته أستونا لقاء دين سابق لمالك "ستيرنسوند"، وقد كان واضحًا أن تورا أيرلاندسون سيحصل على المزيد من الأراضي، وبذلك سيكون ذلك النبيل مدينًا للقاضي بالشكر والامتنان.

سيكون دانييل أولوفسون في نهاية المطاف مفلسًا، ولن يكون الوغد غابرييل بذلك الغباء كي لا يفهم لماذا قد حدث ذلك، بالفعل فإنه ينوي أن يرسل في الغد رسولاً لأستونا من أجل إخبار دانييل أولوفسون أنه مستدعى إلى المحكمة لأمر مهم، ارتشف القاضي رشفة من الشراب، الثأر والسلطة، كان ذلك شيئًا مبهجًا.

بصمت وتجهم تلقى دانييل أولوفسون ذلك الإشعار بالتوجه نحو المحكمة، كان هناك شيئًا من الاسترخاء في جره للمعركة، فلقد كان الانتظار شيئًا لم يعد يحتمل، لابد من الاعتراف أن القاضي ينس قد تصرف بدهاء، فبدل أن يهاجم هيلينا مباشرة؛ اختار أن يهاجم عائلتها، تساءل دانييل بداخله عن تلك الأكاذيب التي سوف يسوقها القاضي في المحكمة، مهما يكن فإن القاضي سوف يقف موقف المنتصر، فهو لديه القانون ولديه السلطة التي تقف إلى جانبه.

- من كان هذا وماذا يريد؟

كان هذا غونار ابن دانييل يتساءل..

- لا شيء، إنه مجرد عابر سبيل يتساءل كم يبعد الدير عن هنا.

بدا على غونار الاقتناع فعاد إلى الحظيرة، هناك بقرة على وشك الولادة، وسكان المزرعة يأملون ألا يكون المولود عجلاً ثورًا.

بقي دانييل واقفًا في فناء الدار، تطن الأفكار في رأسه طنين الدبابير، ما الذي سوف يفعله؟ يجب أن يتحدث إلى أبناءه محاولاً أن يعلمهم بالكارثة التي ستحل، ولكنه لا يريد لهيلينا أن تكون حاضرة، ماذا لو أنها اكتشفت أنه استدعي للمحكمة، إنه لا يكاد يجرؤ حتى على التفكير.

بشعوره الداخلي رآها تدخل إلى دائرة المحكمة وأمام الجميع وأمام كل شخص ستقول إنها هي التي أهانت القاضي ينس بتلك الطريقة المهينة وعليه أن يعاقبها هي وليس عائلتها، رأى كيف تم القبض على هيلينا، كيف تم وضع الحبل حول عنقها، رآها تتأرجح على المشنقة، مهما حدث لا بد له من محاولة

للحفاظ على هيلينا خارجًا، شكر دانييل نجمة سعده أنها لم تكن موجودة في المنزل حين جاء رسول القاضي، كانت لديها دروس مع بيتروس.

بيتروس الحكيم، يجب على دانييل أن يتحدث معه، فلربما يجد لديه مخرجًا، صاح دانييل على حصانه روريك الذي كان يرعى في مربطه، أسرجه وامتطاه، صاح على من في الحظيرة أنه سيتوجه إلى الدير وانطلق في طريقه.

كانوا قد شكلوا مشهدًا فخمًا، بيرغر ماغنوسون الذي كان على رأس مجموعة حرسه، وهم يسرعون الخطى على الشارع الرئيسي لمدينة أوريبرو في طريقهم نحو الميناء، براياتهم المرفرفة وعباءاتهم الزرق ذات الأسد المطرز بالخيوط الذهبية الصفراء، الوحيد الذي لم يرتدِ عباءة هو رايم، الذي كان يركب إلى جانب بيرغر.

كان عرضًا للقوة والثروة معًا، وكان الناس في أوريبرو ينظرون خلفهم بعيون مفتوحة، وانطلقت الإشاعة فاغرة فاها، الإشاعة التي مفادها أن حرب تقف على الأبواب مرة أخرى. ستكون هذه المرة شديدة على أولئك الذين يشعرون بالفعل بصعوبتها.

طار بيرغر يسبق رجاله وقد اندهش رايم للسرعة التي قطعوا بها المسافة بين اسكيرسوند وبين أوريبرو، قارن متذكرًا نفس المسافة في رحلتهم الطويلة بشكل غير معقول وهو برفقة ذينك الراهبين القادمين من ألفسترا.

كان في المرفأ هياجًا كبيرًا عندما ملأ بيرغر ماغنوسون وحرسه رصيف الميناء، لم تكن المراكب الواقفة قادرة على نقل كل هذا العدد مرة واحدة خلال نهر يالمارين، بنفاذ صبر أمر أنه ورايم وأكثر ما يمكن من الرجال والخيول سيبحرون على المراكب، ثم يركبون جيادهم تجاه يوليتا ثم يلحق بهم البقية بأسرع ما يمكنهم.

حاولت كريستينا منيخولد تغيير مكانها على ذلك السرج النسائي غير المريح، لسبب غير مفهوم أصرت أنغريد ـ أيلفا على السير طوال اليوم وبلا توقف

للاستراحة، وكلما كانت تسأل أمها عن تفسير؛ لم تكن تحصل إلا على نفس الإجابة: أشعر بداخلي أن علينا الإسراع.
وبما أنه كان معروفًا أن أنغريد ـ أيلفا بأمكانها أن ترى، تشعر، تفهم ما يكمن وراء الأشياء، ذلك الذي يحتمل حدوثه للآخرين؛ فقد أطبقت فمها.. لم تفتح شفتيها مشتكية الألم في أردافها أو حاجتها للنوم، إنها حتى لم تذكر الخاتم، ذلك المعلق بسلسلة حول عنقها، كان في كل يوم يصبح أثقل مما في اليوم الذي سبقه، وفي ساعات الليل تشعر كما لو أنه يرقص فوق صدرها، وعندما كانت تمد يدها لكي توقفه عن ذلك كانت حرارة حجر الكهرمان الكبيرة تلك تلسع أصابعها العارية.

ولكن راغنار كان سعيدًا بالرحلة، وكان مصدر فخره الاستماع للحرس، أولئك الذين يتولون حراستهم وقد طغى عليهم شعورًا بالارتياح رغم التعب المتزايد، والآن فإنه لحسن الحظ لم يبقَ من الرحلة إلا القليل.

كانوا يسيرون عبر مشاهد ملونة آخاذة، فإلى يمينهم كان هناك المروج والحقول والغابات والتلال الخضراء الرائعة، وإلى جانبهم الأيسر كانت بحيرة أورليان الزرقاء اللامعة.
- ها هي هناك، ألا ترون برج الكنيسة؟

سمعت كريستينا هتاف أنغريد ـ أيلفا المبتهج ولكن بعصبية واضحة.. كان شيئًا حسنًا أنهم قد أصبحوا الآن قريبين، إنها تأمل أن يعود الهدوء إلى زوجة أبيها، بالنسبة لها فإنها تنتظر الساعة التي تنزل فيها عن ظهر الحصان وتنال قسطًا من الراحة التي تحتاجها وذلك في مضافة الدير.

شعرت أنغريد ـ أيلفا بمعدتها تنقبض نتيجة التوتر والشك الذي عاد مجددًا بقوةٍ أكبر، ماذا لو لم تكن تلك هي هيلينا، ماذا لو اكتشفت أمام بيرغر وكريستينا وكل حرسها أنه لم تكن هناك قضية ما.

بالإضافة لذلك فإنها لم تقل لكريستينا وراغنار أن بيرغر وكل حراس بيالبو قد وصلوا بالفعل إلى يوليتا، فلو أنها كشفت عن ذلك فستفسح المجال للكثير من الأسئلة، أسئلة لن تستطيع الإجابة عليها دون أن تنزلق إلى الكذب، ولكن لحظة الحقيقة قد اقتربت منها.

عندما وصلت إلى الدير كانت تخشى أن أول من ستراه هو جموع حراس بيالبو الذين يتجمعون خارج أسوار دير يوليتا، وأن أول من سيستقبلهم سيكون أخو كريستينا الشقيق، يجب أن تعدها لذلك.

- كريستينا، هناك شيء ما أود أن أحدثك عنه.

- كلا، انظري كم هو جميل المكان المخصص للدير، هل لك أن تتخيلي مكانًا أروع منه؟

ترجلت كريستينا عن حصانها واشرأبت بعينيها ترنو لذلك المنظر الآسر للدير وهو خلف جدرانه التي تحميه، تحتضنه المروج المزهرة، حقول الذرة المتماوجة ومياه أوليارين الزرقاء، انتشرت في الهواء رائحة التوابل العطرة.

بالنسبة لما في داخل أنغريد ـ أيلفا فقد كان تأثير المنظر مختلفًا، نذير الشؤم وشعور الألم الذي لا ينوي التراجع عن رفقتهم قد طغى عليها، أين هو بيرغر، وأين هم الحرس؟ لقد بذلت كل ما في وسعها من أجل ألا تبدي قلقها.

- نعم، في الحقيقة إنه جميل، ولكن دعينا الآن نقصد المضافة ونسأل عن مكان للإقامة، وبينما تذهبان أنت وراغنار للاستراحة سأحاول أنا الالتقاء برئيس الدير.

* * *

أعلم رئيس الدير أن أنغريد ـ أيلفا سونيزدوتر ترغب بالتحدث إليه بفارغ الصبر، لقد كان قد استقبل ابنها بالفعل وأذهله كم كان ذلك الشاب يشع قوة وسلطة مثل ملاك ثائر، ركب بيرغر مع رجاله يعصفون نحو محكمة أوبوندا،

والذين سيقومون بحماية دانييل أولوفسون بسيوفهم، ولكنه طلب قبل مغادرته أن يرى هيلينا بشكلٍ خفي وبدون أن تعرف هي بذلك.

إن كان الراهب الذي قاد أنغريد ـ أيلفا لمنزل رئيس الدير قد دهش أن سيدة قد اندفعت إلى الدير؛ فإنه قد نجح بإخفاء استغرابه ذاك، فمنذ أن وصل بيرغر ماغنوسون وحرسه إلى يولتا؛ الذي كان عدا ذلك ديراً هادئًا، أصبح الآن يموج بطاقة غريبة، فقد لاحظ الرهبان في يوليتا أنهم موجودون ـ فجأة ـ وسط دوامة مذهلة من الأحداث التي كانت ولسبب ما مخبأة عنهم.

بكياسة قابل رئيس الدير ستيفانوس والسليلة الملكية بعضهما، ساد بينهما احترامًا كبيراً وثقة متبادلة..

- مرحبًا بالسيدة أنغريد - أيلفا في يوليتا، إنه لشرف كبير أن يتاح لي التعرف إليكم، ولدكم بيرغر أطلعني أنكم وابنتكم كريستينا تنوون تكريمنا بزيارة.

- أشكركم رئيس الدر ستيفانوس.. ولكن قل لي أين هو ابني؟ كنت أنتظر أن أجده هنا؟

- إن ما تبغينه هنا ليس سرًا بالنسبة لي، وأنا أفترض أنكم تشعرون بالتهديد الذي يطوف حول هيلينا.

لم تستطع أن تحول دون استمرار ذلك الهاجس بالرعب، فإنه لا يمكن لبيرغر أن يكون قد جاء متأخراً جدًا.

- اهدأي سيدتي، فهيلينا بأمان، في الحقيقة إن هيلينا موجودة هنا الآن، القاضي ينس أرسل بطلب دانييل أولوفسون، ذلك الإنسان الصادق الذي يخاف الله والذي عاشت هيلينا تحت كنفه ورعايته، ابنكم - سيدتي - مضى لكي ينقذه.
أصابها الشعور بقرب الفرج بالدوار..

- هل صحيح ما سمعته، إن حفيدتي موجودة هنا، في بيتكم؟

- نعم، نحن لم نجد أمامنا حلاً آخر، فعندما تم استدعاء دانييل أولوفسون إلى المحكمة اضطررنا لإجلاء هيلينا من إيستونا، لقد تم إخبارها أنه ولا حتى الخيول البرية قادرة على إبعادها من أوبوندا، وأن عواقب ظهورها ستكون له نتائج كارثية، إن القاضي ينس قد اعتزم الانتقام من هيلينا من خلال معاقبته لدانيل، إن ذلك شيء ذكي جدًا وشرير جدًا، إنني آمل أن يتمكن ابنكم من إيقاف ذلك.

- ثق بي أيها الموقر ستيفانوس عندما أقول إنه قد جاء اليوم الذي لن ينساه القاضي ينس طوال حياته.

- إن هذا يسعدني، فقط أرجو ألا يؤدي ذلك إلى إراقة الدماء، لقد طلبت من هيلينا أن تنسخ إحدى كتاباتنا وهذا عمل ليس مما تولع به، إنه شيء لا يلائم طبيعتها، لقد طلبت من ربي المغفرة عندما رأيت نفسي مضطرًا إلى الكذب، لقد أوضحت لهيلينا أن هناك حاجة ملحة لاستنساخ تلك الكتابات، وأننا لن نتمكن من إنجاز ذلك العمل بوقته بدون مساعدة منها، وهو السبب الذي سيجبرها أن تقضي الليل هنا في المضافة بدلاً من إضاعة الوقت ذهابًا وإيابًا إلى إيستونا.

- هل يمكنني أن أراها، أعني من دون أن تراني هي؟ أنتم تعرفون أيها الأب ستيفانوس أن ذلك جرأة كبيرة أن أصدق أن الشخص الذي عاش هنا عشر سنوات من الزمن هي في الحقيقة حفيدتي التي اختفت، هيلينا سيغتريغزدوتر.

- بالطبع سيدتي.. إنها تجلس وتعمل في غرفة تقع في الطابق الأعلى، إنني أقترح أن أذهب إليها بينما تراقبونها أنتم من فسحة الباب بهدوء وسكينة، هذا ما فعله ابنكم.

- ولم يساور الشك بيرغر؟

- كلا، سيدة أنغريد - أيلفا، لم يساوره الشك مطلقًا.

سلم طويل يشعر المرء أنه لن ينتهي أبدًا، فترة زمنية بطول عدة ضربات قلب يشعر بها الإنسان وكأنها سنة، طالما أملت أنغريد - أيلفا، اشتاقت وتضرعت

من أجل هذه اللحظة أكثر من أي زمن كان منذ ذلك اليوم الذي اختفت فيه هيلين، والآن فإنها تشعر وكأنه دهراً، فقط لكي تصعد هذه المسافة القصيرة نحو الطابق الأعلى.

فتح رئيس الدير تلك الباب المغلقة وتركها مفتوحة قليلاً، سمعت أنغريد ـ أيلفا ذلك الصوت الفتي المضيء يأتي من داخل الغرفة، لم تستطع أن تحبس دموعها أطول من ذلك، بحذر، كي لا يكتشف وجودها، اختلست النظر خلال فتحة الباب.

شعور الألفة والذكريات الموغلة بالقدم؛ كان ساحقًا لدرجة أنها لم تعد قادرة على البقاء منتصبة، جثت على ركبتيها وارتجف جسدها مع الدموع المكبوتة، كان يمكن لتلك اللمحة أن تكون كافية، ففي ملابسها الرجالية كانت هيلينا تشبه أخاها بشكل مذهل، كانت فقط أرشق قوامًا ومع ملامح وجه أكثر ليونة وأكثر نضارة.. كانت جميلة، جميلة جدًا وقوية، لقد نمت قوتها على مر السنين، نفس قوة الميدان تمامًا التي نمت مع بيرغر، عرفت أنغريد ـ أيلفا أنه لم يكن من السهل بمكان تربية طفل مثل هيلينا.

من خلال حجاب الدموع تلمست أنغريد - أيلفا طريقها نازلة نحو غرفة رئيس الدير، حيث ألقت بنفسها على كرسي وكان الانفعال قد قضى على كل مقاومة.. قدم رئيس الدير بعد حين، لم يكن بحاجة لأي كلمة، لقد كان الجواب مكتوبًا على وجه أنغريد - أيلفا المثقل بالدموع.

- سأذهب لأم هيلينا الآن أيها الأب ستيفانوس.. حان الوقت لإزاحة الألم عن كاهلها، نأمل أن تعود للحياة ذاكرة هيلينا النائمة عندما ترى أمها، أين تعتقدون أنه يمكن أن يتم اللقاء؟

- في كنيسة الدير أمام المذبح، ابعثي لي عندما تكوني جاهزة.

# الفصل السادس عشر

ركب دانييل أولوفسون وابنه غونار جنبًا إلى جنب نحو محكمة أوبوندا، قطعا المسافة صامتين، كل شيء كان قد قيل مسبقًا، لم يبق إلا انتظار المجهول في كيف سيكون ثقل انتقام القاضي ينس، قال الرسول إن القضية تتعلق بعدم اليقين بشأن ملكية إيستونا، خاف دانييل مما هو أسوأ.

كان لدى رئيس الدير ستيفانوس السلطة التي استطاع من خلالها حمايته من اعتداءات تورا أيرلاندسون، أما ضد القاضي ينس فإن الأمر يختلف تمامًا.

سارا حتى وصلا أمام تلك الصخرة الكبيرة، تلك التي - وفقًا للأسطورة - قذف بها عملاق أعداءه قي نوبة غضب فيما مضى من الزمان، تساءل دانييل بداخله عن شعوره عندما يركب من أمام هذه الصخرة في المرة القادمة، في طريق العودة نحو منزله قادمًا من المحكمة.

المنزل، أبدًا لم يتذوق مرارة هذه الكلمة الحلوة على شفتيه بعد، إن النتيجة الأكثر ترجيحًا من جهته، كانت أنه لم يعد لديه منزل بعد الآن، كان يحملق بابنه الذي يركب إلى جانبه حيث الألم والضعف يطوقانه كحمل ثقيل فوق كتفيه، لن يكون هو فقط وإنما أبناؤه وأسرهم سيصبحون معوزين.

إلى أين سيذهبون؟ هل يجدون لهم سقفًا يحميهم في مضافة الدير؟ على الأقل لوقت قصير، إنه لا يزال صياد دير يوليتا ورئيس الدير ستيفانوس لم يكن من أولئك الرجال الذين يغدرون عندما تحط الحوادث رحالها عند الباب.

لو أن هيلينا لم تنطق بتلك الكلمات المشؤومة أمام القاضي لكان بالإمكان السماح لهم بالبقاء بتلك الأخاديد المحروثة، ترسبت الأفكار، ولكن من ناحية أخرى إن لم يكن ضروريًا للتغيير أن يأخذ مكانه؛ كان ذلك فقط عندما تكون

عواقب المواقف الشجاعة المتخذة والكلام تؤذي أصحابها فقط، وقتها لانتشر العدل في كل بقاع الأرض.

لم يقل لأحد من أقاربه أو معارفه أن هيلينا قد أهانت القاضي ينس، فهو لا يريد زرع الشقاق والخلاف في عائلته، ولكنه يعي أن الحقيقة سوف تنكشف بسرعة وسوف تعرف هيلينا ما الذي حصل في محكمة أوبوندا، سوف تحمل نفسها فورًا كل الذنب.

- أبي، سر بحصانك إلى جانب الطريق وإلا فلسوف يسقطنا الفرسان.

كان دانييل محاصرًا بأفكاره السوداء حتى إنه لم يسمع هدير الخيول التي لا تعد ولا تحصى وهي تقترب مسرعة من ورائهما، كانا هو وابنه يركبان مسرعين على الطريق ومع ذلك فقد اضطرا إلى التوقف والانتظار عند حافة الغابة، وطأة الحوافر، قعقعة السلاح وأصوات الرجال، أصبح كل ذلك قريبًا، كان ذلك شيئًا فخمًا ولكنه مرعب لكل من يراهم، حشد كبير من الفرسان مع رايات مرفرفة، أسلحة وعباءات زرقاء تتدفق مسرعة على الطريق الواسع إلى الأمام، لم يتعرف دانييل إلى شعار العائلة الملكي على الرايات، أسد منتصب على خلفية زرقاء، ولكن كل ذلك كان بنظره رائعًا.

كان يعرف أن هناك ممثلين للسلطة قد جاؤوا راكبين ولكنه لم يشعر - بشكل غريب - بأي خوف، لقد سمع اسمه يتردد بصوت عال بين الفرسان الذين يقودون خيولهم بأقصى سرعة حتى أن الحوافر قد أثارت غيمة كبيرة من التراب، بمفاجأة كبيرة عرف دانييل أحد أولئك الرجال والذي كان يركب في الصدارة؛ إنه رايم، الصياد من بيالبو.

أبطأ الشاب الذي يشع أمانًا وقوة وسلطة فطرية من سرعة مرافقيه، تقدم نحوه وانحنى له بلطافة..

- هل هذا أنت دانييل أولوفسون؟

- نعم، هذا هو أنا.

- اسمي بيرغر ماغنوسون سليل عائلة بيالبو.. أنا خال هيلينا سيغريدزدوتر، تلك الطفلة التي فقدت ذاكرتها والتي أحسنت أنت إليها فجعلتها تنشأ في منزلك، أنا وكل عشيرتي نتقدم لك بشكرنا لكل ما قمت به والذي لا يمكن أن تصفه الكلمات، ولكن سيكون ذلك الشكر من خلال الفعل.

رفع بيرغر قبضته المضمومة، نزل اثنان من رجاله عن حصانيهما وفتشا في رحليهما.

- رايم، تعال هنا، فهذا يشملك أنت أيضًا.. لقد نما إلى علمي أنك دانييل أولوفسون قد تم استدعائك إلى المحكمة والسبب في ذلك أن ابنة أختي قد كان لها الجرأة للطعن في القرارات غير العادلة للقاضي، سنرافقك أنا ورجالي إلى المحكمة وسوف نتوجه بصفتنا أقرباء..

كان دانييل ضائعًا، لم يفهم شيئًا، ماذا كان يقصد النبيل بيرغر ماغنوسون؟

- عند اجتماع العشيرة القادم ستضم عشيرة بيالبو عضوين جديدين إلى سلالتها، حيث أنت دانييل أولوفسون ستكون أحدهما وسيكون الآخر هو أنت رايم، وبالنسبة لك رايم فسيكون لك الحق أن تحمل اسم منيخولد.. وأنا الآن أطلب منكما فعليَا أن ترتديا تلك العباءات وتحملا سلاح العشيرة، كإشارة إلى أنكما تتمتعان بحماية سلالة بيالبو.

وضع الفارسان العباءتين على كتفي دانييل ورايم، بينما كان عدد من حرس بيالبو يضربون دروعهم بالسيوف تحية فخر بالرجلين اللذين قدما للسلالة خدمة لا تقدر بثمن.

بالنسبة لرايم فإن الحلم الذي استغرق طيلة حياته قد أصبح الآن حقيقة، وبالنسبة لدانييل وابنه فإن تلك الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها أبدًا قامت بتغيير مسارها هذه المرة، فلقد تحولت من الظلام إلى النور، ألقى دانييل نظرة

سريعة وراءه، نحو تلك الصخرة العملاقة قبل أن ينطلق برفقة بيرغر ماغنوسون جنباً إلى جنب، نحو محكمة أوبوندا، ربما لم يعد بحاجة للإفصاح عن أي ألم حين يقفل عائدًا إلى استونا من جديد.

في محكمة أوبوندا وقف القاضي ينس يتبادل الحديث مع تورا آيرلاندسون، كان كلاهما يبدو في حالة معنوية كبيرة، القاضي لأنه قريباً سيحقق انتقامه الذي انتظره بفارغ صبر، وبالنسبة لمالك خينسوند فإنه سيستطيع وعلى غير انتظار أن يضم المزيد من الأراضي للمساحات الواسعة التي يمتلكها فعلاً.. الآن يحمل كل منهما معروفًا أسداه له الآخر، التحق تورا آيرلاندسون بصفوف ابنه وحرسه، حيث مكانهم المعتاد الأقرب إلى منصة القاضي.

كان القاضي على وشك اعتلاء منصة الحكم العالية وهو يشع سلامًا وتألقًا بأرجاء المحكمة، عندما دخل جمع كأنه موجة كاسحة، اكتسحت الجموع.. نظر القاضي نحو الجمع وبمفاجأة كبيرة حد الذهول رأى حشدًا كبيراً من الفرسان يدخلون راكبين خيولهم إلى قاعة المحكمة، ضعف بصره جعله غير قادر على تمييز الرجال المسلحين الذين ترفرف راياتهم الزرق عالياً.

عندما أخبره الكاتب أن الرايات الزرق تحمل شعار الأسد المتوثب مطرز عليها؛ تزلزل قلب القاضي يدق مسرعًا من هول الصدمة.. ذلك الأسد الشامخ هو شعار سلالة بيالبو، عظماء المملكة الأكثر قوة والأوسع تأثيراً، يشرفون محكمته بوجودهم، كان ذلك شرفًا عظيمًا.

تواصل - إلى الخلف - وصول محاربين متأهبين جدد، لم يزاحم أيًا منهم أحد للحصول على مكان أفضل، بصمت وبمسؤولية تجمعوا على شكل هلال أزرق.

شعر القاضي ينس فجأة أنه غير متأكد بماذا سوف يبدأ عمله، كان يريد فعلاً أن يرحب بقادة أولئك الرجال، كان يريد أن يتدفأ بشمس آل بيالبو المتألقة، عشيرة جعلت النبيل تورا آيرلاندسون لا يبدو غير مجرد فلاح صغير.

ولكن كان على ينس أن يظهر نفسه متماسكًا أمام حشد الناس الكبير هذا، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن بالأمر الهين، استحال عليه أن يعرف لماذا لم يجلس إلى الأمام تمامًا ذلك الرجل النبيل ذو السلطة الواسعة، الرجل الذي قدم مع كل أولئك الحرس، الرجل الذي كان مكانه يجب أن يكون متلائمًا مع مكانته العالية.

سكنت الهمهمة، وحل محلها الصمت الحذر الذي يسيل أسئلة لم تتم الإجابة عليها، قرر القاضي ينس أن يبدأ، ولكن صوته فقد نشاطه المتعالي المعتاد حيث كان يدعو لأن يعم الهدوء أولئك الذين ينتظرون أن تنظر المحكمة قضاياهم.

لأجل أن يظهر للكل بمزاجٍ جيد فقد افتتح المحكمة بالقضايا المعتادة، هذه المرة كان المحكوم عليهم: عبدًا حاول الهرب، مزارع صغير حاول أن يسرق بقرة، وكذلك خارج على القانون، ولكن هذا الحشد الكبير من الحراس الغرباء؛ جعل أولئك المعروفين على نطاق الشعب هناك مجرد أناس لا أهمية لهم.

حان الوقت لعرض قضية دانييل أولوفسون، وعندما قرر القاضي استدعاء دانييل للمثول أمامه عم السكون التام في قاعة المحكمة حتى لكأن المرء يستطيع أن يسمع صوت سقوط فراشة على الأرض.

ذلك الذي حدث بعد ذلك سوف يصبح قصة تحكى من فم إلى فم، ومن مزرعة إلى مزرعة أخرى، ولأزمان طويلة.

تقدم الصياد الفلاح دانييل أولوفسون نحو القاضي ينس وإلى جانبه سار شابًا لم يسبق أن رآه أحد ممن في المحكمة، كان السكون شاملاً وفجأة تكلمت الأفواه إلى بعضها، هذا الفلاح البسيط يلبس عباءة زرقاء باذخة مطرز عليها شعار أسلحة سلالة بيالبو، عباءة مثل هذه لا يلبسها إلا أحد أفراد هذه السلالة ذات السلطة الملكية.. كان ذلك كله شيئًا غامضًا، رفع الشاب الذي يقف إلى جانب دانييل يده اليمنى دلالة على أنه يريد صمتًا مطبقًا...

- اسمي هو بيرغر ماغنوسون سليل عائلة بيالبو، أبي هو ماغنوس منيخولد، وأمي هي سليلة الملوك أنغريد - أيلفا سونزدوتر، أخواي هما الأسقف بنغت أسقف لينشوبنغ ورئيس القضاة أيسكل في كل فستراغوتلاند، عمي هو النبيل الملكي، الدوق أولف فاز، وأنا نفسي خطيب أخت الملك جلالة أيريك أيريكسون، مهمتي هنا في محكمة أوبوندا هي مساعدة نسيبي دانييل أولوفسون، إن كل ما يمسه يمسني أنا وعشيرتي أيضًا، ولذلك أيها القاضي ينس فأنا أريد أن أعرف حالاً الأسباب التي قمت من أجلها باستدعاء نسيبي إلى المحكمة؟.

كان الصمت الذي أعقب كلمات بيرغر ماغنوسون عميقًا أشبه بالبحر، كنذر الشر التي تكون هادئة قبل أن تأتي عاصفة الغضب.

كان هذا أسوأ يوم في حياته.. بالنسبة للقاضي ينس فإن ذلك كان يشعره كما لو أنه ينزلق إلى جمر متقد، أي اختراع شيطاني قد أعطى دانييل أولوفسون تلك المكانة النبيلة؟ هذا الذي بدا له بسيطًا والذي بالفعل كان قد انتصر عليه، تحول بطريقة غير مفهومة إلى مسألة تخص مصداقيته كرئيس للمحكمة، أو في أسوأ الأحوال تخص وجوده على قيد الحياة.

جفف القاضي ينس وجهه، مبعدًا بعنف عرق القلق عن جبينه، بنفس الوقت الذي حاول متشككًا أن يسكن أفكاره المرتبكة.

من أجل أن يربح بعض الوقت بدأ بالتقاط بعض وثائقه إلى أن عثر على ما كان يفتش عنه، تنحنح ومسح رقبته وتظاهر أنه يقرأ محتوياتها بعناية، إنه مثل رجل اختار حربًا ثم عرف متأخرًا كم سيكون ذلك مريرًا، فلن يستطيع أن يكسب المعركة.

- عزيزي دانييل أولوفسون، في الحقيقة لم يكن هناك داع للمجيء إلى هنا، إلا أنك رجل حر يريد أن يشارك في هموم مقاطعته، لقد كان الوقت ضيقًا جدًا لإخبارك أن وقائع جديدة قد برزت في قضيتك، فمنذ وقت مضى كان على

طاولتي رسالة تنازل قديمة تُشير بجلاء ووضوح إلى أنه منذ وقت طويل قد توفي قريب لك يدعى أولوف أينوكسون، والذي كان مالكًا لأيستونا، وقد كان مدينًا لمالك ستيرينسوند السابق، وحيث إنه كان يفتقد للقدرة على سداد ديونه فقد اضطره ذلك للتنازل عن مزرعته، وهذا ما تدعمه رسالة التنازل التي استدعتيتك للمحكمة بسببها.. ومع ذلك، ومنذ ذلك الحين فقد كان لدي الوقت للتحدث مع المالك الحالي لستيرنسوند النبيل المبجل تورا آيرلاندسون عن هذا الموضوع، وحيث إن السيد آيرلاندسون كان حريصًا أن يتم كل شيء بشكلٍ صحيح فقد أخذ على نفسه البحث والاطلاع على عدد كبير من الوثائق القديمة المتوفرة في أرشيف ستيرينسوند، ولقد وجد أن هناك رسالة قديمة يشير فيها قريبه إلى أنه قد غفر ديون قريبك، ولذلك فقد رفضت القضية وإنني لأشعر بالأسف العميق للأخطاء التي أدت إلى دعوتك إلى محكمة أوبوندا.

استمع دانييل لأكاذيب القاضي مداعبًا عباءته الصوفية الزرقاء، مفكرًا بالفرق الذي أحدثته الملابس وما يمكن أن تعنيه، من جانبه كان ذلك يعني حقه بالاحتفاظ بمزرعته، ولقد ازداد احتقاره للقاضي بعد تلك الكلمات المتملقة التي انزلقت من بين شفتيه.

تقدم بيرغر ماغنوسون نحو القاضي ينس ولوح بتوقف الكاتب عن العمل والذي انسحب بكل احترام، انحنى إلى الأمام نحو ذلك القاضي الذي يتصبب عرقًا، نظر إلى عينيه مباشرة وقال له بعض الكلمات المختارة بعناية:

- لقد تصرفت بحكمة أيها القاضي، أنا لم أنزع عنك كل احترام من خلال حديثي أمام هذا الجمع من البشر فيما أعتقده استغلالك لقوانين محافظة سودرلاند لمصالحك الشخصية، أنا أعرف ما وراء الذي يحدث اليوم، فالشخص الذي كنت في الواقع تروم الانتقام منه أكون أنا خاله.. وهنا، والآن فإني أحذرك، ففي أي وقت ستحاول المساس بأي فرد من أفراد عائلتي، سيكون ذلك أخر شيء تفعله، هل فهمت ذلك أيها القاضي؟

لم يكن بإمكانه إلا الرد بإيماءة، أدرك أنه يجلس متوازنًا على حد سكين حاد، وإنه ليشكر نجمة سعده على خروجه من هذا الموقف بهذا الاستخفاف فقط، مشى في طريقه مثل كلب خائف تم ركله.

ركب دانييل وابنه غونار أولوفسون بصحبة رايم منيخولد، بيرغر ماغنوسون وحرسه الكثيرون خارجين من محكمة أوبوندا، لقد كان يومًا له ذكرى، يومًا سوف يتحدث عنه لنفسه طويلاً في سفيلاند.

* * *

- والآن فإني أطلب منكما أنتما الاثنان أن تستمعا إلي بدون مقاطعة، أتعداني بذلك؟

أجبرت أنغريد ـ أيلفا، العنيد راغنار على الجلوس داخل الغرفة التي خُصصت لهم، كان يرغب كثيراً بالاستمرار بممارسة الرماية بالقوس والسهم في الهواء الطلق، ولكن لم يكن هناك من سبيل للاعتراض على قرارات جدته.

كان لدى كريستينا منيخولد رغبة بالاستلقاء والنوم أكثر من أي وقت مضى، شعرت أن الخاتم بات أثقل وأثقل، ويبدو أنه قد امتص كل قوة لديها، وفي كل مرة كانت تمسك بالسلسلة التي تعلقه بها لتخرجها من رأسها لتتحرر من ثقل الخاتم؛ كان هناك صوتًا داخلها يصرخ بها كي تتركه، فتحت جفنيها، بذلت جهدًا للبقاء مستيقظة والاستماع لما ستقوله أمها، بدا كما لو أن أنغريد ـ أيلفا كانت تبكي، بنفس الوقت الذي تبدو فيه مملوءة بشعلة من السعادة.
- أريد أن أحكي لكما قصة.

تأوه راغنار بصمت على الطاولة، أي قصة قديمة تلك التي اضطر بسببها لترك الرماية بالقوس خارجًا في المرج.

- هذه القصة تختلف عن باقي القصص لأنها في الحقيقة قصة حقيقية، أحيانًا يتجاوز الواقع القصيدة، ففي يوم أسود حزين قبل عشرة أعوام تسللت فتاة

صغيرة خائفة دون أن يلاحظها أحد على متن قارب في ميناء هستهولمين، تلك الطفلة الوحيدة كانت هي الأكثر رعباً في العالم، في الواقع لقد فقدت الطفلة ذاكرتها، لم تعرف من تكون، ولا حتى من أين جاءت...

ارتعد الخاتم المعلق على صدر كريستينا منيخولد، هي نفسها لم تجرؤ على التنفس إلا بصعوبة، الأمل، ذلك الخداع والمراوغة، نمت كلها بقوة في كل كلمة تخرج كلؤلؤة لامعة من بين شفتي أنغريد ـ أيلفا المبتسمة.

- إنها هيلينا هي التي تتكلمين عنها، قولي إن هذا ما تقصدينه، هل هي على قيد الحياة؟ من أجل الله أمي تكلمي، هل طفلتي حية ترزق؟

القت أنغريد ـ أيلفا ذراعيها حول كريستينا واحتضنتها بكل قوة، خائفة أن يكون وقع الذكريات شديدًا عليها.

- نعم كريستينا، هيلينا حية ترزق، ولكنها لا تعرف أننا هنا، ونحن لا يمكننا أن نتأكد أنها ستتعرف علينا، ربما يفتح لقائنا بها أبواب ذاكرتها المغلقة، ولكن من جانب آخر فقد تكون الصدمة شديدة عليها فتصاب بأذى.

غدا وجه راغنار رمادياً، شعر أنه يوشك على فقدان وعيه، أخته الحبيبة المفقودة ما تزال على قيد الحياة؟ وهي هنا في يوليتا؟ ذلك الشعور الثقيل بالذنب قد انزاح فجأة عن كاهليه، وريح منعشة اجتاحت أفكاره، أحس بجسده خفيفًا جدًا وقد توهجت وجنتاه من هول المفاجأة.

- متى يتاح لي أن أراها، متى يتاح لي أن ألمسها؟ متى يتاح لي أن أتأكد أن ما يحدث الآن حقيقة وليس مجرد وهم خيال فقط؟

كغريقة؛ تشبثت كريستينا بكل ما أوتيت من قوة بأمها.

- قريباً جدًا كريستينا، فقط سوف أخبر الراهب الذي ينتظر في الخارج أن يخبر رئيس الدير أننا في طريقنا إليه.

أفلتت نفسها بصعوبة من قبضة كريستينا المتشنجة وغادرت الغرفة.. أمسكت كريستينا وراغنار بيدي بعضهما وانتظرا بصمت مطبق، كانت الكلمات أفقر من أن تعبر.

* * *

لم تفهم هيلينا أي شيء، ما الذي ستفعله في كنيسة الدير؟ كان المكان ممنوعًا عليها دائمًا، ولكن كل سبب يجعلها تترك عملية النسخ الشاقة سيكون موضع ترحيب.

إنها تفتقد دانييل، العائلة، مهرتها، ركوب الخيل في الغابات والسهول.. في داخل الدير تشعر أنها محاصرة، مقبوضة كما لو أنها لم تحصل على ما يكفي من الهواء، ولكن رئيس الدير الطيب قد ارتجى خدماتها، وكان من المهم بالنسبة لها أن تحاول رد شيء من الدعم والمساعدة التي كانت هي ودانييل يحصلان عليها من الدير، وبأقرب وقت حين تنتهي من الكتابة سوف تستعيد حريتها، بهدوء وضعت ريشة البطة التي تكتب بها جانبًا وأغلقت دواة الحبر.

عبرت التقاطع بصحبة رئيس الدير متوجهين نحو حديقة الدير حيث روائح عطور نباتات التوابل تملأ الأنوف، ثم دلفا نحو قاعة المحاضرات وصعدا السلم نحو قاعة منام الرهبان، قبل أن يدخلا قاعة الكنيسة توقفا وغسلا أيديهما في المغسلة الرخامية الموضوعة إلى جانب باب الكنيسة.

تطلعت هيلينا بتلك الكنيسة الجميلة المزينة ببساطة إلى اليسار عند المذبح الرئيسي في الجزء المخصص لرهبان الكنيسة، وقف هناك ثلاثة أشخاص، سيدتان وشاب، شعرت هيلينا بكفي رئيس الدير فوق كتفيها عندما قادها بلطف على طول الممر، كان هذا اليوم هو يوم الخلود الأبدي، والذي يمكن تسميته بيوم المصير، ذلك المصير الذي أوقف بصره لينظر إلى هيلينا سيغريدزدوتر، كان يومًا لابنة سلالة بيالبو القوية لاستعادة مكانتها التي قرر المصير ذات يوم أن يسلبها

إياها، ولكنها الآن تمتلك تجارب ورؤى مختلفة تمامًا عن تلك التي كانت ستحصل عليها لو أنها ترعرعت في كنف بيالبو، ذلك العالم المحمي والمتميز.

كانوا أمام المذبح، سقطت نظرات هيلينا على ذلك الشاب، وتراجعت للخلف عندما رأت في وجهه نفس ملامحها، ثار الدم في عروقها واضطرب قلبها فخفق بجنون، شعرت كأن صدرها سوف يتمزق، انتقلت نظراتها فالتقت بنظرات تلك السيدة التي غرقت بدموعها، والتي مدت إليها ذراعاها شوقًا ولهفة، امرأة أحضرت معها ذكرى رائحة... رائحة الحب والماضي الآمن، وصوت المرأة التي رددت نفس الكلمة مرارًا وتكرارًا.

- هيلينا، هيلينا، ابنتي الحبيبة، هيلينا...

تداعت كل أبواب الذاكرة المغلقة، تصدعت كل جدران النسيان، مع القوة الكامنة في عاصفة هوجاء، انسكبت كل الذكريات الحبيسة، ذلك المنظر المخيف التي سعت طويلاً لتتركه جانبًا، منظر الأم التي اخترقها سهمًا قاتلاً فسقطت من على حصانها بلا حراك، ها هي تضيء الآن مرعوبة تمامًا.

- أمي، أمي، أنت حية!!

الهتاف الذي نما في داخلها، تحول إلى صرخة من العواطف الحبيسة.

- أنت حية!!

- نعم، نعم، نعم، ابنتي الحبيبة، نعم أنا حية، وأنا لا أعرف كيف أشكر الله لأنك حية كذلك.

طوقت كريستينا ابنتها بكل جنون وبكل اهتياج وبكل قوة..

وقع صدى مكتوم سِمع على أرضية كنيسة الدير الحجرية، صوت بدا يتردد على أرجاء جدران الكنيسة، تقطعت السلسلة التي كانت معلقة بعنق كريستينا منيخولد فسقط ذلك الخاتم الفضي ذو الكفين الذين يطوقان حجر كهرمان كبير على الأرض، انحنت هيلينا والتقطت الخاتم، حملته في كفها المقعر.

- لقد أسقطت خاتمك، أماه.

- كلا ابنتي، إنه ليس خاتمي.. في الحقيقة إنه لم يكن كذلك مطلقًا، لقد كنت أحتفظ به حتى تكبري فتحتفظي به، والآن بدأت أفهم، فطوال رحلتنا إلى هنا كان يرقص فوق صدري، إنه دورك الآن كي تحتفظي بالخاتم.

بعيون النسر راقبت أنغريد - أيلفا الأم وابنتها، ظهر لها شيء من المستقبل يطرق بابهما، جعلها تحصل على بعض شذرات لما كان سيأتي، حفيدتها هيلينا سيغريدزدوتر، تقف على شاطئ، يوجد خلفها الكثير من الرجال المدججين بالسلاح، وسفن الأعداء تبحر في طريقها نحو البلاد، بينما تحمل هيلينا في يدها سيفًا.

# الفصل السابع عشر

إنه وقت الخيانة والغدر، يوم الطمع بالسلطة والمعارك؛ خرج كنوت هولمغيرسون على رأس قواته، جعلت شمس الصباح الباكر الدروع، السيوف، الرماح والخوذ تتألق.. كان منظر جميل لأولئك الذين جعلوا شهوتهم للسلطة أهم بكثير من حياة الناس الآخرين.

عندما يمسي ذلك النهار الجميل ليلاً سيمتلئ ذلك السهل الأخضر الواقع أسفل تلال أولوستروم حيث جمع كنوت الطويل رجاله؛ بجثث متناثرة وأجساد مشوهة، تلك المراعي الخضراء سرعان ما تستحيل حمراء لكثرة الدماء وطنين آلاف من الذباب الذي سيستمتع بالجثث المغطاة وأنين الجرحى.

على الجانب الآخر من السهل، على مرتفع عالي يقف الملك أيريك أيريكسون وقواته المتأهبة، هادئة حذرة.. كان كِلا الجانبين متأهبين لاستلام أوامر الهجوم من قادتهم.

لم يكن لدى الجيشان الكبيران اللذان كانا على وشك الاشتباك أدنى فكرة كم سيكون الوقت قصيراً جدًا، كان كنوت الطويل قد انتهز فرصة وجود كل حاشية بيالبو وفرسانها ـ ولسببٍ ما ـ في يوليتا في سفيلاند.

أساس قوات الملك الطفل هي تلك القوة الواهنة، ولم يعط حكماء المملكة المشتتين أي أهمية للتهديد.

لأربع سنوات طوال كان كنوت الطويل قد أخذ كل وقته، منتظراً هذه المناسبة الذهبية، لأربع سنين وهو يحلم بوضع التاج على رأسه والجلوس على عرش القلعة في جزيرة فيسينغ، وقد حانت اللحظة الذهبية الآن لتحقيق حلمه.

رفع كنوت الطويل يده اليمنى شاعراً بموجة من الإثارة تجتاح المحاربين، حين أنزل يده كإشارة لبدء الهجوم، وبخيولهم المدججة بدأوا الهبوط من على التل، ومن الناحية الأخرى تدفق الخصوم للأسفل.

أصبح جحيمًا من قعقعة السيوف، صرخات غضب، ألم وعذاب الموت، تزحلقت الخيول بالدم وكان الموت منتشرًا في كل مكان، لم يكن في أرض المعركة أي نبيل، أي متفاخر، لم يكن هناك غير قوة الإرهاب العارية التي تستطيع أن تسلب الإنسان أثمن ما يمتلكه، حياته.. وفي ساحة المعركة كشفت الرغبة بالسلطة عن وجهها الذي لا يرحم.

عندما احترقت الشمس سخونة كانت المعركة قد انتهت، منذ حين امتلأ السهل بالطيور الجارحة الجائعة التي جذبتها رائحة الدم، أدخل كنوت هوملغيرسون سيفه في غمده، كان النصر حليفه، ولقد سقطت السلطة في المملكة بين يديه.

* * *

كان عالم هيلينا سيغيتريدزدوتر قد أصبح الآن مشرقًا، لقد استعادت أصلها، طفولتها، عائلتها.. كانوا قد انتظروا قليلاً في يوليتا، كانت هناك مسافة من سنين طويلة يتعين التغلب عليها قبل أن تكون هيلينا مستعدة لمغادرة حياتها السابقة، كانت قد شعرت بثقل الكارثة، قبضة اليد المتصلبة عندما عاد بيرغر بصحبة دانييل ورايم وعدد كبير من الحرس من المحكمة في أوبوندا، حينها فهمت كم كان ضرر كلماتها وكم كانت قادرة على إلحاق الأذى بأولئك الذين أحبتهم.

كانت هناك فكرة، درسًا لن تنساه أبدًا.. لم يكن ذلك لأنها ظنت أنها قد تصرفت بشكلٍ خاطئ عندما كان لها رد فعل اعتبر اعتداء على سلطة القاضي؛ ولكن لأنها سمحت للمشاعر وحدها أن تسيطر على تصرفاتها من دون أن يكون للعقل رأيًا في هذه القضية وكان ذلك شيئًا يفتقر للحكمة.

في الوقت الذي سبق مغادرتهم يوليتا كانت الحياة قد أظهرت لهم الصفحة الأحلى، كان ذلك مثل بوق كبير مليء بوفرة لا تنضب من الفاكهة والأزهار، وقد تدفقت كنهر غمر كل واحد منهم.

أوفت أنغريد - أيلفا بكلماتها فتبرعت بملكيات شاسعة من الأراضي لمصلحة دير يوليتا، واستطاع رئيس الدير ستيفانوس أن ينام مطمئنًا بعد تأكده أن مستقبل الدير قد أصبح آمنًا.

عندما استعدت تلك الصحبة الكبيرة لبدء رحلة العودة إلى بيالبو؛ كان فراق بيتروس هو الألم الوحيد في فرحة هيلينا العارمة، لم تكن مضطرة للانفصال عن دانييل، فهو ورايم سيكونان عضوين من العشيرة.

خلال رحلة العودة إلى مقاطعة أوسترغوتلاند أضحت معجزة الحياة بالنسبة لهيلينا أكثر وضوحًا، سارت بصحبة ذكرياتها، ذكريات طفلة في الخامسة من العمر، خائفة بلا ماضي تتبع أثر راهبين، تذكرت كيف كان جوعها يدفعها لأن تسرق منهما الطعام من أجل البقاء على قيد الحياة، وكيف أنها أخفت نفسها في العربة حينًا وفي الغابة أحيانًا أخرى من أجل عدم افتضاح أمرها، أما الآن فإنها تسافر برفقة أمها، أخيها، جدتها وخالها.. كانت هيلينا محاطة بالحب.

ولكنها - مع ذلك - لم ترتدِ حتى الآن ملابس نسائية، قررت أنغريد - أيلفا أن ذلك لن يحدث قبل أن تصعد القارب في إسكيرسوند.

كانت امرأة قد ارتكبت معصية، فقد أقامت داخل أسوار دير يوليتا، عملت أحيانًا ككاتبة في محكمة أوبوندا، وكانت تدعي أنها رجلاً، إن اكتشاف هذا الخداع الذي أجبرت عليه، إذا ما ظهر إلى النور فإنه لن يؤثر سلبًا عليها وحدها وإنما على كل من ساعد على إنقاذ حياتها.

في الرحلة عبر نهر يالمارين وأثناء الركوب خلال غابات سفيلاند كانوا سعداء برفقة بعضهم، كان العالم جديدًا بالنسبة لكريستينا منيخولد أيضًا، الشمس تشرق بتمامها، والهواء منعش، لم تكن المياه بمثل تلك الزرقة الرقراقة، الذرة صفراء مكتملة النضوج، قمم الأشجار شديدة الاخضرار وارفة، وقد غنت الطيور أعذب ألحانها، أزاحت عنها عباءة الحزن الخانقة، وعندما نظرت نحو

هيلينا وراغنار وهما يركبان جنبًا إلى جنب لم يكن هناك ما تطلبه أكثر من ذلك في حياتها.

كان من الصعب على دانييل أن يعرف ما الذي يتطلبه انتمائه العشائري الجديد، وكان رايم يحاول جاهدًا أن يوضح له الفرق بين الفلاح العادي وبين النبيل، إنه كالفرق بين الليل والنهار، بين المطر وشروق الشمس، وهو كالفرق بين الجوع والتخمة، ولكن ـ وكذلك ـ فقد كان من الصعب على رايم أيضًا الاضطلاع بدوره الجديد.. كان قد عاش طوال حياته إلى جانب أنغريد ـ أيلفا وعائلتها، ولكنه كان قد ولد عبدًا، وللآن فإن الشعور بالانتماء إلى نوع مختلف من البشر، ذلك النوع الذي لا يزال مساويًا للماشية، كان محفورًا بالأعماق.

مرت على مخيلته مرارًا وتكرارًا تلك اللحظة التي سوف يحدث فيها زوجته وأبناؤه ليخبرهم أن اسمهم قد أصبح الآن منيخولد.

شعر بيرغر ماغنوسون بنفاذ الصبر.. لقد عادت هيلينا وهي الآن تتمتع بالأمان، لقد انتهت مهمته، عليه العودة الآن وبأسرع ما يستطيع إلى جزيرة فيسينغ، حيث الملك، وحيث خطيبته، لم يكن يثق بالمجلس، وقطعًا لم يكن يثق بكنوت الطويل.

كانت الرحلة إلى يوليتا بالنسبة إلى حرس بيالبو فاصلاً ترحيبيًا في حياتهم اليومية الروتينية وكان الرجال هناك في يوليتا في حالة معنوية مرتفعة، ولكن كان هناك شخص واحد في هذا التجمع الكبير بدأ يشعر بعدم الارتياح، كانت تلك هي أنغريد - أيلفا.. كانت الفرحة الطاغية بالعثور على هيلينا على قيد الحياة وبصحة جيدة، ستتحول عندما يصلون إلى أسكيرسوند قريبًا إلى شعور أن أيام السعادة الصافية سوف تمضي إلى نهايتها، شيئًا سيكون له - على المدى البعيد - عواقب وخيمة.. مشت، تقود حصانها، إلى جانب ليس ببعيد كي تمعن التفكير بهدوء.

استدعت النسر ذو النظر الثاقب، شعرت بريحه، تلمست بيديها ريشه الناعم، أتتها الصور بوتيرة غاضبة، مخيفة وشرسة، بنفس الوقت الذي بقيت فيه رائحة الدم والأجساد المتعفنة عالقة بقوة في منخريها، ساحة معركة تناثرت فوق أديمها الجثث والأشلاء، محاربون داروا حول أجساد أعدائهم الجرحى، وبلا أدنى شفقة أو رحمة أغمدوا السيوف بصدورهم، رأت رجلاً يتربع فوق ظهر حصانه على قمة تلة خضراء وقد أعلن نفسه - وسط جمعه – منتصراَ، إنها لا تستطيع أن تميز وجه الرجل من وراء خوذته الواقية لكنها لا تزال تشعر أن وجهه كان مألوفًا.

اختفت الرؤية مثلما أتت، سريعة، متلاشية وسط ضباب رمادي.. حثت أنغريد ـ أيلفا حصانها، سارت إلى جانب ابنها، فإذا ما جاءت الحوادث بما لا تشتهي فهي تريد أن تكون إلى جانب ابنها.

في الطريق نزولاً نحو إسكيرسوند التقوا برسول كان قادمًا من جزيرة فيسينغ، مرسلاً من قبل الملك أيريك أيريكسون، كان يحمل رسالة إلى بيرغر ماغنوسون. فض الأخير ختم الرسالة مملوءاَ بنذر الشؤم، قرأ مضمونها، لقد نشبت معركة عند أولستروم بين أنصار الملك وبين عضو مجلس الشورى وأتباعه، ولقد كان الانتصار الدموي حليفًا لكنوت الطويل.

استطاع الملك أيريك أيريكسون وأخواته الهرب عبر البحر؛ متجهًا نحو الدانمارك، ولقد أعلن النبيل الدوق أولف فاز، أحد كبار عائلة بيالبو موالاته للمنتصر الذي نودي به الآن ملكًا للبلاد، أخذت أنغريد - أيلفا الرسالة من بين يدي بيرغر المرتعشتين وقرأت محتوياتها ثم طوت تلك الرسالة الصلبة وأعادتها إليه.

- إني أدرك الآن ما تفكر فيه، ولكن عليك أن تستمع لي، إنك لا تطلب شيئًا أكثر من أن تتوجه لخوض المعركة مع كنوت الطويل من أجل استعادة التاج وإعادته إلى الملك المخلوع، ولكن عليك بالرجوع إلى أحاسيسك وحساب ما

ستكون عليه العواقب، العداء الذي ستعاني منه عائلتنا، المعارك الدموية التي ستزهق فيها الكثير من أرواح المحاربين، حيث ستترمل كثير من النساء البريئات، أطفال، رجال، وكبار سن سوف تتحطم حياتهم، إن ذلك شيئًا أكبر منك، أكبر من أفكارك ومن رغباتك بيرغر، ما هو الأفضل للملكة، لشعبنا؟ نعم، إنها ليست تلك الحرب، ثق بي، بني، فحب السلطة التي تسكر النفوس وتعظمها نادرًا ما تدوم طويلاً، وأنا اعرف أن اعتلاء كنوت الطويل العرش لن يدوم طويلاً.

داعبت أنغريد - أيلفا خده الخشن متذكرة ذلك الطفل الذي احتضنته بذراعيها ذات مرة ممتلئة عيونها بالدموع.

- سيأتي دورك، بيرغر، ولكنك الآن صغير جدًا، لا تزال تفتقر إلى الدعم اللازم الذي يمكنك من إحداث تغيير، تذكر كلماتي، طالما أنا أنغريد ـ أيلفا، أحتفظ برأسي عاليَا، فإن سلطة آل بيالبو لن تنحني أبدًا، دعنا الآن نسير نحو منازلنا.

# الفصل الثامن عشر

امتطت هيلينا صهوة فرسها نايك سائرة بتلك المراعي المزهرة، كان الهواء باردًا والزهور الربيعية كاملة التفتح، قريباً سيغرق الصيف بذكرياتِ عن الشمس، الدفء، الليالي المضيئة، حقول الذرة المتمايلة، المروج المزهرة الملونة وأمسيات آب/ أغسطس الساحرة عندما يرسل البدر أشعته الفضية فوق حقول بيالبو.

إنه الآن شهر أيلول/ سبتمبر وقد غيرت الطبيعة ستارها، مرتدية ألوانًا رائعة متوهجة، كانت جميلة بشكلٍ مذهل ولكن كان ذلك الجمال مشوباً بحزنٍ عظيم، فصل الشتاء المخادع وراء الأفق، ذلك الشتاء الذي لا يرحم والذي سيجعل الكثير من البشر والحيوانات يعانون الجوع بشدة.

تجمدت هيلينا في ذلك الصباح البارد فلفت عليها عباءتها بشدة وسحبت قبعة العباءة المخروطية فوق رأسها، لم يكن من السهل وضع شعرها الطويل الذي يصل إلى خصرها في تلك القبعة.

مر على خاطرها أن أمها وجدتها لم تستسيغا أن تلبس ملابس رجالية حين كانت تمتطي نايك وتخرج للنزهة في الغابات والحقول، لم تكن التنانير مناسبة عندما تنام أرضًا وهي في طريقها للإيقاع بفريسة أو عندما تفتح ساقيها لدى امتطائها ظهر نايك.

أمضت هيلينا شطراَ كبيراَ من حياتها وهي ترتدي ملابس الرجال، ومنذ أربع سنوات حين عادت لموطن طفولتها كم كانت دهشتها كبيرة لذلك الفرق بين أوضاع الرجال والنساء في الواقع، كأمرأة ذات مقام رفيع كانت حياتها مقيدة بشكل كبير، كانت الآن رهينة عالية القيمة في تلك اللعبة المعقدة على السلطة، السلطة التي تعتمد كلياَ على العلاقات الشخصية، القرابة والتحالفات، والطريق إلى ذلك كان دائمًا يمر عبر الزواج الاستراتيجي ذو الأهداف.

اختطاف عروس، تلك الظاهرة التي كانت سبباَ في فقدان هيلينا لذاكرتها وإقامتها الطويلة في يوليتا، لم تكن إلا شيئًا مألوفًا تمامًا، فامرأة ذات مقام عالي كانت تساوي ثقلها ذهباَ، وكانت مرشحة دائمًا لخطر الاختطاف.

كان هناك سببان لاختطاف عروس؛ إما أن يكون ذلك ضروريًا من أجل إجبار امرأة على الزواج من عدو، أو أن يتمكن الجاني نفسه من خلال ذلك الزواج القسري أن يحقق السلطة والنفوذ، كان الاغتصاب وسيلة فعالة إذا كان المرء يريد حرمان أسرة من شرفها، كان ذلك سلاحًا - على الأقل - بنفس فعالية السيف.

كانت هيلينا تعرف أن أمها تشعر بالقلق باستمرار من تلك الأخطار التي تهددها، وهي تعرف أيضًا أن كثير من العائلات النبيلة تودع بناتها لينشأن في الأديرة حيث بإمكانهن الحصول على الأمان هناك، وحتى في الأديرة فقد وقعت أحيانًا عمليات اختطاف حيث كان يعمد إلى طرد الجاني.

ابتسمت هيلينا حزينة لهذا التفكير، كان من سخرية الأقدار أنها هي نفسها - كثيراَ أو قليلاً - قد نشأت في دير، لذا فقد كانت محمية من الاختطاف أو الاغتصاب عندما تصرفت وكأنها صبياَ ورجلاً، كان هناك سبباَ آخر جعل الأم والجدة يمنعانها من ارتداء ملابس الرجال عندما تتجول راكبة فرسها بتلك الحقول، لقد كانتا تحاولان أن تُبعدا عنها تلك الذكريات المؤلمة والحزينة، ولكنهما لم تستطيعا - حتى أنغريد ـ أيلفا، تلك المرأة القوية - من منعها من التجول هي ونايك بتلك الغابات والحقول والمراعي.

الغابة، تلك الحيوانات البرية، الشعور المسكر بالحرية الذي أهداها ذلك الهيام الذي لم يستطع أحد أن يسلبها إياه، إن هيلينا سيغريدزدوتر لم تعد امرأة عزلاء خائفة، لقد أصبحت رامية بالقوس لا يشق لها غبار، وقد دربها راغنار وبيرغر بعد كثير من التوسل ومحاولات الإقناع على التمكن من استعمال السيف.

استيقظت بهذا الفجر الوردي تتملكها رغبة قوية للخروج إلى الغابة كي تختلي بنفسها قليلاً، وفي وقتٍ لاحق من نفس اليوم امتلأت الحديقة بعلية القوم من الغرباء، وغدت مثل تل امتلأ بأعدادٍ كبيرة من النمل.

* * *

من ضمن الضيوف الكثر الذين حلوا على بيالبو؛ كان هناك الأخ غير الشقيق لكنوت الطويل، فيليب هولمغيرسون وزوجته سيف فولكتسدوتر، لم تكن الزيارة أكثر من تمثيل دور في معرض، إحدى صور الصداقة الكاذبة والتي لم تكن موجودة أصلاً.

بالنسبة لفيليب هولمغيرسون والذي كان هو الذراع الطولى لأخيه غير الشقيق، فقد أراد أن يجعل أخاه الملك يرى أنه لا يخاف من آل بيالبو الذين كان ولائهم للملك المخلوع والمنفي أيريك أيريكسون، كانت الزيارة مظهراً واضحًا من مظاهر بيان القوة.

وبالنسبة لسيدة العشيرة القوية أنغريد - أيلفا فقد كانت الزيارة مناسبة لإظهار أنها شخص أفضل من عدوها، من خلال وعيها لحرية المملكة ومصلحة البلد قبل مصالحها أو مصالح عائلتها الخاصة.

- الكراهية هي أكبر عدو للفرح، والانتقام هو سلاح ذو حدين، حين توجهه نحو عدوك تأكد من أنه سوف يصل إليك، سوف نحتفظ بالمظهر الطيب في هذه اللعبة الشريرة وسوف نستقبل شقيق الملك بكل حفاوة ما يتطلبه ذلك المركز، وليس لما تتطلبه شخصيته.

ابتسمت هيلينا حين تذكرت كلمات جدتها، ثبتت أنغريد - أيلفا بصرها نحو بيرغر وراغنار منبهة إياهما بشكلٍ صارم للانتباه لتصرفهما.

- ولكن في ذلك إهانة، أماه، ألا تفهمين ذلك؟ إنها طريقة ذكية لجعلنا نحني ظهورنا وسوف يكون في ذلك ذكرى طيبة للدوق ولأقاربه.

تصاعدت الدماء لدى بيرغر حتى احمرّ وجهه غضبًا، وقد صرخ راغنار بصوتٍ عال مؤيدًا خاله.

- إنها مجرد إهانة إذا شئنا نحن المتهورين أن ننظر إليها هكذا، نحن البشر أعطينا القدرة على اختيار عواطفنا، وإذا كنا كأفراد من أهم العائلات في المملكة قد قررنا أن نجعل من زيارة فيليب تشريفًا لنا من قبل الملك، وإذا ما نُقل هذا الشعور إلى شقيق الملك المتكبر والمتجبر فسوف ترتد إليه الإهانة كما تتساقط صخور الجبل.

* * *

وهي تركب حصانها متجولة في ذلك المشهد الرائع، تساءلت هيلينا بهدوء متعقل فيما إذا كانت ستمتلك في يوم ما حكمة كالتي عند جدتها، كان ذلك للأسف غير محتمل بسبب مزاجها المتحمس جدًا، هي تعلم جيدًا أنها يجب أن تمارس الصبر، تفكر قبل أن تتصرف، قبل أن يفلت زمام التحكم بعواطفها.

تنهدت بعمق، كان هناك العديد مما يجب تعلمه، ليس أقله أن تتعلم كيف تكون امرأة، بالنسبة لها وهي دون سن العاشرة من العمر عاشت كشخص مزدوج الجنس في مزرعة فلاح بسيط، لم يكن الأمر سهلاً عليها أن تأخذ دور سيدة من خيرة نساء البلاد.

كان يبدو أنه من السهولة إعادة الاتصال بالعلاقات الخارجية، العادات، القواعد، طرق الاشتراك في العلاقات الأسرية المعقدة ولعبة السلطة، لعدة مرات خلال الأعوام الأربعة التي مضت منذ عودتها لأسرتها كانت قد أرسلت بأفكارها الكثير من رسائل الامتنان والعرفان لبيتروس الذي قدم لها مثل هذا التعليم النقي الحقيقي، ففيما يتعلق بالتعليم من خلال الكتب كانت تتفوق على معظم النساء اللواتي ولدن في عائلات راقية، لقد كان هناك ما هو أصعب بكثير.

ربتت هيلينا على رقبة نايك ومررت أصابعها بشعر رقبته الأسود، كان نايك صلة الوصل بين الماضي والحاضر، خلال الوقت الطويل الذي قضته مع نايك وحيدة في الغابة أصبحت مستمعة أمينة، تقاسمت هيلينا كل أفكارها مع مهرتها.

انحدر وشقًا خجولاً بصمت بين أشجار الصنوبر طويلة القامة عندما خرق صوت أنثوي مشرق سلام الغابة الوادعة، خرجت عائلة أرانب من مخبأها الآمن تحت الأرض وتلوت أفعى تختبئ مسرعة بين الحجارة المغطاة بالطحالب، فقط طائر العقعق ذو اللونين الأسود والأبيض هو الذي بقي جالسًا بهدوء فوق قمة شجرة رمادية يرقب بفضول تلك المرأة وصديقتها التي تدب على أربع.

شعر جسد هيلينا كما لو أنه ينتمي لشخص آخر، شخص غريب، شخص آخر لا تفهمه ولا تستطيع السيطرة عليه، كانت حفيدة أنغريد ـ أيلفا الجميلة فريسة ومطمع في سوق الزواج، وكان العديد من النبلاء يحلمون أن يعانقوها، وفوق هذا كان يُنظر إليها بتودد كامرأة، أصبحت مأخوذة تمامًا ومتفاجأة بكل هذه العواطف والاهتمام الذي أحيطت به، الخدود التي تشع دفئًا، وخزات الرحم، تورم الحلمات وأحلام الليل المليئة رغبة وتوقًا للاقتراب من رجل.

لم يكن هناك رجلاً معينًا ومختارًا قد أيقظ فيها تلك الرغبة، كان ذلك بالأحرى صحوة الجسد بعد فترة سبات شتوية طويلة، وفي أقرب فرصة ستسمح للرجال أن يقتربوا إليها أكثر لمغازلتها، ذلك سيطفئ من رغبتها بسرعة كما تطفئ النار اللهب، ولكن هذا الجسد ـ مع ذلك ـ كان مقفلاً بأغلال قوية بداخلها اخترقت في الحلم بلا أدنى عائق.

كانا، بيرغر وراغنار كلاهما مخطوبين، بيرغر كان مخطوبًا لأخت الملك المخلوع، أنغيبورغ، والتي تعيش الآن في منفاها في الدانمارك بمعية أخيها، وكان راغنار مخطوبًا لابنة النبيل القوي ذو السلطة سيغي غوتورم، ولكن كان كلاهما

منغمسًا مع عشيقته، فقد كان لبيرغر ابنًا اسمه غريغر والذي يعيش مع أمه عشيقة بيرغر.

كان ذلك مسموحًا به للرجال في الطبقات العالية من المجتمع على الرغم من أن الكنيسة كانت تسعى للحد من ذلك، وفي نظرها كانت تلك ممارسة خاطئة، وبالنسبة لسيدة من آل بيالبو كان الارتباط العاطفي من خارج السلالة شيئًا غير وارد، إن عدم الزواج لا يمكن التفكير به سواء بالنسبة للرجل أو المرأة، أولاً وقبل كل شيء كان الزواج واجبًا اجتماعيًا وبذلك يكون مقبولاً تمامًا.

وكان على فضول هيلينا الجسدي ورغبتها المكبوتة وأحلامها الليلية قبل الولوج إلى حالة اجتماعية حقيقية، أن تعكس أنوثتها الناشئة لنظرات الرجال المتعطشة، فكرت هيلينا طويلاً بالكيفية التي تستطيع من خلالها التوفيق بين هذا التوق إلى رجل وبين رغبتها القوية للحرية التي تسيطر عليها أيضًا، وفي لحظات مظلمة شعرت كما لو أنه لا يمكن التوفيق بين هاتين الرغبتين.

اختارت أمها وجدتها الحرية قبل أن ترتبطان بالزواج من جديد، لم تكن أيًا منهما بحاجة لخطيب جديد، ادعت الشائعات أن أنغريد - أيلفا منذ أن أصبحت أرملة قد تقدم أكثر من ألف خطيب لخطبتها.

كانت قد وصلت إلى فسحة صغيرة في الغابة حيث نما مرج أبيض كثيف، توقفت المهرة نايك فجأة متشمشمة كما لو أنها تريد من هيلينا أن تستمتع بذلك المشهد الجميل الذي يتكون ما بين الغيوم وغلالة الضباب الرقيقة، حلقة من الجنيات الصغيرة الطائرة كالملائكة تراقصت على أصوات أغصان الأجراس الغضة، كان ذلك جميلاً بلا حدود وخطيراً بلا حدود أيضًا.

جلست هيلينا بلا حراك على ظهر نايك؛ مستمتعة بالمشهد الجميل، على الجانب الآخر من المرج اعتقدت أنها رأته مختبئًا بين الشجيرات والأيكة، وميض عينين في وجه مجعد، محاط بشعر كثيف، حتى أقزام الغابة السحرة قد تجمعوا لكي ينظروا صباح الجنيات الجميلات الراقصات.

كانت أول خيوط الشمس المشرقة قد نزلت إلى الأسفل باحثة بين أوراق الشجر، بدأ الضباب يختفي واختفت حلقة رقص تلك الجنيات مختبئة تحت الأرض حيث الصمت وقاعاتهم الخضراء الداكنة، اختفت تلك العيون المتألقة أيضًا وهربت الشمس بنفس الطريقة التي يولد بها النهار من الليل.

انكسر سحر ذلك المرج، أصبح الآن ملاذًا في قلب الغابة، مكانًا ناعمًا ولطيفًا لطفلة بشرية متعبة مع رفيقها الذي يمشي على أربع، ترجلت هيلينا عن ظهر نايك وجلست بين نباتات الذرة المتمايلة من أجل تناول طعامها ذو المذاق القادم من الشرق، وكما هي مخلوقات الغابة تشمشمت في الهواء، شعرت أن كل شيء كان لذيذًا، ليس هناك أي تهديد.

تمددت على الحشائش العطرة الناعمة متعبة، وبلمح البصر نامت بعمق بينما كان نايك إلى جانبها يرعى بصمت.

عضت توريد على حزنها الأسود وآلامها، الحزن والألم كانت مشاعر لا يسمح لأي عبدة بامتلاكها، بالضبط كما الحيوانات، كما الماشية، كانت تعتبر لا إنسانة في ظل غياب كل ما له علاقة بالإنسان، القدرة على الشعور بالحب، الألم، الفرح، الرغبة، الخوف، القلق واليأس.

بالنسبة للسادة كانت هي مجرد جمجمة فارغة، جمجمة يستطيع الرجال في أي وقت يناسبهم أن يطفئوا شهوتهم فيها، أما زوجة المزارع فإنها تستطيع أن تصب عليها الكثير من معاناة حياتها المنهكة المقلقة والكثير من الغيرة، كان مصيرها ملعونًا مرتين، ولكنها كانت قد أعطيت جمالاً خارجيًا طاغيًا، وجهًا وجسدًا جعلا كل رجل، حر أو غير حر ينتظر أن يمتلكها.

حان الوقت الآن كي تلد من جديد، ومرة أخرى أرسلها سادتها الفلاحين خارجًا نحو الغابة؛ لكي تلد طفلها في وحدة مؤلمة،هي الطفلة التي اضطرت أمها يومًا لتركها وحيدة في الغابة، فريسة بريئة تُركت عزلاء لوحوش الغابة البرية ولمخلوقاتها العجيبة.

ولكن بالنسبة لتوريد، فبدلاً من أن تترك مواليدها يلاقون مصيرهم؛ استطاعت هي بيديها العاريتين أن تنهي حياتهم، خنقتهم قبل أن تخرج أول صرخة ولادة من أفواههم، كانت هي فقط، أمهم، من استطاعت أن تفعل هذا بهم، كانت هذه هي المرحمة الوحيدة التي يستطيع عبد أن يؤديها.

واليوم آن لهذا الحزن والألم أن يجعل يديها تلتف مرة أخرى حول عنق مولود جديد، طفل صغير ولد من العنف، وبالعنف نفسه ستنتهي أيامه.. أين هو المعنى في كل ذلك؟.

سمعت السادة وهم يتحدثون عن الرب الذي لا يفرق بين السيد والعبد، ففي عيون ذلك الرب جميع الناس لهم نفس القيمة، فكرت بذلك كثيراً، إذن كيف يحدث أن السادة الفلاحين أولئك الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيون أن يعاملوا ماشيتهم أفضل بكثير من معاملتهم لها ولاثنين آخرين من العبيد في المزرعة؟ ولكن ذلك لم يكن كافيَا لكي تفهم، لا يمكن لعبد أن ينشئ علاقة مع أولئك الأحرار، شعب الله.

ركلة صغيرة في بطنها وألم كأنه طعنة سيف تشق جسدها، وقعت منهارة على الأرض مستسلمة لهذا الألم الفظيع، وبشكل غريزي وضعت يديها حول بطنها المنتفخة، شعرت بالطفل يركل كفيها، ومنذ الوهلة الأولى فهمت أن هناك في رحمها ينمو طفلاً، ومنذ الآن فإنها لا يمكن أن تعود لحزنها واشتياقها.

رأت في مخيلتها أنها تحمل طفلها بين ذراعيها، قبلت ذلك الفم الصغير كأنه زهرة متفتحة، استنشقت رائحة طفل رضيع، رائحة حلوة مثل عسل بري، وداعبت بيديها الخشنتين وجنتا الطفل الناعمتين كمرجين أخضرين، وعندما التقت نظراتها بعيون الطفل الزرقاء مزقت صرخة يأس حزينة متحررة من قيود العبودية، صرخة فظة من ريح، من صدى في عمق الغابة، خارجًا على الطريق، بداخل بيوت المزارعين حيث يتواجد الناس.

كلا الفارسين ينتميان لهيئة حرس فيليب هولمغيرسون، كانا يحملان رسالة للسيد النبيل أولف فاز، ثم ها هما الآن يتوجهان إلى بيالبو لكي ينضما إلى فريقهما هناك، تم إكرامهما عند الدوق إلى حد كبير، ثم غادرا بعد أن اعتمرا خوذتيهما الحديديتين على رأسيهما، كانا يركبان خيول المعركة صعبة المراس على تلك الطرقات الضيقة والمتعرجة، كانا متحمسين للوصول إلى بيالبو ولذلك الحفل الرائع القادم، تطلعا بخيالهما نحو الطعام الوافر والشراب والترفيه المسلي الذي يقدمه المهرجون.

لقد كان معلومًا للكل أن الشاب بيرغر ماغنوسون لا يطيق أن يكون كنوت الطويل حاكمًا على البلاد، لم يشأ أيًا من الفارسين أن تفوتهما فرصة تلك الإهانة المتمثلة حقيقة في زيارة أولئك الزائرين المدعوين.

أيقظتهما من أحلامهما تلك الصرخات التي جعلت حصانيهما ينتفضان، ضربت الصرخات عند الفارسين وترًا حساسًا بدون أن تسبب عندهما حزنًا أو ألمًا، لم يسمعا في تلك الصرخات إلا شيئًا حيوانيًا أيقظ رغباتهما.

نظرا إلى بعضهما بفهم صامت، شاهدا في عيني بعضهما نفس الشهوات ونفس المطالب، وبشغف قادا حصانيهما ناحية الغابة، مسترشدين بتلك الصرخة التي لم تتوقف مطلقًا والتي جذبتهما وسحبتهما إليها.

امرأة مستلقية على ظهرها فوق الطحالب الناعمة تتلوى بعذاب وألم، ومن منظر بطنها المنتفخة تلك عرفا أنها في مراحل الحمل المتقدمة، لكن ذلك لم يكن هو الذي شغل اهتمامهما والذي جعل أطرافهما تتقلص وتنبض شهوة ورغبة، كانت المرأة جميلة لافتة للنظر، كان شعرها يتماوج طويلاً أسودًا يحيط بها مثل ريش طاووس منتشر، كان حاجباها مثل جناحي غراب يستقران فوق عينين بنيتين داكنتين واسعتين، أما الشفتان فقد كانتا مكتنزتان ذاتا احمرار مغر، وكان الثديان القابعان تحت الخرق البالية مدوران نافران كأنهما حبتا

فاكهة ناضجة.. كما لو أنهما كانا يقامران عليها أخذ أحد الرجلين عملة معدنية قذفها في الهواء ثم التقطها براحة يده.

- أنت أولاً.

بقفزة ترجل الرجل عن سرج حصانه، فك بنطاله قبل أن يرمي بنفسه على تلك المرأة المسكينة العاجزة.

ندت صرخة عن هيلينا، فقفزت عاليًا مستيقظة من نومها العميق، سمعت الخوف والحزن اللانهائي، كانت تلك صرخة امرأة، غمرت منخراها الحساسين تلك الرائحة القديمة للشر واحترق الخاتم في إصبعها، الخاتم الذي حصلت عليه من أمها، حتى قبل أن تلقي بنفسها فوق ظهر نايك وتمتطيها بسرعة فائقة صارخة، كانت قد ألقمت قوسها سهمًا، لسعتها سياط أغصان الأشجار على وجهها غير أنها لم تكن لتلحظ ذلك.

- اسرع نايك... بالله عليك اسرع.

صمتت الطيور.. اختبأت الثعالب وحفار الأرض في جحورها، هربت الأيائل والغزلان بعيدًا داخل الغابة، كان كل ما في الغابة يريد أن يبتعد عن تلك الصرخات البشعة.

بلمحة أخذت هيلينا تصورًا عن المشهد فأطلقت سهمين بسرعة لم يتسع الوقت لكي تعرف إلى أين اتجها، أصاب السهم الأول أحد الفارسين وعلقه على جذع شجرة، أما السهم الثاني فقد اخترق بنطال الفارس وثبته على الأرض، ذلك الرجل الذي حاول أن يفرغ رغبته الشريرة بتلك المرأة التي كانت تستلقي مكلومة، بلا حول ولا قوة على الطحالب.

- اتركها أيها البائس وإلا فإن سهمي القادمين سيخترقا، قلبيكما الدنيئين إن لم تفعل ما أطلبه منك.

كان في صوت هيلينا نبلاً صلبًا، سلطة موروثة لمن اعتادوا أن يكونوا مسموعين مطاعين.. نظر الرجلان بارتياب لهذا الشاب الذي ظهر من العدم وهو يصوب

نحوهما سهامه، وكونهما محاربين فقد فهما جيدًا كم هي مهارة هذا الرجل. وقد عرفا أنه قد كان باستطاعته قتلهما، فتلك العباءة الزرقاء ذات الأسد المتوثب كانت تعطيه الحق بذلك.

ابتسمت هيلينا بتجهم عندما حاول الرجل الذي كان يجر المرأة أن يخفي ما أصاب رجولته من خزي، كانت قد لاحظت الراية التي رسم عليها نصف كرة لولبية خلف سرج حصان أحد الرجلين وعرفت أن هذه الراية تعود لحرس فيليب هولمغيرسون، كانت علامة محاربي كنوت الطويل عبارة عن ثلاثة أشرطة صفراء أفقية وواحد أبيض متعرج على خلفية زرقاء غامقة.

- أنتما الآن في أرضي وفي المساء ستحلان ضيوفًا في منزلي في بيالبو، لم تحترما قوانين الضيافة هنا التي تتمتتع بها عشيرتي عندما دنستما امرأة في أرضنا، أنصحكما أن تغادرا فورًا من هنا، واعلما أنكما محظوظين لأني لن أبلغ فيليب هولمغيرسون عما قمتما به من فعل شائن، عليكما الابتعاد الآن.

لم يكن على الرجلين إلا تخليص نفسيهما من السهمين اللذين قيدا ملابسهما، وبصمت عميق جلسا فوق جواديهما وسارا بأسرع ما يمكنهم مغادرين المكان، عندما أصبحا بعيدين عن السمع تركا لغضبهما ودهشتهما العنان، لقد كانت مجرد عبدة تلك التي حاولا الاستمتاع بها قليلاً، كيف تأتى لفارس من آل بيالبو أن يهتم بهذا الشكل بمخلوق بلا روح؟!.

عندما اختفى الرجلان من أمام ناظريها أرخت هيلينا قوسها مترجلة من على ظهر نايك وأسرعت نحو المرأة المستلقية تتلوى على الأرض صارخة تستمع من خلال عينيها الجميلتين، اختفت صرخات توريد، كانت تعرف أن العبد ليس لديه الحق بالتعبير عن مشاعره، رأت ما حدث عندما لم تستطع أن تكبح جماح غضبها، هل سيظهر هذا الرجل الآن من جديد.. رجل يجثو على ركبتيه بقربها، نازعًا قبعته المصنوعة من القش، وشعر طويل مجعد يتدلى على كتفيه كأنه خيوط أشعة شمس.

- اسمي هيلينا سيغيتريدزدوتر.. لا تخافي، سأساعدك.

لم تفهم توريد شيئًا.. امرأة! لقد كانت امرأة تلك التي أبعدت عنها ذينك الفارسين، كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ وكيف يمكن لأي مخلوق إن يمد يد المساعدة لشخص مثلها؟ عاد الألم من جديد، أعظم وأشد هولاً من أي مرة، يتفجر في داخلها.

- اصرخي، اصرخي، لا تحبسي آلامك بداخلك، فهذا سيقتلك.

كان صوت المرأة النبيلة رقيقًا ورحيمًا، ولكن ليس لامرأة ذات سلطة تقود محاربين لا يعرفون شيئًا عن آلام المحرومين، آلام العبيد أن تكون رقيقة ورحيمة، ولكن الدفء في صوت المرأة تلك قد خفف لديها الكثير من الألم.

ألم جديد، ثم آخر.. خفتت صرخات توريد بينما كانت المرأة التي تدعى هيلينا تمسح العرق من على جبينها محتضنة يدها، كانت تجربة غريبة في ألا تكون وحيدة حينما تلد، امرأة نبيلة إلى جانبها تشع قوة مما يمنحها تخفيفًا ومواساة.

ولكن في اللحظة التالية، عندما دفعت الآلام الهائلة الطفل خارج جسمها؛ استولى عليها الذعر.. مع تلك المرأة الغريبة التي إلى جانبها، لن تستطيع أن تعطي ابنها للموت سريعًا كما تعودت، ستكون الآن مضطرة لتركه وحيدًا في الغابة، فريسة سهلة بلا حول لحيوانات البرية.

رفعت هيلينا تلك الحزمة الدامية وقطعت الحبل بسيفها، لقد كان طفلاً ذكرًا جميلاً، عندما حملته بين ذراعيها وعندما أخذ أول أنفاسه وعندما دوى في الغابة صوت أول صرخة استقبل بها العالم؛ بكت شوقًا، فتحت هيلينا قربة مائها وغسلت بعناية ذلك الجسم الصغير ونظفته من الدماء قبل أن تضعه بين يدي أمه الممدودتين.

- لقد حصلت على ابن، ولد رائع صغير.. هاك، خذي عباءتي وتلحفي بها، يجب ألا نجعل الصغير يبرد.

خلعت هيلينا عباءتها وغطت به الأم وطفلها.

- ما اسمك، وأين تسكنين؟ يجب أن نأخذك وهذا الصغير إلى المنزل، لا يمكنك البقاء هنا، هل تعتقدين أنك تستطيعي الصعود على نايك؟.

ابتلعت توريد ريقها مرة أخرى، هذا الثقل الجميل بين يديها، الابن الذي يتلمس الطريق إلى ثدييها، أنفاسه التي تلامس بشرتها.. هذا الابن... ابنها.

كل الألم الذي عانته عندما أنجبته كان ظلاً شاحبًا لذلك الألم الذي لا يرحم والذي يملأ الآن كل كيانها، لم يحدث من قبل أن أبقت على طفلها بين ذراعيها، أرضعته من صدرها، قبلت تلك الوجنات الطرية، شمت رائحة رضيع، كان ذلك يؤلمها.

بدلاً عن ذلك كانت وبسرعة ستنهي حياة ذلك الطفل، حتى وبدون أن تعرف جنسه، كانت ستغطيه بالفروع والأغصان وتصف الحجارة فوق ذلك الجسد الصغير كي تمنع الحيوانات من الاقتراب منه، ولكن المرأة الشجاعة التي أنقذتها من أولئك المعذبين الجدد كان شيئًا لا يمكن إدراكه وفهمه بسهولة، كان شيئًا غريبًا، لقد ساعدت عبدة تلد وحيدة في الغابة، يجب أن يكون لذلك معنى واضح.

- اسمي توريد.. أشكرك من كل قلبي على كل ما قدمته لي وشكرًا على لطفكم الكبير سيدة هيلينا.. ولكني أخاف من أنك لم تفهمي، أنا عبدة، أنا لا أمتلك حياتي، ولا أمتلك إلا القليل من حياة ابني، يجب أن أتركه هنا في الغابة، سيكون فريسة سهلة - بلا حول ولا قوة - للحيوانات المفترسة الجائعة.

صمتت توريد لحظة؛ كانت بحاجة لاستجماع قواها لكي تكمل حديثها، شعرت هيلينا بيأس المرأة كأنه قبضة تضربها على بطنها.

- في تلك المزرعة التي أقضي فيها أيامي الحزينة ليس لمواليد العبيد أي ترحيب، وسوف يستغرق الأمر سنين عديدة قبل أن يكون هناك سببًا بالموافقة على إطعام الطفل، إنها المرة الثالثة التي ألد فيها طفلاً في الغابة، إنها المرة الثالثة التي أضطر فيها لقتل طفلي، لا يمكنني الهرب لأي مكان، فسرعان ما يتم

القبض على عبد هارب وإعدامه، ثم إن ذلك الهرب لن ينقذ طفلي، والآن في هذه المرة وبسبب عطفك الكبير علي سيكون الأمر أصعب كثيراً، هذه المرة أعرف أنه صبياَ، استطعت في هذه المرة أن آخذ طفلي بين يدي، شعرت بنبضات قلبه، أمسكت يده الصغيرة بيدي، إن الألم الذي أشعر به الآن لأنني سأتركه هنا وحيدًا لا أعتقد أنه سيدعني أعيش طويلاً.

احتضنت توريد ابنها بقوة وبكت بصمت، حياة العبودية علمتها أن الدموع هي التي تستطيع فقط أن تحررها.. شعرت هيلينا بالشلل والانسحاق، كيف لها أن تكون قادرة على الاطمئنان حد السذاجة؟ بالطبع هي تعرف أن العبدة التي تلد تكون مجبرة على ترك طفلها وحيدًا في الغابة، ولكن حتى هذه اللحظة فإنها لم تدرك أن هذا الشيء موجود في عالمها.

في مزرعة دانييل في إستونا لم يكن هناك عبيدًا، أما في بيالبو فلم يبقَ إلا بعض الأجراء المزارعين، أما الآن فقد تسللت البصيرة إلى ما تحت بشرتها ولم يعد من الممكن تجاهل تلك الحقيقة القاسية، اشتعل العار في قلبها وروحها، لقد كانت تعرف ولكنها لم تكن قد فعلت شيئًا، إن الشخص الذي لا يزال يقف صامتًا حول الفظائع والمظالم، الذي لا يناصر الضعفاء، يكون قد أعطى موافقته على ما يجري.

- لديك الحق توريد، أنا أعرف ولكن لدي قلبًا يعرف، وإنه عار علي، إنني أعني ما أقول، سوف أساعدك، لأن على أولئك الذين يمتلكون السلطة أن يكونوا إلى جانبك، إن مسؤوليتهم كبيرة لفعل كل ما هو خير وللسعي للقضاء على الظلم والعدوان، سوف اصطحبك مع ابنك إلى بيتي، إلى صديقي رايم منيخولد، لقد ولد مثلك عبدًا ولكنه الآن عضو مهم في عائلة بيالبو، عائلتنا الأقوى في المملكة.

- ولكن هذا غير ممكن، فمالكي الأرض قد اشتروني؛ فإن لم أعد اليهم فسوف يتم شنقي بقرار من المحكمة، وحينها من سوف يعتني بطفلي؟

لمست هيلينا برفق جبين توريد..

- سأجعل أبناء رايم يذهبون لمقابلة سيدك، سيشترونك منه ويعتقونك، ثقي بي، ليس لسيدك الفلاح أن يتجرأ على الرفض، أنا لا أعتقد أنني سأستخدم سلطة عائلتي لإرغام الناس لعمل ما أريد ولكن في حالتك هذه فإنني سأقوم بذلك، سأجعل أبناء رايم منيخولد يدفعوا للفلاح الذي يمتلكك ضعف ما دفعه مقابل شراؤك، ستكونين أنت وابنك أحرار توريد، وأنا واثقة من أنك ستحصلي على عمل في مزرعة رايم، إنه يفهم كل ما مررت به، ضعي ابنك على صدرك واجعليه يشبع من حليبك، تنتظرنا رحلة طويلة وشاقة بالنسبة إليك.

نهضت هيلينا منادية على نايك، أتت المهرة مسرعة، وقفت أمامها تنفث حبَا عظيمًا لها، طوقت هيلينا عنق المهر وألصقت خدها على وبرها الناعم، اهتزت هيلينا كثيراَ لما حدث، لم تستطع أن تفعل المزيد، بالتأكيد سوف تساعد توريد مع طفلها، ستحرص أن يعيشا كالبشر، ولكن هل يكفي ذلك؟ كم من جارية متمددة في هذه اللحظة تعاني مخاض الولادة، هناك في الغابات كي تلد طفلاً يكون مصيره الموت، حتى قبل أن يبدأ الحياة؟.

اهتز الخاتم الثقيل في إصبعها وعندما وقع نظرها على حجر الكهرمان المؤطر بدا لها كما لو أن حريقًا قد استعر لهبَا داخل الحجر.. بدا كما لو أن الحجر قد أعطى موافقته.

استمعت توريد لصوت البقاء بالحياة يصدر عن طفلها عندما تمطى قانعًا وهو يرشف الحليب من ثديها، لم تعد تشعر ببرودة الأرض التي تتمدد عليها، لم تعد تشعر بالألم في رحمها، استراحت مطمئنة لتلك المعجزة التي أصبحت هي جزء منها، هل أصبحت هيلينا سيغريدزدوتر إحدى الملائكة التي اتبعت هذا الإله الجديد، الإله الذي اسمه المسيح الأبيض؟ كان الصليب الفضي البسيط المعلق حول رقبتها قد أظهر أنها قد اهتدت للإيمان المسيحي.

هي، تلك الملعونة والمحتقرة، توريد سوف تصبح حرة، لن تسمح لنفسها مطلقًا، ولا حتى أن تفكر بذلك ولو فكرة، ولكن في بعض الأحيان ـ في الحلم ـ

كانت تتجرأ فتسأل إن كانت ستتخلص من أيادي الرجال الثقيلة الجشعة، إن كانت ستتخلص من غيرة زوجة الفلاح مالكها وكراهيتها التي تتحول إلى سياط تلسع بها ظهرها، إن كانت ستتحرر من البرد، من الجوع، من اليأس والدموع.

استدارت - في الحلم - فرأت أنها في مرج من الزهور، تجلس إلى جانب جدول رقراق تستمع إلى صدح العصافير وطنين الحشرات الكادحة، في الحلم... ذهبت لترتاح بدون خوف من أيادي مترددة لا ترحم، في الحلم وجدت أن هناك مكانًا للحب، هل تجرأت على الاعتقاد حقًا أن تلك الظلمة قد أصبحت الآن خلفها، إن ذلك الحلم المستحيل قد أصبح في متناول اليد؟.

ذلك الصغير قد شبع.. نام على يد توريد متعبًا، كانت سعادتها لا نهائية، كما هي السماء الزرقاء التي تزين قمم الأشجار.

- هل تعتقدين أنك قادرة على السفر؟ سأساعدك على الصعود على ظهر نايك، سنسير باتجاه بحيرة الغابة حيث تستطيعين الاغتسال.

كان صوت هيلينا مملوءًا بالأفكار..

- نعم قادرة.. أشعر كما لو أني أستطيع الطيران نحو الجبال، أن أجعل الأنهار تُغير من مسارها، قوتي كبيرة كما هو شكري الذي أشعر به تجاهك، هيلينا سيغريدزدوتر.. ماذا يمكن للمرء أن يقول لشخص أنقذ حياة، بل حياتين؛ حياتي وحياة ابني؟

عانقت توريد بنظرها هيلينا..

- أنا لا أملك إلا هذه الكلمات.. ليس لدي إلا أمنية واحدة، هي أن أكون قادرة في المستقبل الذي أهديتنيه الآن على أن أرد لك ولو جزء صغير من هذا الذي فعلتيه معي ومع طفلي.

دمدمت هيلينا شيئًا غير مفهومًا كجواب، لا يزال العار يشتعل في داخلها، والامتنان الذي أظهرته توريد أشعل ذلك أكثر بدلاً من أن يخففه.

بشجاعة وبمساعدة من هيلينا امتطت توريد ظهر المهرة نايك مع ابنها الذي احتضنته بقربها بكل قوة، قادت هيلينا مهرتها نايك خلال الغابة، تحركت المهرة بكل حذر وبعناية كبيرة، لقد عرفت أن المرأة التي على ظهرها راكبة عديمة الخبرة، كانت هيلينا مشغولة الفكر بمصير توريد بحيث أنساها ذلك تماماً أن الناس في بيالبو منشغلين الآن في أعمال التجهيز للحفلة التي ستقام لاستقبال شقيق الملك والتي يجب أن تكون حاضرة فيها لاستقبال الضيف الكبير.

# الفصل التاسع عشر

ارتدت كريستينا منيخولد ملابسها بعناية كبيرة، ستمثل اليوم سلالتها الكبيرة وبالتالي فمن الأهمية بمكان إبراز المظهر الخارجي، كانت تفضل دائمًا ارتداء الثياب الطويلة جدًا من دون بطانة، فلبست قفطانًا طويلاً ووضعت فوقه سترة طويلة ذات لون مختلف.

في يوم مشرف، مثل هذا اليوم اختارت أن ترتدي ثوبًا أحمر داكن مشغول من خيوط المخمل الثمين، له تنورة طويلة متماوجة وأكمام تنتهي عند الكوعين بحاشيات طويلة متدلية، وكأي سيدة متزوجة، خبأت شعرها الطويل في شبكة محاكة من خيوط الذهب، وربطته بشريط من نفس قماش ثوبها الأحمر، ساعدتها الخادمة على ارتداء حذائها ذو الجلد الرقيق حيث ربطت الأشرطة على شكل أقواس زخرفية.

- هل ارتدت هيلينا ثيابها؟

وخزت كريستينا خصلة متصلبة تسللت من تحت شبكة الشعر..

- لا أعتقد أن الآنسة هيلينا قد عادت للمنزل حتى الآن، وفقًا للاسطبل فقد خرجت راكبة فرسها في الصباح الباكر.

- ما هذا الذي تقولينه، أليست في المنزل؟ إنها تعرف أننا ننتظر ضيفًا رفيعًا هذا اليوم، هل حصل معها شيئًا ما؟.

شعرت بشيء تعرفه يضغط على صدرها ويضربها على معدتها، كم مرة خلال هذه السنوات الأربع التي مرت منذ أن عادت البنت لأحضان أمها لم يحدث ذلك؟ كانت هيلينا روحًا حرة، كانت صديقة للطرقات التي اختارتها، وكانت تلك الطرقات تتوافق معها بطريقة أو بأخرى.

كم من مرة أرسلت كريستينا فرسانها للبحث عنها، يلاحقها الرعب أن تكون قد اختطفت أو أصيبت بجروح طرحتها على أرض الغابة، لقد أضاعت العد منذ أمد بعيد.

أكد لها راغنار وبيرغر أن هيلينا قادرة على الاعتناء بنفسها، تمامًا مثلما أكد لها رايم أنها تفهم لغة الغابة، إنها لا تسير أبدًا بالاتجاه الخاطئ، إن بإمكانها أن ترى وتسمع الأعداء قبل فترة طويلة من اكتشافهم لها، بالتأكيد كان لهذه التأكيدات أن تهدئها شيئًا ما، ولكن عدم قدوم هيلينا للمنزل في مثل هذا اليوم، كان أكثر مدعاة للقلق.

- أنغريد ـ أيلفا!

أسرعت كريستينا من غرفتها وهي تنادي أمها..

وجدت الأم الكبيرة واقفة في القاعة الواسعة محاطة بالخدم، كأمير على رأس قواته تشاركهم تعليمات العمل، تُجيب على الأسئلة وتُعطي الأوامر، لا يجب حصول أي خطأ اليوم.

توقع فيليب هولمغيرسون وزوجته وهم برفقة حاشيتهم وفرقة من الحرس مؤلفة من ثلاثين رجلاً أن يتطلب ذلك الكثير من الطعام والشراب وعدد كبير من أسرة النوم.

كُسيت جدران القاعة بمنسوجات ذات ألوان زاهية صنعها النساجون القرويون، ولأجل هذا اليوم أمرت أنغريد ـ أيلفا أن يُغطى سقف القاعة بمفروشات جميلة معلقة، أمامًا عند مقعد الشرف كانت الموائد مفروشة بشراشف من الكتان الأبيض.

هي نفسها كانت رائعة المظهر، كانت أنغريد ـ أيلفا مشهورة على نطاق واسع بجمالها، وقد شرعت نوائب الدهر تستهلك منها شيئًا ما ولكن بحذر، لا يزال شعرها الذي يختبئ تحت حجاب، لا يزال أسود تشوبه الزرقة، لا تزال عيناها الزرقاوان مشعتان كما كانتا في شبابها، أما بشرتها فقد كانت نقية البياض.

كانت ترتدي ثوبًا حريريًا مطرزًا بالأسد الأصفر، تلبس فوقه سترة بلا أكمام مزينة صدرها بدبوس من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة اللامعة..

- أمي، هل رأيت هيلينا؟

- كلا، للأسف.

- لقد ركبت خارجة منذ الفجر، ومنذ ذلك الوقت لم يرها أحد.

- انتظري قليلاً كريستينا.

أعطت أنغريد ـ أيلفا أخر تعليماتها ثم أشارت على موظفيها بالانصراف، جاء بيرغر داخلاً على عجل..

- فيليب وصحبه سيكونون هنا بعد قليل، وفقًا للمعلومات التي لدي فإنهم على بُعد مسافة نصف ربع الطريق إلى هنا، هل كل شيء جاهز أمي؟.

خفق قلب أنغريد - أيلفا فخرًا لرؤية ابنها الذي ارتدى ألوان العشيرة وقد كان ينضح قوة وسلطان..

- نعم بيرغر، كل شيء جاهز ونحن على أتم الاستعداد لاستقبال ضيوفنا، بصرف النظر عن أن هيلينا قد نسيت على ما يبدو أننا ننتظر أخا الملك وهو ينتظر أن نكون هنا جميعًا لنرحب به لدى وصوله، أليست لديك فكرة عن مكان وجودها؟

- كلا، لست أدري أين يمكن أن تكون، ولكني سوف أختار بعض الكلمات التي سأقولها عندما يحلو لها أن تظهر، وأنت - ملتفتًا إلى أخته - عليك أن تطرحي عنك القلق، فلن يحدث لهيلينا شيئًا خطيرًا، أنا لا أعرف شخصًا بارعًا بالعناية بنفسه مثلها، لنخرج الآن ونهتم بضيوفنا، إن راغنار ينتظر بالفعل في فناء القصر.

كان فيليب هولمغيرسون يركب مزهوًا على رأس حاشيته، ووراءه تأتي زوجته "سيف فولكسدوتر" راكبة مع مجموعة خدمها، يتبعهم الحرس وعربات الأمتعة، كانت لافتات شعارات أسلحة الأسرة ترفرف في الريح فخورة.

عما قريب سيكونون أمام حدائق بيالبو، مقر السلالة الأقوى، ابتسم فيليب بسره، كان هذا الشيء مناسبًا لذوقه، كأخوان من عشيقتين لوالدهما لم يكونا ليحلما بحيازة العرش مطلقًا، ولقد حصل هو - كأخ غير شقيق - على الجزء الخاص به من السلطة.

إن إرغام ذلك المتفاخر بيرغر ماغنوسون ووالدته اللامعة أنغريد ـ أيلفا، ولكونه أحد أبناء الرعية المتواضعين، وشعوره كأنما هو في بيته، جعله كل ذلك يشعر ـ قليلاً ـ بالنشوة، أراد شقيقه من استعراض قوته هذا، أن يعرف تمامًا إن كان هذا الشاب بيرغر ماغنوسون وعائلته سيكرسون أنفسهم أنصارًا له ومؤيدين، كان السبب الوحيد الذي جعلهم لا يشهرون سيوفهم حين استولى أخيه على السلطة هو علاقة الدم التي تربطهم بالنبيل الملكي الدوق أولف فازا الذي أعلن ولائه لكنوت الطويل.

سيكون اليوم، يوم مشهد تمثيلي من المداهنة والمداراة الكاذبة والمبالغ فيها، كان فيليب مستمتعًا بتفكيره بغطاء المجاملات التي يظهرها بيرغر ماغنوسون وعائلته المتغطرسة، وليفهموا من هو الذي يقبض على السلطة بيديه، استدار وهو جالس على صهوة جواده مبتسمًا بانتصار ناحية زوجته التي يعرف أنها تبادله نفس الشعور.

كان الانطباع الذي يتركه منظر مزرعة بيالبو يجعل الذهن يظن أنها قرية أو مدينة صغيرة، رغمًا عنهم شعر فيليب بالإعجاب من المسكن الفخم والبرج ذو الطوابق الستة الذي كان يعلم أنه يدعى برج أنغريد ـ أيلفا.

جعل ابن العشيقة يتساءل في داخله؛ حقيقة أن الوالد قد أعطاه اسمه، وأن أخاه غير الشقيق قد أصبح ملكًا، ولكنه عندما أصبح قريبًا من بيالبو استيقظت في داخله المشاعر الحقيقية للشعور بالنقص، هنا في بيالبو توجد أجيالاً من السلطة الموروثة، لا أحد يشكك في شرعيتها، فذلك الشاب، بيرغر ماغنوسون الذي يتمتع بالفعل بسمعة كبيرة في سلالته ستقوده نحو مستقبل مشرق،

ذهبت الشائعات أنه قد ورث عن عمه الدوق بيرغر كل المهارات القيادية، وفي عروقه تجري دماء قومه السفيركير الملكية، شعور فيليب الطاغي بالنقص جعله مهتاجًا، كان يعرف أنه لا يريد أكثر من أن يجعل مضيفيه في هذا القصر، يحنون ظهورهم أمام عظمته الكاذبة.

وصل فيليب براياته المرفرفة ودروعه اللامعة راكبًا حتى باحة القصر حيث كان كل فرسان بيالبو يقفون مشكلين دائرة مفتوحة، في وسط الدائرة وقفت أنغريد ـ أيلفا، كريستينا منيخولد، بيرغر ماغنوسون، راغنار سيغتريغسون، كانوا مستعدين لاستقبال ضيوفهم.. بقى فيليب جالسًا على صهوة جواده بينما سارع أحد الخدم على مساعدة زوجته للترجل عن ظهر حصانها.

كانت أنغريد ـ أيلفا أول المرحبين بالضيف الرفيع وقد رأت الغضب الذي عرفت إنه ثمرة الخوف يرتسم في عيون فيليب هولمغيرسون، عرفت أنه قد جاء اليوم الذي يتطلب موازنة دقيقة كما السير على حبلٍ مشدود، ثلاثة ديوك فتية، اثنان كانا ملكها، يتباهيان الآن بريشهما اللامع.

كان فيليب بزهرة شبابه، رجلاً وسيمًا، ولكن كانت هناك إشارة فعلية إلى إنه آخذ بالسمنة.. وزوجته، ابتسمت أنغريد ـ أيلفا بلطف لتلك المرأة الشابة التي ترتدي ملابس باذخة غريبة والتي أصابها الذهول لمرأى بساطة ملابسها وملابس كريستينا والتي كتمت تنهداتها في داخلها، لم يفهم ضيوفها أن المرء لا يحتاج أن يطفئ شمعة غيره لكي يشرق هو بضوءه الخاص.

عندما انتهوا من مراسم إلقاء التحية دعت أنغريد ـ أيلفا ضيوفها للاستراحة في الخيمة التي أعدت لهذا الغرض، كان يوجد هناك مقاعد وثيرة ومنصات طرية ومائدة مليئة بالفاكهة والمعجنات الثمينة وأباريق من النبيذ المعتق.

وفي الخارج، في المطبخ وقف الطهاة وعدد كبير من الخدم على أهبة الاستعداد لتجهيز طعام الاحتفال: لحم عجول، خنازير، غزلان، خراف، طواويس، طيور دراج وطيور كركي، وسوف يتم طهو أوزة، كانت هناك أسماك سردين وأسماك

الكراكي وسيتم تنظيف سمك الساند وتقديمه، ستقدم للضيوف أطباقًا من الخنزير المشوي المتبل بالنبيذ، لحم الغزلان مع صلصة الفلفل، لحم العجل المطهو ببطء، السردين المقلي مع صلصة النبيذ، سمك الكراكي باللوز، حساء الكرز، وحلوى الجيلاتين مع الكاسترد.
حصلت أنغريد ـ أيلفا وكريستينا من أقطار أوروبا السفلى على وصفات تلك الأطباق ولكنهما اجتهدتا كثيراً وأمضيتا وقتًا طويلاً من أجل خلق وجبات تكون أكبر شأنًا وأهمية من تلك الوصفات.

في محاولة لتجنب الفتنة، بادرت أنغريد ـ أيلفا خلال زيارة فيليب لمنع جميع مسابقات الرجال فيما بينهم، لا ألعاب في البرج، لا مبارزات بالسيف، فهي تريد وبأي ثمن قمع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى مزيد من الدماء بين السلالتين.

بالطبع احتج بيرغر وراغنار ولكنها وقفت لهما بالمرصاد، بدلاً من ذلك فقد حملا أسلحة وهمية، وقد دعت عدد كبير من المهرجين ليملأوا الوقت بألعابهم الطريفة، ولكنها شعرت بالفعل كيف أن خططها التي وضعتها بعناية ربما تبدأ بالانفلات من بين يديها، فإجراء محادثات داخل خيمة محمية كانت كالسير على جليد سقط الليلة الماضية، فأي تمزق في الخيمة يمكن أن يؤدي إلى انزلاق على ذلك الجليد البارد كانت معركة كلمات، كلمات مغلفة بالمجاملات.

رسم فيليب صورة للملك الذي أنقذ المملكة من سوء الإدارة وغياب القيادة، فلقد استطاع كنوت الطويل من خلال الاستيلاء على السلطة من الملك الطفل أيريك أيريكسون أن يحفظ الدولة من الانهيار.

كان ذلك كذبة كبيرة، وكان يبدو على أنغريد ـ أيلفا المعروف عنها قدرتها على إخفاء عواطفها والسيطرة عليها؛ أنها ستكون مجبرة على أن تطبق فكيها بقوة حتى تكاد أسنانها أن تتحطم.

كافأ كنوت الطويل، منذ فترة، أولئك الذين ساندوه في معركة أولستروم خير مكافأة، ولكنه لم يأخذ المال من خزائنه الخاصة، كان قد نهب عددًا لا يحصى من المزارع في سفيلاند وأوبلاند.

كان كنوت الطويل واحدًا من الحكام الذين وضعوا أنفسهم فوق القانون، والذي وضع مصلحته الخاصة قبل حاجات ومعاناة رعاياه الفقراء.

في هذه اللحظة كانت أنغريد ـ أيلفا قد شعرت بالشكر العميق لعدم ظهور هيلينا حتى الآن، كما استطاع بيرغر وراغنار أن يتحكما بلسانيهما، كان ذلك – للأسف - مهارة من هيلينا أن تتغيب، ولكنها رأت اللون يرتفع بوجه بيرغر، رأت كيف كان يكافح من أجل ألا يعطي إجابات على الأسئلة.

لذلك وعلى وجه السرعة وبشعور من الارتياح فقد استمعت لرغبة فيليب، كانت مستعدة تقريبًا لكل شيء يمكن أن يتحدث عنه الناس عدا شيئًا واحد؛ عن كنوت الطويل.

- قبل أن نجلس إلى المائدة، هل نستطيع الحصول على بعض المتعة بقليل من المسابقات، ليس ألعاب بسيوف المحاربين، فذلك كما عرفت ما لا ترغبينه أنت سيدة أنغريد ـ أيلفا، ولكن قليلاً من ألعاب القوس والسهم، فلا أعتقد أن هذا لا ترغبين به أيضًا، ماذا تقول أنت بيرغر؟

ألقى بيرغر نظرة سريعة على أمه، رأى في عينيها موافقة صامتة..

- بالطبع فيليب، إذا كنتم ترغبون بذلك، إرادتك قانون بالنسبة لي.

نظر بيرغر بسعادة إلى فيليب.. لم يكشف ولو بتعبير واحد ما كان يفكر فيه بأعماقه، كان معروفًا على نطاق واسع مهارة فيليب هولمغيرسون بالقوس، وقد كان مفهومًا أنه لا يخفي عدم شوقه لملاقاة بيرغر والسيف بيده، فمباراة مثل تلك لا يمكن له أن ينتصر فيها، ولكن مباراة بالقوس كانت شيئًا آخر.

- لم يستطع أي رجل في أي وقت مواجهة زوجي حين يتعلق الأمر بالرماية بالقوس.

نظرت سيف فولكيتسدوتر بتعالٍ ناحية أنغريد - أيلفا وكريستينا منيخولد.

- نحن حقًا نتطلع إلى رؤية مباراة في الرماية والتي يعتبر زوجك ماهرًا فيها أيتها العزيزة، ولكني أخشى أن يقف أبناء بيالبو ندًا عنيدًا في المباراة.

بذلت كريستينا مجهودًا لكبح جماح سخريتها، تجمع الرجال في باحة القصر بينما كان العاملون يصفون مكعبات قش كبيرة تمت تغطيتها بالكتان الأبيض وقد رسم عليها دوائر بالأسود والأحمر، سيرمي كل رام عشرة سهام من على بعد ثلاثين خطوة عن مكعبات القش.

صر بيرغر وراغنار على أسنانهما وهما يضبطان نفسيهما غضبًا بينما كانا يوليان عناية لرصيد الأهداف وإعداد نفسيهما، كانت عشرة أهداف، خمسة لفيليب ورجاله، وخمسة لرجال بيالبو.

- إن فيليب ماهر بشيء واحد فقط، وهو الرماية بالقوس، أخشى أننا سوف نخسر، راغنار، وهو ذل سيكون من الصعب علي تقبله.

همس بيرغر بتلك الكلمات..

- إنني أتفق معك، لن أكون مشتاقًا لأكثر من أن أزيل شعور الزهو هذا الذي يرتسم على وجهه.

كانت أعصاب راغنار مشدودة في غضب واضح، أثارت حركة بطرف عينيهما حماستهما، جاء متسابق يعدو فرسه مسرعًا نحو المزرعة، التقت نظراتهما، ونفس الفكرة وجدت طريقها إلى رأسيهما، اختفى الغضب منهما وابتسما لبعضهما في توافق مفرح.

- إذن فالسيدة فولكيتسدوتر تتفاخر أنه ليس هناك أي رجل قد حالفه الحظ بالفوز على فيليب الماهر بالرماية بالقوس، ولكنها لم تقل شيئًا عن امرأة، عجل راغنار ونادِ على هيلينا التي لا تريد وبأي شكل من الأشكال أن ترفع عنها قبعة القش والتي لم تتقدم لإلقاء تحية الاستقبال على ضيفنا.

كانت هيلينا تشعر بتعب لا يطاق، حزينة، خفيفة وخجلة بنفس الوقت، كانت تعرف جيدًا أنها يجب أن تتواجد في القصر مع عائلتها لاستقبال شقيق الملك، ولكن الكياسة الزائفة لم تجد لها مكانًا في نفسها قبل أن تتأكد من أن توريد ورضيعها قد أصبحا في مأمن لدى مزرعة رايم، وأن اثنين من أبناءه قد انطلقا من أجل شراء حريتها.

لم تشك ولو للحظة أن رايم وزوجته سيمدون يد المساعدة لتوريد، ولكن ذلك الدفء الكبير والرحمة التي أظهراها كانت في نظر القانون إخفاء لعبد هارب مما جعل عينيها تترقرقان بالدموع.

كان أول ما تذكرته في ذلك الحين هو ما كانت عليه أحداث هذا اليوم، لذا فقد ركبت مسرعة - رغم معاناتها - نحو بيالبو، وعندما رأت راغنار آتيًا نحوها مسرعًا توقعت ما هو أسوأ، الأخ الذي حاول دائمًا أن يغطي على زلاتها، والذي دائمًا ما يوجد لها الأعذار عندما كانت تتصرف بشكل غير لائق كان يريد بالتأكيد أن يهيأها لما سيكون عليه غضب وعصبية أمها وجدتها.

- راغنار، أنا آسفة ولكن عليك أن تعرف أنه قد حدث شيئًا مخيفًا...

- ليس الآن هيلينا، سنتكلم عن ذلك لاحقًا، أما الآن فإن فيليب هولمغيرسون قد تحدانا بمباراة في الرماية بالقوس وبما أنك وبدون مقارنة الرامية الماهرة لدينا، فإننا، بيرغر وأنا لا ندري إن كنت ترغبين بالاشتراك في المسابقة، فليس هناك رجلٍ يأمل أن يتغلب على هذا الفيليب الثرثار و...

قاطعته هيلينا:

- نعم، نعم إذا ما كنتم تريدون ذلك فعلاً، ولكني لا أستطيع أن أقول إنني في مزاج، أنت تفهم...

- فيما بعد هيلينا، سنتكلم فيما بعد، ليس لدينا وقت الآن، ستأخذين مكانك هناك بعيدًا، لا أريد أن تراك الأم أو الجدة، لربما تكونان غاضبتين منك، ولكن إذا ما ربحت المباراة فبالتأكيد سيكون ذلك مدعاة لإطفاء غضبهما، اتخذي كل

الاحتياطات للاحتفاظ بقبعتك القش، فأنا وبيرغر نعتقد أن جنسك يجب أن يبقى سراَ، على الأقل حتى نهاية المباراة.

دلف راغنار إلى أحد الاسطبلات حيث باشروا برعاية نايك، لم يكن صادقًا تمامًا مع هيلينا عندما أخبرها أن الأم والجدة ستمتنعان عن تقريعها إذا نجحت بالفوز في مباراة القوس، فمن الممكن أن يحدث العكس، إذا ما وجد فيليب هولمغيرسون أنه قد هزم من قبل امرأة فبالتأكيد سوف يأخذ الأمر على إنه إهانة، تهجم على رجولته، وسوف تعتبر أم سلالة بيالبو أن مزحتهم خطأ فاضح لما تفرضه قوانين الضيافة غير المكتوبة.

لكن إغراء أن تُعطي ذلك المتعالي فيليب حفنة تراب على أنفه كان شيئًا كبيراَ، ولأنه هو وبيرغر قد عرضا هيلينا الآن لخطر المزيد من اللوم فقد اختار إن يتجاهل ذلك.

- تعالي معي الآن هيلينا لكي أريك مكان وقوفك.. بيرغر وأنا واثنان من حرسنا سوف نتشارك أيضًا ألواننا، إن الذي يصيب الحلقة التي في المركز سيكون هو الفائز، ولكنك تعرفين ذلك جيدًا.

أسرعا، الأخ وأخته لأخذ موقعيهما حيث وضعت مكعبات القش، بحث راغنار عن أمه وجدَّته بطرف عينه ودعا بصلاة قصيرة ألا تنتبها لوجود هيلينا..

استمعت أنغريد ـ أيلفا وكريستينا منيخولد بصبر لشرح ضيفتهما الذي لا نهاية له عن الاحتفالات التي يقيمها كنوت الطويل، عن الطعام، الترفيه، الرقص، التمثيل الدرامي، ألعاب البرج الإلزامية، وجميع ألعاب السلاح الرجالية، ولقد فهمتا أن ذلك كان محاولة من جانب سيف فولكيتسدوتر أن تجعل استقبالهم لها وكأنه شيئًا بسيطًا جدًا.

لم تجلب كلماتها مع مضيفتيها إلا مزيدًا من الشفقة لدى أنغريد - أيلفا، إن الإنسان لا يكون بحاجة للسخرية والتقليل من شأن الآخرين إلا إذا كان هو نفسه يفتقر إلى المشاعر الإنسانية بداخله.

شعرت كريستينا كيف أن ابتسامتها قد أصبحت أكثر جمودًا وأكثر تصنعًا، لوحت بفارغ صبر لأحد الخدم أن يقدم مزيدًا من قطع الكعك المصنوعة بالعسل وشرابًا، فإذا ما وجدت سيف شيئًا ما بداخل فمها فلربما بإمكان ذلك أن يوقف ثرثرتها، ومع ذلك فقد كانت كريستينا طوال الوقت تثبت نظرها على الطريق، كما لو أنها بقوة إرادتها الخالصة تستطيع أن تجلب ابنتها ذات القوام الرشيق.

جعلت ضيوفهم يتذوقون تلك الكعكات اللذيذة، ولكن ذلك لم يشعر كريستينا المذهولة وخائبة الأمل أنه قد استطاع كبح جماح الثرثرة، كانت قد أصبحت في وسط شرح مفصل لأخر حفل لاستعراض أزيائها، عندما لاحظت حصانًا يدخل المزرعة مسرعًا براكبه مقتربًا من حديقة القصر، كان الأسترخاء كبيرًا أشعرها بالألم، لم تصب هيلينا بمكروه، رأت راغنار وقد أسرع للقاء أخته، رأت عامل الاسطبل يقود نايك وكيف أسرعت ابنتها لأخذ مكانها في المسابقة.

كان صوت سيف يخدش أذنها بنفس الوقت الذي طرأ على بالها ما قد يكون حصل هذا الصباح، كانت تهتم تمامًا بمشاركة أنغريد ـ أيلفا بأسئلتها عندما استمرت ضيفتهما بالتفاخر أن ليس هناك من قد ينجح بالتغلب على زوجها بمباراة القوس، أطبقت كريستينا فمها على ما كانت تفكر بقوله.

ابتسامتها السابقة التي صارعت لأجل كتمها، شعرت بها فجأة عندما مالت على سيف متسائلة بذكاء عن كيف تأتى لها أن زوجها كان أحد أولئك الذين لا يقهرون بالرماية، من كان يشرف على تدريبه وهل حقًا لم يخسر أي مباراة؟، نظرت أنغريد ـ أيلفا إلى ابنتها بتساؤل، فذلك التهديد لا مبرر له وليس عليها أن تصب المزيد من الماء على لسان سيف فولكيتسدوتر الذي كان يدور وكأنه طاحونة.

أصبح اثنين من فرسان كلتا العائلتين قاضيين، حيث كان من واجبهما الإعلان عن بدء السباق وإعلان النتيجة، رفع الرماة العشرة أقواسهم مسددين بعناية

نحو الهدف، إنها عشرة سهام فقط لكل رام وستكون لكل سهم قيمة كبيرة، كان التوتر عالياَ، فإما الشرف والمجد للعائلة وإما الخزي في حالة الخسارة.

أحد الرماة، ذلك الذي يقف في المؤخرة والذي سيلعب ضمن فريق عائلة بيالبو رمى سهامه بمثل لمح البصر، بدا ذلك كما لو أن الرامي لم يكلف نفسه عناء النظر إلى الهدف، فبدلاً من أن يصيب الهدف فقد انحرفت سهامه قليلاً.

جمدت أنغريد ـ أيلفا، وركزت نظرها بشكل حاد، تقاتل الغضب والانتصار للسيطرة على انفعالاتها، تعرفت بما يكفي على ذلك الرامي الذي رمى سهامه بلا مبالاة، رمقت كريستينا بنظرة سريعة، رأت ابتسامتها السعيدة وعلمت أنها قد عرفته أيضًا.

رمى جميع الرماة سهامهم، وبدأ الحكام بعد السهام التي أصابت أهدافها، جميع السهام العشرة التي رماها فيليب هولمغيرسون أصابت الدائرة الداخلية فابتسم مزهواً بالانتصار.

عندما تقدم الحكمان نحو الاطلاقات الأخيرة حدق قائد حرس هولمغيرسون بتشكك إلى الهدف، ما رآه جعله يشك بعينيه، بذل رئيس حرس بيالبو أكبر جهد في العالم كي لا يهدر ضاحكًا.. خمس من سهام هيلينا تثبتت بكل قوة الواحد بوسط الآخر في مركز الدائرة الداخلية حتى لم يكن بين السهام أي فراغ، أما السهام الخمسة الأخرى فقد تثبتت حول السهام الخمسة التي كانت ثابتة على الهدف فعلاً.

- هذا غير معقول، لم أرَ في حياتي شيئًا كهذا، تعالوا جميعًا، هنا شيء يجب أن تروه جميعكم!.

كان رجل فيليب هولمغيرسون ممتلئًا إعجابًا حتى إنه نسي أن هذا الرجل الذي وقف في خدمته يقف الآن وهو في ريعان شبابه يواجه أول خسارة في حياته كرامي بالقوس.

تجمع الكل أمام هدف هيلينا بينما كانوا يتفحصون السهام العشرة والتي أصبحت بمعجزة وكأنها خمس سهام منتظرين ردود فعل فيليب هوملغيرسون وهو قد فهم جيدًا إنه إن لم ينجح في تحسين وضعه فإن خسارته ستكون مزدوجة، هو الوحيد الذي عرف في هذه اللحظة كم يكلفه الابتسام غاليًا في الوقت الذي يكون عليه أن يحيي بعنف الرجل الذي هزمه.

- أين المنتصر الذي لدينا؟ أين الرجل الأول الذي نجح بالانتصار علينا؟ تقدم إلى هنا كي أستطيع أن أحييك!

بدأت هيلينا تدرك الآن ما الذي قد تورطت فيه، عندما اقتربت منه رأت في عينيه علامات الغضب والانتقام، ولكن هذا التفكير لم يجعلها تُلقي اللوم على نفسها فقط، فاللوم يجب أن يقع أيضًا على خالها وشقيقها.

- أيها الموقر فيليب هوملغيرسون، تستطيع أن تهدأ، ليس هناك من رجل يستطيع - حتى الآن - أن يهزمكم.

أزاحت هيلينا بحركة عنيفة قبعتها المصنوعة من القش فتطاير ذهبها الأشقر متناثرًا على كتفيها.

- اسمي هيلينا سيغريدزدوتر وأنا أود أن أرحب بمقدمكم إلى بيالبو، وأتقدم باعتذاري لعدم وجودي باستقبالكم حيث إن حادثًا ما قد جعلني أصل متأخرة، يجب أن تغفر لي عدم الإعلان مسبقًا عن حضوري لعبتكم الذكورية ولكني لم أستطع مقاومة إغراء وجود أخي وخالي في المكان، وكما لاحظتم بالتأكيد، سيد هوملغيرسون فإنهما يضاهياكما سوءاَ بالرماية.

أصيب فيليب هوملغيرسون بالخرس، وكذلك فعل رجاله، حتى أن زوجته قد صمتت تمامًا، نهضت أنغريد - أيلفا عن كرسيها مسرعة وصفقت بيديها واستمع الجميع لصوتها الجهوري:

- إذن فقد انتهت هذه اللعبة الصغيرة، أدعو الجميع الآن إلى المائدة، بيرغر عليك أن تقود السيدة فولكيتسدوتر، وربما سيكون لي الشرف أن أرافق السيد هوملغيرسون إلى المائدة.

استمع الجميع باحترام إلى دعوة السيدة الأم، لم يعرف أحد بالضبط كيف يتفاعل مع ما حدث، ربما من الأفضل التظاهر أنه لم يحدث أي شيء، مشت هيلينا إلى جدتها وهمست بأذنها:

- عفواً جدتي، اعذريني على كل شيء، أرجو أن تفهمي أنه قد حدث شيء طارئ.

- ليس الآن هيلينا، أرجو أن تذهبي الآن وترتدي شيئًا آخر، فستان مثلاً، أنت وأنا سنتحدث بالموضوع عندما يغادرنا الضيوف.

برأسها المرفوعة وابتسامتها المتألقة على شفتيها أخذت يد فيليب هوملغيرسون، لقد حان الوقت بالتأكيد للجلوس لتناول العشاء.. لم يكن الحديث الذي يدور حول المائدة عن الوليمة والطعام الجيد أو تلك الكمية الكبيرة من المشروبات، أو عن أولئك المهرجين الذين كانوا يتقافزون حول الجميع، كان الحديث منصباَ فقط على تلك المرأة التي استطاعت أن تنتصر في مباراة القوس على أعظم الرماة في المملكة، وكانت هناك أحاديث أكثر عندما حل الظلام على المنازل في بيالبو.

عندما سار القمر متأملاً صمت المساء، تحيط به النجوم المتألقة، جاء حشد مختلط من الفرسان وحطوا في فناء بيالبو، كان النبيل الملكي الدوق أولف فاز، سليل عائلة بيالبو هو الذي جاء بمثل هذه الزيارة غير المنتظرة وفي مثل هذا الوقت المتأخر.

حل صمتٌ مشؤوم على الحاضرين حين دلف الدوق إلى القاعة، يستطيع المرء أن يستشف من خلال هيئته الصارمة أنه لم يكن شيئًا جيدًا، مشى بخطوات متثاقلة إلى المقعد العالي منحنياَ لأقاربه لفيليب وزوجته.

- أعزائي الأصدقاء والأقرباء أنا آسف لمقاطعة حفلكم الجميل، ولكني أحمل أخبارًا عن أوقات مليئة بالشر.. أمس مساءَ، في قلعة جزيرة فيسينغ؛ فارق ملكنا كنوت هولمغيرسون هذه الحياة، إن مملكتنا الفقيرة تقبع الآن بلا ملك.

حل صمتٌ ثقيل قبل أن يتهامس الجميع فيما بينهم، هل تقف الحرب من جديد خلف الأبواب؟ هل على أولئك المحاربين الذين يتناولون الأنخاب معًا هذا المساء أن يقفوا لبعضهم بالمرصاد في ساحة المعركة؟ تقدم أولف فاز من بيرغر وقال له بصوتٍ خفيض:

- لقد أرسلت أدعو كل أقاربنا لاجتماع عائلي هنا في بيالبو، يجب أن نقرر من سيتولى الجلوس على عرش المملكة بعد كنوت الطويل.

أومأ بيرغر برأسه مجيباَ.. إنه يعرف مسبقًا لمن سيعطي صوته.

# الفصل العشرون

كانت المنطقة الواسعة المفتوحة والواقعة بين كاتدرائية لينشوبنغ وحدائق الأسقف مملوءة بالناس، وكانت تلة الكنيسة لوحة من ألوان قوس قزح، زوار بملابس ثمينة سعداء بشمس الربيع المشرقة، كانت أشجار الزيزفون الفخمة وأشجار الدردار تبدو عارية الأغصان، ولكن الوقت لم يحن بعد لكي تكتسي تلك الأغصان بملبسها الربيعي، كان ذلك في بداية شهر نيسان/ أبريل، من سنة النعمة ١٢٣٥، وقد أصبحت الطرق جاهزة للسير بعد فصل الشتاء.

جاء النبلاء من كل ركن في المملكة وهم في طريقهم لحضور حفل زفاف بيرغر ماغنوسون وأنغيبورغ كنوتسدوتر، كان زواجًا يحمل الكثير من الدلالات عندما انضمت معًا عشيرتا السفيركير والأيريكيون اللتين تقاتلا لعدة قرون من أجل الحكم في المملكة، ومن أجل ذلك البيت الواسع الثراء والمؤثر بيت عائلة آل بيالبو.

كان الدم الذي يجري في عروق بيرغر ماغنوسون هو دم عشيرة السفيركير؛ فأمه أنغريد - أيلفا كانت حفيدة الملك سفيركير الأول، أما والد أنغيبورغ فهو الملك أيريك كنوتسون، أما أخوها، أيريك أيريكسون فإنه الآن ملكًا للمرة الثانية، فإذا ما توجت العلاقة بين بيرغر وأنغيبورغ بالأبناء فإن الدم الذي سوف يجري في عروقهم سيكون دمًا متأتيًا من كلتا العائلتين الملكيتين.

لم يأتِ جميع الضيوف فقط من أجل حضور حفل الزفاف، ولكن كذلك فإنه كان يعتبر مناسبة جيدة لإظهار الولاء وتقديم الدعم للملك أيريك أيريكسون الذي عاد حديثًا من منفاه الدانماركي، كانت أنغريد - أيلفا، كريستينا، هيلينا وراغنار يقفون إلى جانب الملك أيريك خارج بوابة الكاتدرائية الثقيلة، أمامهما كان يقف العريسان، وأخوه الأسقف بنغت.

نظرت أنغريد ـ أيلفا لابنيها بارتياح، فلقد كان مشوارها في الحياة جيدًا، كانت لينشوبنغ أغنى أبرشيات المملكة، قبل ثلاث سنوات كتب الأسقف بنغت إلى الحبر الأعظم، البابا، راجيًا تقديم الدعم المادي من أجل تحويل كنيسة البلدة القديمة والتي بنيت في القرن العاشر إلى كاتدرائية، كان البناء الآن يسير على قدم وساق، فلقد دعي البناؤون من ألمانيا، انجلترا وفرنسا إلى لينشوبنغ من أجل إنشاء بناء كنسي بإمكانه المنافسة مع باقي الكاتدرائيات في أوروبا، ولكن كان يجب أن يمضي بعض الوقت قبل الانتهاء من هذا البناء العملاق.

سمعت أنغريد - أيلفا ابنها الأسقف بنغت وهو يسأل بيرغر وأنغيبورغ إذا ما كانا على استعداد للارتباط بعقد الزواج، أجاب كلاهما بنعم بصوت عالي وواثق بدون أي ارتعاشة في صوتيهما.

حمل بنغت خاتم الزواج بيده، رافعًا إياه عاليًا في السماء الزرقاء مباركًا إياه، ثم سلمه إلى بيرغر الذي وضعه في إبهام أينغيبورغ ثم في سبابتها وأخيراً في الإصبع الوسطى، هناك حيث سيزين الخاتم ذو حجر الياقوت الأزرق المتألق إصبع أنغيبورغ طوال حياتها.

أمال العروسين رأسيهما نحو بعضهما حيث باركهما الأسقف بنغت.. فتحت البوابة الداخلية للكاتدرائية ودعا الأسقف جميع الناس للدخول إلى قاعة الكنيسة المباركة، كان الوقت قد حان لاستعراض العروسين.

أصبح الزحام على أشده داخل الكنيسة حين تدافع الضيوف لأخذ أماكنهم، كان الجميع متعبًا من طول الوقوف، عانت أنغريد - أيلفا من ألم في ظهرها، ولكن المشاعر الجياشة طغت على الألم، وأخذ الهواء يتماوج داخل الكنيسة، شعرت بوجود التوتر والإحباط، خيانة الأمانة والكراهية، كلها مختلطة مع الفرح والسعادة والرضا، كانت في دوامة من تلك الأفكار.

كان شيئًا مستبعدًا للجميع أن يروا أيريك أيريكسون يعتلي العرش مرة أخرى، أكثر من واحد من المدعويين لحضور حفل الزفاف هذا والذين يقدمون ولائهم

الآن، يحلمون أن يكونوا هم من يوضع التاج على رأسهم، وجميع من يجلس الآن في كاتدرائية لينشوبنغ يدرك أنه إذا لم يرزق الملك الحالي، مستقبلاً، أبناء شرعيين فبطبيعة الحال فإن أبناء بيرغر وأنغيبورغ، سيحق لهم المطالبة بالعرش.

ارتجفت أنغريد - أيلفا، كانت التهديدات لابنها ولأحفادها عديدة، كثيرة جدًا، أغمضت عينيها، هدأت من روعها، منادية - بعقلها - ذلك النسر الذي يرى كل شيء.

سمعت صوت خفقات جناحيه الثقيلين، تلمست ريشه الناعم كالحرير بيديها، بعيون النسر، الوحيد الذي لديه القدرة على الرؤية خلال الزمان والمكان تأملت العروسين وهما عند المذبح وبحركة تساقطت الدموع من عينيها عندما رأت أن هذا الرباط الذي بينهما سيتوج بستة أبناء، ابنتان وأربعة أولاد.

تركت المجال لعيون النسر كي تنظر إلى الأمام، الى الملك الشاب، ولكن كيفما بحثت في المستقبل الغامض والمثقل بالضباب فإنها لم تجد أيًا من الأطفال، سيودع أيريك أيريكسون هذه الحياة دون أن يرزق بأطفال، لذا فإن سلالة الأيريكيين سوف تموت من ناحية الرجال، دق قلبها بشدة مذعورًا ولكن بفخر أيضًا عندما تذكرت تلكما التاجين اللذين منذ عدة أعوام وهما يحومان حول رأس بيرغر.

كانت لحظات كريستينا منيخولد مملوءة بالخوف، إن رجلاً وامرأة بمباركة الكنيسة وأمام الرب وهذا الحشد البشري الواسع قد عقدا رباطًا لا يمكن فكه طالما كانا حيين، ولكن الرباط الذي جمع بيرغر وأنغيبورغ كان أكبر من ذلك، إنها تأمل أن يؤدي ذلك إلى السلام، فعشائر المملكة الأقوى سوف تتحد خلف هذا الزواج، وقريبا فإن الدور سيكون على راغنار لكي يعلن زواجه من خطيبته "أولفهيلد سيغيتسدوتر".

إن أغلب الزيجات كانت تتم خلال أشهر الصيف أو في بداية الخريف عندما تكون الخزائن ممتلئة، كانت حفلات الزفاف مكلفة وكلما كانت مراتب الإنسان مرتفعة في السلم الاجتماعي؛ ارتفعت تلك التكاليف، إن اثنتين من تلك الزيجات بسنة واحدة ستحفر حفرة عميقة في خزائن آل بيالبو.

ولكن ابنة سيغ غوتورمس ستحمل معها هدية كبيرة على شكل مناطق واسعة من الأراضي وبعض المزارع، وعلى الزوج أن يقدم هدية مناسبة من الأموال والسلطة..

كذلك لم تكن هدية أولفهيلد الصباحية سيئة للغاية، كانت مزرعة جميلة تقع بين بحيرتي فاترين وفنرين، ما الذي كان سيحصل عليه الشابان أصبح مسألة ذات أهمية ثانوية، بالضبط كما يحصل مع بيرغر وأنغيبورغ اللذان يقفان الآن أمام المذبح، على المرء أن يأمل فقط أن يعم الاحترام بينهما، وأنهما في نهاية المطاف سيكونان قادرين على إبداء الحب لبعضهما.

بدأت كريستينا تشعر بالتعب، بدأ ظهرها يؤلمها بسبب وقوفها الطويل، شعرت بذراع هيلينا القوي يطوق خصرها، لقد كانت هيلينا تستطيع دائمًا أن تحس بمشاعرها.

تنفست كريستينا بعمق، لقد حان الوقت أيضًا لزواج ابنتها، طرح بيرغر بصفته ولي أمر هيلينا وكبير العائلة المهم، العديد من المرشحين الملائمين، ولكن لم يتم حتى الآن الاستقرار على أي منهم، وكان ذلك عائدًا لأن هيلينا لم تكن قد اتخذت قرارها بعد، ولكن كان يجب النظر لأراء ممثلي العشيرة من الذكور بعين الاعتبار.

كان هناك شيء ما في هيلينا يجعل المرء يتعامل معها بطريقة مختلفة عن باقي النساء، كان لدى الابنة أنفاسًا كالتي تمتلكها أنغريد - أيلفا، ولكن الوقت بدا كما لو أنه ينفذ بالنسبة لهيلينا، فقبل نهاية هذا العام بات عليها أن تكون مخطوبة، وهذا ما أوضحه لها بيرغر قبل أن يسافر متجه نحو لينشوبينغ.

خلال أيام الاحتفال بالزواج، سيكون ممثلي المملكة كلهم مجتمعين، حيث ستكون مناسبة رائعة للشروع بمفاوضات عديدة ومطولة والتي عادة ما تسبق الخطوبة، أرخت كريستينا رأسها على كتف هيلينا، آه لو تستطيع أن توقف الزمن فتحتضن ابنتها لأطول ما يمكن من وقت.

شعرت هيلينا بالألام التي بدأت تعصف بظهر أمها، طوقت خصرها، حتى أنها رفعتها قليلاً عن الأرض في محاولة منها للحد من الألم، ولكنها هي أيضًا كانت متعبة.

بعد الاحتفالات التي تقام في المزرعة، عليها أن تسهر مع بعض النساء من علية القوم - ووفقًا للتقاليد المتبعة - ليلة مع العروس، لن يكون هناك نومًا طويلاً، وبعد تقديم العروس فإن الاحتفالات ستبقى مستمرة.

جعلت هيلينا نظرتها تسترخي عند بيرغر وأنغيبورغ، كانت تحبهما كلاهما، إن زواجهما سيحمل تغييراً كبيراً بالنسبة لأنغيبورغ، فبيرغر سوف يستمر يحيا حياته كما ألفها سابقًا قبل الزواج، أما أنغيبورغ فعليها أن تدير المساحات الواسعة من الأراضي والمزارع العديدة في فسترغوتلاند، وأن تعمل على دمجها مع المزارع التي يمتلكها بيرغر بالفعل.

من المهام التي أصبحت ملقاة على عاتق خالها؛ السفر إلى جميع أرجاء هذه العقارات لضمان أن يتم التعامل بالطريقة التي يتمنونها، عليه أن يقضي أيضًا وقتًا طويلاً برفقة الملك أيريك، هناك في جزيرة فيسينغ، كان بيرغر ينتمي للحاشية الخاصة المقربة من الملك، إذ كان الملك الشاب يوليه ثقة كبيرة، كان على بيرغر الاستمرار بالسير على الطريق الذي خططه بالفعل، كان يبني أرضية ثابتة، قاعدة قوية مستقرة ومستعدة لأي مواجهة غير متوقعة.

بالنسبة لأنغيبورغ فإن هيلينا، للأسف، لم تشعر أنها تستطيع تقديم أي مساعدة للمرأة ذات العينين المشرقتين، العروس التي تقف عند المذبح، فمنذ الآن هي سيدة المنازل في جميع مزارع بيرغر وخلال غيابه ستتولى هي

مسؤولية إدارة العقارات ورعاية كل العاملين، وأن تحافظ على الجميع متكاتفين في أيام الأعياد والاحتفالات.

عليها دائمًا أن تكون أنيقة الملبس، فمن خلال ملابسها سوف يتم ملاحظة أوضاعها وأوضاع زوجها، وستكون مجبرة على أن تسير وفق القواعد الصارمة في كل الطقوس التي تقام في الخارج في كل المناسبات، سواء الدينية أو الاجتماعية، ستكون أنغيبورغ هي الواجهة لزوجها في الخارج، ارتجفت هيلينا لمجرد التفكير بكل ذلك.

ولكن المهمة الأساسية لأنغيبورغ هي إنجاب طفل ذكر، فعليها تقع مسؤولية ثقيلة أن تنجح في إنتاج العديد من الورثة، كان معدل وفيات الرضع مرتفعًا بشكل مخيف، وبالتالي فإن الإنجاب كان يعتبر ضرورة لكي تحافظ العشائر على بقائها، إن أي امرأة متزوجة تنتظر بفارغ الصبر أن تصبح حاملاً، حتى لو أخذ ذلك الشيء الكثير من صحتها.

كانت هيلينا تعرف أنه من النادر أن ترزق امرأة بمولود بعد سن الخامسة والثلاثين، كانت والدتها وجدتها من بين بعض الاستثناءات، لكن ذلك كان ربما لأنهما اختارتا عدم الزواج، كان الرجال يعيشون أطول من النساء، باستثناء الحروب والمعارك، وكانت لهم العديد من العلاقات خلال حياتهم.. أحد أهداف الارتباط بين اثنين ينتميان إلى طبقة عالية كأنغيبورغ وبيرغر؛ ليس أكثر من تحالف من أجل المصالح المادية، وهذا ما كانت تنتظره هي أيضًا.

كانت تعرف أن السؤال عن الهدف من زواجها بدأ يطرح منذ أمد بعيد، ولقد كان السبب الوحيد الذي يمكن أن تتعلل به لعدم زواجها حتى الآن هو غيابها الطويل عن بيئتها، وكانت العائلة تؤمن بما فيه الكفاية أنها بحاجة لوقت طويل كي تستطيع التأقلم من جديد على نمط الحياة ضمن العائلة والعشيرة.

لاحظت أن أمها وجدتها كانتا غير مرتاحتين لأنها لم تكن تطلعهما على ماهية الاختلاف الذي تشعر به، فأن تعيش عشر سنوات مرتدية ملابس الرجال وسط مزرعة بسيطة؛ كان هو ما رسم طريق حياتها.

كانت طقوس الزواج قد انتهت وسار العروسين إلى الأمام في ممر مزدحم، يسير أمامهما الأسقف بنغت والملك، ثم سار خلفهما بقية المدعوين، شاعرين بالارتياح لأنهما قد تحركا أخيراً، حان أخيراً موعد العشاء الكبير داخل مزرعة الأسقف، وتابع المحتفلين نجمي الحفل، العروسين، تبع العروسان الأقرباء والأصدقاء حتى قاعة الزفاف، تلك القاعة في مزرعة الأسقف والتي أعدت خصيصًا لهذه المناسبة، وكرجل وامرأة فإن الوقت قد حان لكي يتقاسما السرير، فجسديهما كان يجب أن يتشاركا السرير في الحال، لذا فقد كانا ملزمين باتباع جدول الزواج القانوني.

أمسكت هيلينا ذراع أمها بقوة عندما خرجتا من تلك الكاتدرائية الكئيبة وذلك لدعم والدتها، وأيضًا كوسيلة لتوفير الحماية لها شخصياً.

عندما انتهى جزء الزفاف الخاص بالكنيسة؛ أصبح الفضاء مليئًا بالتلميحات الجنسية والنكات الزلقة وشعرت هيلينا كيف أن نظرات الرجال قد تعلقت بها، لم يكن ذلك مستغرباً ولكن كان هناك توتراً محيراً أكسب خديها لمعانًا وتوهجًا.

بعد أن سارت هي وأمها تلك المسافة القصيرة لحديقة الأسقف، شعرت كما لو أنها تسير على جمر متقد، وعندما دلفت إلى تلك الغرفة التي تقاسمت فيها المشاعر هي وأمها وجدتها في استعدادهم للحفل فقد ارتعدت هي تحسباً له.

وقف راغنار وسط حشد المدعويين خارج كاتدرائية لينشوبنغ، مستمعًا لذلك الطنين من النكات السمجة، التلميحات السياسية، ذلك الحسد المريض المستتر، استمع لكلمات تسابق كلمات الغضب والإحباط بسبب زواج بيرغر ماغنوسون

من سيدة بهذا المستوى الأعلى من مستواه، فهي ابنة ملك وأخت ملك، وذلك سيجعل منه شخص أقوى، وسيحصل على المزيد من السلطة.

كان جناح بيرغر ضمن عائلة بيالبو من الموالين دائمًا لأريك أيريكسون، وعندما عاد الملك الآن من منفاه واعتلى العرش من جديد فإن ذلك الولاء بالتأكيد لم يتغير.

شعر راغنار أن ذلك اليوم وذلك العرس كان تتويجًا لتحدٍ طويل محفوف بالمخاطر، فمنذ ذلك المساء الذي أتى به الدوق أولف فاز بخبر كنوت الطويل؛ أصبحت الحياة معلقة على حد سكين تضغط على حنجرة، تذكر راغنار أن عدم الاستقرار الذي عصف بالعشائر أحدث صدعًا داخل الدولة، صدعًا شاقًا وواضحًا.

اختار الدوق أولف فاز أن يورث العرش لوريث الملك ابنه هولمغير كنوتسون بالوقت الذي دعا فيه بيرغر بالفعل الملك أيريك لاعتلاء العرش، حقق بيرغر انتصارًا في تلك المعركة، ولكن الجروح ما تزال باقية، فقد وقف ابنا العم بوجه بعضهما، كأنهما ديكان في ساحة مصارعة، ولكن كان واضحًا للجميع من هو الطرف الأقوى.

كان الدوق أولف فاز ينتمي إلى ما كان عليه، في حين أن سمعة بيرغر كانت قادمة، والآن فإن أيريك أيريكسون يجلس على العرش من جديد، ومستمعًا لنصيحة بيرغر فقد سمح للدوق أولف فاز بالاحتفاظ بمركزه المهم كدوق للدولة، مع اعتقاده دائمًا أنه كان الذراع القوي للملك كنوت الطويل.

كان راغنار يعلم جيدًا أن بيرغر قد تصرف بهذه الطريقة من أجل الحفاظ على السلام الهش في المملكة، ولكن أيضًا هو نفسه لم يكن لديه الدعم الذي يحتاجه من أجل الحصول على المكانة التي يتمتع بها الدوق، بنى بيرغر قاعدة مستقرة، فهو لا يزال لديه الوقت، إنه في الخامسة والعشرين من العمر فقط

وهذا يعني أنه أصغر كثيراً من أولف فاز، وكان زواجه من أنغيبورغ يشكل أحد الأعمدة الأساسية في بناؤه.

كانت أيضًا خطوبة راغنار من أولفهيلد ابنة سيغ غوتورمس ذات الثراء الواسع، فقد كان لحماه نفوذه الخاص في أوبلاند وفي شمال سفيلاند، وكان قصر أولفهيلد يشتمل على منطقة واسعة في هذا الجزء من المملكة.

كانت استراتيجية بيرغر أن ينقل قلب المملكة من الجانب الذي تقع فيه جزيرة فيسينغ نحو منطقة أعلى شمالاً إلى ذلك الجزء الواسع الخالي من المملكة، اعتبارًا من هذا اليوم كان بيرغر قد قرر أنه بزواجه هذا سيكون الوقت قد حان للانتقال من بيالبو، لقد اختار بيرغر أن يكون مركز الملك في مقاطعة فسترغوتلاند، هناك حيث وضع الخطط من أجل بناء قصر من الحجر ذو أبعاد عملاقة.

بدأ الكثير من الضيوف بالدخول ببطء إلى حديقة قصر الأسقف، لمح راغنار أمه وهيلينا تتجولان بين الحشد بأفكارهما، كان لهيلينا دورًا مهمًا في استراتيجية بيرغر طويلة الأمد، فكونه ولي الأمر فقد تلقى العديد من عروض الزواج، ولكن راغنار يعرف من يود بيرغر أن يكون زوجًا لابنة أخته، رفرف عدم الارتياح متسللاً إليه، كان شيئًا جيدًا وصالحًا أن يختار خاله زوجًا لأخته، ولكنه ربما لن يكون نفس الرجل الذي تريد هيلينا اختياره، إلا أنها ستكون قادرة على القول فيما إذا كان ذلك يلائمها أم لا، بذل جهدًا للتخلي عن الأفكار المزعجة، فقد كان هذا اليوم يوم عيد، كانت متاعب الغد بالانتظار.

كانت قاعة قصر الأسقف مليئة ببحر متماوج من الضيوف الراقصين، عاقدين أيديهم مشكلين سلسلة ملفوفة طويلة، في الوقت المناسب ومع الموسيقى يتحرك المرء نحو اليسار بخطوات سريعة قصيرة متوالية، يقودهم الراقص الأول، شدا المغني بأغنية ترافقه فيها موسيقى القرب، الناي، الكمان والطبول وقد انضمت العديد من الراقصات بعد تمنع.

أحبت هيلينا أن ترقص، استمتعت بالحركات الراقصة على أنغام الموسيقى وأحبت أن تغني، كان مصدر للارتياح البحث عن عشاء لا ينتهي أبدًا، بعدد لا يحصى من الأطباق ووفرة من النبيذ والجعة، وأخيراً النهوض عن المائدة مع الحرية بالذهاب إلى أي من الموائد المليئة المملة.

والآن لن يتمكن جميع الضيوف بالمشاركة بالرقص، فالكثيرين قد عبوا بالفعل الكثير من الكؤوس ينظرون بعمق نحو الآخرين وهم يلفون في أرجاء القاعة أو من ينام منهم وهو جالس إلى مائدته.

مضى المساء طويلاً ومضى الضيوف فرحين بين ضحك ومرح ونكات بذيئة ومرافقة للعروس والعريس إلى مقصف العرس، حيث سيقوم الكاهن بمباركة الفراش، وهذا ما يشكل ذروة تقاليد حفل الزفاف، فمع اتحاد جسدين، كان زواجهما الآن لا رجعة فيه وملزمًا قانونًا.

ولكن الحفل في قاعة قصر الأسقف الرائعة لم ينته بعد وسوف يستمر لفترة أطول، قبل أن يأتي ضوء الفجر الشاحب باحثًا بلطف عن النوافذ مذكرًا أن يوم جديد كان قد بدأ بالاقتراب وعلى المرء أن يوقف العزف على البيانو المربع أيضًا، كما تم إفراغ براميل الجعة والنبيذ من محتوياتها، فقد اختفت الكياسة والحرارة اللامعة.

احتست هيلينا قليل من الشراب، كانت تشمئز من السكر المفرط ومن أولئك الذين يكونون في حالة سكر بحيث يفقدون السيطرة على أفعالهم، فلو لم يكن وجودها في القاعة بسبب الرقص لكانت انسحبت إلى الغرفة التي تجمع أمها وجدتها.

انحنى أمامها ذلك النبيل الشاب الذي دخل إلى حلبة الرقص على جانبها الأيمن والذي ضغط يدها بإحكام، كان رجلاً وسيمًا، يشع نضارة من كل ركن فيه، شعرت هيلينا بدغدغة محيرة في خصرها وابتسمت له ابتسامة متألقة، بنفس

اللحظة التي اشتعل فيها الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير في إصبعها كأنه النار، نشجت تألمًا واختفت الرغبة وكأنها صدى الموت.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك، فقط في حفل الزفاف هذا حدث الأمر عدة مرات، فبأسرع ما كانت تسمح لنفسها بالنظر بعمق إلى عدد من العيون الحزينة كان الخاتم يحرق إصبعها، كما لو كانت الغيرة تحرسها، وكما لو أنه يريد أن يمنعها من تذوق الفاكهة المحرمة، كان ذلك مزعجًا للغاية.

ولكن ما أثار غضبها حقيقة أنها لم تتمكن من الابتعاد عن الشعور به، لقد شعرت أنها مجبرة على الانصياع، كان ذلك شيئًا لا يمكن تفسيره وليس بالشيء الذي يخيف قليلاً فقط، كان ذلك كما لو أن الخاتم يتكلم معها، كانت في الواقع تتمنى ألا تلتقي في المساء حين يجعل الفرح حتى الجدران تغني مثل هذه التنبيهات المثبطة.

في لحظة من دون حراسة؛ حاولت أن تخلع الخاتم للهرب من تلك الحراسة القسرية، ولكن الخاتم كان متعلقًا بإصبعها بكل قوة وذلك ما لم يحصل سابقًا، فبالعادة قد كانت تستطيع خلعه كأي حلية أخرى.

كان الشاب الذي أخذ يدها بقوة ينظر إليها بإعجاب، بدهشة وخيبة أمل، بدأت الرقصة التالية، هذه المرة كانت رقصة دائرية، أخذ اثنين من الرجال يديها وبدأ المغني بأغنية جديدة، يقترب منها الرجلان، يقتربان منها تمامًا حتى ينظران إليها بشكل مناسب، ويهمسان ببعض المجاملات في أذنيها.

احترق الخاتم في إصبعها وتغلب عليها التعب، استطاعت بشكل ما أن تنظر إلى أمها وجدتها جالستان مستندتان إلى كتف كل منهما، وكانتا ترقبان بنظرات ثاقبة كل خطوة تخطوها،عندما توقفت الموسيقى وانفضت حلقة الرقص قررت أن تذهب إلى غرفتها، ولكن اتضح أن ذلك لن يكون سهلاً على الفور، فلقد وجدت نفسها محاصرة بأجساد حشد من الفرسان الذين أخذت منهم الثمالة مأخذًا وهم يحاولون منعها من المغادرة، كان ذلك كريهًا جدًا وحاولت أن

تبحث بنظرها من أجل المساعدة، ولكن راغنار كأنه قد اختفى من على وجه الأرض.

- يكفي الآن أيها السادة، ألا ترون أن الأنسة سيغريدزدوتر لا ترغب بعد الآن برفقة أي أحد؟ هل نسيتم تمامًا ماذا يعني السلوك المؤدب؟

تدفق الخجل على أولئك الفرسان العنيدين إلى حد بعيد، لم يحمل صوت الرجل أي تردد، وكان تصرفه عصريًا تمامًا.

- اسمي ستورا ألوتسون من عائلة فروسفيك، دعيني أرافقك إلى غرفتك آنسة سيغريدزدوتر..

نظرت هيلينا إلى الرجل الذي جاء لإنقاذها، كان فوق منتصف العمر، كان شعره رماديًا حديديًا، تبدو على وجهه علامات حياة أشخاص أخذوا نصيبهم العادل من السعادة والألم، ولكن عينيه الرماديتان كانتا تفيضان شبابًا وفضولاً، يبدو عليه الفخر ويشع منه الأمن والطمأنينة والأمان بشكل واضح.

- نعم، شكرًا، هذا شيء جميل تمامًا من قبلك سيد ألوتسون، أنا ممتنة لأنك قد لاحظت وضعي المحرج فأتيت لمساعدتي.

أعطى الرجل النبيل يده إلى هيلينا وغادرا القاعة سويًا.. لم يكن كافيَا لهيلينا أن تعرف من هو الرجل الذي يمشي إلى جانبها، ستورا ألوتسون كان هو الرجل الذي رغبت أمها أن يكون زوجًا لها.

## الفصل الحادي والعشرون

اتكأ ستورا ألوتسون على الحاجز المصنوع من خشب الصنوبر وملأ كفه المقعرة بالماء النقي الذي تمتلئ به بحيرة مالارين قبل أن تلتقي ببحر البلطيق. كان الماء باردًا جدًا حد التجلد، فوق رأسه طار سرب من الطيور المهاجرة وهي تعود لأوطانها، تحية ترحيبية من الربيع الذي جعل الأيام تطول بوضوح.

خارجًا كان هناك برج الدفاع (القلعة) الستوكهولمي المنتصب على تلة في المدخل، ذلك البرج الذي بناه الملك كنوت أيريكسون بعد اختراق القراصنة الكارليين، القاطنين على الجانب الآخر من بحر البلطيق، بحيرة مالارين عبر نورستروم حيث أحرقوا ونهبوا مدينة سيختونا وقتلوا الأسقف وعددًا كبيرًا من السكان، وقد حدث ذلك في عام الشرَ الذي يصادف السنة ١١٨٧. والقلعة الآن أحد المناطق التي ورثها، تمتد أملاكه من هنا، من دانارو في الشمال إلى هناك حيث ستوكهولمين، حيث تلتقي مقاطعة أوبلاند مع مقاطعة سودرمالم، كان الطريق الواسع القديم القادم من الشمال من أوبسالا يمر أعلى ستوكهولمين ومن ثم يستمر رابطًا أجزاء من سفيلاند مع أجزاء من غرب غوتلاند.

قفز الصياد الذي كان يجدف له إلى الشاطئ وربط الزورق إلى شجرة البتولا القوية التي تدلت أغصانها في الماء.. ألقى ستورا ألوتسون نظرة سريعة بعيدة نحو الجانب الآخر حيث ترك رجاله هناك وقد تركوا خيولهم ترعى حرة على الشاطئ، كان يريد أن يبقى وحيدًا دون حراسة، كان بحاجة للتفكير، لم يكن هناك الكثير من الأبنية خارج ستوكهولمين، فقط بعض الفلاحين وعوائلهم على كلا الجانبين الطويلين في الجزء الجنوبي من تلك الجزيرة الصغيرة، ولكن على الجانب الشمالي كان كل شيء حاد وكثيف، كانت القلعة قد بنيت على أعلى نقطة في الجزيرة لكي يستطيع المرء، سواء من المتاريس أو المزاغل، أن يحصل على منظر واسع، وأن يكون لديه الوقت المناسب لإمكانية اكتشاف أي تهديد من العدو.

منذ زمن سحيق وهي هنا، في الممر الشمالي توجد الدعامات الحجرية داخل الماء، ولكنها لم تكن كافية لردع هجمات القراصنة.

تبع ستورا ذلك المسار الحاد نحو البرج المثير للإعجاب، كان ارتفاع القلعة يبلغ خمسة وعشرين متراَ، أما قطرها فيبلغ خمسة عشر متراَ، أما الجدران فكان سمكها يبلغ قرابة الأربعة أمتار، وإذا ما حاول المرء الدخول للبرج فعليه أولاً وعبر سلمة واحدة أن يصعد إلى الطابق الثاني، ثم عبر سلم بإمكانه الصعود إلى الطوابق الأعلى.

لم يكن يفكر بصعود البرج ولكن قبل الخطوبة كان عليه أن يستدعي الناس لغرض تنظيف البرج من الداخل، فلقد وجدت الطيور في غرف البرج مكانًا تستمتع فيه حرة.

كانت صورة هيلينا سيغريدزدوتر تتقافز في فكره فأخذ نفسَا عميقًا، هل اتخذ القرار الصحيح وهو يمضي قدمًا من أجل الزواج من هذه الصبية، المرأة الجميلة من آل بيالبو؟ إنها في مطلع شبابها من الحياة، في حين إنه هو قد وصل من الحياة إلى أوجها، كان من الممكن أن يكون الأمر أكثر ملائمة لو أنها تزوجت بأحد أبناءه، ولكن اثنان منهم كانا متزوجين بالفعل، "هيلغة وهيرمان"، أما الثالث جاكوب الذي كان قائدًا لحرس الملك النرويجي "هوكون" فقد كان خاطبَا لنبيلة نرويجية.

كان ستورا أمام القلعة وكانت الريح تحمل رائحة البحر والأرض التي استيقظت باكراَ، تنفس عدة مرات بعمق، ولكنه كان ينظر بعيدًا نحو السماء، البحر، البحيرة، الغابة والمروج، كانت ستوكهولمين مكانًا رائعًا وجميلاً، يحتضنها الماء من كل جانب، كانت جميلة ولكن خطرة، الجزيرة الصغيرة كانت بوابة لمنطقة مالارين المزدهرة، وعلى القراصنة القادمين مهاجمين من كارالين ونوفكورد أن يعبروا من هنا لكي يتمكنوا من دخولها، لم يكن هناك الكثيرين ممن يرغبون بالسكن هنا.

جلس ستورا على حجر ناسيًا نفسه، تأخذه الذكريات السوداء، لم يرَ الأرنب الذي وثب أمامه بسرعة أو القنفذ الذي بدا متكاسلاً وهو يرتفع بين كومة من الأوراق، حتى أنه لم يسمع الشحرور الذي أنشد أغنية للربيع.

لقد تزوج في السابق مرتين، ومرتين كان الموت يأخذ منه زوجتيه، ماتت كلتاهما وهن على فراش الولادة، نما وكبر ثلاثة من أبناءه، أما ابنته وابنه الأخيرين فإنهما يرقدان الآن بسلام في قبريهما.

كان الألم والشوق تابعاه الدائمين، وكان الاضطراب أيضًا، كانت كلها مثل فئران تستنزف روحه، كانت السنوات الأربعة التي قضاها في السلطة أثناء حكم كنوت الطويل هي السنوات الوحيدة له في مقاطعتي أوبلاند وسودرمالم، أما في أملاكه وعقاراته الخاصة فقد بذل أفضل ما لديه من جهد من أجل حمايتها وحماية الساكنين فيها من السلب والنهب والاعتداء، وكان الكثير من اليائسين والمعدمين قد جاؤوا إلى فروسفيك طلبًا للمساعدة والحماية.

في قاعات المحاكم كان السيف وليس قوانين المقاطعات هي التي تتكلم، وقد قتل الكثير من الرجال في السجون ودوائر الحجر.. كان سفر المرء إلى الكنيسة من أجل المشاركة في قداس أيام الآحاد عملاً محفوفًا بالمخاطر، ولقد عانى الكثيرين من تلك الهجمات التي قضت على العديد منهم.

مرة أخرى رأى صورة هيلينا تترائى أمامه، إذا ما استطاع - من خلال هذا الزواج - أن يشكل تحالفًا مع عائلتها، عائلة بيالبو وعائلة أيريك، عائلة الملك، فإن ذلك من شأنه أن يقوي فرص السلام التي يأمل هو أن تعم أرجاء المملكة، كان هذا حلمه كقائد عشائري.

ولقد كان هناك بيرغر ماغنوسون ذو الأحلام السامية في مملكة موحدة بقيادة ملك قوي، مملكة يسود فيها القانون والعدالة، وذلك ما أدى به إلى المضي قدمًا في هذه الخطبة، ومع ذلك كان مترددًا منذ أن التقى بعروسه المستقبلية في حفل زفاف بيرغر ماغنوسون في لينشوبينغ.

ليس لأنه كان يشعر ببعض التردد إزاء هيلينا سيغريدزدوتر، على العكس من ذلك فلقد كانت تشع جمالاً وذكاءَ مع شخصية يتلاشى الجميع أمامها، كان فقط يشعر أنه لن يستطيع منحها كل ما تستحقه، ثم إنه لم يكن يقصد أي ممتلكات دنيوية لأنها كانت موجودة لديه بوفرة.

كلا، كان يشعر أنه كبير بالسن، متعب، وبعيد عن الاستعداد كي يتزوج من امرأة بسن أقرب ما تكون ابنة له، كل ما يطلبه الآن من الحياة هو الهدوء والراحة، الحرية والانسجام، وهو يعرف أن الحياة مع الآنسة سيغريدزدوتر لن تكون حرة.

ولكن وفي مثل هذه الحالة لم يكن ذلك مجرد تفكير بنفسه وأنانية، إن عليه مسؤولية تجاه أبناءه، أحفاده، أولئك الذين يسكنون بأرضه وعوائلهم، إن السلام في المملكة يعني الرخاء، طعام على الموائد، ملابس للأجساد، أمان للجسم والأطراف، فإذا ما كان زواجه سيؤدي إلى هذه النتيجة إذن سيقول وداعًا للشيخوخة الهادئة.

حلقت بعض النوارس المتعبة حول البرج، غاضبة من أنه قد تم التعدي على ممتلكاتها، نظر ستورا ألوتسون نحو الأعلى وترك نظراته تسبح فوق الجزيرة الصغيرة، سريعًا سوف تكون هذه بعض من ممتلكات هيلينا سيغريدزدوتر.

ستوكهولمين ستكون هدية الزفاف كما طالب بذلك بيرغر ماغنوسون من أجل ابنة أخته، على الرغم من أنه سوف يستمر - كزوج لهيلينا - ليكون مسؤولاً عن الجزيرة، ولكن بعد وفاته ستكون الجزيرة ملكًا لهيلينا فقط.

ابتسم ستورا قليلاً بمرارة.. لقد حسب بيرغر جيدًا أنه سيموت قبل هيلينا، وهذا في حد ذاته كان احتمالاً واردًا بقوة، كان بيرغر ماغنوسون قد خطط بشكل مذهل من أجل ستوكهولمين، أنه يريد أن يضع قفلاً لميلارين من خلال تقوية الدفاعات في نفس المكان، فإن تلك السدود من الدعامات المهترئة لن تشكل حواجز فعالة لاكتشاف القوات المهاجمة، وهذا ما يتفق هو معه، ولكن

لا الوقت ولا الطاقة التي بإمكانها القيام بذلك كانت متوفرة أثناء فترة حكم كنوت الطويل المظلمة وهو على قمة السلطة.

اختفت الشمس بين الغيوم وبدأ المطر الربيعي اللطيف بالهطول، سكنت الطبيعة، الصوت الوحيد الذي كان يكسر ذلك الصمت هو صوت المطر منهمر فوق أشجار الكستناء، بدأ ستورا بالنزول بكل هدوء نحو الماء، نحو الصياد الذي ينتظر أن يقله عبر الممر المائي الضيق، كان الوقت قد حان لامتطاء صهوة جواده قاصدًا فروسفيك.

خلال بضعة أيام كان عليه أن يسافر جنوبًا، نحو بيالبو الواقعة في أوستغوتلاند، من أجل إعلان خطبته لتلك الشابة هيلينا سيغريدزدوتر.

* * *

أشرقت الشمس من خلال نوافذ الكنيسة، راسمة أشكالاً متراقصة على الأرضية الحجرية العتيقة، تنقلت أشعة الشمس بطيش بين العمال المتعبين زوار الكنيسة، مداعبة بلطف وجوه الأطفال المجعدة المتلهفة للعب والمرح، أحد خيوط الشمس توقف في الأعلى عند وجه "لايف" النائم كما لو كان مندهشًا من ليونة وبراءة هذا الطفل الصغير، وبالتالي فقد أراد خيط الشمس ذاك أن يطيل البقاء هناك.

طفلاً صغيراَ لا يدرك حتى الآن أن هناك حقد وكراهية، حسد وجشع، وأنه في هذا العالم قد صنعت فوارق شاسعة بين الأغنياء والفقراء، بين حرية وحرية، بين المرأة والرجل، كان عالمه آمنًا، حضنًا محبًا، على الرغم من صغر سنه؛ شعر أن هناك ثقبًا في ذلك الأمان، شعور الأم بعدم المساواة كان يمشي في عروقه هو أيضًا.

حين عادت توريد وضعته في الفناء الخلفي للكنيسة، على أقرب ما يكون من باب الكنيسة، كانت امرأة حرة الآن، وابنها كان حرًا، ولكن ما نفع ذلك إذا ما كانت العبودية تعتمل في النفوس، وهبتها هيلينا سيغريدزدوتر حياتها

الجديدة وكانت هي شاكرة لها للأبد، ولكنها كانت تفتقر للمعرفة في كيفية العيش بذلك الوضع الجديد.

كيف يمكن للإنسان أن يخرج إلى الخارج، وعندما يبتسم أحدهم للآخر، أسئلة عن كيف يشعر المرء فيما إذا كان أحدهم بحاجة للمساعدة، إذا ما كان أحدهم جائعًا، يشعر بالبرد أو متعبًا؟ وماذا يمكن للمرء أن يقول عندما يسأل عن رأيه الخاص، ماذا يفتقد الإنسان، وماذا يريد وبماذا يشعر؟ كل ذلك كان شيئًا طبيعيًا لمن ينشأ كإنسان حر، ولكن بالنسبة لعبد نشأ طوال حياته على أنه بغير نفس ولا روح، دون أي تفكير، أي مشاعر، بلا رأي أو أحلام، هل ستكون الحياة أكثر من البحث عن إبرة وسط كومة قش عميقة القرار، لم تعرف أبدًا عندما صعدت في محاولاتها المستمرة لإرضاء القانون، وفعلت ذلك كما لو أنه كان هو الحق.

تحرك لايف ببطء وهو في حضنها، جمدت على الفور خوفًا أن يبدأ بالبكاء أو الصراخ وهو الأسوأ، لقد ألقمته صدرها، وهو ما كان أخر شيء تفعله وهي برفقة السيد رايم وبعض من سكان المزرعة وهم يأخذونها معهم نحو كنيسة بيالبو، ماذا سيقول الناس إذا ما قاطع طفلها هذا القداس؟ إن القس سيكون بالتأكيد منزعجًا، هل تستطيع أن تخرج إلى الخارج، أن تترك الكنيسة؟ هل يمكن للمرء أن يقوم بذلك؟.

دق قلبها في صدرها بقوة حتى أنه قد آلمها، ولكن الطفل استمر هادئًا في نومه والمخاوف التي قد عصفت ثائرة بداخلها قد هدأت.. تحسست بحذر وجنتي طفلها الناعمتين، وتحسسته بشفتيها، وتحسسته بمقدمة أنفها بشعور رقيق، كان شعره داكنًا حريريًا، وغالبًا ما جعلتها تلك المعجزة تذرف الدموع على رأسه.

لا يزال من الصعب عليها أن تفهم كيف أنها، تلك المتواضعة بالنسبة للجميع، يصبح بإمكانها أن تحتضن طفلها بين ذراعيها، كان أول شيء رأته عندما

استيقظت عند الفجر هو كم كان وجه ابنها ورديًا، وكان أول شيء سمعته هو صرخة الجوع التي ندت منه، أو ربما كان مجرد هذيان.

تم تعميد لايف هنا في كنيسة بيالبو، وقد ترك لها أن تسميه بنفسها، ولقد أصبحت هي نفسها مشغولة بلقاءات الانتماء في المجتمع المسيحي، وكان كل شيء مكسبًا لهيلينا، بحثت توريد بنظرها عن الوجه المشرق ذو الشعر المجعد الكثيف، تراقص انعكاس شمس فأعطى لهيلينا ومضة ذهبية.

عاد الاضطراب مع كل قوة الشلل التي يسببها، كيف سيتأتى لها أن تطلب التكلم مع هيلينا؟ بالتأكيد ستفكر أنها جاحدة وسوف تبتعد عنها، ولكنها مجبرة على ذلك حد المرض، كم كان ذلك صعبًا، إنها مدينة للسيد رايم وزوجته غونا، لقد فتحا لها بيتهما، ولم يظهرا لها أبدًا غير المودة والترحيب، جف حلقها بسبب الاضطراب والتوتر.

لأيام وليالي حاولت إيجاد الكلمات المناسبة من أجل أن تفهم هيلينا، ولكن الخطر كان واضحًا، إنها ستعتقد أنه ليس لديها إلا نفسها لكي تلقي اللوم عليها، إنها هي التي يجب أن تتحمل الذنب، ولربما تكون قد فعلت ذلك أيضًا.

* * *

أنصتت هيلينا لصوت القس ولكن من دون أن تسمع ما الذي قاله، كانت في شرك الأفكار حول مستقبل يمضي بآهات مكبوتة، شعرت كأنها فريسة مطاردة تهرب من أجل حياتها، رغم علمها أنه لا طائل من ذلك فالمخرج قد أقفل بالفعل، منذ أن رجعت إلى بيالبو وهي تعلم أن عليها أن تتزوج.

كانت هيلينا قطعة مباراة مهمة في لعبة التحالفات السياسية، ولكنها نجحت في إبعاد نفسها عن ذلك، كانت تتصور، أو أنها كانت تحلم أن يكون قدرها مختلفًا، من أنها ستكون عروسًا وفقًا لقرارها الحر وليس على أساس ما يقرره الآخرون وفقًا لحاجاتهم، ولكنها فشلت تمامًا.

في كل لمحة عين كانت تعود بالذاكرة لتلك الليلة التي استيقظ فيها الحكم، بقى الرجال محتفلين في بيالبو من أجل بيرغر وأنغيبورغ، كانت السعادة تأخذ مجراها، الأمل والإيمان بمستقبل مشرق كان يتنقل بين الموائد.

ومن ثم حين تناول الموسيقيون آلاتهم ودعا المغنين الجميع للانتظام بالرقص كان بيرغر يهمس في أذنها أنه يريد أن يكلمها على انفراد، فوراً هربت منها السعادة التي كانت تغمر المكان، فحديثًا بين عيون أربعة مع بيرغر يعني دائمًا أن شيئًا غير عادي سوف يحدث.

بدأت تفهم ما يعني ذلك، ولكن ذلك جاء كأنه صدمة، فبيرغر الجاهز بالكلمات المقتضبة قد قرر بصفته ولياَ عليها ومن أجل مستقبلها؛ أنه قد تحسب لكل شيء واختار ستورا ألوتسون من آل فورسفيك زوجًا لها، وأن النبيل قد بدأ الاستعداد لعقد القران.

الملك، الدوق أولف فاز، والنبلاء الآخرون من عائلتها، الكل وقف مؤيدًا له في اختياره هذا، تذكرت هيلينا أنها قد صرخت معترضة وهي واهنة على ذلك الاختيار.

- ولكن أنا؟!، لماذا لم تسألني إن كنت موافقة؟ أنا لست رأس ماشية يباع في سوق العبيد، أنا ابنة أختك، بيرغر، امرأة من لحم ودم، أفكر وأشعر وأحلم، وهناك الأكثر من ذلك فأنا امرأة تمتلك حرية الاختيار، هذا الستورا الوتسون والذي تقول إني سوف أقضي حياتي معه قد التقيته مرة وحيدة، إنه بالتأكيد إنسان جيد، ورجل صالح، ولكن بالنسبة إلى سنه؛ فإنه أقرب لأن يكون كأبي.

جعلت صرخاتها أمها وجدتها يهرعن إليها على عجل، أمطرت ذراع كريستينا بدموع ثقيلة، حاولت الشرح أنه من غير المعقول أنها بالضبط في الوقت الذي تخطو فيه خطواتها الأولى بالحياة كامرأة ناضجة فإنها تُجبر على أن تقضي أيامها مع رجل أصبحت الحياة خلفه.

ولكن أمها كانت أيضًا بلا حول كما هي بالضبط، وعندما التجأت إلى جدتها، نظرت إليها أنغريد - أيلفا بعينيها الزرقاوتين التي اخترقتها قائلة لها إن هذا زواجًا مناسبًا وأنها يجب أن تنصاع لذلك.

ورسم بيرغر لوحة زاهية هو وباقي السياسيين من أن فوائد حفظ السلام يستلزمها مثل هذا الاتفاق، وبموقف متصلب أوضح لها لاحقًا بشكل جلي أن أي عضو من عائلة بيالبو ليس لديه الحق أن يقدم مصلحته الشخصية على مصالح العائلة العامة وعلى مصالح المملكة، وبهذه الكلمات غادرها بيرغر عائدًا للحفل بكل بساطة، كما لو أنه لم يتسبب بأي ألم، ومن ناحيتها وبسبب ذلك؛ فإن الحياة لن تكون هي نفسها، وبعد قليل من الانتظار سيصل ستورا ألوتسون إلى بيالبو.

صمت القس الواقف هناك عند المذبح، فالقداس قد انتهى، مدت أمها إليها ذراعيها وشعرت هيلينا كما لو أن هناك يدًا تطوقها.

تزاحم سكان المزرعة للخروج إلى ذلك الربيع المنتظر، رائحة الدخان الثقيلة، رائحة رطوبة أجساد متعرقة تغلغلت إلى أنفها فشعرت بالغثيان، تمنت لو تخرج إلى الخارج، إلى الهواء المنعش، إلى الغابة والأرض، بعيدًا... إلى الحرية، بعيدًا عن كل المطالب، عن كل ما يجب، وعن كل التوقعات، مشت على سلم الكنيسة وإذا بصوت خائف، خجل ينطق اسمها.

توريد، تلك العبدة السابقة، تقف هناك مع ابنها الصغير الذي يغفو على يدها، بعينيها الواسعتين الغامقتين خوفًا ورهبة، وكان كل جسدها يصرخ خانعًا، تلك الصورة المؤلمة لتوريد التي تلد والرجل الذي يقبض عليها قفزت فجأة إلى تفكيرها، تبددت آلامها غائصة إلى أسفل تاركة المجال للرحمة والشفقة.

- آنسة هيلينا، هل أستطيع التكلم معك لفترة وجيزة؟ طبعًا إن كان لديك متسع من الوقت، أو قد أعود في وقت آخر أكثر ملائمة لك.. أنا لا أريد أن أسبب إزعاجًا.

توقفت توريد فجأة، كما لو أنها كانت خائفة من كلماتها، بدأ لايف يصرخ بصوت عالي، كان جائعًا وجعله قلق أمه عليه خائفًا، شعرت توريد بالذعر يزحف إليها، كيف ستستطيع أن تتحدث إلى هيلينا وطفلها يصرخ بين يديها؟

- توريد، أعتقد أن هذا الرجل الصغير جائع، أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى غرفتي، هناك تستطيعين أن ترضعيه بينما تتحدثين عما بداخل قلبك.

على صوت صرخة لايف وبصوت الجوع المرتفع سارتا مسافة قصيرة من الكنيسة نحو المنزل الكبير، عندما دلفتا إلى غرفة هيلينا تلفتت توريد حولها بعينين واسعتين، لم ترَ قبلاً غرفة جميلة كهذه، ستائر بألوان مشرقة وجدران ترتدي زخارف مدهشة، كانت وهي تنظر حولها كمن يتجول في قصص من السحر، كان سرير هيلينا واسعًا مغطى بملحف ناعم ووسائد، وقفت توريد ممتنعة عن الجلوس على ذلك السرير، تاركة لعينيها متعة النظر لتلك الأقمشة الثمينة في الغرفة، كان هناك مقاعد، منضدة وخزانة ملونة بخشب غامق صقيل مزخرف، شمعدانات نحاسية لامعة، تفوح رائحة الخزامى المنعشة.

- اجلسي توريد، عندما تشعرين أنك مستعدة للكلام فسوف أستمع إليك.

بتردد، كما لو أنها تخاف تلويث وسادة الكرسي اللامعة بجسدها، جلست توريد وأرخت من ملبسها قليلاً كي يتمكن لايف من الرضاعة من صدرها، توقفت صرخاته كما لو كان ذلك بفعل السحر متحولاً إلى صنم قانع، سعلت توريد ومسحت رقبتها في محاولة لإيجاد تلك الكلمات التي وضعتها في رأسها.

- آنسة هيلينا، أرجو ألا تسيئي فهمي، فشكري لك وللسيد رايم وعائلته لا يمكن وصفه بكلمات، لقد فعل السيد رايم وزوجته غونا كل شيء، وأنا أعني فعلاً كل شيء من أجل حصولي على حقوقي في مزرعتهما، ولم يكن ذلك سهلاً بالنسبة لهما، لقد ولدت عبدة، ولقد عشت حياتي كلها عبدة، لم يكن بمقدوري أن أعرف كيف يتصرف الإنسان الحر، أنا خائفة من أن أكون قد فعلت شيء خاطئ وهذا هو السبب في أنها قد أصبحت بهذه الطريقة، لقد أثرت الفتنة في مزرعة رايم وهذا أخر شيء في العالم كنت أريده، من أجل الناس أصحاب

البيوت لا يمكنني البقاء هناك بعد الآن.. ولكن، أنا ليس لدي مكان أذهب إليه، فالتشرد يعاقب عليه بشدة، إضافة أن لدي طفل علي العناية به.

ابتلعت توريد ريقها مرة واثنتين لكي تمنع نفسها من البكاء..

- انتظري الآن قليلاً، بأي طريقة أثرت الفتنة؟ ما الذي قمت به؟

- هذا ما لا أعرفه، أنا فقط أعرف أن ذلك كان خطأي، ولكن الرجال تعودوا ألا يتركوني بحالي، قالت لي السيدة غونا عدة مرات ألا أحد من رجال المزرعة له الحق على إجباري، قالت إن لي الحق دائمًا أن أقول لا عندما يريدون أن ينالوني، وإذا ما أراد أي رجل أن يكون عنيفًا معي فإني يجب أن أذهب إليها للحصول على المساعدة، إنها المرة الأولى في حياتي التي أحصل فيها على هذا الحق، ولكن الإدراك لم يصل إلى قلبي بعد ماذا يكون عليه الحال لو أن الرجال يعتقدون أني أدعوهم لي وذلك هو السبب في أنهم لا يدعوني أعيش بسلام.

كورت توريد كفيها...

- إن ذلك خطأي، وأنا أفهم لماذا تبغضني نساء المزرعة، ولكني أستطيع أن أقول بصراحة آنسة هيلينا إنني لا أريد أي رجل إلى قربي، لقد نالني الكثير من تلك الأيادي القاسية والأرجل الجامدة.

بكت توريد بصمت وأخذ يأسها من نفس هيلينا كل مأخذ، لقد فهمت جيدًا ما قد حدث، فتوريد ذات الجمال النادر كانت طوال حياتها لعبة جاهزة لكل رجل يرى مفاتن جسدها، والحرية وكل ما تعنيه تلك الكلمة قد نزلت عليها بكل سرعة كما تهوي نجمة بشكل غير متوقع.

كيف للمرء أن يرسم حدودًا لنفسه إذا لم يكن المرء قد تعود على فعل ذلك مطلقًا؟ بدون أن تتفهم توريد ذلك فإنها تكون قد أرسلت للرجال رسائل خاطئة تجعلهم يشعرون بالرغبة فيها، فالفم كان يقول لا ولكن ذكريات الجسد كانت قوية وكان الجسم يعرب عن شيئًا آخر.

كانت هيلينا محرجة، فلو كانت شخصًا آخر لما كانت قد فهمت، مهما كانتا الاثنتان مجبرتان على التعلم من جديد كل ما تعنيه سلوكيات المجاملة، كل القواعد غير المكتوبة للسلوك المجتمعي للأشخاص، إنها ليست معارف تولد مع الإنسان، هي أشياء يجب اكتسابها، هي شيء أشبه ما يكون بمن يبدأ بتعلم لغة جديدة، فلا يكفي أن يكون هناك شعور تجاه الكلمات، بل إنه يجب على الجسم أيضًا أن يتكلم نفس اللغة.

تحرك الخاتم في إصبعها بلطفٍ ولكن بإصرار، حاثًا إياها على العمل، توريد ولايف هما مسؤوليتها وليسا مسؤولية رايم.

- توريد، سنقوم بما يلي عليك الانتقال إلى بيالبو، هنا ستكونين أحد الموظفين الخاصين بي، سأعلمك لغة الأشخاص الأحرار، قواعدهم، الحدود، طريقة ارتداء الثياب بنفسك، لن يكون ذلك سهلاً وعلي أن أحذرك، فأنا معلمة متشددة.

صمتت هيلينا لحظة غارقة بأفكارها..

- أنا لن أبقى مقيمة هنا في بيالبو لفترةٍ طويلة، لقد اختارت لي عائلتي زوجًا، عندما أتزوج سأذهب للعيش في فورسفيك بمقاطعة أوبلاند، إذا ما رغبت أنت ولايف بالانتقال معي فسأكون سعيدة برفقتكما، فمعكما لن أكون وحيدة تمامًا وسيكون بإمكانك أن تبدأي هناك صفحة جديدة في كتاب حياتك، ففي فورسفيك لن يكون هناك أحد على معرفة بتاريخك، ستكون صورتك هناك هي ما سوف تسعين لها بذاتك، هل ترغبين بالذهاب معي؟

- نعم، هذا ما أريده.

أجابت توريد بهمس مطرقة بعمق نحو الأرض..

- لم أسمع ما قلتِ، ارفعي صوتك، افردي جسمك، وانظري إلى عيني عندما تجيبين، أولاً لكي أصدق ما تقولين، وأيضًا لأعرف ما يريده القلب.

نهضت توريد عن المقعد، كان لايف لا يزال يرضع من صدرها، فردت ظهرها، نظرت إلى هيلينا وجهًا لوجه فالتقت نظراتهما، رمت بكل ذكريات العبودية

خلفها، تلك التي كانت تجبرها أن تلوي ظهرها وترخي نظراتها نحو الأرض، ولكن ها هي للمرة الأولى في حياتها، ترفض أن تطيع...

- نعم، آنسة هيلينا، أنا وابني سوف نتبع السعادة معك إلى فورسفيك، إن هذا هو أعظم ما أتمناه، أن أقوم على خدمتك وأن أتعلم لغة الناس الأحرار.

كانت أنغريد ـ أيلفا واقفة عند الباب المفتوح تستمع، وكامرأة حكيمة خبرت الحياة؛ أدركت أن ما شهدته الآن كان شيئًا كبيراَ، امرأة شابة تخطو أولى خطواتها الخجولة في طريق حياتها الجديدة، نحن نختار حياتنا وهذه المرأة اليافعة بالطفل الذي بين يديها، إنها الآن تصنع اختيارها.

فكرت أن تتحدث إلى هيلينا، عرفت أنها تعاني، أنها لا تريد مطلقًا هذا الارتباط القسري، ولكن رؤيتها لتوريد جعلها تقفل عائدة، لعدة مرات حاولت أن ترى حفيدتها بنظرات النسر من أجل أن تستطيع قراءة مستقبلها ولكن بلا فائدة، شيئًا ما كان يقف حائلاً في الطريق، بدا ذلك كما لو أن هيلينا كانت محاطة بحجب واقية.

بدل ذلك كانت ترى صفوف من النساء اللواتي اقتنين الخاتم الذي يزين إصبع هيلينا الآن، رأت علامات، رأت شظايا من حياتهن، رأت السعادة والحزن، النجاحات والإخفاقات، القسوة والرحمة، الخيانة والحب الكبير، فهمت أنه ليس هناك سوى عدد قليل من النساء اللواتي تكلم عنهن الشاعر "سنور سترلاسون"، وعرفت أن هيلينا كانت واحدة من تلك النساء المختارات.

كيف سينسجم ذلك الكهل ستورا ألوتسون، مع نمط الحياة التي كتبتها النجوم، نظرت بداخلها بحثًا عن الجواب وكل ما وجدته هو أن عائلة فروسفيك كانت قطعة مهمة في اللغز الذي يشكل المستقبل لهيلينا.

# الفصل الثاني والعشرون

غرقت الغرفة في الظلام، لم يكن هناك غير شعاع شمعة في إحدى زوايا الغرفة ينتشر على استحياء، خارج النافذة كان عويل الرياح، كما لو أنها تتألم حزينة، مترافقة مع ما هو متوقع الآن ليأخذ مكانًا له بداخل غرفة النوم التي زينت بثمن باهظ.

حفل الزفاف، الاحتفال، مخيم الزفاف، بركة الكاهن للزوجين وهما في سريرهما، الضيوف المخمورين وتعليقاتهم السمجة، كل ذلك قد انتهى الآن، لم يتبق غير شخصين لا يعرفان بعضهما، غريبان.. عليهما الآن أن يصبحا جسدًا واحدًا، حتى وإن لم يصبحا روحًا واحدة، لأن زواجهما سيكون هو الخاتمة، وسيكونان صالحين أمام القانون وأمام الناس.

سحبت هيلينا غطاء فراشها مغطية شعرها، في محاولة يائسة لخنق كل أفكارها ومشاعرها، كان جسدها كتلة جليدية من عدم الراحة والاغتراب.

المستقبل، ذلك الغامض المغري، قد سار بعيدًا عنها، تركها هنا في فروسفيك مع هذا الكهل، عندما نهضت من فراشها صباح اليوم التالي كانت البوابة نحو الحرية ولكل ما له قيمة عندها قد أغلقت من جديد، لا مزيد من ركوب الخيل في البرية مع نايك، لا صيد، لا نزهة في الغابات الخضراء القاتمة، لا رماية بالقوس، لا ألعاب بالسيف.. عوضًا عن ذلك، عليها الآن أن تُغطي شعرها، تتلبس دور العشيقة المطيعة والزوجة المسؤولة عن تحضير الطعام وعن الخدم، شعرت بيد زوجها المترددة على جسدها، وبالغثيان وهو يجتاحها، بينما الخاتم ينام هادئًا بإصبعها.

تمنى ستورا نفسه بعيدًا، بعيدًا جدًا، لا يهم أين.. فقط ألا يكون هنا، في مخدع زوجته في فورسفيك، لكم يختلف الحال الآن عن زيجاته السابقة.

عندما تزوج من زوجته الأولى "غونهيلد"، كان الشباب قد أخذ الموضوع كله، وحتى لو كان السبب في زواجه هو المال قبل كل شيء فإن جمال غونهيلد الرقيق قد جعل دمه يتدفق بسرعة.

و"بريغيتا" التي كان يشعر أنها الأقرب إلى قلبه، بريغيتا التي أحبها بكل ما في الرجل من قوة نضوج واثقة، وبكل نكران للذات، ذكريات أول ليلة من زواجهما لا تزال تضيء بداخله.

شعر ستورا بتلك الشابة التي تستلقي إلى جانبه، كم هي متوترة، كأنها وتر مشدود بقوس، كان يعرف أنها لا تريد ذلك أكثر مما كان هو لا يريده ولكنه كان مجبراً على مضاجعتها، وإلا فإن زواجهما لن يكون شرعياً، وكانت رفاهية كثير من الناس أو مصائبهم يعتمد على اتحادهما، صلى إلى ربه في الأعالي، في السماء الخالدة أن تسفر هذه الليلة عن طفل، وأن تكون هذه الليلة هي الليلة الوحيدة التي يضطر فيها هو وهيلينا أن يتشاركا نفس الفراش.

في داخله استحضر صورة بريغيتا، جسدها المتعطش الطري، شفتاها الجائعتان، شعر بيدها على جسده، سمعها تهمس بكلمات الحب وشعر بأطرافه تتيبس، كان ذلك جسد بريغيتا الذي داعبه، هي شفتاها التي قبلها، ونسله الذي زرعه كان في بطنها هي.. بريغيتا.

عندما تم كل شيء بكت هيلينا حتى غفت، أما ستورا فقد شعر بأنه كهل ومتعب، وأنه حزين بلا حدود.

# الفصل الثالث والعشرون

حرك "دافيد" الجمر ووضع المزيد من الحطب في الموقد، كان صبياه الاثنين على استعداد لأداء المهام المطلوبة منهما، وقد كانا حريصين على التعلم من صانع السيوف الشهير هذا.

كان دافيد فليوري هو الطائر الغريب في هذا البلد البارد القابع في الشمال، غموضه يذهب بعيدًا إلى الجنوب، حيث ذلك البحر الأزرق، وحيث تشرق الشمس بسماء صافية خالية من الغيوم، إنه يتذكر طفولته عند الشاطئ حيث البحر أفضل أصدقاءه، يتذكر الصيد مع أباه وإخوته، العمل الشاق بشبكة الصيد وتقلبات البحر، لكن وقبل كل شيء كان يتذكر مجتمعه، فلقد كانت طفولته مشرقة.

كان ذلك قبل أن تأتي الحرب، قبل أن يبدأ القتال بين اثنين من أصحاب الأراضي الإقطاعيين على تلك القطعة من الأرض حيث كانت عائلته وأقاربه وأصدقاءه قد عاشوا فيها لفترة طويلة بطول مداعبة البحر للشواطئ، ذلك القتال الذي جعل الحياة صعبة، كل أحباءه ومعارفه قد أصبحوا ضحية لتلك الحرب التي لا معنى لها، فتلوثت طفولته باللون الأحمر من كثرة الدماء البريئة التي أريقت.

وكأنما من خلال معجزة أو نقمة؛ احتفظ هو بحياته، ففي ذلك اليوم المتجهم الذي أحرق فيه المتحاربين بيت طفولته ألفى نفسه يبكي على شاطئ البحر مع أولئك الباكين الذين يجمعون المحار، في كل لحظة يقظة، بكل كابوس، كان يعيش المشهد المروع لمنزله يتهاوى محترقًا نحو الأسفل، وأولئك الذين أحبهم يتساقطون متفحمين، ورائحة الدخان النفاذة.

اصطحب الألم معه سائرًا في الطرقات، تسول الطعام وسرقه أحيانًا عندما كان يستطيع، إلى أن ألقي القبض عليه من قبل فريق من الصليبيين الذين كانوا في طريقهم إلى الأراضي المقدسة كي يطردوا منها الكفار، أولئك الذين يدعون إلى إله آخر غير إلههم.

في تلك المدينة المقدسة، القدس، كانت تقع عليه مسؤولية إطعام الجياع، وكذلك كان عليه إيقاد النار في كورة صانع السيوف، الحداد "أحمد"، فمن أجل المحافظة على حياته وحياة زوجته وأطفاله؛ أبدل أحمد نبيه بنبي آخر، محمد مقابل عيسى.

وبمرور السنين أصبحا - أحمد ودافيد - صديقين مقربين وكان صانع السيوف قد تلفظ بكلمات محرمة:

- لا يوجد غير إله واحد، وإذا كنا أناسًا أغبياء نختار أن نقاتل بعضنا لأننا ندعوه بأسماء مختلفة، لأننا نختار طرقًا مختلفة لكي نريه تقديسنا له، فهي خياراتنا نحن وليس ما يريده الله لنا.

تعلم من أحمد مهنة صناعة السيوف الصعبة وكذلك الفن النبيل، وهذا ما جعل له قيمة عالية في عيون المحاربين الأقوياء، كان الكثيرون يرغبون بالحصول على سيف مشغول بيديه القويتين البارعتين.

كانت الحرب القاسية والتي لا معنى لها منتشرة في كل مكان في هذا البلد، وكانت هناك أيامًا اقتنع فيها تمامًا أن الإنسان مليء بالشرور، فهذه الحرب التي اشتعلت باسم الدين، لا دخل لله فيها، لقد حدثت بسبب السلطة والجشع.

وأخيراَ أشرق ذلك اليوم الذي فهم فيه أنه مضطر لمغادرة هذا البلد إلى بلاد الله الواسعة، إذا ما أراد ألا يفقد احترامه لنفسه، كان في طريقه لورشة الحدادة عبر إحدى ساحات القدس الواقعة بالقرب من جبل الهيكل، كان هناك حشد كبير من الأشخاص يصرخون ويرددون كلمات نابية قد تجمعوا في وسط الساحة. كان الفضول قد دفع بدافيد للاقتراب، ولما كان يتمتع بقامة أطول من الكثيرين فقد استطاع رؤية ذلك الشيء القاسي الذي لا يمكن تصوره والذي كان في طريقه للحدوث، طفلة لا يمكن لعمرها أن يتجاوز الثانية عشر عامًا تجثو مرتجفة باكية على ركبتيها، تستحلف القوم للإبقاء على حياتها، كانت ترتدي ثوبًا يشي بأنها من أولئك المسلمين الذين يطلقون اسم الله على الرب.

أحد المحاربين المسيحين، رجل تولى دور ممثل الرب على الأرض، وبالتالي فقد كان له الحق في أن يستلب حياة إنسان آخر، كان يميل فوقها حاملاً سيفه، ومض حديد السيف الصلب البارد في الشمس... لم يعد للفتاة وجود، تدفق الدم من رأسها المقطوع.

شعر دافيد بالعار التام، فلقد عرف شعار السيف الذي كان بيد المحارب، زنبقة بأسلوب منمق، كان سيفًا قد صنعه بنفسه، كإنسان مخمور ترنح عبر الأزقة الضيقة المؤدية لورشة حدادة أحمد تسيطر على عقله فكرة واحدة، يجب أن يهرب من القدس قبل أن يصاب بذلك الطاعون المسمى الغضب الشرير، والذي شمل بعباءته كلا الطرفين؛ مسيحيين ومسلمين فجعلهم ينسون ما هو الحب، وأن هناك شيء اسمه الرحمة.

حاول أن يوضح لأحمد صديقه ومعلمه أنه لن يستطيع حدادة السيوف التي يقتل بها الأبرياء والمسالمين، فضميره مثقل بالشعور بالذنب ولا مجال تبقى لديه أكثر من ذلك، كان جواب أحمد أن أخذه بين يديه معانقًا شاكرًا له الوقت الذي قضياه معًا متمنيًا له رحلة موفقة حيثما يذهب وحيثما تقوده خطواته.

مع المقاتلين الصليبيين والحجاج العائدين إلى ديارهم أبحر دافيد عبر ذلك البحر الأزرق المتوسط، بحر طفولته، نزل عند شاطئ وطنه، ولكنه شعر هناك وكأنه غريب، مطارد بمشاعر الذنب التي تلتهمه، ارتحل شمالاً نحو بلاد قاحلة وقاسية، بلاد من الثلج والجليد، فلكأنما العيش هناك كان كالتكفير عن ذنبه.

قاده طريقه نحو منطقة دالبي إحدى بلدات الدانماركيين، تبادل هناك بعض الأحاديث مع قساوسة من أخوية الفرانسيسكان الذين كانوا في طريقهم شمالاً نحو أوبسالا في مقاطعة أوبلاند من أجل المساعدة في بناء دير كلمة هناك، وكانت نعمة الله الكريمة بالمسامحة قد أشرقت عليه، وهناك في أوبسالا كان الله قد وضع في طريقه ستورا ألوتسون، النبيل الذي تبرع بالمال والأرض للأخوة ذوي الرداء الرمادي لتأسيس دير جديد.

كأنما كان ألوتسون واقفًا بانتظاره فاستأجره واصطحبه معه إلى مزرعته هنا في فروسفيك، يصنع سيوفه بنفس الطريقة التي كان يعمل بها في القدس، ولكنه تعود الآن أن يصنع السيوف من أجل الدفاع عن الضعفاء والعزل، كان رئيس عائلة فروسفيك رجل صالح مستقيم، رجل يقف إلى جانب المظلوم.

بالنسبة للبعض كانت سيوفه التي يصنعها في فروسفيك جالبة للموت كتلك التي كان يصنعها في القدس، ولكنها الآن - على الأقل - لا تستخدم لاغتيال الأطفال الأبرياء.

مرت السنوات متدفقة من بعض إلى بعض، لا يفصل بينها سوى المواسم، ولكنه لاحظ باستغراب أنه حتى الآن لم يصل لعمر الكهولة رغم أنه كان يشعر بذلك، فهم أن ذلك الطفل الصغير، بيده المملؤتين بالمحار، والذي وقف يغني إلى جانب متفحم من حياته لم يمت هناك، لقد توقف فقط عن العيش تمامًا.

والآن فإنه يقف في دكان حدادته حيث الحياة تضغط بإصرار على قلبه، حرك الجمر من جديد فتطاير الشرر مثل الفراشات المضيئة حوله، قفزت إلى فكره ذكرى بعيدة جدًا من ذلك الربيع... ولفراشات الربيع.

كان يوم أحد بعد القداس حيث كان قد هام بين البلدات، يتلمس كيف أذابت حرارة الربيع ضجر الشتاء بجسامته، عندما وقع نظره على أولى فراشات الربيع، في تلك البلاد الباردة في الشمال يتحدثون أن أول الفراشات ستقدم عرضًا لما ستكون عليه بقية أيام السنة، فإذا ما كانت الفراشات غامقة اللون فإن السنة ستكون سنة حزن وحوادث، أما إذا ما كانت فراشات ذات ألوان مبهجة فإن الفرح والسعد هو ما ينتظر الإنسان.

ولكن الفراشة التي رآها في هذا اليوم الربيعي جعلته يتوقف مندهشًا بإعجاب، لقد كانت أجنحتها ملونة بالأسود والأبيض، فكر أنها تُشبه الحياة ذاتها، الفرح والحزن، السعادة والتعاسة، دائمًا بعضًا مع بعض، وجنبًا إلى جنب لا ينفصلان، ولكن بالنسبة له فإنه قد فقد القدرة على رؤية النور في الحياة،

بالنسبة له كانت الحياة مجرد رحلة بكاء طويلة، هكذا كانت، ولكنها لم تستمر هكذا إلى ما لا نهاية.

تابع دافيد الشرر المتراقص بنظراته وكان قلبه يخفق بشدة من فرط السعادة، فالحياة التي احتضنته في ذلك اليوم الخريفي السقيم في فروسفيك؛ حيث حطت زوجة السيد ومرافقيها الكثيرين في باحة موقف عربات الزفاف في المزرعة، وقف على بُعد قليل خلف الناس مراقبَا الحشود المرافقة من بشر، خيول وعربات ملأت كل الساحة الواسعة في المزرعة وحتى مساكن الفلاحين، رفرفت رايات المرافقين الزرقاء الموشاة بالأسد الواقف المتفاخر، معلقة، فرحة بهذا اليوم الرمادي، الرطب.

تخيل أنها كانت جميلة جدًا، عروس ستورا ألوتسون الشابة، جميلة ولكن حزينة، ومنذ أن وقعت نظراته على تلك السيدة التي إلى جانبها، تلك التي تحمل طفلاً صغيراً بين يديها، شعر وكأن الزمن قد توقف، شعر وكأن ألمًا قد بدأ يضغط على صدره وأنه لم يعد يتنفس بسهولة، ذلك اليوم الرمادي السقيم انفجر فجأة بقوس قزح ملون بكل الألوان، انفجر قلبه الضعيف بداخله، وقد احترق سخونة.

كان بحاجة لشعاع واحد يطرد به ظلمته، وكانت توريد هي شعاع الضوء الذي انتظره دهرَا، كانت هي أولى الفراشات الربيعية، فراشة حياته الوحيدة، كان ذلك صعبَا، مؤلمًا وحلواً بنفس الوقت، أن يسمح بدخول الضوء مرة أخرى، ذلك الضوء الذي انطفأ منذ أمد بعيد، منذ أن غادر مسكن طفولته.

كانت عيناه متحسستان إزاء الضوء، كانت بشرته رقيقة بشدة، وكان فمه معتادًا على تشكيل الكلمات التي لم تكن رمادية، كرجل أعمى يتلمس طريقه دائرًا حول نفسه في هذا المشهد الغريب الذي أصبح حياة، وكان اليوم الذي لا يراها فيه أو لا يسمع صوتها يومًا ضائعًا من عمره.

ولكن توريد لم تكن تعلم من ذلك شيئًا، كيف لها أن تصطاد ضوء؟.

# الفصل الرابع والعشرون

دوت الضحكات بالقاعة الكبيرة في فروسفيك، أغاني وموسيقى، احتفالات أسابيع ما قبل عيد الميلاد قد انتهت، حل عيد الميلاد وهاهم قد بدأوا بشرب كؤوس شراب العيد في كل مكان، في هذه الليلة المقدسة يتوجب على المرء أن يكرس الجعة من أجل المسيح والقديسة مريم وأن يشرب أيضًا من أجل السلام، أمنيات بالسلام بين الأعداء ومن أجل محصول وفير.

كان المساء طويلاً، وقريبًا سيحين الوقت للذهاب إلى الكنيسة من أجل قداس منتصف الليل، هناك العديد الذين لن ينصرفوا إلى أسرتهم قبل أن يبدأ اليوم الجديد حيث سيذهبون إلى الكنيسة من أجل صلاة الصبح، بعد ذلك وفي نهار الميلاد سيتمكن المرء أن يشترك أيضًا بالسوق الكبير.

أحبت هيلينا دومًا أيام الميلاد المليئة طعام، احتفالات، سعادة ودغدغة الإثارة بأمسيات الميلاد الساحرة، لليلة واحدة تخرج المخلوقات التي في الأسفل إلى العالم البشري في الأعلى، وتتزاوج العفاريت وستكفيهم تلك الفتات المتساقطة من على الموائد، وإذا ما أثار الإنسان أحد أولئك القادمين من الأسفل فإن بإمكانهم أن يقضوا عليه عن طريق زراعتهم للمرض في أبناءه أو أن يحرقوا مزرعته.

والعفاريت بإمكانها - بكل بساطة - أن تدخل بيوت الناس وأن تكون جزء من مسرات أعياد الميلاد، أما أولئك الأشخاص الذين يمكثون في الخارج فإنهم سيغامرون أن يواجهوا العمالقة، الأشباح، اللصوص والجنيات.. هناك ليلة واحدة يجب أن تبقى الأبواب فيها مفتوحة على مصراعيها بين كلا العالمين، ليلة واحدة عندما يكون الموجودين يسيرون جنبًا إلى جنب مع أولئك الذين سيأتون.. ليلة واحدة، عندما يحصل الخيال على أجنحة.

كانت هي المرة الأولى التي تكون فيها هيلينا - كزوجة وسيدة منزل - في مزرعتها الخاصة تأخذ على عاتقها المسؤولية عما يتطلبه عيد الميلاد من أجل أن يتذكر الجميع؛ العائلة، الأقارب والأصدقاء وساكني المزرعة عيد الميلاد ذاك بكل سعادته، حصلت على مساعدة ثمينة من أمها، فلقد حرصت كريستينا منيخولد على البقاء في فروسفيك بعد مراسيم الزفاف، شيئًا ما كانت تشعر له بالامتنان في أعماقها.

تطلعت هيلينا في القاعة، ابتسمت للأطفال الذين يتراكضون خلف بعضهم، يصرخون بين الموائد ويضحكون، تألم قلبها قليلاً حين تذكرت أنها قد فقدت طفولتها، ولكن هذا الوقت الذي استحضرته في مخيلتها كان قصيراً جدًا وكانت مريضة جدًا حتى أنها بالكاد تستطيع أن تجد بعض الروابط التي تربطها بهذا المخلوق الذي بدأ ينمو بأحشائها.

ضحكت بصوتٍ عالي عندما ألقت نظرة على زوجها الذي يركض دائرًا وهو يصهل كالحصان، وهو يأخذ أحد أحفاده الصغار على ظهره، لقد أخطأت بحق هذا الطيب العطوف ستورا الوتسون، شعرت بالخجل حين تذكرت كل الكلمات القاسية، جميع الأحكام المهينة التي أطلقتها عن كبير عائلة فروسفيك النبيل.

لقد تقاسما الفراش ليلة واحدة فقط، هي ليلة زفافهما.. وكان من نتاج اجتماعهما ذاك أنها قد أصبحت حاملاً بطفل دليل على أن ارتباطهما قد تم إنجازه على أكمل وجه، لسوء الحظ كان الحمل قد أصابها بالغثيان الشديد حتى أنها لم تستطع الاحتفاظ بأي طعام في جوفها، جعلها ذلك ضعيفة جدًا حتى أنها لم تكد تقوى على مغادرة فراشها، بدا ذلك كما لو أن الروح التي بدأت تنمو بداخل جسدها لا تريد أبدًا البقاء فيه، كما لو أنه قد حان لها الخروج من هذا المسار، كما لو أنها في الواقع تبحث عن مكان آخر.

وفي ساعة الذئب، تلك اللحظة التي يلاقي الليل فيها النهار، بدت تلك الروح التائهة وكأنها تودعها مسافرة نحو البعيد تاركة إياها تسبح في سحابة من الدم،

بعد الإجهاض كان هناك حديثًا بين عيون أربع، هي وستورا، حديثًا لن تنساه أبدًا...

- أحبك كثيراَ هيلينا.
قال ذلك الرجل الصالح...

- أحبك بنفس الطريقة التي أحب بها أبنائي، كما لو أنك كنت ابنتي.. وأنا أعرف تمامًا أنك لا تحملين أي مشاعر زوجية نحوي، ولذلك فإني لا أستطيع، ولا أريد أن أشاطرك الفراش، وأنا لا أعتقد أنني مخطئ عندما أقول إنك لن تصابي بخيبة أمل إذا أنا لم آتِ إليك ليلاً، أليس ذلك بصحيح؟

تذكرت هيلينا كيف أنها قد بكت شوقًا وامتنانًا..
- إن ارتباطنا ليس سجنًا هيلينا، لقد تحدثت إلى والدتك وأخبرتني عن براعتك بالقوس، عن معرفتك العميقة بحياة الغابة والظلام، عن حاجتك للحرية، يمكنك - لذلك - أن تركبي الخيل مع صيادي فروسفيك، تعرفي على الأنحاء ودعي قوسك يوفر اللحم للعوائل. أنا رجل كبير السن، لقد مشيت في مدرسة الحياة ومعناها أكثر مما قمت به أنت، ولست بحاجة لأن أثبط من حماستك، أو أمنع تطورك، أو أن أقيد حريتك، إن ذلك لن يقلل من شأني ـ على العكس ـ فسعادتك هي سعادتي.

ضحكت هيلينا عالياَ عندما انتفخت أوداج ستورا جهدًا وهو يغطس في المقعد المجاور لها، تدفق العرق من جبينه واندلعت التجاعيد في وجنتيه.

- يا لله، أي قدرة خارقة تمتلك هذه الحبوب الصغيرة؟
أعطته قدحًا من الجعة مليئًا بالرغوة لكي يروي عطشه.

- خذ، أشرب.. اهدأ قليلاً، أعرف كم من الصعب عليك أن تقول لا لأحفادك ولكن عليك أن تعتني بنفسك أكثر، هل تتذكر كيف كانت ستكون نهايتك في الزيارة الأخيرة؟

- نعم، نعم هيلينا.. أعرف، ولكن عيد رأس السنة لا يأتي إلا مرة واحدة في العام.

توافقت هيلينا مع العديد من النصائح، كانت هي نفسها قد اندهشت من عمق الارتباط الذي جمعها مع ذلك الرجل الذي - سواء طوعًا أو كراهًا - قد ارتبطت به، لم يكن بالنسبة لها إلا ذكرى غامضة من صورة أبيها، الأب الذي اختطفه الموت حينما كانا صغيران، هي وراغنار.. كان ستورا ألوتسون المتعب قد بدا كما لو أنه قد أصبح أبيها.

تداعى الجميع للرقص، ارتفاعًا وانخفاضًا، للانضمام إلى أخر رقصة جماعية قبل أن يحين الوقت للذهاب إلى قداس منتصف الليل، أخذت هيلينا أمها من يدها للانضمام إلى الحلبة، بدأ الموسيقيون بالعزف وبدأت سلسلة من الراقصين تتشكل وهي تلف حول المقاعد، لهثت كريستينا منيخولد مجهدة، أخذ الرقص من طاقتها الكثير، سمعت هيلينا تضحك وهي مليئة بالسعادة.

لقد انتظرت في فروسفيك بعد حفل الزفاف وهي تشعر بالألم من أجل ابنتها، لقد عانت كثيراً من الحال الذي وصلت إليه، فتلك القوية، هيلينا، التي لم يستطع أحد أن يلمسها أصبحت الآن ضعيفة بلا حول كأنها قطة حديثة الولادة عندما أصبحت حاملاً.

أثناء فترة مرضها الخطير لم تترك هيلينا وحدها، خائفة، كما لو أن ابنتها ستؤخذ منها، كانت تنام معها في نفس الغرفة تقوم على حراستها، تجفف عرقها، وكانت تنهض عدة مرات أثناء الليل تستمع لصوت تنفسها لكي تتأكد من أنها لا تزال على قيد الحياة، ثم أعقب الإجهاض فقدانًا شديدًا للدم، ولكن كل ما ينتمي إلى الماضي أصبح ماضياَ، فالحياة يجب أن تعاش هنا والآن، يجب أن تعم الثقة بما يمكن أن يأتي به المستقبل.

تمايل الراقصون بين المقاعد حيث جلس كبير عائلة فروسفيك المبجل، وشعرت كريستينا بابتسامة مشرقة تكسو وجهها، لقد نمت بينهما علاقة صداقة كبيرة

وحميمة، فالشتاء طويل الظلمة، وقضاء الوقت سويًا أمام طقطقة الحطب المشتعل في الموقد، الضحكات، الألم المشترك إزاء هيلينا، كل ذلك قد جمعهما معًا، كان هناك الاحترام، الثقة والولاء، وكل ما يمكن التحدث عنه، لم تكن هناك شهوة، ولا رغبة لأي تقارب جسدي، ليس غير علاقة صداقة رائعة.

كانت كريستينا تعرف أن هيلينا وستورا لن يتمكنا من العيش سوية كزوجين، وكانت هي ممتنة لذلك، لأنها تعرف أن هيلينا لم تكن راغبة بذلك، ولقد شكل لها الأمر مصدر قلق كبير، كان ستورا رجل كبير في السن، لم يكن لديه أي رابط بفترة الشباب، ولكن هيلينا كانت شيئًا آخر، جرى الدم ساخنًا في عروقها ولم يكن لديها ما تستطيع أن تطفئ به رغبتها.

توقفت الموسيقى وانفرط عقد الراقصين، كان الوقت قد أزف لاستعراض منتصف ليلة الميلاد، حملت توريد طفلها النائم لايف من عند المعلمة العجوز "بيريتا" والتي لا يستطيع المرء أن يتذكر تاريخ وجودها في فروسفيك، بيريتا التي احتضنت لايف قرب قلبها والتي رعته كدجاجة ترعى بيضها.

- بيريتا، هل تعتقدين أني أستطيع اصطحابه معي إلى الكنيسة، هل سيصحو ويبدأ بالصراخ؟

تشممته بيريتا بصوت عالي..

- أوه، وما الذي سيحدثه سؤالك إن سألت؟ بيوت الله للجميع وإذا ما كان هناك شخص ما لديه رأي آخر مختلف، عليه أن يطرح ذلك الرأي علي أنا.

بدت بيريتا صارمة حتى أنها جعلت توريد تنفجر ضاحكة، صحا لايف، تغرغر برضا متعلق بغطاء رأس أمه ساحبًا إياه كاشفًا عن شعرها الداكن..

- أيها الوغد الصغير، لا يجب أن تفعل ذلك، هل تستطيعين حمله ثانية بيريتا؟

أعطت توريد صغيرها للمعلمة العجوز التي بدأت بهدهدته..

- سأذهب الآن برفقة لايف لأحضر عباءتي، وبعد ذلك سندلف إلى الكنيسة.

قالت بريتا ذلك واختفت داخلة حاملة لايف بين ذراعيها.

رتبت توريد غطاء رأسها على عجل وكما كانت قد تعودت على فعله دائمًا، شعرت كما لو أنها قامت بعمل محظور، كان غطاء الرأس وفوطة الكتان التي تغطي الذقن رمزًا للمرأة المتزوجة الفاضلة.

كانت هيلينا هي من أخبرتها بوضع ذلك الغطاء قبل سفرهما إلى فروسفيك ولقد اعترضت توريد على ذلك قائلة إن الأمور تسير على ما يرام، ليس بالنسبة لها حيث إنها لم تكن متزوجة، ولا تفكر أن تتزوج سواء وضعت ذلك الغطاء أم لا، ولكن هيلينا أوضحت لها أنه حتى تلك النساء اللواتي وصلن إلى العمر الذي يتم فيه دعوتهن لحضور حفلات الزفاف فإن عليهن أن يغطين شعرهن.

وبناء على ذلك فإن توريد وصلت إلى فروسفيك وهي تضع ذلك الغطاء على رأسها، وقد مثل لها ذلك الغطاء حماية فعالة ضد ألسنة السوء والافتراءات الخبيثة، فهنا لا أحد يعرف شيء عن حياتها وتاريخها، كانت هنا المرأة المتزوجة حديثًا والتي تقوم بواجب الخدمة الشخصية، لم يكن ذلك لأنها قد كذبت بشأن ما خسرته، إنها فقط لم تتحدث عن ذلك، وكما هو الحال دائمًا حينما كان الآخرون يلتقونها لم يروا فيها تلك العبدة، تلك الصورة التي بدأت تختفي من بين ناظريها هي أيضًا، لم يكن الأمر سهلاً، فالصور القديمة، كل ذكريات الجسد المؤلمة والكلمات البغيضة ترسوا عميقًا في القلب وفي الروح، ولكن الحياة في فروسفيك كانت أشبه بحلم، بالرغم من أن الحمل القاسي لهيلينا قد ألقى بظلاله الحزينة على سعادة المكان.

ولكن ذلك الوقت قد مر الآن وقد بدأت هي أولى خطواتها بممارسة حياتها كإنسانة حرة، رقصت وشاركت بالألعاب بشغف، أكلت من كل أنواع الأطعمة الشهية الوفيرة وشربت من شراب عيد الميلاد وروت ظمأها بالجعة اللذيذة، جلست إلى تلك المائدة المفروشة حاملة ابنها بين يديها كأي إنسان حر، عضو محترم في عائلة كبيرة.

- ألن تذهبي للكنيسة توريد؟

جفلت للصوت، صوت داكن ذو لثغة مكسورة بالحلق، صانع السيوف الشهير هو من يقف إلى جانبها.

- أوه، لقد أفزعتني دافيد.. نعم بالطبع سأذهب إلى الكنيسة، دخلت بيريتا حاملة ابني، سأحاول البحث عنهما أولاً ثم سأرتدي ملابس الخروج.

نظرت توريد باهتمام ناحية دافيد قبل أن تسرع بالخروج من الصالة التي بدأت تمتلئ بالناس، نظر ورائها مملوءاَ بالرغبة، لم تكن قد غابت عن ناظريه طوال السهرة، وعندما بدأ الموسيقيون بعزف الموسيقى حاول التقرب منها كي يستطيع أن يمسك يدها.

عندما داعبها ابنها مزيلاً عنها غطاء الرأس ما جعل شعرها الطويل يظهر داكنًا؛ شعر دافيد كما لو أنه قد حصل على لمحة افتقدها طيلة حياته، تمنى لو أنه يحتفظ بها إلى قربه.

انسحق الثلج تحت أقدام سكان المزرعة عندما سلكوا الطريق القصير الضيق المؤدي إلى كنيسة فروسفيك، لم يكونوا هم الوحيدين في ذلك الطريق متوجهين نحو بيت الله في أمسية الميلاد تلك، فلقد وصل إلى فروسفيك عدد من المزارعين والكثير من السكان الذين ينتظرون المشاركة في احتفالات منتصف الليل.

كانت ليلة عيد الميلاد المظلمة مضاءة بمشاعل لا تعد ولا تحصى، شكلت ثعابين طويلة متعرجة حتى تصل إلى الكنيسة الواقعة بأعلى التل، كان الهواء ساحراَ، وإن أصاخ الإنسان السمع بعناية إلى تلك الغابة السوداء المزرقة فإنه سيتمكن من سماع جنيات الغابة وهي تهدر بأصوات الأجراس الفضية.

نفضت هيلينا الثلج عنها قبل أن تدخل الكنيسة التي كانت مضاءة بالكثير من الشموع المضيئة التي بهرتها تمامًا أول مرة، غمرتها رائحة البخور الثقيلة الطيبة، أخذت مكانها في مقدمة قاعة الكنيسة إلى جانب أمها وزوجها وأبناءه وأحفاده.

اختفت الدمدمة حين بدأ القس الخاص بكنيسة فروسفيك، ذلك الرقيق "سيمون أيدفينسون" بالتحدث عن ذلك الطفل الصغير الذي ولد في مكان ما بمدينة بيت لحم بتلك الأرض المقدسة.

تلاشى صوت سيمون، وأصبحت كلماته بالنسبة إلى هيلينا مجرد تموجات رقيقة على سطح مرآة ماء صقيلة، فجأة نزل على قاعة الكنيسة ضباب أبيض متصاعد أخفى كل ما حولها عن ناظريها، في ليلة عيد الميلاد الساحرة، حين يتخلى العقل عن قيوده أخذتها الذاكرة ناحية هدية أول صباح لها بعد ليلة الزفاف التي قدمها لها زوجها.

كان ذلك فقط بعد عدة أيام من الزفاف حيث نزلت الكآبة كالرصاص الثقيل فوق كاهليها عندما قال لها زوجها إنها سوف تذهب إلى ستوكهولمين كي تتفحص هديتها بعينها، كان ذلك في واحد من أيام الخريف التي أنعم الله عليها بالشمس المشرقة في سماء زرقاء لا متناهية، يوم واحد عندما يصبح الهواء نقي كالكريستال، وحين يعتقد المرء أن بإمكانه أن يصل إلى أبواب الجنة، يوم واحد عندما تشتعل أوراق أشجار الغابات بالأحمر، الأصفر، البرتقالي والذهبي.

صعدت صهوة نايك وكان بصيصًا خافتًا من السعادة يشرق ضاغطًا على كآبتها الرمادية، ولكنها مع ذلك كانت مشغولة تمامًا برثاء نفسها، حيث أنها لم تكن مستعدة تمامًا بعد لذلك المصير الذي تقرر بذلك اليوم الخريفي الرائع في أن توضع هيلينا سيغريدزدوتر في مفترق طرق بمسار حياتها، وأن عليها في ذلك اليوم أن تتخذ أهم القرارات التي تحدد لها حياتها، تسابق الضوء مع الظلمة، المرارة مع الثقة والإيمان بالمستقبل، القرار سيكون قرارها ولكنه القرار الذي من شأنه أن يؤثر على حياة عدد لا يحصى من البشر.

برفقة زوجها وفرسان فروسفيك ساروا على الطريق العريض عندما تنفتح الغابة على صفحة مياه زرقاء متلألئة، سافروا بالقارب نحو ستوكهولمين، هدية

صباحيتها.. سارت بجانب زوجها إلى برج الدفاع الذي يرتفع في القلعة وتطلعت حولها إلى تلك المنطقة التي - من خلال الزواج - أصبحت ملكًا لها.

كان الشعور بالانتماء، الارتباط مع الأرض، مع المياه التي تلف ستوكهولمين، كان ذلك الشعور قوي لدرجة أنه أجرى الدموع من عينيها، جعلها ذلك تشعر كما لو أنها قد عادت إلى وطنها، كما لو أنها كانت تنتظر هذه اللحظة طوال حياتها.. هنا، في هذا المكان الرائع، تريد أن تسكن وتعيش، رقص الخاتم في إصبعها فرحًا، ومن فوق رأسها حام نسر عظيم، كما لو أنه قد قرر أن يرحب بها في وطنه.

تسلقت السلم الصاعد إلى داخل البرج إلى الطابق العلوي، كان المنظر من هناك يسلب الألباب ويأخذ الأنفاس بعيدًا، كان ذلك كالطيران، كانعدام الوزن يحوم عاليًا فوق كل ما هو معلق ومكبوت.

تغير شكل الضباب الأبيض حولها مشكل نفق من الضوء أمام نظراتها المندهشة، وهناك في نهاية النفق رأت هدية صباحيتها مربوطة بضوء شمس ساطعة، بوضوح لم تر له مثيلاً من قبل.

لكن ستوكهولمين لم تبد كأنها المكان الذي سوف تزوره مرة وحيدة، حملها الشتاء، الثلج والطرقات الوعرة التي لم تكن صالحة كطرق، ارتجفت خطوات هيلينا على الجسر، ذلك الذي لم يكن موجودًا فيما سبق، سمعت المياه تهدر تحت قدميها عندما عبرت نحو الجزيرة الصغيرة، شرعت بخطوات واثقة تسير نحو برج الدفاع، توقفت واستمتعت بالمشهد وهي في الأعلى، استدارت عائدة نحو أرض الجزيرة شديدة الانحدار والتقت برجال، نساء وأطفال، عوائل أنشأت لنفسها بيوتًا هنا في ستوكهولمين التي هي ملكًا لها ولزوجها، رأت العمال الحرفيون الذين يعملون في ورشهم، الصيادون الذين يبيعون ما اصطادوه صباحًا، سمعت أصوات الناس الذين يتضاحكون ويغنون.

عندما أرسلت بصرها فوق المياه اكتشفت الكثير من القوارب التجارية الكبيرة القديمة، التي تبحر خارجة إلى بحر البلطيق، ثم نقلت بصرها إلى الناحية الأخرى، خارجًا نحو مالارين، حيث رأت عددًا من القوارب الأصغر التي تتوجه بمقدماتها نحو ستوكهولمين، كان هناك حشدًا من الحياة.

وبينما هي تقف هناك تداعبها نسمات الريح جاء نحوها رجل.. رجل لم تستطع أن تراه، كانت مليئة بالخوف من المجهول.

كما وصلوا فجأة، فقد تفرقوا كما تتصاعد حجب الضباب، كانكسار السحر، عادت هيلينا لمكانها المخصص في كنيسة فروسفيك، فاحتفال منتصف الليل قد انتهى وقد حان الوقت للراحة.

# الفصل الخامس والعشرون

وقف بيرغر ماغنوسون داخل كنيسة فارنهايم، كان ينشد الهدوء والسكينة، داخل قاعة الكنيسة صلى من أجل أن يحل السلام على عقله المتهيج، كان رئيس الدير قد احترم رغبته أن يختلي بنفسه وأعطى أوامره للرهبان ألا يزعجه أحد، كان بيرغر ماغنوسون من أكثر فاعلي الخير بالنسبة لهذا الدير، فلولا سخائه لبقى هذا المكان خرب، ولم يكن ليتحول إلى أحد أديرة أخوية سستيرسينزن المزدهرة، دمر الدير بذلك الحريق الهائل العام ١٢٣٥ ولكن وبفضل بيرغر فقد تم الآن الانتهاء من إعادة بناءه.

كانت كنيسة دير فارنهايم مقبرة كنسية لعائلة أيريك ذات الأصول الملكية، وها هنا في الجانب الشرقي من الكنيسة يرقد براحتهم الأبدية العديد من الملوك والملكات، كان واقفًا تحت تلك الأقواس العالية لصحن الكنيسة، مثبتًا نظراته على الوجه المنحوت في الأعلى عند السقف، كانت صورة له، وكان الشبه بين وجهيهما مخيف، كان يجب على النحاتين الذين عملوا على تلك الحجارة القاسية أن يكونوا قد درسوه بعناية فائقة.

كان بيرغر قد وصل إلى فارنهايم راكبًا جواده في المساء السابق بصحبة حراسه، وقد استقبل من قبل رئيس الدير استقبالاً وديًا، وتم إنزالهم في بيت الضيافة في منطقة الدير، كان بيرغر قد وصل مثقلاً بالهموم قادمًا من القلعة الملكية في فيسينغ.

كما هي العادة، كان عمه الدوق أولف فاز قد أوقف اقتراح بيرغر الذي تجرأ على تقديمه للملك الشاب أيريك، ولم ينظر الملك الرقيق إلى غلالة الدخان التي ينشرها ذلك النبيل، لم يفهم أبدًا أن هذا الرجل لم يكن أفضل نبلاء المملكة حيث لم يأخذ بعين الاعتبار إلا موقفه الخاص من السلطة، ذلك الموقف الذي يعتبر بيرغر متحديًا.

المملكة، أي مملكة؟ تنفس بيرغر بقوة وبصوت مسموع مفكرًا بعمق، فالذي يطلق عليه هناك في جزيرة فيسينغ "مملكة" لم يكن أكثر من مجرد خليط فضفاض، حيث يحاول المتمردين قضاء وقتهم، كان ابن الملك المتوفي كنوت الطويل المدعو هوملغير مجرد طفل صغير حتى الآن، ولكنه وبمرور الوقت لن يبقى بالتأكيد مكتوف اليدين قانع بالجلوس في مزرعته "سكو" في مقاطعة أوبلاند، فالمملكة بحاجة لملك قوي، لقوة مركزية ولكثير من الرجال القادرين على العمل المسلح كما أنه يكلف مبالغ كبيرة، مبالغ لم يكن الملك في جزيرة فيسينغ يملكها.

من أجل زيادة إيرادات السلطة الحاكمة يجب تغيير نظام جباية الضرائب، وكذلك إدارة المملكة ولكن كل مقترحاته في تلك الشؤون تم إيقافها من قبل الدوق لأن ذلك سيؤدي لانخفاض سلطة الدوق لصالح الملك.

مشى بيرغر داخل الكنيسة ذهابًا وإيابًا، كان دوره قد أصبح كما لو أنه ساعي البريد الصغير بين الملك وذلك النبيل، كان يرسل مرة هنا ومرة هناك من أجل التفاوض مع الحكومات في النرويج والدانمارك، أو مفاوضًا ما بين رهبان الأديرة والفلاحين حول حقوق الملكية للمناطق الزراعية، كان قد أصبح مفاوضًا بارعًا وكانت تلك خاصية استخدمها كل من الملك والدوق لمصلحتهما طالما إنه لا يمارس تلك الخاصية داخل القلعة الملكية، تم إرساله عبر بحر البلطيق لإخماد التمرد وطرد القراصنة، كان مسافرًا مرتحلاً باستمرار ولم يكن يرى نهاية لذلك.

كانت أمه، تلك المرأة الحكيمة أنغريد ـ أيلفا، تنبهه باستمرار ألا يكون متهورًا جدًا وأن يكون مستعدًا، في تلك اللحظة اختار أن يخوض معركة مفتوحة مع أقوى شخصيات المملكة من أجل عائلته، أولف فاز ذاك سيكون هو من سيحسم مصيره، وليس هو فقط، فقد تم زج المملكة في حرب دموية طاحنة أكثر من مرة، وكان الأبرياء هم من يدفعون ثمن ذلك.

- لقد حان دورك بيرغر وعندما يحين ذلك اليوم ويكون دورك أن تأخذ مكان الطليعة؛ تذكر أن السلطة هي التي تأكل الأرواح، تشوه وتعمي، فمن يملكون السلطة يعتقدون جازمين دائمًا أنهم الوحيدين الذين يمتلكون الحقيقة، الحقيقة الوحيدة، هي أن تدرك النفوس أن هناك آلافًا من الحقائق...

هذا ما قالته له أمه وأضافت:

- هناك شيء واحد لا يموت مطلقًا؛ إنه الحكم بقتل إنسان، لا تنسَ ذلك مطلقًا، وتذكر أيضًا ما قلته لك سابقًا، طالما استطعت الاحتفاظ برأسي مرفوعة؛ فلن يحدث لعائلتي أي مكروه.

كانت كلمات أمه تريحه دائمًا ولكن لأمد قصير فقط، فسرعان ما كانت الأفكار المزعجة تغزوه من جديد، تنخر في صفاء أفكاره.

كان أولف فاز يتمتع بصحة جيدة وذلك يعني مضي العديد من السنين قبل أن يبدأ عده التنازلي، سواء باختياره أو أن يدعوه الموت ليكون إلى جانبه، وإلى ذلك اليوم سيقف النبيل حجر عثرة في طريق كل مقترحاته، وليس ذلك لأنه لا يؤمن بأهمية تلك المقترحات بل على العكس، كان ذلك خوفًا من الاعتراض.

اتكأ بيرغر بشدة على أحد الأعمدة الحجرية القوية في قاعة الكنيسة، أغمض عينيه وشبك يديه وراح مستغرقًا بصلاة إلى ربه، طلب صبراً متعقلاً، طلب من الله ألا يضع أمام عينيه مصلحته الخاصة قبل مصلحة مملكته، وبينما هو مستغرق بصلاته مر أمام عقله الباطن وجه صغير، ريكيسا، ابنته حديثة الولادة.

شعر بيرغر كيف زال كل الغضب والإحباط عنه عندما عاد بالذاكرة لأول لقاء بين الله وبين تلك الصغيرة عند معموديتها، كانت "ريكيسا" هي أول ما رزقه الله بها، رأت النور في نيسان/ أبريل عام ١٢٣٦، وكما هي العادة فقد كانت هناك عجلة في أن يتم التعميد أيام الدعوة الكنسية الثمانية، كان معدل وفيات الرضع عالياَ بشكل مؤلم، فإذا ما كان الوليد على وشك الموت كان يجب

تعميده وتسميته وإلا فإنه لن يدفن في الأرض المكرسة، كان يجب تعيين عراب وعرابة لأن الطفل غير المعمد إذا لم يؤخذ إلى الكنيسة وهو على قيد الحياة فإن ذلك يتطلب من العراب أن يُجري معمودية طارئة بينما يكون الطفل بين ذراعي عرابته.

ولدت ريكيسا في القلعة الملكية في فيسينغ وكان عرابها هو الملك أيريك أيريكسون أما عرابتها فقد كانت أنغريد - أيلفا، وقد تم الاحتفال بالمعمودية في كنيسة القلعة.

تذكر بيرغر كيف كانت ملامح وجهه المتوتر تبدو مشدودة، تلقاهم القس عند بوابة الكنيسة حيث نثر على الطفلة حبوب الفاصولياء من أجل إبعاد الشيطان عنها، والذي يقف متأهبَا لاصطياد أرواح المواليد الجدد، ثم قام القس برسم إشارة الصليب فوق ريكيسا واضعًا في فمها الصغير حبتا ملح، كان الملح رمزًا للحكمة، رأى بيرغر كل ذلك بوضوح أمام ناظريه متذكرَا سعادته الكبير وفخره.

كانت طفلة تلك التي رزقت بها أنغيبورغ ولم تكن ولد كما كان يأمل بذلك، ولكن زوجته أظهرت أنها تتمتع بخصوبة، ومن المتوقع أن يكون المولود القادم صبيَا.

في الهدوء الذي عم كنيسة الدير اعتقد أنه يسمع كلمات القس بوضوح، عندما لمس أذنا ريكيسا حتى يجعلها ذلك - منذ تلك اللحظة - قادرة على سماع كلمات الله، وأن تكون فعالة ومتفتحة، بعد ذلك جاؤوا إلى الكنيسة هربًا من رياح نيسان/ أبريل الجليدية، تجمعوا حول حوض التعميد الذي كان مملوءَا بالمياه المقدسة، مفتتحين سهرات عيد الفصح.

ابتسم بيرغر لنفسه عندما استعاد بذاكرته تلك الأسئلة التي طرحها القس على ريكيسا التي كانت مريضة ومتعبة من الحدث برمته ما جعلها تصرخ بأعلى صوتها، أسئلة تم الإجابة عليها من قبل عرابيها، ومن خلالهما تعلن ريكيسا أنها قد تخلت عن الشيطان وأعلنت إيمانها المسيحي، ثم قام القس بعد ذلك بدهن

جبين ريكيسا بزيت الكمون قبل أن يقرب تلك الطفلة الصارخة بجنون نحو إناء التعميد المليء بالماء البارد ورشه فوق رأسها باسم الثالوث.

ضحك بيرغر بصوت عالي وهو يفكر بتلك التي تصرخ وتركل بكل غضب، ريكيسا...

امتلأ الراهب المسكين بالتعب وهو يحاول أن يسيطر عليها من أجل رشها بالماء ومسح جبينها بالزيت المعطر، تقدم باستغاثة واضحة ثم ترك تلك الطفلة حديثة التعميد لأنغريد - أيلفا التي ألبستها ثوب التعميد الأبيض بينما الملك أيريك يرمي الطفلة ريكيسا بنظرة مضيئة.

كانت تلك إحدى الذكريات التي تشرق بالضوء والسعادة، وكان يأمل ألا تكون المرة الأخيرة التي يحملان فيها هو وأنغيبورغ طفلاً كي يعمداه.

سمع بيرغر صريراً يصدر من بوابة الكنيسة، مكتشفًا رئيس الدير الذي دخل على حذر خائفًا أن يزعج الرجل الكريم للدير، ولكن كانت لديه مسؤولية تتمثل في أهمية كون قواعد العمل في الدير محترمة، وضرورة دخول الرهبان وبقية الأخوة إلى كنيستهم.

أومأ بيرغر لرئيس الدير أنه قد فهم وترك الكنيسة مسرعًا، لقد قضى فترة في هدوء، فترة لإعادة التفكير وهو يشعر الآن بأنه بحال أفضل.

كانت الانتخابات - كما هو الحال دائمًا - هي إحدى خياراته، كان يتساءل كم سيتأثر بسلوك الدوق أولف فاز، كان قد سمح للانتخابات أن تأخذ من وقته ومن طاقته الكثير، عليه أن يمكث عدة أيام في فارنهايم، مجبراً نفسه على المشاركة في حياة الدير الهادئة والوجود المنظم قبل أن يعود للتأمل مع حياته مرة أخرى.

كان مراده الذهاب إلى ستوكهولمين على الحدود بين مقاطعتي سوديرمانلاند وأوبلاند، هناك حيث سيلتقي بابنة أخته هيلينا وزوجها.

استيقظت هيلينا على صوت طيور النورس المريع، الأمواج المتلاطمة وهي تضرب صخور الشاطئ، وعلى صوت ضحكة طفل متألقة.

من خلال المزاغل في برج الدفاع تغلغلت نسمة صيف لطيفة تحمل معها رائحة ماء البحر والمساحات الخضراء التي تولد من جديد، رمت عنها غطاء من القش المعقود، المختلف تمامًا عن سريرها ذو الريش الناعم في فروسفيك، يوم جديد يبتسم لها، يوم مملوء بالعمل إلى أخره، وكأن ذلك هدية تهدف إلى رعايتها.

- صباح الخير سيدة هيلينا.. أتمنى أن تكوني قد نمت جيدًا، لم يكن السرير لائقًا بمقامك أبدًا.

دخلت توريد مع طفلها الذي تحمله بين يديها إلى غرفة البرج العارية الجدران والتي استخدمتها هيلينا مسكنًا لها، بانتظار اكتمال المسكن الذي يجري بناؤه إلى جانب برج الدفاع، والذي سيتم الانتهاء منه قريباً.

- لقد نمت بعمق توريد، يبدو أنك تنسين باستمرار أنني قد كبرت في مزرعة تشبه بالتأكيد المزرعة التي نشأت بها أنت.

شدت توريد على الكلمات المغلفة بالحرية، كلمات من شأنها أن تنير حياة هيلينا التي عاشتها في أستونا التي بالتأكيد كانت نقية كنقاء السماء، رغم وجود أيامٍ سوداء اضطرت أن تعيشها، لكنها اختارت الصمت، فالماضي يجب ألا يأخذ كثيراً من وقتها الراهن.

- بيريتا وأنا قمنا بتجهيز مائدة الإفطار خارج المنزل، إنه يوم مشرق رائع ومن المؤلم ألا يستطيع المرء أن يستمتع في كل صباح بمثل هذا الجو.. وبالمناسبة سيدة هيلينا هناك كثير من الناس ينتظروا آملين أن يتحدثوا إليك ولو بكلمة.

نهضت هيلينا من فراشها مسرعة ومطت جسدها النحيل.

- أنا قادمة، سأرتدي ملابسي فقط، ألا تريدي أنت النوم توريد ربما جعلك لايف مستيقظة؟

طبعت هيلينا قبلة سريعة على جبين لايف..

- أنا لم أتعود النوم على هذا النحو المرتفع عن الأرض، لا أشعر أن هذا شيء طبيعي، كنت خائفة أن يقع لايف من على السلم، إنه يسير بخطوات غير واثقة بسرعة لا يمكن التنبؤ بها بساقيه الصغيرتين تلك.

شدت توريد قبضتها على صغيرها...

- لا أريد أن أكون جاحدة سيدة هيلينا ولكني أتشوق حقيقة للانتقال للبيت الجديد، هنا في الأعلى أشعر بنفسي أشبه بطائر أكثر من شعوري أني بشر.

ضحكت هيلينا عالياََ وهي ترتدي بنطالها الضيق، سترتها وزوج من الأحذية الجلدية الطرية قبل أن تحاول جاهدة أن تلم شعرها الطويل تحت منديل رأسها.

- بالتأكيد سوف تستطيعين الانتقال للمنزل الجديد خلال عدة أيام، فالرجال يعملون بكل طاقتهم.

نظرت توريد بإمعان للسيدة هيلينا وهي تحاول جاهدة أن تجمع شعرها تحت منديلها، كانت تعرف صعوبة ذلك بالنسبة إليها عندما كانت مضطرة لإخفاء شعرها، فمنذ مجيئهم إلى ستوكهولمين كانت ملابس السيدة هيلينا نهارًا هي الزي الرجالي.

- التنورة مناسبة للسير فقط.

أوضحت ذلك لتوريد وهي تساعدها بإلباسها، بالنسبة للمرأة فإنها ملابس غير محتشمة جدًا، وكانت توريد تفهم أن البنطال يسهل عليها الدخول والخروج من تلك المراكب المتهالكة، أو أن تدور بالأنحاء ممتطية نايك لمراقبة بناء الجسر وبناء المنازل، صعود السلالم وممارسة المبارزة واستخدام القوس، من دون مضايقة التنانير، ولكن ذلك كان غريباََ بعض الشيء.

أجلست توريد ابنها على الأرضية الحجرية الخشنة فغرد كعصفور صغير زاحفًا نحو هيلينا، مادًا نحوها ذراعيه الصغيرين.

- لا يمكنك، نورسي الصغير.. ليس لدي وقتًا كي ألهو معك الآن.

داعبت وجنتيه قبل أن تسارع بالخروج من غرفة البرج ثم نحو السلم المنحدر، كانت تقفز على درجات السلم مبتسمة لكل من كان واقف بانتظارها، أخذت قطعة من الكعك المخبوز حديثًا وتناولت شاكرة كوب الحليب الذي قدمته لها بيريتا قبل أن تستقبل يومها ذاك بكل الحيوية والإشراق.

بدا لها في بعض الأحيان كما لو أنها موجودة وسط أزيز تل من النمل المحتشد، كانت ستوكهولمين في ذلك الصيف من سنة النعمة ١٢٣٦ مجرد مكان كبير للعمل، فلم يكن هناك يوم يشبه يوم آخر وكانت تعشق ذلك، أكثر من مرة كان زوجها إلى جانبها، ولكن أحيانًا كانت الحاجة تدعو لتواجده في منزله الكائن في فروسفيك، ولهذا كان يقضي كثير من وقته هناك.

كانا زوجين غير متجانسين ولم يكن فارق السن الكبير هو السبب الوحيد، كانت هيلينا سريعة البديهة وعملية، بينما كان ستورا هادئًا يفكر بإمعان ويأخذ وقته قبل أن يتخذ قرار، كانت هيلينا ذات خيال واسع، حالمة ورغباتها ليس لها حدود، بينما كان سيد فروسفيك يقف على الأرض بقدمين راسختين آمنتين، هو يرى المشاكل ولكن زوجته الشابة لا ترى إلا الفرص، أحدهما يجري للأمام والآخر يسلك الطريق المعاكس، أما عندما يتعلق الأمر بستوكهولمين فقد كانا مزيجًا رائعًا.

أعطت خصوصية زيارة بيرغر ماغنوسون أحلام هيلينا مزيدًا من التغذية، كان ستورا ألوتسون يلاحظ بهدوء وموضوعية عدم وجود قوة أو موارد مادية لديه أو عند بيرغر ماغنوسون أو حتى هيلينا، تلك الموارد التي تتطلبها الخطط التي يحلم بها بيرغر ماغنوسون من أجل ستوكهولمين، فالمكان بالنسبة إليه كانت له وظيفة استراتيجية مهمة جدًا.

وقفت هيلينا وسط حشد صاخب من النجارين، الفرسان، المزارعين القادمين سيراً والرجال الباحثين عن عمل، الذين ينتظرون دورهم، كانت ترد على كل الأسئلة، لقد اندهشت كيف استطاعت أن تقوم بدور رئيس العمال.

عندما انصرف كل عامل إلى عمله جلست لحظة خارج القلعة، تأكل خبزًا وتشرب حليباَ، تستمع إلى دقات المطارق وتلك الدفقات المكتومة عندما تلقى الأحجار بتوابيت حجرية ضخمة ثم تبنى وهي في الماء، كان الجسر الواصل بين ضفتي المضيق الجنوبي قد أصبح جاهزًا بالفعل، مثل ذراع ممدودة يوصل برزخ ستوكهولمين بكل الطرق عبر البر الرئيسي، ولم يستغرق العمل طويلاً لبناء جسر خشبي ذو أقواس مستندًا بقوة على اثنين من التوابيت الحجرية التي تقوم بدور الدعامات.

أما الجسر الشمالي المقابل فسوف يستغرق بناؤه وقتًا أطول؛ لأن المسافة بين الضفتين كانت أعرض، ولكن عندما يتم الانتهاء من إنجاز الجسر فسوف يستمر الطريق القديم الواصل بين أوبلاند مع سوديرمانلاند بلا انقطاع حتى فوق المياه.

ابتلعت هيلينا أخر قطعة خبز لديها قبل أن تبدأ جولتها المعتادة حول ستوكهولمين والجزر الصغيرة المحيطة بها، سلكت مسارًا حادًا يوصلها نحو الماء، لوحت للرجال الذين يتصببون عرقًا وهم ينكبون على بناء التوابيت الحجرية أو الدعامات الضخمة التي من شأنها أن تحمل جسر الشمال، على الضفة المقابلة كان النجارون منهمكين لإنجاز ذلك الجسر الكبير.

حدقت من فوق بحر البلطيق حيث دعامات الحواجز المكتظة تحت الماء، كان بيرغر يشعر بالقلق إزاء الحالة السيئة والقول إن تلك الحواجز لن تقدم فائدة كبيرة لصد أي هجوم عدائي، قريباَ سيكون هناك وقت للتغلب على تلك المشكلة، ولكن في أول صيف لها في ستوكهولمين فإن هناك الكثير من الأشياء التي يتوجب إتمامها.

كانت تسير على طول حافة الشاطئ تجاه ماليراسيدان عندما وصلت إلى الجهة المقابلة "الشيدخير" حيث توقفت، كانت فرسها نايك وكانت هناك الماشية التي ترعى في المراعي؛ تكلف جميع الرجال والنساء العاملين خلال الصيف في ستوكهولمين كثير من الطعام والشراب، لذلك كان ذلك الصيف بالنسبة للصيادين ساكني الجزر الصغيرة صيفًا مشحونًا بالعمل، اشترت هيلينا كل ما وجدوه كما قامت بتشغيل كل الزوجات والبنات للمساعدة في تحضير الطعام.

منذ أن وضع جسر الجنوب بالخدمة أصبح من السهولة نقل المؤن ومواد البناء، ولكن فروسفيك كانت تقع في "دانارو" إلى الشمال من جانب أوبلاند حيث يحتاج المرء إلى المراكب في تنقلاته حتى الآن.

كانت قد وصلت جنوب ستوكهولمين، أكثر الأجزاء المنخفضة حيث بيوت صيادي السمك وعوائلهم، هنا بجانب الجسر الذي بني حديثًا؛ أراد بيرغر أن تكون الأبراج الدفاعية مماثلة لتلك المتاخمة للمضيق الشمالي.

أتت زيارة بيرغر للتركيز بشكل كبير على الدفاع، ليس فقط ضد الغزاة القادمين من الشرق ولكن أيضًا ضد أعداء المملكة الداخليين، من أقارب وحلفاء الملك السابق كنوت الطويل، وأبناء أولئك الأباء الذين خسروا المعركة في أولوستروم ومع الوقت أصبحوا متعطشين للانتقام.

كان حلم هيلينا الخاص بأستوكهولمين يختلف عن ذلك، كانت تحلم بمكان آمن للعيش حيث يمكن للتجارة والحرف أن تزدهر، ولكن بالنسبة لخالها كان محقًا فالناس إن لم يشعروا بالأمان فإنهم لن يستطيعوا الاستقرار فيه، والأمان يتطلب سيوف ورجال بإمكانهم التعامل معه.

كانت العديد من عوائل الصيادين قد أبدت رغبتها بنقل منازلها إلى تلك الأجزاء المرتفعة، من أجل أن يكونوا على مقربة من القلعة رغبة منهم بالحماية، تبدأ مواسم الإبحار في بحر البلطيق اعتبارًا من نيسان /أبريل عندما يبدأ الجليد بالذوبان، وحتى شهر تشرين الثاني/ أكتوبر حيث تبدأ عواصف

الخريف، خلال تلك الأشهر يبدأ القراصنة نشاطهم، كالحيوانات المفترسة الجائعة، محيلين تلك الشواطئ إلى أماكن خطيرة.

قسم من حراس فروسفيك موجودين الآن في ستوكهولمين، كما أن بيرغر ترك عددًا من فرسانه هنا، وقد قام النجارين ببناء بيت يقيم فيه أولئك الرجال بالقرب من المسكن الذي يجري إعداده لها ولستورا، وكان من ضمن نصيحة بيرغر أن يبدأ التخطيط لبناء سور دفاعي حول المنطقة التي تقع القلعة فيها.

ملأت أخبار ما يتم القيام به في ستوكهولمين كل المزارع الواقعة حول مالارين، فجاء الفلاحون من كل الأنحاء مبحرين كي يبيعوا محاصيلهم، وبالفعل أصبح المكان المفتوح في أعلى الهضبة يضم أنواع عدة من التجار، وإن كان ذلك على نطاق متواضع.

تابعت هيلينا مسيرها مبتهجة لمجرد وجودها، فأن تعيش وتعمل في ستوكهولمين أعطى لحياتها معنى، معنى اعتقدت أنها بدأت تفقده من خلال زواجها، أحبت هذا المكان وكانت هناك مشاعر متبادلة بينهما، ارتجفت متوقعة تلك اللحظة عندما سيغطي الثلج هدية زواجها بغطاءه الأبيض والذي سيتحول إلى جليد، وكأي زوجة في فروسفيك سوف تكون مجبرة أن تعيش في المزرعة خلال نصف السنة الشتائية، لذلك فإن العمل في بناء ستوكهولمين يتباطأ كثيراَ..

حالياَ كانت أمها هي من تأخذ دور سيدة المنزل في فروسفيك، ولكنها بالطبع لا يمكن أن تتوقع استمرار ذلك لأمد بعيد، فعاجلاً أم آجلاً ستضطر أمها إلى المغادرة عائدة إلى بيالبو، إلى حيث أمها ومنزلها في سكانيننع، أحست بغصة في قلبها عندما فكرت بذلك، حاولت أن تزيل عنها جانباَ الأفكار المؤلمة، إن الحياة كانت هنا، والآن فإن لديها مهمة لصانع السيوف دافيد فليوري في ورشته التي أقامها حديثًا.

تركت توريد ابنها في رعاية المعلمة الحنون بيريتا وذهبت للبحث عن هيلينا التي ذهبت للصيد، وصل للتو رسول من فروسفيك حاملاً وثيقة مختومة بختم كريستينا منيخولد، ولأن توريد تعرف أن هيلينا تكون سعيدة دائمًا لسماع أية أخبار من أمها فقد أسرعت للبحث عنها بأسرع ما يمكنها.

كانت المنطقة القريبة المحيطة بالقلعة هي إحدى أوسع مناطق البناء الكبيرة، حيث منزل السيدة هيلينا، منازل الحرس، كنيسة خشبية صغيرة متواضعة، ورشة الحدادة، وكان المطبخ على وشك الإنجاز، بينما كانت بقية الأبنية في مرحلة بناء أساساتها.

بحثت توريد ببصرها في المنطقة المفتوحة والتي أصبحت تعرف منذ حين بالساحة، هناك حيث يعرض صيادوا السمك والفلاحون سلعهم، ثم ألقت نظرة على تلك الكنيسة الصغيرة وقد بدأ الحزن يلقي بظلاله عليها خانقًا وثقيلاً، كانت هذه أول مرة تعيش إحساس الإنسان الحر، عندما لم تعد بحاجة إلى العيش بالخوف بالحزن الذين كانا يحاصرانها، إلا أن الماضي كان يلقي بظلاله، وكان هناك حزن لم تتمكن من التحرر منه؛ كونها وضعت حدًا لحياة اثنين من أبنائها رزقت بهما قبل لايف، ذلك الابن الذي عاش فاتحًا الأبواب المغلقة على ذلك الذنب العميق، لم يساعدها كثيراً معرفتها أنها لو لم تقم بإنهاء حياة ابنيها بيديها فإن الحيوانات في البرية ستمزقهما أشلاء، كانت تتخيلهما خلال ساعات الليل وكان الشعور بالذنب لا يطاق.

جعلت زيارة الكنيسة الصغيرة عادة يومية لها، كانت تصلي من أجل نفسي طفليها الخالدتين، شارحة لهما أنها تحبهما، كان ذلك يخفف قليلاً من ذنبها الذي تحمله، على الأقل لفترة وجيزة، لكن عندما كان يحل المساء ويبتسم لايف بأمان وهو يشمشم ذراعها كانت تعود إلى الغابة، كانت تعود إلى عجزها المتجمد.

قعقعة حوافر جعلت توريد تتوقف، توجه خمسة فرسان إلى الكنيسة عبر الجسر الجنوبي، كانت سيوفهم ودروعهم المصنوعة من حلقات معدنية متشابكة مع بعضها تلتمع تحت أشعة الشمس، صرخ الخوف القديم من الأمس - ذلك الذي يفغر فاه منتظراً للانقضاض عليها - حاثًا إياها على الهرب، إلا أن ساقيها رفضا طاعتها.

كان الرجال الخمسة قد وصلوا عبر الطريق الرئيسي القادم من الجنوب، وللمرة الأولى لم يكن لأولئك الرجال أن ينتقلوا مع خيولهم على ظهر أحد المراكب للقدوم إلى ستوكهولمين، تجمع الحراس عند الجسر المشيد حديثًا، وعندما كانوا على وشك الحديث عن مهمتهم أعلموا أن صانع السيوف فليوري الذي جاءوا بطلبه قام بإنزال بوابة الجسر وأنهم يستطيعون الركوب عبر الجسر الذي أصبح ثابتًا دون أي صعوبة.

كانت الأخبار عن الأبنية التي تشيد هناك في ستوكهولمين قد تم نشرها من قبل بيرغر ماغنوسون في كل من سفيلاند وغوتلاند، وقد أقبل الناس يملؤهم الفضول لرؤية ذلك بأم عيونهم ليتأكدوا من حقيقة ما قد سمعوه.

كانت القلعة العالية يمكن رؤيتها من بعيد وقد قادوا خيولهم على طول الطريق المعبد جيدًا والذي يدور حول الجزيرة، لقد مر أكثر من عام منذ أن قدموا إلى هنا وهم في طريقهم إلى أقاربهم في أوبسالا، وكان يمكن أن يشاهدوا الكثير من التغيير عما كان سابقًا.

كبحوا جماح خيولهم عندما وصلوا للأرض الخالية القريبة من القلعة حيث عرض العديد من الفلاحين بضاعتهم: لفت، كرنب، بيض ولحم، رأى الرجال أنفسهم يدورون، امرأة جميلة تلفت الأنظار، وملابسها التي تخفي كونها خادمة تقف في منتصف الباحة المفتوحة.

- لنسأل تلك السيدة أين يمكن العثور على صانع السيوف، لقد مضى وقت طويل منذ أن استمتعت عيناي بمرأى وجه غاية بالجمال كمثل هذا الوجه.

كما لو كان ذلك أمراً، أحاط الرجال الخمسة بتوريد المرعوبة، اقتربوا بخيولهم بنفس الوقت الذي كانوا يلاحقونها بعيونهم.

كان لدى دافيد فليوري يومًا مليئًا بالعمل، فقد أوصى بيرغر ماغنوسون على مجموعة من السيوف الجديدة لحراسه، وكذلك لهيلينا وزوجها ستورا الذي دافع عن ستوكهولمين، كان الحداد من أوائل الحرفيين الذين أعد لهم مكانًا للعمل وبالطبع فإنه لم يكن الوحيد الذي تم إعداد أماكن عمل لهم، وعدا صبيته العاملين لديه كان هناك أيضًا حدادين مشغولين تمامًا بصناعة السلاسل الضخمة الخاصة بمباني الجسر الشمالي.

كان هناك حبَا من النظرة الأولى عندما وضع قدمه على شاطئ ستوكهولمين، عرف كم كان يحب العيش إلى جوار البحر، حيث يستطيع أن يشعر برائحة الماء المالح، سماع صراخ نوارس البحر وصوت تلاطم الأمواج وهي تلامس الشاطئ الحجري، بلا ريب بحر البلطيق يمتلك نفس اللون الفيروزي كالبحر المتوسط، وكانت المياه فيهما شفافةً كالزجاج الثمين، إلا أن المياه في الشمال كانت أكثر غموضًا، كانت الأحضان هنا أكثر غيرة على أسرارها، ولكن مع ذلك لا يزال يشعر بالرغبة بالعودة - في نهاية المطاف - إلى الوطن.

صباح كل يوم يأتي إلى الشاطئ عند بحر البلطيق، يملأ كفه المقعر بتلك المياه الباردة مستمعًا إلى أغنية البحر القديمة، كان ذلك يعطيه راحةً لأفكاره، لكنه كان يعلم أنه إن لم تكن توريد موجودة في ستوكهولمين، فإن البحر كان يمكن أن يكون مثل صحراء قاحلة.

من ورشة الحدادة كان المنظر واسعًا نحو القلعة، الكنيسة، البيوت الجديدة وتلك المنطقة التي بدأ العامة يسمونها الساحة، كان يقف هناك في الحرب مشغولاً بسيوفه، وكان يستطيع رؤية كل ما يحدث في الخارج، وفي كل مرة يلقي نظرة على هيأتها الرقيقة؛ كان قلبه ينبض نبضةً إضافيةً مملوءة بالسعادة.

كان كل يوم يتطلع إلى العشاء والسهر مع العاملين عند السيدة هيلينا حيث يتناولون وجبة طعام العشاء سويًا، كان يحاول أن يجد له مكانًا بالقرب من توريد كلما كان ذلك ممكنًا، كانت هي نور أيامه وأحلام لياليه.

كان يضرب بمطرقته عندما رآها عبر الساحة تأتي متعجلةً، وتتوقف فجأة كما لو أن شيئًا ما قد منعها، ومن خلال ضربات مطرقته المدوية في دكانه سمع صوت الحوافر الثقيلة، جاء خمسةً من رجال الحرب المدججين بالأسلحة يمتطون خيولاً كبيرة مستعدة للحرب، رآهم يدورون حول توريد، رمى بكل شيء بيديه وأسرع بالخروج.

وقفت توريد مشلولةً محاصرةً من قبل أولئك الرجال الأشرار، رأت الشهوة في نظراتهم، شعرت كأن أياديهم المترددة تلامس جسدها، رأت شفاههم وهي تتحرك كما لو أنها تشكل كلمات ولكن الخوف جعلها صماء، ولكن وفي وسط تلك الصرخات السوداء شعرت أن رجلاً قويًا ولكن لطيفًا بنفس الوقت، قد طوقت ذراعه خصرها، ومن خلال رعبها الذي هرب، عرفت أنه دافيد فليوري بلثغته المحببة المألوفة، اختفى الخوف منها كأنه رجع الصدى في الريح، وفجأة رأت وسمعت الذي حدث حولها.

- ما هي مهمتكم هنا في ستوكهولمين العائدة للسيدة هيلينا سيغتريغزدوتر؟

كان صوت دافيد باردًا متجمدًا كأنه ليلة شتائية مظلمة..

- نحن نبحث عن دافيد فليوري صانع السيوف، ولقد فكرنا أن نسأل هذه السيدة الجميلة إن كانت تستطيع أن تدلنا عليه.

- ها أنذا دافيد فليوري.

نظر دافيد إلى الرجال ببرود وحذر بينما كان يلف ذراعه حول توريد بمنتهى الحماية، نظر الرجال إلى بعضهم يملأهم الشك، لقد فهموا أنهم أثاروا غضب صانع السيوف الشهير، من المرجح أن هذه السيدة الجميلة هي زوجته.

- نستميحك العذر سيد فليوري إذا كنا بطريقة ما قد أسأنا لزوجتك، أود أن أؤكد لك أن ذلك لم يكن مقصدنا على الإطلاق.

تمتم بقية المحاربين مؤكدين..

- إن سمعتك انتشرت في كل سفيلاند سيد فليوري، ولقد جئنا هنا ملتمسين أن تصنع لنا يديك الماهرتين مجموعةً من السيوف.

- بإمكانكم الانتظار هناك عند باب دكان الحدادة، تعالي توريد سأرافقك لغاية المطبخ.

وبذراعه القوية التي لا تزال تطوق خصرها قادها نحو المطبخ حيث كانت بيريتا تنظر إلى لايف وتداعبه..

- إني أبحث عن السيدة هيلينا.

نطقت توريد بتلك الكلمات همسَا.

- إنها قادمة... هناك.

أومأ دافيد ناحية الطريق الواسع.

- سأقول لها إنك تريدين محادثتها، ابقي هنا مع بيريتا ولايف، وإذا ما حاول أحد أن يضايقك بأية طريقة فدعيني فقط أعرف، لن أسمح لأي أذى أن يلحق بك.

أصبحا الآن أمام دار الطبخ فمد لايف ذراعيه لأمه مهللاً ومرحبَا..

- لتبقي الآن توريد معك، سيدة بيريتا.

أومأ برأسه، واستدار على عقبيه سائرًا بخطوات واسعة نحو دكان الحدادة.

نظرت بيريتا مندهشة..

- لماذا قال ذلك، هل حدث شيئًا ما؟

- ظن المسلحون أني زوجة دافيد.

كان صوت توريد مليئًا بالحيرة.

- حسنًا وماذا في ذلك، ثم هل لي أن أسأل؟ هنا طفل بحاجة إلى أب، ومن الصعوبة أن نجد رجلاً أفضل من دافيد فليروي.

احتضنت ستوكهولمين ليلة صيف مضيئة، نام الجميع، البشر والحيوانات بعد يوم عمل شاق مضني، حتى الرياح نامت هناك عند بحر البلطيق أو عند مروج مالارين التي اختفت فيها الأمواج، فقط كان الحراس على سطح القلعة هم من بقي مستيقظًا، كانوا يلعبون الخشبة لتمضية الوقت، وبين الحين والحين كانوا يلقون نظرة على البحر عند الشرق، كان الوقت منتصف الصيف، ذلك الوقت من السنة التي يبدأ فيه نشاط وحوش البحر، قراصنة كاريليسكا العدوانيون الذين يبحرون بمراكبهم الطويلة، ولكن في تلك اللحظة عندما تلقي ليالي الصيف ضوئها المبتسم فمن الصعب على المرء أن يتصور أن هناك من يحمل الشر في هذا العالم.

- لقد فزت أنا، وأنت مدين لي بكأس من الجعة.

قال الحارس الشاب لزميله بلهجة ظفر.

- سأربح أنا الشوط الثاني وبذلك سنكون متعادلين.

استمرا باللعب وألقيا نظرة راضية نحو الشرق ثم تصلبا قليلاً، حدقا بتشكك ثم ألقيا نظرة نحو أبعد نقطة على الجزيرة، ظهرت سفينتان بطريقة سحرية، ربما قدمتا من المجهول، تقتربان مسرعتين نحو الشاطئ الشمالي لستوكهولمين.

انطلق الاثنان نحو بوقيهما المصنوعين من قرنين ضخمين بنفس الوقت، وعندما قرب أحدهما القرن إلى فمه أطلق صوتًا جعل كل ستوكهولمين النائمة تستيقظ، أما الآخر فقد انطلق لإيقاظ السيدة هيلينا، ففي غياب ستورا ألوتسون كانت هي من يتولى زمام الأمور والقيادة.

# الفصل السادس والعشرون

كانت تلك لحظات من النهار حيث يكون الضوء ذهبيًا، اللحظات التي تأتي قبل أن ينتشر الغسق الأزرق فوق الغابات والمروج، كان المقاتل الشاب يقف في الأعلى ناظرًا إلى أماكن طفولته، خمس سنوات مرت منذ أن وقف هنا، خمس سنوات من المعارك، من الإبحار والرسو، من السعادة والألم، أبعده الشوق عن وطنه وعائلته، والآن فإن نفس الشوق قد أعاده.

برشاقة قط انزلق من على صهوة جواده وجلس على الحشائش الناعمة، ضغط عليه كلبه الأشعث، بقى رفيقيه على مقربة منه، فهما أنه بحاجة ليبقى وحيدًا مع أفكاره وذكرياته، سمع أصواتًا خافتة تصل إليه، ورأى أشخاصًا يتحركون بين بيوت المزرعة، تطلع باهتمام باحثًا عن أبيه طويل القامة، ولكن من دون فائدة، داعب بنظراته المنزل الذي قضى به طفولته متنقلاً بين غرفه، رأى الحديقة أصغر مما يتذكرها، فبالنسبة لشخص قضى وقتًا طويلاً في القلعة الملكية في "أوسلو"؛ فإن وجهة نظره ستتغير كثيرًا.

طوق كلبه بيديه، ودفن وجهه بفروته، قاموا برحلة طويلة وشاقة من مدينة أوسلو النرويجية الواقعة على مصب نهر  "ألناس" إلى منزله في مقاطعة أوبلاند، كان متعبًا ومتسائلاً كيف سيتم استقباله.

في النرويج كان الجميع يعرف من يكون هو، فلقد كان القائد الشهير المبجل للملك هوكان هوكانسون.. أما هنا، في وطنه، فإنه غير معروف، احترق داخله قليلاً وهو يفكر، وشعر بالحزن لغروره، ألم يكن أكبر من ذلك؟ هل كان بحاجة لأن يعكس صورته للآخرين، الحاسدين والمعجبين من أجل أن يشعروا أنه قد مات، من أنه كان رجلاً لا يستهان به؟ هل كان احترامه لذاته وتواضعه شيئًا سيئًا للغاية؟.

عصف به حصانه طالباَ المداعبة، قربه وحبه لحيواناته كان شيئًا مهمًا بالنسبة إليه، وكذلك كان قربه لعائلته هو الذي دفعه للعودة.. وقفت الذكريات على الخط منتظرة بصبر أن يأخذ بيدها، يختبرها في مختبر روحه، ما هو نوع الرجل الذي أصبح عليه، كيف أثرت عليه الحياة الصعبة التي عاشها كرئيس لحرس ملك؟.

بداخله رأى نفسه رجلاً شابًا متواجدًا في مزرعته، يشعر بأنه محاصر كما لو أنه مخنوق ومحمل برغبة قوية في أن يكون ذلك كألم جسدي في جسمه، كان قد أحرق رغبته الوحيدة في أن يرحل بعيدًا، اختار أن يرى ما كان مخبئًا وراء الأفق، كان يريد أن يرى وجوهًا جديدة، يختبر مهاراته باستخدام السلاح مع أولئك الرجال الذين رأوا العالم خارج المنازل، كان يعتقد أن أباه وإخوته قد اختاروا بسذاجة أن تكون تلك المزرعة هي كل عالمهم.

ذلك الشعور بالانفراج الذي شعر به وهو يغادر منزله هو الشيء الوحيد الذي يمكن مقارنته وهو يترك الحياة الآن في النرويج، ليس لأنه واجه حياة صعبة هناك، بل على العكس؛ كانت السنوات التي قضاها في خدمة الملك مليئة بالنجاحات، وكان ذلك كالثمالة التي تحجب عنه الرؤية، ولكن الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها قد أجبرته على التوقف والتفكير، فنحن ومن خلال قلوبنا فقط، نستطيع أن نرى بوضوح، ولكن نادرًا ما كانت لدينا القوة والشجاعة للتعامل مع ما نجده خارجًا.

في هذا الصيف كان يجب أن يتزوج من عالية المقام "فيبيك كوندزدوتر"، ولكن القدر كان له رأيًا آخر، فقد اجتاح البلاد مرض الطاعون الذي لا يرحم، وكانت هي إحدى ضحاياه، لم يكونا قد التقيا وحدهما هو وفيبيك، ولكنه كان يشعر أنها المرأة التي سيحتفظ بها، فيما لو كان لديهما الوقت ليعرفا بعضهما بشكل أفضل.. خسارة فيبيك والحياة التي كانا سيقضيانها معًا جعلته يدرك أنه لا يستطيع الفوز في كل المعارك والحروب، وأن يدرك كم هي هشة ومخيفة تلك

الحياة القصيرة، وكم من المهم - لذلك - أن نستمتع بكل لحظة فيها وألا نفقد نعمة الحياة إلا لأشياء لها معنى.

دعاه الملك هوكان للبحث عن زوجة جديدة، لكنه كان يرفض، كان يركب مخترقًا الغابات وحيدًا برفقة الحيوانات التي رأها بنفسه متأملاً خيارات حياته، وهناك في أزيز الغابة اتخذ القرار بالعودة إلى فروسفيك في أوبلاند.

سافر متأرجحًا على ظهر حصانه.. أومأ إلى الرجلين الذين اختارا مرافقته، رفع الرجلان راية عائلته "رأس كريب أسود" مرسومًا على خلفية ذهبية، وضع عقبيه على خاصرة جواده وانطلق صاعدًا.

كان اسم الرجل "جيكوب ستوراسون"، عندما كان راكب في فناء فروسفيك كان يعرف أنه قد غادر هذا المكان بحثًا عن حلم، والآن فإن الدائرة قد اكتملت، لقد عاد من جديد ولا زال يبحث عن ذلك الحلم.

وجد ستورا ألوتسون نفسه في الاسطبل يتطلع إلى خيوله، وكانت كريستينا منيخولد مشغولة تمامًا في بيت الطبخ عندما سمعوا أحد الخدم يصرخ عاليًا من خارج فناء المزرعة، ثلاثة من الفرسان المسلحين ترفرف راياتهم كانوا في طريقهم إلى المزرعة، أسرع الاثنان بالخروج واقفين جنبًا إلى جنب بينما تقدم الرجال الثلاثة راكبين في فناء المزرعة يتبعهم حصانان محملان بالأمتعة وكلب ضخم يبدو شرس كأنه ذئب.

أمسك ستورا بيد كريستينا، كما لو كان بحاجة لشخص يستند إليه كي لا يسقط، سمعته يلهث بعنف وهو يكرر نفس الكلمة مرارًا وتكرارًا بصوت يهتز فرحًا..

- جيكوب... جيكوب...جيكوب...

انزلق الشاب المسلح الذي كان يقود صحبه عن ظهر حصانه، ثم وقف متيبسًا، حذرًا، كما لو أنه لم يكن متأكدًا من الاستقبال الذي سوف يحظى به.

أفلت ستورا ذراعها وبخطوات سريعة وقف أمام المحارب الشاب مطوقًا إياه بذراعيه، كان هناك الكثير من الحب، عناقًا حارًا كبيراً لا يحتاج إلى أي كلمات.. فهمت كريستينا أن هذا الشاب المدجج بالسلاح هو ابن ستورا، ابنه الذي افتقده، ها هو الآن قد عاد.

- كريستينا، ها هو ابني جيكوب ستوراسون.

كان صوته مليئًا بالفخر..

انحنى جيكوب لكريستينا، وفكرت هي أنه أصبح من الصعب الآن العثور على شاب وسيم مثله، التقت عيناه الفيروزيتان الكبيرتان بعينيها، وجه مليء بالحيوية وأنف دقيق، جبين مرفوعة وفم مكتنز، لم يكن شعره طويلاً جدًا، لكنه شعر مجعد ذو لون كستنائي، كان طويلاً ذو عضلات قوية، وبالتأكيد هناك العديد من قلوب النساء التي خفقت له.

- إنه من الشرف أن ألتقي بزوجة أبي.

ضحكت كريستينا بصوت عالي..

- أهلاً بك في منزلك جيكوب ولكني لست زوجة أبيك، أنا حماته.

بان على جيكوب الارتباك والاندهاش.

- جيكوب إن زوجتي هيلينا ليست هنا الآن، إنها في ستوكهولمين، إنها تدير أعمال البناء هناك، أنا لا أستطيع أن أصف لك بكلمات كم أنا سعيد برؤيتك بني، تلقينا الخبر المحزن بشأن خطيبتك ولقد خططنا للسفر إلى النرويج، كم من الوقت يلزمني لأعبر عن فرحتي بوجودك هنا في منزلك؟

- أبي لقد عدت كي أبقى، لقد حان الوقت لكي أرعى بنفسي شؤون حقولي ومزارعي، لقد أنهيت خدمتي لدى الملك هوكان.

سمعت كريستينا طوقًا من الألم في الكلمات وفهمت أن هذا القرار لم يكن سهلاً، تنحت إلى الجانب قليلاً ترقب الأب وابنه، تلاحظ لم الشمل والمشاعر

العظيمة، لاحظت كم كان مرافقاه ينظران إليه بما يشبه التقديس، لهذا المحارب الذي هو ابن لستورا ألوتسون، أدركت أنه كان رجلاً ذو شأن هناك في النرويج، ولقد اختار أن يترك تلك الحياة، كان هذا لا يدع مجالاً لتاريخ خفي، صحا في كريستينا الفضول، ولكن بجانب ذلك الفضول ولدت فكرة شريرة، إحساس بخطر وشيك، حيث أدركت أن وصول جيكوب قد يغير نمط الحياة المعتاد، تقدم منها ذلك الكلب الضخم، متشمشمًا في ملابسها وربتت هي بلطف على رأسه.

انتقدت كريستينا نفسها، مقنعة إياها أن ما بدا لها هو مجرد شبح للا شيء، كانت فرحة ستورا ألوتسون تبدو كبيرة ولن تسمح لنفسها أن تنتزعه منها.

استفاقت ربة المنزل بداخلها فجعلتها تنتبه لنفسها فتسرع بالذهاب إلى حجرة الطبخ، كانت تريد أن تخبر العاملات هناك أن يحضروا لوليمة كبيرة للاحتفال بعودة جيكوب ومرافقيه إلى الوطن.

وصلت الليلة الصيفية إلى ذلك الوقت الذي يشرق فيه الفجر الوردي عندما تمنى الأب والابن لبعضهما نومًا هانئًا، كان هناك الكثير جدًا مما يمكن الحديث عنه ومما يعاد بناؤه، خمس سنوات قد مرت منذ أن جلسا يستمعان إلى بعضهما، خمس سنوات من اكتساب الخبرة الحياتية، من خيبات الأمل، من آلامهما وأفراحهما، ولكن كان هناك الماضي، سوء الفهم الذي بقى بلا حل، لحظات لم يعطيا فيها إلا مجالاً للغضب، لم يكونا فيها قادرين على الاستماع للكلمات التي كانت وراء ذلك الغضب.

تحدث جيكوب عن الوقت الذي قضاه كقائد على رأس حرس الملك يوهان، عن محاولته أن يكون صالحًا وأن يحافظ على رجاله في رعاية وموعظة الرب، وأنه يأمل أن يتذكره الناس هناك كرجل عادل ونزيه، باح لأبيه عن تعبه وهو يعيش حياة كانت المعارك فيها بمثابة رفيقه الدائم.

كان موقف الملك يوهان ضعيفًا، بالضبط كما هو موقف الملك أيريك أيريكسون، فقد أصبح كلاهما ملكين وهما طفلين، ولم تكن هناك انتخابات عامة لا هنا في الوطن ولا هناك في النرويج، كان هناك العديد من الطامعين بالتاج، ولقد كان شقيق الملك هوكان أحد هؤلاء، أحد الأشياء التي زادت من ضعف الملك هي حقيقة أنه ولد في سرير غير شرعي، كان ابنًا للملك هوكان الثالث سفيرسون من عشيقته إنغا القادمة من "فارتينغ"، كانت التهديدات مستمرة، المعارك مستمرة، هكذا كانت حياة جيكوب هناك، فإن لم يكن قد ابتعد عن الديار فستجعله رغبته المستعرة يشعر بالمرارة، لذا فقد اعتقد أن حلمه يكمن في مكان بعيد عن هنا، اعتقد أن قوس قزح ينام بعيدًا... هناك.

حدثه أباه عن الأحداث التي وقعت في مزارع العائلة وفي المملكة خلال فترة غيابه، حدثه عن ارتباطه بزوجته الشابة هيلينا سيغريدزدوتر، عن الأسباب التي جعلته يمضي قدمًا بهذا الزواج الذي عرضه عليه بيرغر ماغنوسون من عائلة بيالبو ذات النفوذ الكبير، بيرغر الذي تزوج من أخت الملك أيريك، ولكن ستورا لم يذكر لابنه أنه وهيلينا لا يعيشان حياتهما كرجل وزوجته.

قبل أن يأويا لفراشهما طلبًا للراحة؛ ألقى ستورا بذراعيه على كتفي ابنه ونظر إليه باهتمام:

- هناك درس أود أن أشكرك عليه جيكوب، وهذا ما سأظل أشكرك عليه للأبد، لقد عرفت أن الحب كالكف المقعرة المفتوحة، ونقيضه هو قبضة مغلقة، الحب لا يمكن أن ينبت إلا في الحرية، وأكبر هدية يقدمها الأب لأبناءه هي الجرأة على تركهم لخياراتهم، لقد سبب لي اضطرارك لترك فروسفيك الكثير من الألم، جزء مني يعتقد أنك قد خنت وأردت أن أبقيك هنا، ولكن جزء آخر مني كان فخورًا واحترم شجاعتك وأنت تسلك طريقك الخاص، والآن فإني لن أجعل من يدي عائقًا أبدًا.

**خيم الهدوء فوق فروسفيك ونام البشر والحيوانات بكل أمان، كان كلب جيكوب ذو الشعر الكثيف هو أول من استفاق، وهو أول من سمع وقع الحوافر الثقيلة المقتربة مسرعة، ثم سمع الطرقات القوية على الباب الخارجي، وصوت رجل غاضب يدعو كبير العائلة ستورا ألوتسون، قفز الأب وابنه من سريرهما، ومن الخارج جاء ما يقوله ذلك الرسول الغاضب.**

**لقد هاجم القراصنة ستوكهولمين والآن على الجميع الإسراع ودعوة كل الرجال لركوب خيولهم نحو المكان.**

# الفصل السابع والعشرون

كانت هيلينا قد أخذت موقعها فوق القلعة، ومن أعلى مزاغل الرمي واصلت رمي سهامها، كانت بحاجة لرجلين كي يزوداها بالسهام المغموسة بالقطران، والتي كانت توقد من لهب ضعيف بقربهما، أرسلت هيلينا سهامها إلى سفن القراصنة وعلى ملابسهم، على كل ما تعتقد أنه قابل للاشتعال، ومن تلك الفتحات الموجودة في الطابق الأسفل ومن أعلى سطح القلعة؛ دعت رجالها المسلحين بالأقواس والسهام وبالسيوف لكي يتأهبوا لمقاتلة أولئك القراصنة الذين يهيئون أنفسهم للنزول إلى شاطئ ستوكهولمين.

قرب الشاطئ المتاخم للمضيق الشمالي أطلق الرجال كتل النار نحو سفينتين من سفن الأعداء، والتي سبق وأن تقدمت بلا أي إزعاج لغرض المرور نحو بحيرة مالارين، ولكن ذلك كان أصعب مما يمكن للقراصنة أن يتحسبوا له، كانت قذائف النار الهائلة القادمة من ستوكهولمين قد فاجأتهم، وقد كانت السهام المشتعلة تنهمر من فوقهم كالمطر، وكان من الاستحالة حماية أنفسهم منها.

وفي الأعلى، عند فتحات الرمي رأت هيلينا المراكب وهي تقترب داخلة من بوابة مالارين، وإذا ما استطاعوا الدخول إلى البحيرة فإن ذلك سيشكل كارثة حقيقية مجردة، وهي أن الكثير من الأرواح البريئة سوف تزهق، ثم سمعت دويًا فهللت فرحًا، فقد انشطرت أول سفينة بفعل الصخور الكبيرة إلى شطرين، حيث اختفيا تحت سطح الماء قريبًا من البر الرئيسي.

قطع صوت الأنين المرتفع الهواء، لقد نجح رجالها بإطلاق الصخور على السفن المتهالكة، كانت صخرة كبيرة ثقيلة أطلقت من خلال قوس كبير؛ قد ارتطمت بتلك السفينة التي كانت مبحرة، فانحشرت بين نعوش الحجارة العملاقة، ما

جعلها ترسل تحية شكر لبيرغر الذي فكر أن يجعل من البناء سلاحًا مساعدًا في صد هجمات الأعداء.

وفي الخارج عند نورستوم؛ كافح القراصنة من أجل إنقاذ سفينتهم من السهام التي انهمرت عليهم كالمطر، ارتفعت صرخات الذين وصلوا في فجر السماء الوردي ذاك بينما كانت النيران المستعرة تطوقهم، وأولئك الذين لم تحصدهم النبال ألقوا بأنفسهم إلى الماء محاولين السباحة إلى الشاطئ، ولم ينجح بذلك أيًا منهم، أما بقية سفن القراصنة فقد عادت أدراجها مبحرة، تاركة رفاقهم القتلى إلى مصيرهم.

أرخت هيلينا قوسها، لقد تم تفادي الهجوم على ستوكهولمين، تمكن الشعب في المزارع الواقعة على طول ساحل بحيرة مالارين من الاستمرار بنومهم الهادئ.

امتطى ستورا وجيكوب حصانيهما على وجه السرعة متوجهين نحو ستوكهولمين متقدمين رجالهما، يسابقان الزمن، شعر جيكوب وكأنه قد عاد إلى النرويج، لقد عاد من هناك تجنبًا للمعارك، الحرب، كل سفك الدماء، وبأسرع ما كان على أبواب فروسفيك وجد نفسه وقد عاد إلى المعركة من جديد.

كان يريد أن يسأل أباه عن الهدف من زواجه الجديد، خططه لستوكهولمين وكيف سمح لامرأة أن تتولى مسؤولية أعمال البناء هناك، خصوصًا وأنها امرأة شابة، ولكن هذا السؤال كان من ضمن العديد من الأسئلة التي لم يتسع الوقت لطرحها بتلك الليلة، ألقى جيكوب على أبيه الذي كان يركع إلى جانبه نظرة، فرأى توتره القلق، فهم أنه يحتفظ بمشاعر عميقة لزوجته الشابة.

استقبلتهم رائحة الدخان النفاذة تأتي تجاههم، وتنفس جيكوب بصعوبة، ستوكهولمين تحترق، نجح القراصنة بالنزول إلى البر، استل سيفه الذي كان له حين استله صوتًا كحفيف أفعى، انفتحت أمامهم الغابة على مروج ومياه، ها هي ستوكهولمين تقبع أمامهم.

- كان ذلك كالجحيم.

كبح ستورا ألوتسون جماح حصانه المزبد، وفي المضيق بين البر الرئيسي وستوكهولمين احترقت سفينة، لم يبدُ للقراصنة أي أثر.

- على ما يبدو فإن ليس لمساعدتنا أي داع.

أعاد جيكوب سيفه اللامع إلى غمده، كان كلبه قد رافقهم، بلسانه الممدود وبلهاث نتيجة الجهد الكبير الذي بذله؛ استلقى إلى جانب حصان جيكوب، علت الهتافات وصدحت الأبواق تقرع بالظفر خارج الجزيرة، وعدة زوارق تخرج من الشاطئ كي تحمل ستورا وابنه وصحبهم.

تركوا خيولهم تستريح على الشاطئ، وأخذوا أماكنهم على المراكب، جدفت السواعد القوية ناقلة إياهم إلى الضفة الأخرى متجاوزين سفينة القراصنة المحترقة، عندما كان جيكوب يسير على المسار الحاد إلى برج الدفاع لم تكن لديه أدنى فكرة أنه سيقف على أهم مفترق طرق في حياته.

انحنت هيلينا فوق دافيد فليورى الذي رقد في سريره يتلوى ألمًا، كان يساعد في إشعال المقذوفات عند شمال المضيق عندما اخترقه سهمًا طائشًا من سهام القراصنة، احتاج لأربعة رجال كي يحملوه إلى غرفته في الورشة حيث كان يسكن.

- ستلاقي بعض الصعوبة بالمشي لبعض الوقت مستقبلاً، دافيد، ولكنك كنت محظوظًا، كان من الممكن أن يكون الأمر أكثر سوءًا، ولكني لست بحاجة لإخبارك عن ذلك، ستعتني بك توريد، ستداوي جروحك وستساعدك في أي شيء لا تستطيع القيام به بمفردك.

- ولكن من الذي سيعتني بك سيدة هيلينا، إذا كنت سأعتني بدافيد؟

بدا القلق على توريد..

- سوف أعتني بنفسي توريد، لا تقلقي.. ولكن علي الآن أن أركب إلى عوائل الصيادين لكي أتأكد من أن لا شيء قد حصل لهم.

اختفت هيلينا، فبقيا وحدهما، دافيد وتوريد، في تلك الحجرة الصغيرة.

- هل هناك من شيء تحتاجه دافيد؟ هل أنت جائع، هل تود أن تشرب شيء؟

طافت توريد بنظرها بتلك الغرفة الضيقة.. سرير، لحاف من أغصان الصنوبر العبقة، منضدة، في إحدى الزوايا علقت بعض الملابس.. هذا كان كل شيء.

- إن لترًا من الجعة لن يكون خيارًا غبيًا.

لم يعد دافيد يشعر بألم في جرحه، فهو سيحتفظ بتوريد بقربه، أي سعادة! لكم يتمنى لو أنه يصاب بجروح أكثر من مرة.

ركبت هيلينا على فرسها نايك باتجاه المضيق الجنوبي، تطاير شعرها الطويل في الهواء، عندما ارتفع صوت النفير، القرن، لم يكن لديها أي وقت لكي ترتدي ملابس امرأة متزوجة، رائحة الحريق لا تزال قوية فوق ستوكهولمين، ولكن المعركة كانت قد انتهت.. الفخر، الامتنان، الألم والسعادة، كل شيء كانت تشعر به بداخلها، رفعت وجهها نحو السماء الصيفية، أغمضت عينيها وتركت الشمس تقبل جبينها.

قفل مالارين، كما كان بيرغر يطلق على ستوكهولمين، هذا القفل أثبت أنه يعمل، ومن خلال انتصارهم هذا كانوا قد أرسلوا رسالة واضحة ورادعة للقراصنة، ولكن وكما دائمًا فإن للعملية وجهان، فإذا ما قرر القراصنة المهاجمة مرة أخرى فإن عليهم أن يكونوا مستعدين تمامًا، وأن تكون أعدادهم أكبر، طارت الأفكار في رأسها كطيور سريعة الأجنحة، كان عليها أن تستعجل العمل في الجسر الشمالي أكثر من أي شيء آخر، فالنعوش الحجرية التي لم تكن مكتملة إلا للنصف قد حددت مصير القراصنة، إن قليل من اللطف لن يكون خطأ، بالإضافة للعديد من الرجال المتمرسين البواسل، ولكن ذلك سيكون مكلفًا.

أتت إليها النسوة، وجاء الأطفال راكضين فرحين، ترجلت عن فرسها وكانت الأسئلة تنهمر فوقها.

- كل شيء على ما يرام، لقد هُزم القراصنة، ستكونون بأمانٍ تمامًا..

كانت أعظم مكافأة لها هي أن ترى الخوف اختفى من عيون الأطفال والنساء، وكان ما حصلت عليه الآن هي وتلك الفئات الأكثر ضعفًا وانعزالاً والمتمثل بالانتصار على القراصنة هو مكافأتها الحقيقية، جلست إلى جانب من شاطئ بحيرة مالارين تحدق بصفحة الماء التي تتألق باطمئنان، العديد من أرواح الناس قد أزهقت هذا اليوم، ولكن قد تم إنقاذ عدد لا يحصى من أرواح الآخرين.

احتشد الأطفال حولها وأعطتها إحدى نساء الصيادين قطعة خبز حارة، أخذتها هيلينا شاكرة وهي تستنشق رائحتها العطرة، كانت السيدة قد قامت بخبز عجينها صباحًا كما هي عادتها، ولم يكن حتى هجوم القراصنة ليغير ما اعتادت عليه، ألم تكن هذه شجاعة؟ كان الخبز علامة على اهتمام المرأة بأطفالها وزوجها، وكان أيضًا يعطي رغبة بالحياة، أكلت هيلينا من الخبز بكل احترام.

أشرق السلام بداخل هيلينا وهي محاطة بأصوات الأطفال المجلجلة وانتعاش النساء، فتجربة الألم الذي حل مساء قد غاصت بعيدة، وعندما تابعت جولتها حول ستوكهولمين كانت هادئة ومتناغمة مع نفسها، لم يكن ذلك كافيًا، كم كان هذا الهدوء مخادعًا.

كانت دهشة جيكوب كبيرة وهو يرى كل ذلك البناء على التلال المحيطة بالقلعة، مضت عدة سنوات منذ أن كان هنا في أخر مرة، كان ما اختزنته ذاكرته عن المكان يختلف كثيراً عما هو عليه الآن، بنظرة محارب خبير أدرك الآن أهمية الموقع الاستراتيجي لستوكهولمين، ليس لأغراض الدفاع فقط ولكن أيضًا فيما يتعلق بالتجارة والشحن البحري.

ربما لم يدرك الأب تمامًا أن هذا المكان قد يكون منجم الذهب الحقيقي عندما قام بذلك، وإلا فبالتأكيد كان سيفكر مرة واثنتين قبل أن يقدم تلك الأرض هدية لزوجة شابة.

- أين هيلينا؟

نظر ستورا ألوتسون باحثًا عن زوجته بين وجوه كل الفرسان الذين تجمعوا حوله لكي يتحدثوا إليه عن تفاصيل الكيفية التي تم فيها صد الهجوم.. قريبًا من نورستروم كانت النار قد خمدت، ولم يبقَ إلا هيكلاً عظميًا أسودًا لسفينة كانت تعتبر مفخرةً يومًا ما، وعلى الماء طفت العديد من الأجساد الممزقة.

- ركبت السيدة هيلينا نحو عوائل الصيادين، إنها تريد أن تتأكد من سلامة الجميع.

- حسنًا، وكيف استطاعت السيدة هيلينا التصدي للهجوم والقضاء عليه؟

كانت هناك لحظة صمت طويلة بين المقاتلين المتمرسين قبل أن يبدأ أحدهم بالحديث:

- كانت السيدة هيلينا في الأعلى عند مزاغل الرمي خلال الهجوم، لقد كانت تحتاج لرجلين لتزويدها بالسهام المشتعلة، لا يمكن أن يوجد في أنحاء المملكة من يستطيع مجاراة السيدة هيلينا في دقتها بإصابة الأهداف، إن للسيدة هيلينا الفضل الأكبر في انتصارنا.

استمع جيكوب بتشكك لكلمات الرجل، هل ما استمع إليه حقيقي؟ هل تزوج أباه من درعٍ واقٍ، هذه امرأة عابرة للحدود كما تقول الملاحم النرويجية.

- هل لدينا قتلى وجرحى؟

لم يسمع جيكوب جوابًا على تساؤل أبيه، شعر فجأة أنه شجاع جدًا، متحمس جدًا ومحزون بنفس الوقت، حدث الكثير منذ عودته إلى فروسفيك، إنه بحاجة لكي يبقى وحيدًا، كان قد سمع سابقًا عدة مرات أن المفاخرة قد فازت، على الأقل من فمه هو.

- كان وقتًا طويلاً منذ أن كنت هنا، سأذهب لكي أطوف بالأنحاء قليلاً لأكتشف ستوكهولمين الجديدة.

أومأ الأب بالموافقة.

- افعل ذلك جيكوب، وإن التقيت بامرأة ترتدي ملابس الرجال فاعلم إذن أنها زوجتي هيلينا.

سلك جيكوب الطريق برفقة كلبه، امرأة بثياب رجال، امرأة ماهرة باستخدام القوس، أي امرأة تلك التي اختارها الأب زوجة له؟ استحضر في داخله صورة لامرأة طويلة القامة، خشنة، مع خصائص ذكورية واضحة بقوة.

ذلك الهيام الأبدي الذي سار إليه تحت اسم القدر وقف في طريقه، أصبحت لديه قضية يجب عليه قضائها في المكان الذي عمده الشعب باسم ستوكهولمين، وبعيون ترى كل شيء راقب جيكوب، في هذا اليوم الصيفي الجميل كان قد حان الوقت ليقوم بزيارة، ولكن تلك الزيارة لم تكن مخصصة له وحده.

وضع القدر عينيه على تلك المرأة الشابة التي لم تشكُ من أي ألم وهي تتقدم ناحية المحارب وكلبه الأشعث.. جفلت هيلينا، الخاتم في إصبعها، ذلك الذي أهدته إليها أمها، قد عاد للحياة فجأة، فمن حجر الكهرمان الذي انطلقت منه حرارة لذيذة، جعلها ذلك تشعر وكأن الخاتم بدأ يرقص في إصبعها.. يرقص مملوءاً بالسعادة، رفعت يدها وباندهاش رأت كيف أن الحجر قد قبض على أشعة الشمس وبدأ يتوهج، سمعت نباحًا مكتومًا لكلب، كان في ذلك النباح تحذيراً.

رجلٌ محاربٌ، بدرعٍ وسيفٍ معلقٍ على وركه قد تقدم نحوها بخطواتٍ سريعةٍ، وإلى جانبه يركض كلب كبير أشعث، شعرت بضغط مفاجئ على صدرها، ولم تستطع أن تتنفس بسهولة.

نظر جيكوب إلى الراكبة على ذلك الفرس ذو اللون الأشهب والتي تقدمت نحوه سائرة على مهل، كان هناك شيء ما في الصورة بدا غير منطقي، كانت الراكبة ذات الشعر الطويل تلتمع تحت أشعة الشمس كأنها الذهب، إنها امرأة ولكنها لا تستخدم سرجًا نسائياً، وهي أيضًا ترتدي ملابس رجالية، وقف جيكوب بالطريق منتظراً قدوم تلك الراكبة التي عرف أنها زوجة أبيه.

- السيدة هيلينا.

رفع جيكوب يده محيياَ بينما أوقفت هي نايك.. التقت زوجين من العيون، لحظة واحدة، خفقة قلب واحدة، وروحان قد تغيرا جذريًا، حصلت روحين توأمين على فرصة كبيرة للتألق، قلبان ينبضان بنفس الإيقاع، الحب.. ذلك الحب الخالي من المصالح، لم تكن هناك أية مطامع أخرى، بل إن ما شعر به هو الرغبة بالعطاء فقط، نظرا لبعضهما نظرة مليئة بالأعجاب، غير قادرين على فهم ما حصل لهما.

شعر جيكوب كيف وجد نفسه وقد قُذف بتهور فوق هاوية فهوى أرضًا، ولكن قبل أن تسحقه الصخرة الحادة قام بنشر ذراعيه، وحدثت المعجزة، حلق مثل نسر، مبحراَ في مهب الريح، كانت لحظة لا يمكن وصفها بكلمات، ولكنه عرف في أعماقه أن هذا الشعور المسكر كان قديماً مثل البحر، قديماً مثل الجبال.

انزلقت هيلينا من على ظهر نايك ووقفت وجهًا لوجه أمام هذا المحارب الشاب، في إصبعها غنى الخاتم، كانت أغنية موجودة منذ فجر التاريخ، منتشرة في جميع أرجاء جسدها، كانت تريد أن تكون جزءاَ من الأغنية، غاصت بتلك العيون الفيروزية، كافحت لاستعادة توازنها قبل أن تتجرأ على تحرير قبضتها، سامحة لنفسها أن تعوم بعيدًا في التيار، لمجرد أن تجد نفسها تسبح بأمان فوق أمواج ناعمة.

ذلك الهيام الأبدي، ذلك الشيء الذي يعرف باسم القدر، ابتسم ابتسامة غامضة قبل أن يواصل رحلته، كان لديه العديد من القضايا التي عليه إنجازها.. وقف الكلب الأشعث على قائمتيه الخلفيتين، ملقياَ يديه على كتفي هيلينا ولعق لها وجهها، انكسر السحر وعاد الرجل والمرأة بالطريق الذي يعبر ستوكهولمين.

- اهدأ، أولف ما الذي حصل لك؟

أمسك جيكوب بكلبه، محاولاً إبعاده عن هيلينا..

- ليس هذا بالشيء السيء، دعه يحضنني.

عادية، كلمات غريبة، لا تعبر بصدق عن المشاعر التي انتشرت بداخلهما.

- اسمي جيكوب ستوراسون، أنا ابن زوجك.

بنفس اللحظة التي نطق فيها تلك الكلمات البريئة ارتفع في نفسه الحزن ثقيلاً وخانقًا، كان قد جاء إلى المكان الذي ينام فيه قوس قزح، ووجد ما كان يبحث عنه دائمًا، ولكن ما وجده يعود الآن لشخصٍ غيره، وهذا الشخص هو أبيه.

شعرت هيلينا بجسدها يرتجف، الأغنية التي انطلقت بداخلها قد توقفت، بدأ الواقع الجديد ينتشر بداخلها، الرجل الذي يواجهها هو حلمها ومن المستحيل أن يكون أحد آخر، إنها امرأة متزوجة، مرتبطة برجل تحبه كأب لها، وتلك العلاقة لا تنفصم عراها إلا بالموت، وبجهد ضخم ضغطت لإخراج تلك العبارة المعتادة:

- نرحب بك ترحيباَ حارًا جيكوب، من المؤكد أن أباك سعيد جدًا لمقدمك.

سكتت هيلينا وربتت على أولف الذي تمسح بيدها.

- أبي هناك، عند القلعة، إنه يسأل عنك.

حاول جيكوب أن يستجمع كل طاقاته وقواه الذهنية من أجل ألا يأخذ هيلينا بين يديه، مع معرفة كل ما وراء الغيب، وراء كل ما كتمه بداخله، لم يكن هناك إلا معجزة كي تنقذه، جنباَ إلى جنب، بصحبة حيواناتهم، سارا ببطء نحو القلعة حيث ستورا ألوتسون بانتظارهم، يحيط به رجاله المنتصرين.

# الفصل الثامن والعشرون

كافحت توريد، فقد كان رفع الماء من بحيرة مالارين وحتى المطبخ المجاور للقلعة عملية شاقة، كان وزن النير ثقيل على كتفيها، وكان عليها السير بحذر شديد كي لا ينزلق الماء من الدلوين المعلقين بطرفي النير، بالنسبة للغسيل كان على المرء أن ينحدر نحو البحيرة، ولكن بالنسبة للاستعمالات المنزلية كان على المرء رفع الماء من البحيرة.

كانت تحتاج للماء النظيف كي تنظف جرح دافيد، وعلى الرغم من احتجاجاته ومحاولاته أن يوضح ألا لزوم لذلك؛ إلا أنها داومت على تغيير ضماداته كل يوم، كانت هي نفسها مندهشة من تلك السعادة وذلك الفخر الذي تشعر به وهي تأخذ على عاتقها معالجة جراح صانع السيوف، كانت هي عكازه عندما يريد أن يسير مسافة طويلة، تُقدم له الطعام والشراب وترتب له غرفته الصغيرة.

رغم جرحه العميق في فخذه؛ إلا إنه كان يزاول عمله في الورشة، لكنه كان مجبراَ على أن يستلقي باستمرار لكي يريح ساقه، كانت توريد تطل عليه بين الحين والآخر لكي تطمئن على حالته، وقد تطور ذلك إلى نوع من اللعبة بينهما، كان يدعي دائمًا أنه على ما يرام وليس عليها أن تقلق عليه، بينما كانت هي تقول له إن عليه أن يأخذ الأمور ببساطة، تعلمت توريد أن تقرأ تقاطيع وجهه، كانت تعرف متى يكون متعباَ ومتى يجبره الألم على أن ينال قسطًا من الراحة، وكانت لعبتهما تنتهي دائمًا بنفس الطريقة، أي كما كانت تريد هي، ألقى بذراعه على كتفها وهي تتعثر داخلة إلى غرفة الورشة الداخلية فتطوع لمساعدتها. كانت الدلاء تبدو ثقيلة، انحنت توريد على ركبتيها وأنزلت دلوي الماء بحذر، رفعت النير من على كتفيها وجلست إلى حجرة بجوار الطريق، كان

يجب أن ترتاح قليلاً، جلست في تلك الشمس المشرقة وأطلقت العنان لأفكارها كما تشاء.

لم يكن دافيد فيلروي رجلاً عاديًا، فقد كان معروفًا كصانع سيوف على نطاق واسع، وقد نال احترام علية القوم وأصغرهم، ولو كان ذلك لدى إنسان آخر لكان أخذه للضعف، فلطفه، تواضعه ومودته للجميع بغض النظر عن رتبهم قد قادته نحو القوة، كانت تشعر قربه بالأمان، يرعاها دائمًا وهذا شيء لم يستطع أي رجل آخر أن يجعلها تشعر به سابقًا، لم يعن لها الرجال إلا الألم الدائم، الكلمات القذرة والأيادي الطامعة، استيقظت فجأة من أفكارها على صرخة أرعبتها، صرخةً مملوءة بالألم.

من ذلك الجسر الجنوبي قدمت عربة يجرها حصان هزيل، وفي قعر العربة جلس رجل رأت توريد أنه يلبس ملابس العبيد، قفز سيده من العربة وبدأ بركله ثم ضرب امرأة مطروحة على الأرض بلا حراك، كانت المرأة حاملاً.

نهضت توريد بكل عنف حتى أن أحد الدلاء انسكب وبلل الماء المنسكب حذائها وتنورتها، كان الألم الذي مضى ينغرز كسكين في قلبها.

كانت المرأة التي تتلوى على الأرض تحت ركلات قدم سيدها، عبدة، بطريقة أو بأخرى يبدو أنها كانت قد أساءت إلى سيدها، أو ربما كانت مجرد لوحة هدف بريء يسدد سيدها لها ضرباته، تحولت السكين في قلب توريد إلى غضب عارم، طافت بها ذكريات الألم السيئة، تلك التي أتت من حياة أخرى، ولكن هذه المرة لم تستطع الذكريات أن تقيدها.

وكأن قدميها قد تحولا إلى جناحين، وبلا أدنى تفكير أمسكت بالدلو المليء بالماء وبدأت تركض، إلا أنها لم تهرب من ذكرياتها المؤلمة، لقد ركضت تجاهها.

توقف الرجل الذي كان يركل المرأة الممددة على الأرض بكل شراسة عندما انسكب عليه دلو الماء البارد، استدار الرجل حول نفسه شاتمًا بصوتٍ عالٍ عندما وقع نظره على تلك المرأة التي تجرأت فأغرقته بالماء.

- ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟!

كان الرجل غاضبًا لدرجة أنه تلعثم بالكلمات، تقدَّم نحوها بكل الحقد رافعًا قبضته كأنما يريد أن يهوي بها عليها، صرخت الشياطين بداخلها منتصرة، مذكرة إياها أنها هي نفسها قد كانت عبدة، وأنها أصبحت مذنبة بجريمة لا يمكن التغاضي عنها، ويجب أن تخرّ على ركبتيها طالبة الصفح والمغفرة، ولكن توريد بقيت واقفة، تقابل هادئة نظرات الرجل الغاضبة، وخرجت من فمها كلمات غريبة:

- إنك تقف الآن على أرض هيلينا سيغريدزدوتر، إنها ابنة أقوى عائلة في المملكة، عائلة بيالبو، وفي مملكة السيدة سيغريدزدوتر ليس هناك عنف ضد المرأة، إذا ما كنت تريد أن تسافر عبر ستوكهولمين، أو كنت تريد أن تبيع حاجياتك هنا - قالت ذلك وهي تشير إلى العربة المليئة باللفت والقرنابيط - عليك أن تتأكد من تطبيق ذلك الأمر بكل احترام.

سكتت الشياطين داخلها، ذبلت حتى لم يعد من الممكن التعرف عليها، من أين أتتها تلك الكلمات؟ جلست القرفصاء إلى جانب تلك المرأة التعيسة التي ما تزال مطروحة على الأرض، خائفة جدًا لا تجرؤ على الحركة.

- العنف ضد المرأة!! ما هذا الغباء.. قد يكون ذلك ينطبق على النساء المتزوجات، النساء الحرات، ولكن هذه البائسة مجرد عبدة، ومع شيء مثلها أستطيع أن أفعل ما أشاء، وأنا أطالب بتعويض عما تعرضت له من إهانة، إن زوجك سيكون مدينًا عن الأضرار التي ألمت بي، كوني إنسان صالح، خذيني إليه فورًا، إنه هو المسؤول عن تصرفاتك.

خلع الفلاح سترته وكان الماء قد شكَّل بركة تحت قدميه.

كانت توريد مستاءة جدًا، مليئة بالعطف على هذه المسكينة الممددة على الأرض وهي تتلوى ألمًا، حتى أنها لم تسمع كلمة مما قاله الرجل، كل ما كانت تفكر فيه هو كيف تستطيع أن تحمي هذه المرأة، كان يمكن أن تكون هي نفسها في مثل هذا الوضع.

- إذن تحدث إلى زوجي، إنه يفكر مثلي، سر نحو الساحة، سأجلبه إليك، اعتقد أن عليك أن تسلك هذا الطريق.

احمر وجه الفلاح غضبَا، لن يسمح أبدًا لسيدة وقحة أن تفلت من العقاب، على الأقل هربًا من المهانة التي تعرض لها.. لحسن الحظ لم يكن هناك أناس غرباء شهدوا العار الذي لحق به، وإذا لم يتطوع زوج هذه المرأة لإعادة كرامته فهو سيلجأ إلى المحكمة.

- اجلسي بسرعة واسحبي العربة يا قطعة الكسل، ليس لك أن تجلسي هنا.

كان اسم هيلينا سيغريدزدوتر فقط وذلك الحديث السخيف عن العنف ضد المرأة هو الذي منعه من الاستمرار بركل عبدته، صعد الفلاح إلى عربته يقذف سيلاً من الشتائم واللعنات صارخًا عليها كي تسرع بقيادة الحصان.. عندما حاولت توريد مساعدة المرأة على النهوض صرخت المسكينة عاليَا متألمة ممسكة صدرها، عرفت توريد أن الفلاح قد كسر واحدًا أو أكثر من أضلاعها، عرفت ذلك لأن نفس الشيء قد حدث لها سابقًا.

- هل تعتقدين أنك تستطيعين السير؟

- وهل لدي خيارٌ آخر؟

نظرت إلى توريد بنظرات ميتة، كما لو أنها تشعر بقرب الموت منها، كانت نظرة إنسان فقد كل أمل، حياتها ليست أكثر من أيام رمادية، إن جاء الموت فإنه سيكون منقذًا لها، ولكنها حامل بطفل، ضغطت يدًا صلبة على قلب توريد، ما الذي سيحصل للطفل؟ هل سيكون فريسة للحيوانات في البرية؟ هل سيترك لموت مؤلم في الغابة؟ سحبت توريد المرأة نصف العارية، تلك المرأة البائسة إلى الساحة، كيف سيكون لها أن تفسر لدافيد ما حدث، لم يكن لديها الوقت كي ترتب أفكارها.

- أنا لم أكن دائمًا عبدة..

همست المرأة بتلك الكلمات، كان كل حرف يشكل لها عذابًا.

- لقد أصبحت عبدة باختياري.. توفي والدي، ولم يكن لي زوجًا، أجبرني الفقر والجوع على التخلي عن حريتي، لقد أعطيت حياتي لهذا الرجل الذي يفتقد تمامًا لمعنى الإنسانية، لو كنت أعرف كم هي بائسة حياة العبيد لكنت ارتضيت الموت جوعًا بدلاً عنها، لك كل الشكر والعرفان لمساعدتك لي، ليس بسبب أن مساعدتك ستغير شيئًا في حياتي، ولكن الذي بعث الدفء في روحي المتجمدة هو أن هناك من يعاملني بإنسانية وليس كماشية، وفي الحقيقة فإن لي اسمًا وإن لم يكن هناك من يستعمله في الوقت الراهن.. اسمي غونهيلد.

كانتا قد وصلتا الآن إلى الساحة، كان الفلاح وعبدته على وشك تفريغ العربة.

- عليك بالعمل هنا، أما أنت سيدتي، أنت وأنا سنذهب للبحث عن زوجك، عليه أن يتحمل تبعة سلوكك السيء، لو أنك كنت زوجتي لأذقتك طعم الغضب الحقيقي.

- لقد كسرت العديد من أضلاع غونهيلد، إنها لا يمكن أن ترفع أو أن تحمل.

- إن لم تعمل فإنها لن تحصل على أي طعام، عليها أن تختار، والآن هل سنذهب؟

نظر إليها الفلاح ساخرًا، أما هي فقد كانت مستمتعة بانتصارها، لأول مرة جال في بالها ما قالته وفعلته، وأي ظرف مستحيل قد اختارت لكي تمد فيه يد المساعدة والحماية لتلك المرأة، إنها لن تقول لذلك الإنسان الكريه أنها لم تقل الصدق، ولعل دافيد يفهم؟

- انتظر هنا، فسوف أذهب لأستدعي زوجي.

استغربت توريد كم كانت هادئة وواثقة..

- كلا.. كلا.. لن أتركك تملأين رأس زوجك بالأكاذيب، سأحدثه أنا بكل ما حدث، وإن لم يقم بتعويضي فسأقوم بجره نحو المحكمة، أريني الطريق.

شعرت أن تلك الخطوات التي بينها وبين ورشة الحدادة قد غدت غير محدودة، وبنفس الوقت شعرت أنها باتت قريبة جدًا، أفكار عديدة، كثير من المخاوف مرت ببالها.

كان دافيد يجلس خارج ورشته، ولدى قدميه كان طفلها يلهو بعدة أشياء بيضاء صغيرة، كانا مشغولين باللهو حتى أنهما لم ينتبها لمقدمهما، سمعت دافيد يخبر لايف أن هذه الأشكال البيضاء هي صدفات، كانوا قد ولدوا في مياه البحر المتوسط الزرقاء البعيدة وقد غسلها في شاطئ طفولته، كانوا كنزه وكان يحملهم معه في حله وترحاله كأنها مصيره الذي يقوده.

أن ترى هذا القوي؛ صانع السيوف وهو يلهو مع ابنها لايف؛ كان صورة من صور الحنان والحب، شيء نقيض تمامًا لما رأته أسفل الطريق السريع، النور والظلام، الحب والشر، دائمًا ما يكونا موجودين جنبًا إلى جنب.

- دافيد، هناك شيئًا يجب علي...

قاطعها الفلاح بفظاظة:

- اسمح لي أن أقول لكم ما كانت زوجتكم تريد أن تقول، وبعد ذلك نستطيع أن نجد الطريقة التي سوف تعاقبها بها وتنصفني.

- انتظر قليلاً.

رفع دافيد لايف بين يديه ووقف بكل طول قامته المثير للإعجاب.

- قبل أن تقول شيئًا أريد أن أعرف من قد تكون أنت، بالنسبة لي فإن اسمي هو دافيد فليوري وأنا صانع السيوف هنا في ستوكهولمين.

طوق دافيد خصر توريد برعاية..

- اسمي هانز غونارسون.

تردد، فجأة بدا على الرجل تغيير غير منتظر، الاسم دافيد فليوري جعله شخص آخر، إذن فهذه السيدة اللعينة هي زوجة صانع السيوف الشهير هذا.

- دعني أستمع الآن، أنا أنتظر بشغف لما تود قوله.

كان هناك تهديد مبطن في صوت دافيد، لم يجد هانز غونارسون منه مهربًا.

- لقد سكبت زوجتك علي دلو ماء بارد عندما كنت أعطي عبدتي بعض النصائح، والآن فإني أرجو أن تنصفني لما أصابني من إهانة.

بدا أكثر توددًا مما كان يريد، ولكن صانع السيوف جعله يشعر بعدم الأمان تمامًا.

- إذن فهذا مطلبك، حسنًا، زوجتي العزيزة، هل لي بسماع وجهة نظرك، كيف تأتى لك أن تسكبي دلو ماء بارد فوق هذا الرجل الصادق؟ نعم بإمكاني أن أرى كم هو مبلل.

كان صوت دافيد الحديدي واضحًا، وكان ذراعه المطوق لخصرها وسيلة لإعلامها أنه قد فهم أنه سيتقمص دور زوجها، وكان لايف يبتسم بأمان على ذراعه الأخرى.

تدفقت منها الكلمات، الحزن، الألم، العجز عن العيش، الظلم الذي عامل به الرجل عبدته والذي هو أسوأ مما تعامل به الحيوانات، عندما سكتت كانت روحها منهكة تمامًا، ولكنه كان شيئًا من الانعتاق أن تتجرأ أخيرًا للقتال من أجل ما في قلبها، والذي كانت تعرف أنه الشيء الصحيح، شعرت كيف أن دافيد فليوري الذي يطوق وسطها قد ضغط، وفهمت من ذلك أنه يقول لها إنه سيقف إلى جانبها.

- نعم غونارسون، كان ذلك محزنًا جدًا، أعرف أن الأمر يشكل لك مشكلة حيث أن عبدتك لم يعد باستطاعتها العمل بسبب الجروح التي أصبتها بها، وأنت الذي سبق وأن قمت بعمل مسيحي صالح حين أنقذتها من التشرد والموت جوعًا في الطرقات واتخذتها كعبدة، هذا شيء سيء.

هز دافيد رأسه بأسف..

- وما جعل زوجتي طيبة القلب، الرقيقة، تشعر بالقلق، أنها لا تستطيع أن ترى أي إنسان يسقط أرضًا لأي سوء يصيبه بدون أن تتدخل، إن هيلينا سيغريدزدوتر وستورا ألوتسون ليس لديهما أي عبيد هنا، إن هذا ضد إيمانهما المسيحي الذي لا يؤمن باستبعاد البشر، علاوة على ذلك فقد أدركا أنه لا يجوز استعمال العنف مع العبيد، وأنه من الأرخص لهما أن يقوما بتوظيف الناس كلما احتاجا إلى ذلك، وأن الناس أحرار فيما يختارون من عمل، ونحن هنا في ستوكهولمين لا نتعامل مع عمالنا بنفس الطريقة التي تعامل بها عبدتك ولكن هذا شيء ـ بالتأكيد ـ لم تعرفه أنت.

بدأت توريد تشعر أنها غير متأكدة، أيقف دافيد مدافعًا عن ذلك البائس؟ إنه يقفي الأشياء بشكل سيء، هذا الذي توقعت أنها تعرفه جيدًا.

- دعنا الآن نحل هذه القصة الحزينة باتفاق غونارسون، بصفتك رجلاً عاقلاً وصالحًا كما يبدو، فلسداد الضرر الذي تسببت به زوجتي إليك فأنا على استعداد لتولي عمل عبدتك عديمة الفائدة، وكمزيد من الأدلة على حسن نواياي فإني أتبرع لك بخنزير، هل اتفقنا الآن؟

خنق هانز غونارسون بداخله صوت يكاد يدوي من شدة الفرح.. أخيراً ابتسم له الحظ، فإن لم يكن صانع السيوف قد حل المسألة بنفسه لكان عليه أن يأخذه بنفسه إلى المحكمة، متهمًا زوجته بالتشهير، ورجل في مثل موقع فليوري يمكن أن يضعه المرء بنفس مرتبة النبلاء كان هو الوحيد القادر على وضع نهاية لذلك الظلم الذي تعرض له، كان قادرًا أن يجبر صانع السيوف على أن يعوضه عن العار الذي لحق به هناك، وفي المحكمة كانت القوانين القوية تفعل فعلها، والآن وبدل التخلص من عبدة عديمة الفائدة فقد حصل على خنزير بتلك الصفقة، وستكون زوجته في المنزل في منتهى السعادة، وهي لن تعترض على زيارته للعبدة أثناء الليل، أسرع هانز غونارسون بمد قبضة قذرة إلى الأمام.

- هذا شيء حسن، سيد فليوري.. أنت رجل من الأشراف، إن العبدة لكم، تستطيع أن تترك لي الخنزير في الساحة، سأمر مساءً لأخذه.

تصافح الرجلان كما لو أنهما كانا على اتفاق، أسرع الفلاح بالخروج خوفًا من أن يغير صانع السيوف رأيه، ابتلعت توريد ريقها، نظر إليها لايف فأخذته بين ذراعيها، ممتنة لأن هناك شيئًا ما تستطيع أن تفعله بيديها.

- دافيد، كيف أستطيع أن أشكرك، لقد أنقذت حياة امرأة لا تعرفها تمامًا، وللمرة الثانية كان عليك أن تلعب دور زوجي، وفي المرتين لم تكشف عن الحقيقة، وأني أعرف أنك كنت تصمت عن ذلك من أجل حمايتي، ما الذي أستطيع فعله للتعبير عن امتناني؟

نظر دافيد لعينيها بعمق وشعرت توريد أنها قد احمرت خجلاً..

- إن ذلك سهل توريد.. بإمكانك أن تكوني زوجتي، وبذا لن أكون مضطرًا لعدم قول الحقيقة مرةً أخرى.

لهثت توريد من أجل أن تتنفس، هل استمعت بشكلٍ صحيح؟!

- هذا غير ممكن.. لقد كذبت عليك، أو أنا أعني أنني لم أفعل ذلك، أنا فقط لم أقل ما قد كان، لقد ولدت عبدة دافيد، لقد عشت طول عمري ـ تقريبًا ـ كعبدة، لم أتزوج أبدًا، ليس لابني أبًا، إن الشكر للسيدة هيلينا التي...

اندفع تاريخها المظلم من بين شفتيها بينما كان دافيد يستمع إليها من دون أن يطرف له جفن، وعندما صمتت أخيرًا رأى الهدوء وقد غشى محياها.

- هل هذا كل شيء؟ إننا جميعًا نجمل تاريخ حياتنا توريد، وأنا أيضًا لدي تاريخًا شديد الظلمة، الشر والألم، لقد حملت نفسي على السكن في هذه البلاد الشمالية الباردة كنوع من العقاب، فقد يكون في وجودي هنا ما يكفي لكي ـ ربما ـ أرى النور، وكان ذلك النور هو أنت، توريد..

أمسك دافيد كف توريد بحنان.

- نحن لا نستطيع أن نغير ما فات، كل ما نستطيع فعله هو ألا ندع الماضي يؤذينا أكثر، نحن نمتلك الحاضر والمستقبل ونحن من يقرر ما نريد أن نفعل

بتلك الهدية، ولكنك لم تجيبي على سؤالي، أنت ليس لديك زوجًا، إذن فأنتِ التي تقررين.. أتقبلين أن تكوني زوجتي؟.

قطعت السكون صرخة، صرخة لم تأتِ من الأعماق، كانت صرخة امرأة..

- تورِيد، ساعديني هنا.

قدمت نحوهما بيريتا راكضة، وجاء خلفها رجلين محاربين يحملان امرأة تصرخ.

- المرأة سوف تلد، وهو ليس أوان ولادتها أبدًا، سنضعها على سريرك دافيد.

ألقت توريد بلايف إلى دافيد مسرعة خلف بيريتا وهم يدخلون ورشة الحدادة، لقد عرفت المرأة، إنها غونهيلد، لم يكن حذاء الفلاح الثقيل قد كسر لها أضلاعها فقط، إنه قد آذى الطفل الذي تحمله بداخلها أيضًا.

عملت توريد وبيريتا بمشقة جنبًا إلى جنب، من أجل إنقاذ حياة غونهيلد، نزفت من رحمها دمًا غزيرًا، اختلطت آلام المخاض مع آلام القطع المكسورة من أضلاعها في الوقت الذي كانت تكافح فيه من أجل دفع جنين غير مكتمل النمو.

عندما انخفض ذلك الشفق الأزرق فوق ستوكهولمين غادر ذلك الجسد الصغير المهترئ جسم أمه، لفت بيريتا الطفل بغطاء من القماش، كانت تريد أن تعرف إن كان ذلك جسد طفل أم طفلة، في ساعة الذئب، في ذلك الوقت من اليوم عندما تصبح شرارة الحياة بأضعف ما يمكن وتنفتح بوابات السماء السبع على مصراعيها تبعت غونهيلد مولودها في ذلك الضوء الأبيض، إن عذابها قد انتهى.

مملوءة تعبًا وحزنًا تعثرت توريد وهي خارجة من غرفة دافيد، في داخل الورشة وعلى سرير من أغصان الآرز المعطرة، استلقى دافيد نائمًا، وعلى ذراعه استلقى ابنها يشمشم مطمئنًا، انحنت بقرب الفراش وبدأت بالبكاء، كانت دموع ألم على غونهيلد وابنها، ودموع فرح لمنظر دافيد وابنها المملوء بالحب، لقد كانت الحياة في كفة ميزان واحد.

استيقظ دافيد على صوت بكائها، مد يده وأخذها إليه وخلال نبضة قلب واحدة غطت بنومٍ عميق.

# الفصل التاسع والعشرون

لم تعرف كريستينا منيخولد إلى أين تتجه، يبدو أن الكوارث قد أصبحت بالفعل حقيقة، إنها لا تستطيع ـ مع أفضل ما تمتلكه من إرادة في هذا العالم ـ أن تقول إن ما حدث لم يكن شيئًا كانت تخشى حدوثه، ولكن الذي حدث كان أسوأ من أسوأ مخاوفها، كان هناك الكثير من الأشياء على المحك: الشرف، الافتخار، السمعة، الروابط العائلية؛ إن لم يتم بطريقةٍ ما وضع حد لهذا الجنون.
قلقها على ما تعرضت له هيلينا خلال هجوم القراصنة قادها إلى ستوكهولمين، رغم أن ستورا قد أرسل رسولاً إلى فروسفيك والذي أكد لها أن هيلينا لم تصب بأي أذى وأنها قد قامت بعملٍ عظيم، ولكنها كانت قد قررت أن ترى ذلك بأم عينها، وعندما حطت رحالها في ستوكهولمين لم تجد أن هيلينا لم تصب بأي مكروه فقط، ولكنها وجدت أنها قد تغيرت تمامًا، عينان تلتمعان كأنهما نجمتين، خدين موردين، وعندما كانت تسير كان يبدو وكأنها تطير راقصة.

في البداية كانت كريستينا فرحة جدًا عندما لاحظت أن الكآبة والأحزان التي كانت تضغط على ابنتها قد أصبحت الآن في مهب الريح، ولكن ذلك كان قبل أن تعرف السبب، هيلينا كانت تحب، حبٌ مذهلٌ وعاصف، والرجل الذي استولى على قلبها كان جيكوب ابن زوجها.. وما كان أسوأ من ذلك أن الذي أحبته كان متجاوبًا معها لأبعد ما يمكن، إن مجرد الاقتراب من هيلينا يجعله يبدو كما لو أنه قد حصل على كنزٍ ثمينٍ لا يقدر بثمن.

بدا جيكوب كما لو أنه قد توهج كله، سعادة داخلته.. أينما ألتقيا، هيلينا وجيكوب بدا ذلك كما لو أنهما كانا في عالمٍ آخر، عالم ليس به أحد غيرهما، كان الهواء الذي يلفهما مملوءاَ بعواطف مكبوتة، تستطيع أن تحيل أبرد ليالي الشمال إلى ليالٍ ساخنة، ولكنه كان من المرجح أن ما بدا واضحًا لكريستينا،

ومن المرجح أيضًا لباقي النساء، لم يكن ـ لحسن الحظ ـ واضحًا بالنسبة للرجال المحيطين بهما.

ما تراه هو الطبيب ستورا الممتلئ سعادة وهو يرى زوجته وابنه وهما بأحسن حال، وكان الفرسان يكنون منتهى الإعجاب لجيكوب وهم يرون فيه المحارب فقط وليس الإنسان الذي يمتلك قلبًا نابضًا، كان هذا على الأقل ما أرادت أن تصدقه.

لم يلاحظ الأصدقاء أي شيء بعد، وربما كان ذلك لاعتقادهم بمدى الحب والاحترام الذي كان يكنه جيكوب وهيلينا لستورا، ولكن لو كان في نهاية المطاف من الممكن منعهم من إلقاء نفسيهما بتلك الرمال المتحركة القاتلة، الذي هو حبهما، ذلك الذي كان مكتوبًا على النجوم، في الغيب.

وقفت كريستينا على سطح القلعة تشهد فورة النشاط التي كانت سائدة هناك، بناء في كل مكان، أصوات مطارق تختلط بأحاديث الناس وضحكاتهم، صهيل خيول، شخير خنازير، صراخ نوارس، والنباح المكتوم الصادر من ألف، كلب جيكوب الأشعث.. رأت ابنتها تقطع الساحة على عجل حيث الفلاحين، صيادوا السمك، والتجار الذين يعرضون بضائعهم، في كل يوم يمر كانوا يتزايدون أكثر وأكثر.

إلى الشمال، في المضيق نمت التوابيت الحجرية، وقريبًا سيكون الجسر المتحرك موضوعًا في مكانه، وبالتالي سيمكن الانتهاء من الربط البري الذي طال انتظاره في الشمال.

دخلت هيلينا مختفية داخل الاسطبل وبدأت الفراشات بمطاردة بعضها البعض، كان الوقت قد حان للدورة التفتيشية الصباحية حول ستوكهولمين، وعرفت كريستينا ما الذي يتضمنه ذلك، خرجت هيلينا برفقة جيكوب وهما يقودان جواديهما، ثم ركبا وسارا في طريقهما جنبًا إلى جنب يتبعهما ألف، استطاعت أن تسمع، كأنه الهمس، رنين ضحكاتهما، صوتًا أثار في سمعها ذكريات حملتها

معها منذ أيام شبابها وحافظت عليها كأنها جوهرة ثمينة، عليها أن تخفيها بكل عناية.

ذلك الرجل الشاب الذي كان منتمياَ للحرس الخاص بوالدها ماغنوس منيخولد، ذلك الشاب الذي كان لون عينيه يشبه سماء صيفية، والذي كان صوته يجعل ركبتيها تصطكان، كانت سعيدة جدًا لأنها تعلم أنه موجود بنفس العالم الذي توجد هي فيه، يتدفئان بنفس الشمس، ينظران للأعلى، إلى نفس القمر الذي يضيئهما، كان حبها له يشبه المستحيل، ممنوع عليها كما هو حب هيلينا.. فهي ابنة العائلة المرموقة، كريستينا منيخولد لا تستطيع الارتباط بشخص من الأتباع أدنى منها مرتبة، لقد كانت جزءاَ مهمًا من سياسة بناء السلطة، والهدف من الزواج والحب لا يمكن إلا أن يكون جزءاَ من هذه السياسة، ولكن الشعور اللذيذ عندما تلتقي عيونهما، والدفء الذي يشتعل في جسمها عندما يدخل الغرفة، كان ذلك شيئًا لا تزال تتذكره.

اختفت هيلينا وجيكوب وتصاعد الألم في معدتها، من على بُعد سمعت صوت الرعد القاصم، وتراكمت في السماء سحباَ رمادية السواد، اختفت الشمس، حبست الريح أنفاسها، وصمتت الطيور، سيلفهم الطقس السيء قريباَ.

أسرعت كريستينا بالنزول على سلم البرج، أسفل السلم، كما هو الحال دائمًا عندما يجتاحها الاضطراب حيث تذهب إلى الكنيسة طلباَ للراحة والتوجيه، كانت الكنيسة الخشبية الصغيرة الملاصقة للبرج خالية، القس الذي طالما كان طيباَ، مستمعًا، يوهنيس لارسون، ربما يعود لإكمال بناء منزله، ففي الصيف القادم سيكون عليه أن يقيم في ستوكهولمين بصحبة زوجته وأطفاله الأربع.

جثت كريستينا على ركبتيها تحت المذبح الحجري المحفور، ضمت يديها وصلت لربها، صلت لربها أن ينجي عائلتها من وصمة العار التي تهدد بسحقهم، وسألته النصح كي تستطيع أن تساعد على منع أي اتصال من ذلك القبيل.. بدأت أول القطرات الثقيلة بالنزول، عن قريب سينزل المطر مدرارًا.

- من الأفضل أن نعود أدراجنا جيكوب، الطقس السيء آتِ على عجل.

ضاعت كلمات هيلينا تحت صوت غيمة صاعقة، وأضاء برق مشتعل تلك السماء المظلمة، أومأ جيكوب مجيباَ.. لم يكن من السهل على قلب هيلينا أن تضطر - وهي عائدة - للاحتماء ببيت يكاد يكتمل بناؤه، كانت كل لحظة من النظر إلى وجه جيكوب لها ثمن عظيم بالنسبة لها، أصبح متعودًا على مرافقتها في جولتها الصباحية حول ستوكهولمين وكان خائفًا أن يجعلها الطقس السيء تتوقف عن المتابعة، كانت تستيقظ كل صباح يملأها الفرح، كانت تلبس ملابسها على عجل وتسارع بالخروج من غرفتها التي تقع أعلى برج القلعة.

كان جيكوب ينام في نفس المنزل كأحد الحراس ولكن ومنذ فترة طويلة، منذ أن رأت قامته الفارهة، شخصيته القوية، شعرت أن وجوده بقربها كان كالحمى حين تسري في الدم، كان ذلك كما لو أنها تملك زوجًا من اللوامس التي تستطيع من بعيد أن تشعر بحركته، وأن تشعر بعطره، عطرًا من عطور الغابة، نفاذًا وساخنًا كالدم، لم تستطع أن تفهم كيف كانت تستطيع أن تعيش، تتنفس، تضحك، تبكي، تغني، ترقص، تحن، قبل أن ترى عيناه الفيروزيتان، ولكنها تدري جيدًا كم كان حبها ذلك خطيراَ، مدمرًا.. قرأت ذلك بعيني أمها وفي اهتمام توريد القلق، ولكن ذلك لم ينفع ولو قليلاً.

- أسرعي لدخول المنزل هيلينا، سأعتني بالحصانين.

أمسك جيكوب بلجام الفرس التي اهتزت دائرة حولها قلقة، هطل المطر غزيرًا وتتابعت البروق وراء بعضها في السماء، كانا قد وصلا إلى الساحة حيث الفلاحين والتجار يحاولون حماية أغراضهم من المطر قبل أن يسارعوا للدخول إلى الكنيسة الصغيرة.

- هل ستأتي بعد ذلك؟

- نعم، سأحاول فقط أن أضع الحصانين تحت سقف يوفر لهما مكانًا جافًا.

بدأ جيكوب يركض بخطواتٍ قصيرة وهو يقود كِلا الحصانين نحو الاسطبل، بينما دلفت هيلينا وأولف إلى المنزل غير المكتمل البناء، كانت الغرفة الكبيرة التي ستحتضن الضيوف مستقبلاً باردة، كان هنا بالفعل أريكة خشبية وطاولة حيث يقدم الطعام لعمال بناء الكنيسة عندما يكون الطقس سيئًا، نفضت هيلينا عنها قطرات المطر التي بللتها ولكن أولف بللها ثانية حيث اهتز بفروته الكثيفة المحملة بالماء.

ترك جيكوب الحصانين تحت رعاية الاسطبل، فقد كان الاسطبل مسقفًا، إلا أن الجدران لم يكتمل بناؤها بعد، أتكأ على إحدى الدعامات ونظر إلى الخارج بعيون لا ترى شيئًا بسبب ستار المطر الرمادي، كان بحاجة لوقت قصير من أجل نفسه، لكي يتأكد من ملامح وجهه، ولكي يحاول إخفاء ذلك الحب الذي تدفق من كل مسام جسده قبل أن يضطر لأن يتشارك هيلينا مع باقي البشر، كل لحظة من دونها هي لحظة ضائعة، وقد أصبح ذلك كاللغز الذي لا حل له: كيف ستكون الحياة محتملة بدونها.
عندما تمنى له أبوه ليلة سعيدة ورآه يتسلق السلم داخلاً إلى القلعة تمنى لو أنه يلقي بنفسه إلى البحر، ليغطس عميقًا في الأعماق.. يجب أن يكون الموت أهون أمام هذه الغيرة السوداء التي تتهدده بسيل من الدموع.. وحيدًا، فقط مع شياطينه، كيف كان أبوه متعلقًا بحب هذه المرأة التي يشتاق إليها هو نفسه بقوة أصبحت تخيفه، كل ليلة يقرر فيها أن يترك ستوكهولمين، يترك بلده عائدًا إلى النرويج، وفي كل صباح حين يلتقيها يدرك أنه يستطيع أن يقتلع قلبه من داخل جسده، ولكنه لن يكون قادرًا على الابتعاد عنها، على عدم سماع صوتها، وصوت ضحكاتها اللؤلؤية.

منذ عودته إلى وطنه، تعلم شيئين: حبه لأبيه وحبه لهيلينا الذي انهمر من مصادر مختلفة، والذي لم يستطع أيًا منهما أن يأخذ شيئًا من الآخر، وقد حصل على خبرة في أن الشيء الذي يكون سببًا في الحصول على سعادة، هو نفس

الشيء الذي يسبب أقسى الألم، خرج إلى المطر، وقف جامدًا للحظة تاركًا المطر يغسل وجهه.

سمعت كريستينا منيخولد حبات المطر الثقيلة وهي تنهمر فوق سطح الكنيسة، سمعت أبواب الكنيسة وهي تفتح، خطوات أقدام وضجة أصوات مكتومة، لم تعد وحيدة في الكنيسة بعد، نهضت، نفضت عنها بعض التراب الذي تعلق بثيابها، شعرت بنفسها هادئة، لقد حصلت على أجوبة لأسئلتها المقلقة وعليها الآن التحدث إلى ستورا ألوتسون.

دلف إلى الكنيسة المزيد والمزيد من الأشخاص، اكتسحت أنفها رائحة الرطوبة، والملابس غير المغسولة عندما شقت طريقها بين جميع من كانوا يحتمون من العاصفة الممطرة، خرجت راكضة نحو المنزل، وفي الداخل كانت الغرفة الواسعة ممتلئة بالناس، هيلينا وأولف المتربع إلى جانبها، واقفة يحيط بها النجارون والحدادون، وسمعت كريستينا أنهم يتحدثون عن الجسر المتحرك في الشمال، ولدهشتها فإنها لم ترَ جيكوب هناك، وذلك ما كان يبدو غريباً تمامًا، هيلينا موجودة هنا، حيث كان يجب أن يكون جيكوب موجود أيضًا.

- أنتِ مبللة كريستينا.. تعالي واجلسي قبالة النار، إن النار عظيمة هنا في هذا الموقد الجديد.

أشار إليها ستورا بالجلوس إلى قربه على الأريكة الخشبية التي فرشت عليها فروة خروف ناعمة.

- ستورا، هناك شيئًا ما أود الحديث عنه معك.

جلست كريستينا قريباَ من الموقد المتوهج باللهب.

- أنا أستمع إليكِ عزيزتي، ما الذي تخبئينه في قلبك؟

ابتسم ستورا ابتسامته المعهودة التي تعلمت أن تُخفي الكثير.

كان شيئًا صعبًا عليها أن تولي عناية كبيرة لدى اختيارها لكلماتها حتى لا تكشف عن السبب الحقيقي لطلبها.. تنحنحت، عدلت تجعيدة في ثوبها، وشبكت كفيها بقوة حول ركبتيها.

- كما تعرف فإني يجب أن أسرع بالعودة لمسكني في أوسترغوتلاند، فأنا بحاجة لأن أرى موطن صباي، ولكي ألتقي بأمي أيضًا، ابني وبقية أقاربي، إن سبب مكوثي هنا هذه المدة الطويلة كانت تتمثل بصعوبة تركي لهيلينا، والآن فإن لدي رجاء عندك، فأنا أعتمد على حسن وزنك للأمور وعلى كرمك، إن ذلك سيكون له معنى عظيم عندي لو سمحت لهيلينا بمرافقتي عندما أسافر، خلال احتفالات رأس السنة يأتي إلى بيالبو راغنار وزوجته، وسوف يأتي أيضًا أخي بيرغر وكل أفراد العائلة، وأعتقد أني سوف أدعو دانيال أولوفسون وكذلك رايم الذي هو فعلاً موجود هناك، أحب أن أجمع كل أفراد عائلتي هناك.

نظرت كريستينا برجاء إلى ستورا.

- أعتقد أنه بعد عودة جيكوب، وبوجود كل أبناؤك وأحفادك حولك فإن افتقاد هيلينا لن يكون صعبًا كما في السابق، بالطبع ستكون بلا زوجة خلال الشتاء، ولكن إذا أردنا أن نكون صادقين فإنه لن تكون لابنتي حاجة ماسة في هذا التجمع العائلي، ماذا تقول ستورا، هل تستطيع التخيل أن تبقى بلا زوجة حتى مقدم الربيع، وحين يتمكن المرء من العودة للسير على الطرقات؟

نظر ستورا إلى كريستينا طويلاً قبل أن يجيب، وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة غامضة، وتسائلت كريستينا بداخلها عن مدى ما يعرفه ستورا عن ذلك الذي يختبئ خلف كلماتها.

- سيكون المكان خاليًا تمامًا بدونك وبدون هيلينا، عليك أن تعرفي ذلك، ولكني بطبيعة الحال لن أقف عثرة في طريق رغباتك، هل لديك فكرة متى ستسافرين، وهل تحدثت إلى هيلينا عن ذلك؟

شعرت كريستينا بلهجته القلقة، لمست أن ستورا ربما رأى وعرف أكثر مما تظن هي..

- إن هيلينا لا تعرف شيئًا حتى الآن، أحببت أن أكلمك أولاً، ولقد فكرت أننا سوف نسافر في نهاية شهر أيلول/ سبتمبر أو على أبعد حد في بداية تشرين أول /أكتوبر، إنه وقت جيد قبل أن يبدأ الثلج بالهطول، أنا أخطط للبقاء هنا في ستوكهولمين لحين موعد سفرنا، على الخدم أن يأتوا من فروسفيك إلى هنا من أجل المساعدة على توضيب الأغراض.

من زاوية عينها رأت كريستينا جيكوب قد دخل إلى الغرفة، وانضم مباشرة إلى جوقة الرجال المحيطين بهيلينا.

- فكرت في أننا، أنا وجيكوب سوف نركب قاصدين آسكريك والتي هي إحدى مزارعه، أفترض أنه حريص على تولي إدارة عقاراته بنفسه.

- إنها فكرة عظيمة جدًا ستورا، هل يعرف جيكوب عن هذه الخطة؟

عضت كريستينا على شفتيها قليلاً، فالكلمات قد انسلت منها بلا وعي.

- كلا، كنت أنوي أن أقترح عليه ذلك اليوم، إذا ما تحدثت مع هيلينا فسوف أتحدث أنا مع جيكوب، ولكن في البدء، أود لو أحتسي بعض الجعة، هل ترغبين بالانضمام لصحبتي؟

انتشر الضباب الكثيف القادم من بحر البلطيق يلف ستوكهولمين بغلالة بيضاء سميكة، بالكاد كان الإنسان يرى يديه أمامه، كان مستحيلاً لهيلينا أن تنام، الشعور بالخسارة الكبيرة الذي لا يمكن تخيله كان أشبه بفئران تلتهم عقلها، سيمضي شتاء كامل من حياتها دون أن ترى أو تسمع أو تلهو مع جيكوب، كان ذلك يشبه كما لو أنها قد جلست أمام قاضٍ في محكمة وقد قرر حرمانها من كل شيء، عندما أعلنت أمها ببساطة أنهما ستقضيان فصل الشتاء في بيالبو، سيجتمع كل الأقارب خلال أعياد الميلاد في مزرعة العائلة، قبل أن تتمكن

هيلينا من الاعتراض كانت الأم قد قالت إن الزوج قد أعطى موافقته على تلك الرحلة، لم يكن لهيلينا غير الخضوع.

بالصدفة كانت الأم قد ذكرت أن ستورا وابنه سيقومان باليوم التالي بالتوجه نحو مزرعة جيكوب، آسكريك، حيث سيمكث هناك في المستقبل القريب، من نظرات الأم ومن الإصرار في نبرة صوتها استطاعت هيلينا قراءة الرسالة الرئيسية بوضوحٍ تام (إنك تسيرين على جليد الليل السابق، ابنتي العزيزة، وفي أي وقت سيتكسر ذلك الجليد وسوف تجرينا كلنا نحو الهاوية، وأنا أعطيك الفرصة لتجنب سوء الحظ والعار).

شعرت أن غرفة البرج قد بدت كالسجن، بدأت الجدران تضيق، تزحف عليها، حتى ليلة الصيف المضيئة، تلك التي تجعل الإنسان يتمكن من النظر لأبعد ما يكون من على سطح القلعة، حتى تلك الليلة قد اختفت، بدل ذلك تدفق الضباب الكثيف، من خلال فتحات الرماية جاعلاً تلك المشاعر الخانقة واضحة بشكلٍ متزايد.. بهدوء، كي لا توقظ أمها التي تنام معها بنفس الغرفة، ارتدت ملابسها، كان يجب عليها أن تخرج.

كان من الصعب على جيكوب أن ينام، فكل الشخير وشظايا أحاديث الأحلام المنبعثة من أولئك المحاربين الذين ينامون بنفس المنزل كانت تؤلمه في داخله، فاقتراح الأب أنهم سوف يغادرون ستوكهولمين في الصباح الآتي إلى حيث عليه أخيراً أن يتولى المسؤولية في مزرعته كان شيئًا لم يستطع أن يجادل فيه، على الأقل ليس بطريقة حقيقية، وبالصدفة كان الأب قد ذكر أن هيلينا وأمها سوف تقضيان الشتاء في بيالبو في أوستراغوتلاند.

كان يقلب الفكر، ماذا يمكن أن يحدث لو أنه قد تكلم عما يمكن أن يكون، من أنه يشعر كما لو أنه سوف يواجه الموت لو تم إجباره على فراق زوجة أبيه، لقد أصبحت هيلينا هي المعنى الوحيد لحياته.. تقلب في فراشه، استيقظ أولف الذي كان ينام إلى جانب السرير، شعر الكلب بقلق صاحبه فلعق وجهه معزيًا،

بدا كما لو أن كل مشاعر الاكتئاب وضبط النفس في داخله قد تمزقت وسحبت معها كل أغلالها التي تمنع حريته، عليه أن يخرج من الغرفة الضيقة، من أجل أن يحصل على الهواء.

بصمت، من أجل عدم إيقاظ الحرس النائمين، تسلل من المنزل، متضايقًا، يصحبه كلبه.. بالضبط قبل أن يلمح أولف مخلوق كأنه حلم رمادي يخرج من الضباب معتدياً عليها وعلى فرحتها كانت هيلينا قد شعرت بحضور جيكوب، كان الضباب كثيفًا حتى أنها شعرت أن العالم الذي كان عالمها قد اختفى، خرج جيكوب من الحجب، وقفا وجهًا لوجه، محاطين بالجدران البيضاء، وكل ما كان ينتمي إلى الحياة اليومية التي تشارف على الانتهاء لم يعد موجود، ما تبقى هو اثنين في مقتبل العمر يعانيان كثيراً في سبيل الحب، ذلك الحب الكبير الذي لا تحده حدود.

في الضباب، بعيدين عن العالم، وحيدين سوى من حبهما حلقت الكلمات خفيفة، بلا خوف وبلا قيود، وعندما جاء الفجر مثل يد عملاق يجتاح الضباب، كان كل شيء قد قيل.. ثم افترقا.

سيكون الشتاء طويلاً جدًا ومظلمًا جدًا، وبالتأكيد فإن هناك ربيع سيأتي بعده سريعًا.. كانا قد ارتديا كلمات حبهما ملبسًا، من دون أن يمس أحدهما الآخر، كان الاحترام والتبجيل لستورا ألوتسون قد وقف حاجزًا في الطريق.

عندما بزغ فجر يوم جديد كانت أقدام الأب والابن قد غادرت ستوكهولمين ولكن أولف قد بقي مع هيلينا، مثل سنابل نبات الشيلم، بظله الأشعث تبعها إلى حيثما تذهب، وفي المساء كان يستلقي بإخلاص إلى جانب سريرها.

# الفصل الثلاثون

إنها السنة الجديدة ١٢٣٧، ولقد مر منها عدة أيام فقط، كان المحتفلون بالعيد في بيالبو وهم يتنقلون بين بعضهم البعض يشبهون حبات لؤلؤ في عقد للعنق، بذل العاملون جهدًا كبيراً من أجل توفير الطعام والشراب وأسرة النوم لكل الضيوف، والآن فإنه لم يتبق في المزرعة إلا المقربون، وبدأ الهدوء وبدأت الأيام العادية تعود تدريجياً لمجراها الطبيعي، في الأيام التي سوف تأتي سيعود بيرغر، أنغيبورغ، الصغيرة ريكيسا، راغنار، الفهيلد ودانييل أدراجهم نحو منازلهم؛ إن كان الجو يسمح بذلك.

نظرت أنغريد - أيلفا إلى الخارج من خلال النافذة، كانت العاصفة الثلجية قاب قوسين أو أدنى، وكانت أسطح المباني قد اكتست ببعض البقع الثلجية البيضاء.. كل الدموع، كل الأوساخ قد اختفت عميقًا تحت غطاء من الثلوج البراقة، كتمت الثلوج كل الأصوات، فانغمرت بيالبو بصمتٍ لذيذ، لم يزل الصباح مبكرًا، وكان ضوء النهار شاحبًا لم يكن قادرًا بعد على إزاحة الظلام، ولكن ضوء النهار كان يكتسب بمضي الوقت مزيدًا من القوة والطاقة، وعلى الرغم من أن الفرق كان بالكاد ملحوظًا للعين المجردة؛ فقد كان هناك بوضوح ولادة ضوء جديد، وكان كما لو أن الضوء قد اكتسب شجاعة وتجرأ بكل جد على تحدي الشتاء المظلم.

ألقت أنغريد - أيلفا عباءتها ذات الحاشية المصنوعة من الفرو عليها، وأخذت نفسها خارجة في هذه العاصفة الملتفة، قرصت الريح والبرد وجنتيها فأسرعت الخطى، كانت في طريقها نحو كوخ الحياكة، كانت تفكر بشكل جلي أن تجلس على كرسي الحياكة، كانت الضربات الإيقاعية المنبعثة من آلة الحياكة تبعث الهدوء والاطمئنان، وعندما ترى الأشكال وهي تنمو في النسيج كانت تطير بأجنحة أحلام اليقظة.

فتحت الباب الذي أصدر صريراً وأغلقته ورائها بسرعة، كانت هناك بالفعل إحدى العاملات وقد أوقدت الموقد وأشعلت الشموع، شعرت بالترحيب وارتاحت للدفء.. ألقت من عليها عباءتها الرطبة ودفنت كفيها في السلة التي تحتفظ فيها بخيوط الحياكة.

التمعت الألوان في ذلك الضوء الضعيف، الأحمر، الأزرق، الأخضر، البني، البنفسجي.. كل ألوان الطيف الشمسي كانت مجتمعة في سلتها، صور الذكريات من الصيف الذي مضى، عندما نزعت أوراق البتولا الخضراء، وأزالت أوراق البصل وجمعت لحاء الشجر، الفستق، أكواز الصنوبر، الأشنات، النيلج، نبات الخليج وصبغة الكحل التي سبق وأن رفرفت من قبل.. إن عطايا الطبيعة تلك كانت تستعملها هي وتلك العاملة في صبغ غزول الصوف الرمادية، تحت عند المضيق.

أخذت تصل كرة الغزل الجديدة، بنية اللون، مع خيوط أخرى وسمحت لها بالانزلاق من بين أصابعها قبل أن تثبتها على المكوك، البني الغامق كان هو لون النسر، لمست الأشكال المغزولة بكفها، كانت الأرضية الزرقاء التي تمثل السماء، الغيوم البيضاء، الشمس المشرقة، رؤوس الأشجار الزمردية، وذلك النسر المتباهي ذو اللون البني الغامق، كان جسم الطائر واضحًا بأجنحته، كانت السجادة رمزاً لاحترامها وشكرها لذلك النسر الذي أعطاها رؤيتها الثاقبة، تلك الرؤيا التي كانت تربط الزمان والمكان بأجزاء متساوية من الفرح والحزن.

بعيون النسر وبالألم الذي يعتصر قلبها رأت هالة من الضوء الأبيض حول ابنها بنغت أسقف مدينة يانشوبنغ وقد نمت قوية، ولقد فهمت أن أيامه قد باتت معدودة.. ابنان، كانت قد اضطرت لدفنهما، حيث يرقدان بسلام، كارل وذلك الجنين إيسكل، والآن فإن الدور قد جاء على بنغت.. كان ذلك قاسياً، وكان من الصعوبة عليها أن يغادر الأبناء هذه الحياة قبل الأم.

عندما يودعها بنغت لن يتبقى لها في هذه الحياة سوى ابنان؛ بيرغر وكريستينا، وحياة بيرغر كانت معرضة للكثير من المخاطر وكان من الناس الذين يعانون من ألم في الرأس، وإلى الجانب الآخر من بحر البلطيق كان "التفاتيريون" يرفضون تمامًا الإيمان بالمسيحية، مما حدا بالحبر الأعظم - البابا - أن يحث الملك أيريك أيريكسون لتجريد حملة صليبية لإجبارهم على ذلك الإيمان، على الانخراط بالمسيحية، حملة يتوجب تنفيذها، وبالطبع فإن بيرغر هو من سيقود تلك الحملة.

شعرت أن قريبهم الدوق أولف فاز كانت له رغبة سوداء في أن تنتهي حياة بيرغر هناك، بعيدًا في أوسترليد، إن الجوع للسلطة يأكل النفوس، ولكن الدوق لم يكن ليفصح عن رغباته، كان مصير الابن مختلفًا تمامًا، تنفست أنغريد - أيلفا الصعداء، فالمعارك وسفك الدماء كانت تسير في إثر بيرغر.

كانت تسمح للمكوك أن يرقص بين خيوط السدى والنول حتى هدأ عقلها، ولكن الأفكار كانت تسير للأمام.. كان لدى كنتها أنغيبورغ القدرة بالفعل على أن تكون لديها الخبرة فيما يعنيه أن تكون زوجة لمحارب، وتحديدًا أن تعيش في قلق دائم، لا يمكنها مطلقًا أن تكون على يقين من أنها سوف ترى زوجها مرة أخرى عندما يركب مبتعدًا عنها، وخلال فترات غيابه عليها أن تتحمل وحدها مسؤولية كل الأملاك، كل السكان وكل العاملين، وعلاوة على ذلك فيجب أن يكون لديها الوقت لتكون أمًا، ولكن أنغيبورغ كانت قوية، وكأخت للملك كانت طوال حياتها تعيش قريبة من السلطة، قريبة من المعارك، وكانت مدربة بشكلٍ جيد لتأخذ دورها كزوجة لرجلٍ نبيل ذو أهمية، بالضبط كما كانت كريستينا.

انفردت أجنحة النسر ذو اللون البني الداكن على عرض النسيج، سرعان ما يصبح الطائر مستعدًا للتحليق، وسيطير حفيدها أيضًا، طبعًا ليست ريسيكا فهي ليست بالطول الذي يساعدها على مغادرة ذراعي أمها، بسعادة جاهلة

أن والدها قد بدأ بالفعل بوضع الخطط لمستقبلها والذي سيكون رهانًا على بناء تحالف في المملكة، ولكن راغنار وهيلينا قد غادرا عشهما بالفعل، راغنار الذي سيصبح أبًا بالسنة الجديدة، وقد كان لطيفًا أنه قد أخذ طريقه كزوج.

إن بينه وبين أولفهيلد حرارة من الحب تشهد أنهما زوجين لديهما حظًا موفقًا بالزواج، فالحب بين زوجين حقيقيين لم يعط للجميع، بعيدًا عن هنا، ولحسن الحظ فلا يبدو أن راغنار سيرافق بيرغر في حملته الصليبية في أوسترليد، كان هو عين بيرغر وآذانه هنا في الوطن، وهو الذي كان يرعى مصالح خاله في جزيرة فيسينغ.

كان هناك خط فاصل بين عالم الرجال وعالم النساء، فحياة الرجال كانت تتمحور حول السلطة، الهيبة، مظاهر القوة، مهارات السلاح، الثروات وأشياء كانت هي نفسها في سن مبكر توليها اهتمامًا كبيراً، ولكن ليس الآن.. بالنسبة لها فقد كان المحرك لعالم المرأة هو ما سوف يكون مهمًا مستقبلاً، العائلة، الأطفال، المنزل، الأمان، السلام والوئام، مشاعر ذات صلة وأشياء أخرى.

علمتها الحياة أنه لا يوجد في عالم الرجال، أخطر من المعارك، الخوف من فقدان تلك السلطة التي كانت تقوم على اضطهاد الآخرين، وكانت قد أدركت أن التحرر من الخوف كفيل أن يجعل الآخرين يعيشون بحرية، كان المحزن هو أنها كانت محتاجة لحياة بطولها - تقريبًا - كي تفهم ذلك.

لم يكن عالم النساء بالطبع، خاليًا من الخوف بل على العكس، ولكن كان لتلك المخاوف شكلاً مختلفًا، كان ذلك يسير يدًا بيدٍ مع الحب، وعندما بدأت ساعة مساء حياتها على الاقتراب، وكانت محاطة بالثروات، فقد كانت تعرف أن الشيء الوحيد الذي كانت تستطيع أن تأخذه معها في رحلتها الأخيرة كان الحب، الحب الذي كانت قد أعطته وكذلك الحب الذي كانت قد حصلت عليه بالمقابل.

مرت بداخلها صور لوجه جميل، هيلينا.. الحفيدة الأحب التي لم تكن منضمة لا لعالم الرجال ولا حتى لعالم النساء، ولكن كانت تتنقل بحرية بين العالمين، كانت هيلينا واحدة من حلقة النساء الغريبات التي تكلم عنها الشاعر ستوري ستورلاسون منذ سنوات طويلة، أخذت هيلينا على عاتقها بناء مدينة على جزيرة تقع بين بحيرة مالارين وبحر البلطيق.

ضربت أنغريد - أيلفا المكوك بقوة، لا يزال النسر يحرمها من رؤية مستقبل هيلينا، ولكن حدسها يخبرها أن هيلينا قد حصلت على ما يكفي من القدرة التي تحتاجها لتحقيق أحلامها، على ألا يقودها ذلك الحب الممنوع إلى الدمار.

من الغريب أن يكون الحب، تلك النعمة الإلهية الكبيرة للبشر، يكون في حالة هيلينا كارثة كبرى، ليس بالنسبة لها فقط ولكن لأقوى سلالتين في المملكة، حدثتها كريستينا عن حب هيلينا لابن زوجها، ذلك الذي قدم مؤخراً، جيكوب ستوراسون.

كان قلق ابنتها قد انتقل إليها كالعدوى، ولكن ذلك قبل أن تستعيد ذاكرتها تلك المشاعر عندما أعلن بيرغر - كولي أمر هيلينا - قراره أن تتزوج ابنة أخته من ستورا ألوتسون، مهما كانت تسعى في داخلها فإنها لم تتمكن إلا أن تعتبر أن هذا الزواج سوف يصبح ذا نتيجة جيدة جدًا، وهي ما تزال تحمل تلك المشاعر حتى اليوم.

ربما سيكون ذلك الحب بين هيلينا وذلك الجيكوب عابراً ومتغيراً كما هو الطقس في نيسان/ أبريل، وعندما تعود إلى منزلها في فروسفيك في الربيع القادم ربما سيكون ذلك الحب قد نسي ودفن، ومض لهب الشمعة وتراقص عندما فتح باب كوخ الحياكة، دخلت إحدى الصبايا العاملات لتخبرها أن بيرغر يرغب بلقائها وبقية أفراد العائلة في صالة القصر.

عندما دلفت أنغريد - أيلفا داخل قاعة الضيوف في بيالبو أصابتها المفاجأة، طردت كمية الضوء الكبيرة ظلمة الشتاء وتزاحم اللهب في الموقد المفتوح،

انتشرت رائحة الدخان، شجر العرعر، والشحم الحيواني، كان هناك الكثير من المناضد والمصاطب المرصوفة قرب الجدران، كانت هناك منضدة واسعة وحيدة تتوسط الصالة، وحولها كان يجلس جميع أفراد أسرتها: أولادها وأحفادها، ابنتها المتبناة وكذلك رايم ودانييل، إلى الجانب الأقصر من المنضدة الخشبية الخشنة جلس بيرغر، وأمامه كان هناك رقًا وأدوات كتابة..

- أماه، أرجو أن تتكرمي وتأخذي مجلسك قبالتي.

استغربت أنغريد ـ أيلفا لرجاء ابنها، ما الذي قد وجده الآن؟ أجال بيرغر بنظره حول المائدة يتأكد من إنصات الجميع قبل أن يبدأ حديثه.

- غدًا سوف نذهب كلٌ بطريقه، ونحن لا نعرف متى سيكون محتملاً لنا أن نجتمع هنا كلنا مرة أخرى، ولذلك فقد ارتأيت اليوم أن نلعب لعبة، ولكن ليست كأي لعبة، إن ما يدور في ذهني هو غرض خطير، نحن الذين نجلس هنا، لدينا إلى حد ما خلفيات مختلفة، وبالتالي فإن لدينا تجارب حياتية متنوعة، أغلبنا جئنا من خلفية نبيلة، ولكن أنت رايم، لقد كنت عبدًا، وقدم دانييل من خلفية شعبية.

مسح بيرغر رقبته..

- لقد فكرت في أن نقوم جميعنا بتمثيل مسرحية حيث يكون المشهد في مجلس الملك في جزيرة فيسينغ، القضية هي على النحو التالي: نحن الذين نجلس هنا نما إلينا كمعلومات من أنه لتحويل التحالفات الفضفاضة في مملكتنا إلى مملكة قوية مع كل ما يستلزم ذلك من تغيير، أنها مهمة صعبة وحساسة، وقد كلفنا ملكنا القيام بها.

نهض بيرغر لكي يعطي لكلماته تركيزًا.

- أنا سألعب دور الدوق، راغنار هو المتحدث باسم النبلاء، رايم سيمثل العبيد ودانييل سيمثل المزارعين، كريستينا، أولفهيلد، أنغيبورغ ستتحدثن باسم

النساء، بصوتٍ عالٍ أو منخفض.. وأنت أماه سوف تأخذين دور أخي الأسقف بنغت وستكونين المتحدثة باسم الكنيسة، يتبقى لنا هيلينا.

صمت بيرغر لحظة، جلس وهو يرمق ابنة أخته بنظره.

- دورك هيلينا سيختلف عن الآخرين. أنت تنتمين إلى طبقة النبلاء، ولكنك عشت جزءًا كبيراً من حياتك مع العامة ومع الرهبان، ولقد عشت كرجل في الوقت الذي كنت فيه امرأة، في مسرحيتنا ستأخذين عدة أدوار، وتتحدثين العديد من اللغات، من المؤكد أنها لعبة، لكني أنوي أن أسجل ما نتوصل إليه، وتلك الوثيقة التي ستتمخض عنها مسرحيتنا سأحفظها في علبة في برجك أماه، ومن الذي يعرف ما يخبئ المستقبل في ثناياه، ربما ستصبح لعبتنا أساسًا لبناء مملكة جديدة وأفضل مما هي عليه الآن، ماذا تقترحون، هل ترغبون المشاركة في مسرحيتي؟

غمرت الغرفة جدية كبيرة وتمتم الحاضرون بالإيجاب، امتلأ قلب الأم أنغريد - أيلفا بالفخر والسعادة، لقد فهمت كم كانت هي الجدية التي تقف خلف لعبة ابنها الغريبة تلك، لم يفقد بيرغر قدرته على الاستماع وأخذ المشورة، وكانت تلك من الصفات التي لا تقدر بثمن لرجل عرف أنه سيأتي اليوم الذي يحصل فيه على سلطة واسعة، عليه فقط أن يحافظ على تلك القدرات حين تلقي السلطة نفسها بين يديه.

- والآن ستبدأ مسرحيتنا، لندخل الآن في أدوارنا، وبصفتي دوق المملكة والمترأس لاجتماع مجلسنا، فإني أطلب الحديث أولاً.

انحنى بيرغر على الأرض ملتقطًا شيئًا ما، كان ذلك تاجًا من الحديد، علامة على دوره كدوق للمملكة، وضع التاج على رأسه بكل هدوء فأصبحت اللعبة واقعًا بالنسبة لأولئك المجتمعين، لقد ألقيت على عاتقهم مسؤولية كبيرة لإصلاح تلك المملكة القديمة، وجعلها أكثر قوة، أمانًا، ومكانًا للعيش يكون أكثر عدلاً.

- أرحب بكم أعضاء المجلس المحترمين، مرحبًا بكم في هذا الاجتماع الحاسم لمملكتنا، لم يتم استدعاؤكم هنا كممثلين لمصالحكم الخاصة، ولكن لأنكم تمثلون صوت الشعب الذي اختاركم لتمثلوه، أولئك الذين يجب سماع رغباتهم، أحلامهم، ومخاوفهم ولا شيء غير ذلك، لكوني دوق المملكة، سأتكلم باسم السلطة الملكية، نيابة عن ملكنا المبجل أيريك أيريكسون، اليوم ليس هناك أمان، ليس هناك استقرار في بلدنا، ليس هناك غير النبلاء المحليين الذين يديرون - في الواقع – مناطقهم، وذلك يعني أن حياة الناس المزارعين، أولئك الذين يشكلون العمود الفقري للمملكة، تبدو مختلفة تمامًا تبعًا للمكان الذي يعيشون فيه، أنا أريد أن أغير ذلك، ولكن ذلك يتطلب سلطة ملكية قوية من أجل النهوض بهذا العبء، وأنا حينما أتكلم عن بلدنا فأنا لا أقصد بذلك المناطق المحيطة بفانرين، فاترين ومالارين ولكن أيضًا المقاطعات التي تقع في الشمال البعيد وعلى الجانب الآخر من بحر البلطيق، ولكن إذا استطاع الملك حشد القوة المطلوبة خلف كلماته؛ فإن ذلك يتطلب الكثير من المقاتلين وذلك ما سوف يكلف كثيراً، ولكي يتم زيادة إيرادات التاج فإن من الواجب إصلاح النظام الضريبي بالكامل، في تلك المملكة الجديدة يجب أن تدفع الضريبة على شكل حبوب، زبدة، لحم أو نقود.. تلك البضائع سيعاد بيعها لاحقًا ليتم تحويلها إلى أموال، أموالاً تمكن السلطات الملكية من بناء قلاع محصنة في أماكن استراتيجية، القلاع التي سيتم فيها إسكان رجال الملك ستكون بإمرة مأمور هو ذراع السلطة الملكية الطويلة، والذي ستقع على عاتقه مسؤولية جباية الضرائب في مناطقهم.

أصبح بيرغر أكثر جدية وأصبح ضيوفه أكثر تجاوباً..

- اليوم لدينا عدة أنواع من العملة في المملكة، الغوتلاندية، السفيندية، وعملة الغوتنيون، أريد أن أضع قانونًا واحدًا للعملة، إن الاقتصاد الطبيعي والمقايضة هي أنظمة عفا عليها الزمن، في المستقبل سيتم تطبيق التجارة بواسطة العملة، يجب علينا أن نفتح أبواب التجارة في بلدنا مع باقي البلدان، وما يتطلبه ذلك

من مدن جديدة، موانئ جديدة، كانت لدي اليوم بالفعل اتصالات مع تجار ماهرين من لوبيك بألمانيا ولقد أبدوا استعدادهم للحضور إلى هنا، إذا كانت هناك شروطًا صحيحة، تنمية التجارة تعني تنمية الدخل لكلا الطرفين، الملك والناس العاديين.

- من الذي سيكون خاسرًا في هذا العالم الجميل أيها الدوق بيرغر؟

أبدى راغنار اعتراضه..

- إن مجموعتك التي تمثلها راغنار سوف تضطر إلى العودة متخلية عن السلطة لصالح ملك المملكة المنتخب.

- هل يمكن للملك والدوق أن يعتقد أن النبلاء سيقوموا بذلك بشكلٍ طوعي؟ لا تنسَ أن أولئك الفاقدين للسلطة، المضطرين لدفع الضرائب والمتحصنين في قلاعهم المحروسة جيدًا سيدفع العديد منهم للجوء إلى القوة المسلحة وما يتبع ذلك من دماء؟

- إن الكثير من الأشخاص – كقاعدة - هم ضد التغيير وما هو موجود هنا ليس استثناء، وأتوقع أنه لن يكون ذلك ممكنًا دون إراقة الدماء.

أصبح الصمت مطبقًا في تلك الغرفة الكبيرة، الصوت الوحيد الذي كان من الممكن سماعه هو صوت طقطقة النار.. كان الجميع يعيش دوره وكان التوتر بين الدوق والنبلاء يرتفع في الهواء، وكانت هيلينا هي التي كسرت هذا الصمت.

- بناء بلد ليس عن طريق فرض ضرائب جديدة فقط، وزيادة مداخيل التاج أو زيادة أعداد السيوف أيها الدوق بيرغر، إن تلك المداخيل التي تأتي عن طريق العنف والاضطهاد ستكون محفوفة بالمخاطر وقصيرة الأجل أيضًا، إن بلد حيث الناس تعيش فيها وتسكن، وهم من يذهب معك لو شئت، أولئك الذين - كما تقول أنت - إنهم العمود الفقري للبلد، إن هذا يتطلب شيئًا أكبر، يجب أن

يكون هناك بلدًا وشعبًا تربطهما معًا القوانين المشتركة، القوانين التي ستكون السلطة الملكية القوية هي الضامن لها.

لقد رأيت وشهدت تعسف السلطة، أولئك الضعفاء العاجزين، والفساد القضائي الذي أدى إلى تآكل القوانين التي تم سنها لحماية الفرد والمحافظة عليه، وكيف يمكن أن نتصالح معها في مملكتك الجديدة، دوق بيرغر؟ إن أول بداية يجب - على سبيل المثال - أن تكون هي التخلص من الطاولة الحديدية، وهي العقوبة التي أعتقد أنه لا يستحقها الإنسان في بلد مؤمن.

بدا صوت هيلينا يغلي سخطًا..

- وأنا، أنا أطالب بقوانين تحررنا نحن النساء، حماية الحياة وبغض النظر فيما إذا كنا فقراء أو أغنياء، وأطالب أن ينال الرجال الذين يدانون بخطف الزوجات أو الاغتصاب عقابًا شديدًا.

وقفت كريستينا وضربت الطاولة بقبضتها باضطراب.

- وأنا أعرف أني أتكلم عن جميع الجنس الأنثوي بهذا الاجتماع.

جلست كريستينا فأخذت أنغيبورغ الكلمة مسرعة..

- أنا أؤيد بقوة ما قالته كريستينا، ولدي أيضًا مطلبًا إضافيًا للتعبير عن إرادة النساء في المملكة، عندما يتوفى الوالدان فإن الأبناء الذكور هم الوحيدون الذين يرثونهم ولا يصيب الإناث أي شيء، وهذا شيء ظالمٌ تمامًا، أنا أقترح أن يتم تقسيم الإرث بالتساوي بين كلا من الإناث والذكور.

نظرت أنغيبورغ بنظرات محارب إلى الرجال المجتمعين حول المائدة، والذين احتجوا بصوتٍ عال ضد اقتراحها، بسرعة تطور الشجار بين الجنسين بشدة مما اضطر بيرغر أخيراً أن يهدر من أجل إسكاتهم.

- أعضاء المجلس الكرام، اهدأوا، لا يجوز مثل هذا التصرف المشين في مجلس الملك، أنا أستمع باهتمام لما تقولونه وأنا لدي اقتراح فيما يتعلق بتقسيم حق

الوراثة بين الأخوة من كلا الجنسين، أنا أقترح أن ترث البنات نصف ما يرثه الأولاد. فإذا ما قبلتم بذلك فإننا نكون قد التقينا في منتصف الطريق، هل نتفق على ذلك وننتقل إلى خطوةِ أخرى؟

كان الجواب تمتمة غير مقتنعة..

- سأترجم ذلك إلى نعم.. دانييل، أنت تمثل العامة، هل لديك أية رغبات تود التعبير عنها نيابة عنهم؟

نهض دانييل من أجل لفت الانتباه إلى كلماته..

- لدي ثلاثة مطالب، أولاً ما يتعلق بالمزيد من الحرية في منازلنا، فرض الحظر على النبلاء وحراسهم بالدخول إلى بيوتنا عنوة وفرض أنفسهم ضيوفًا يستمتعون بالطعام والشراب، فمن أجل إطعام أولئك النبلاء فإن علينا نحن الفلاحين الفقراء أن نقوم بذبح ماشيتنا، وأن نفرغ مخازن الحبوب التي لدينا، ودنان الجعة، وصناديق البذور المعدة للبذر، وعندما يغادر النبيل وحراسه المكان فإنه يترك الفلاح وزوجته وأبناؤه يتضورون جوعًا، طلبي الثاني هو أن تكون العقوبات أكثر صرامة بالنسبة لأولئك الذين يقومون بالسطو على منازلنا وسرقة حاجياتنا، مطلبي الأخير هو أن تكون قاعة المحكمة ملاذًا آمنًا حيث يمنع بتاتًا مهاجمة الخصوم بالأسلحة، أرجو الاستجابة لمتطلبات العامة هذه.

عاد دانييل للجلوس، بدا أنه قد لمس بعمق..

- شكرًا لك دانييل؛ كان طرحك ذكيًا، والآن فإني أود سماع ما تتقدم به الكنيسة.

أومأ بيرغر نحو أنغريد - أيلفا التي تلعب دور الأسقف.

- أعضاء المجلس الكرام، بصفتي رجل كنيسة فإني لا أستطيع إلا أن أتفق مع كل ما طرح حتى الآن، إن القوانين المشتركة هي كالصمغ الذي يجمع أجزاء المملكة إلى بعضها وهو ما يعطي الشرعية لها، إني أطالب بالسلام في الكنيسة،

فأولئك الذين يدنسون الكنيسة بالعنف أو بالسطو يجب أن يعاقبوا بشدة، أنا أريد أيضًا أن أستغل هذه المناسبة وبهذا الاجتماع أود لفت النظر إلى اثنين من الأمور التي تهمني بشدة، وأنا أتكلم الآن برأيي الشخصي فقط كأسقف لكنيسة مدينة لينشوبنغ وليس للبابا في روما، وبالتالي فإني أرجو من حضراتكم عدم نقل ما أطرحه الآن.

اهتز صوت أنغريد - أيلفا وهي تضبط نفسها بغضب.

- لقد طلب ملكنا والدوق من البابا غريغوري التاسع أن يجرد حملة صليبية ضد أولئك الوثنيين في بحر البلطيق، ثواب ذلك هو غفران الخطايا، وحتى الآن ليس لدي أدنى اعتراض، ومع ذلك فلدي شكوك قوية فيما يتعلق بالطرق، فأولئك الوثنيون الذين يرفضون التعميد سوف يعدمون، أنا واثق بأن الرب في سمائه يعرف أن الإيمان الحقيقي لا يمكن أن يفرض بالقوة ولكن فقط بالمعرفة وبالحب، أنا أتمنى أن يتمتع ملكنا والأيرل بهذا المنطق عندما يخططان لتلك الحملة الصليبية الجديدة.

سكتت أنغريد - أيلفا من أجل التقاط أنفاسها قبل أن تعود للحديث مجددًا.

- وهناك شيء آخر، إن الرهبان في بلدنا لا يعيشون وفقًا لمبدأ العزوبة كما تطلب البابوية في روما، فرهباننا متزوجون، لديهم زوجات وأبناء، أنا أخشى أن المسألة هي مسألة وقت قبل أن يجبر البابا رهباننا بالانصياع لمبدأ العزوبة تحت التهديد بالطرد وإلغاء كل النتائج التي تترتب على ما يتبع ذلك الزواج، إن ذلك من شأنه أن يحطم العوائل، ستعتبر النساء المتزوجات مجرد محظيات، ولن يتم الاعتراف بأبنائهن، سيكونون مواليد غير شرعيين، وعندما يحدث ذلك فعلى السلطة العلمانية والسلطة الدينية في بلادنا أن تقفا معًا، إن هذة مسألة حساسة جدًا خصوصًا وأننا لا نتمكن من حلها الآن، ولكني أردت أن يكون أعضاء المجلس على علمٍ بذلك، شكرًا للاستماع لكلمتي.

كان بيرغر يكتب بسرعة لا يسمع غير صوت خربشة ريشته وهي تلامس وجه الرق في ذلك الصمت المطبق.. أمسى جو القاعة متوترًا رسميًا ومخيفًا بنفس الوقت، لقد ذهبوا بأدوارهم بعيدًا آخذين إياها على محمل الجد كما لو أنها أصبحت حقيقة واقعة، أصبح المرء يحمل مستقبل المملكة بين يديه.

- والآن فإن هناك صوتًا واحدًا نفتقده هنا، وهو أنت رايم.. أنت تمثل المحرومين، العبيد، ما الذي عندك لتقوله؟

- أريد أن أبدأ بالشكر كشخص كان يفتقد لكل حق، لا يمتلك شيئًا، فأصبحت أدعى لمثل هذا الاجتماع المهم، إن ذلك يشعرني بالقوة ويشعرني بالأمل، متطلباتي بسيطة جدًا وواضحة، وبصفتي ممثلاً لأولئك المحرومين فإني أطالب بإلغاء العبودية: إن أولئك الفقراء الذين يعانون في ظل هذا النظام الظالم وغير المسيحي يتمنون لو يعود الحق لحياتهم، وأنا أطالب أيضًا ألا يضطر الناس الأحرار ولكن الجائعين لعرض حياتهم كعبيد من أجل البقاء على قيد الحياة، هل يستمع أحد لمطلبي، أو لنقل حلمي؟

تهدج صوت رايم وأغرورقت عيناه بالدموع، وبلا وعي تناولت هيلينا يداه، عاد الصمت يخيم على الغرفة، جلس الجميع غارقين بأفكارهم، ترك بيرغر ريشته، مسح رقبته قبل أن يعود للكلام.

- بصفتي دوق المملكة أشكركم جميعًا لوجهات نظركم ومطالبكم القيمة، والتي حاولت جاهدًا أن أدونها هنا، اسمحوا لي أن اقرأ عليكم ما قد دونته.

قرأ ما دونه على الرقاقة الجلدية بصوتٍ عالٍ..

- جنبًا إلى جنب مع ما لدينا من قوانين محلية سوف نتبعها بالقوانين الملكية التالية والتي يتم أداء اليمين على صيانتها، والتي تهم جميع أنحاء المملكة، هذه القوانين تكون ملزمة للملك، الدوق، وكذلك أقرب رجالاتهم، الجرائم ضد المرأة، السلام المنزلي، سلامة الممتلكات وسلامة الكنيسة يعاقب مرتكبوها بمصادرة ممتلكاتهم وبالسجن، بالإضافة إلى حظر استخدام المنضدة الحديدية

والاستعباد تكون غرامة القتل غير العمد أعلى بكثير، الأخوات سيكون لهن نصف حق الأخوة بالوراثة، تغيير النظام الضريبي من الأساس ويتم إدراج معيار نقدي مشترك.

ترك بيرغر الوثيقة جانباَ..

- لم أكتب شيئًا عن إلغاء الرق، لأنه يجري العمل بالفعل على ذلك تدريجياَ، أما الكنيسة فإنها تأخذ بالفعل أهمية استثنائية، وبالنسبة للعديد من مالكي العبيد فقد أدركوا أن منح عبيدهم الحرية ومنحهم قطعة أرض لزراعتها هو أمر أكثر ربحية لهم حيث يقوم هؤلاء بدفع رسوم إيجار، ونحن متفقون على أنه لا ينبغي أن يكون هناك المزيد من العبيد في بلادنا، هل تشعرون بالرضا؟ هل بإمكاننا وضع هذه الوثيقة في أعلى البرج لدى أنغريد - أيلفا بانتظار أن يتم - في المستقبل - استخدامها كقاعدة لما نريد لمملكتنا؟

نعم مدوية ملأت القاعة جعلت لهيب الشمع يتراقص..

- علي فقط أن أرفع إصبع التحذير.

بدا راغنار رسمياَ..

- خلال الاجتماع تحدثت إلى مستويين رفيعين، وكعضو في سلالة بيالبو فقد كتبت بكل فخر فيما توافقنا عليه اليوم، ولكن وبعد ذلك فأنا لا أتكلم نيابة عن كل النبلاء، إن الوثيقة التي اتفقنا عليها ستجنبنا الحرب وإراقة الدماء، إن النبلاء سيكونون هم الخاسر الأكبر لأنهم سيضطرون إلى التخلى عن السلطة والامتيازات لصالح سلطة ملكية مركزية وقوية، ولن يوافق الكثير منا على ذلك، قوانين السلام تسير جنباَ إلى جنب مع الحرب.

- كما قلت سابقًا راغنار.. التغييرات لا تتم بدون مقاومة، ولكن هذا ثمن اخترت أن أدفعه.

نهض بيرغر وطوى الوثيقة وختمها بختمه، نزع من رأسه تاج الدوق وأعطاهما إلى أمه.

- مسرحيتنا قد انتهت وقد حان الوقت لنعود لحقيقتنا ولوقتنا، مرة أخرى أشكركم لمشاركتكم لعبتي التي أرجو أن تكونوا قد استمتعتم بها.

تفرق الجميع، كان كل منهم بحاجة للاختلاء بأفكاره، لقد أثار الاجتماع أسئلة أكثر مما طرح أجوبة.

صعدت أنغريد - أيلفا إلى برجها واضعة تلك الوثيقة المختومة في علبة خشبية منقوشة في غرفتها، هناك ستبقى تنتظر مستقبلاً لا يمكن التنبؤ به، رفعت تاج الدوق المصنوع من الحديد نحو الضوء، وزنته بيدها، كان شيئًا قد كشفه لها المستقبل على أية حال، فلسوف يتم استبدال هذا التاج بتاج آخر، تاج مصنوع من الفضة اللامعة.

# الفصل الحادي والثلاثون

ركض أولف يلهو على بساط الثلج ذاك، حيث يتصدى لكرات الثلج التي كانت تقذفه بها هيلينا، نبح فرحًا وسعادة وضحكت هيلينا عاليًا عندما تعثر بأقدامه فسقط على رأسه وسط كومة ثلج، كان أولف هو الرابط بالنسبة لها مع جيكوب، ولقد غمرته بالحب والمداعبات والكلمات العاطفية، كان أولف يجيب على ذلك بألا يتزحزح عن جانبها، كان ظلها، حارسها من الأشخاص الذين يعانون من الأذى، فلدى ابنة بيالبو العديد من الأعداء.

منذ أن قدمت إلى بيالبو شعرت أنها بحاجة ماسة لكي تبقى وحيدة، وعندما تسنح الفرصة فقد كانت تخرج نحو الميادين، برفقة نايك وأولف اللذان كانا هما صحبتها الوحيدة.. هناك، مع أشجار الصنوبر الباسقة، ومع السماء التي تغطيها فتجلب لها أحاديث طويلة مع جيكوب.. كان شوقها إليه كبيراً حتى أنها كانت تعتقد أنها تراه إلى جانبها، تستمع لصوته الأجش وتشم رائحته، كانت تحس ذلك كأنه حقيقة لدرجة أنها غالباَ ما مدت يدها للمسه.

أسرته بكل الأشياء، صغيرها وكبيرها، كلمته عن أيامها في المزرعة، عن خططها المكلفة حول ستوكهولمين، ولكن أكثر من أي شيء آخر، حدثته عن مدى حبها له وكم كان عميق شوقها وافتقادها له.

إنها تعرف جيدًا لماذا اختارت أمها أن تصحبها إلى بيالبو خلال الشتاء، على الرغم من عدم ذكر كلمة عن الموضوع، كان قلق الأم ورعبها واضحين كما لو أنها أصبحت ملابس إضافية لها، لقد كان يؤذيها أن تكون سبباَ للقلق الذي انتاب والدتها، ولكن أن تنزل القمر إلى جانبها كان أسهل من أن تتوقف عن حب جيكوب.

فكرت أن تتكلم مع أمها أكثر من مرة محاولة إخبارها بأنه ليس عليها أن تقلق، فهي لديها شرفها الذي لا تستطيع أن تحيا بدونه، وأنها رغم حبها لجيكوب فهي لن تسمح لنفسها بأن تدنس شرف الآخرين، ولكن كان هناك دائمًا ما يسحبها إلى الخلف ويجعلها تتراجع.

وحيدة مع نايك وأولف في المراعي حيث كانت تتجرأ هناك فتطلق العنان لعواطفها، متدفقة كنهر ربيعي تحرر أخيراً من جليده.. نادت هيلينا على أولف ثم ألقت بثقل جسدها فوق نايك، فانطلقت المهرة في خبب وكان الهواء البارد يخرج من منخريها كدخان أبيض، كان ذلك بأحد أيام شباط/ فبراير الجميلة التي لا مثيل لها عندما ترسل الشمس أشعتها في سماء خالية من الغيوم حيث تتلألأ الثلوج كأحجار كريمة، أصبحت النهارات أطول وهي تريد أن تعتقد بأن الطيور تغرد فعلاً مبشرة باقتراب الربيع.

قريباَ سيأتي شهر آذار/ مارس وسوف تصبح الطرقات الواسعة نظيفة خالية من الطين، وجليد بحيرة فاترن سيبدأ قريباَ بالترنح وسيبدأ الجليد الذي يغطي الجبال الشاهقة بالانحدار نحو مياه السواحل الزرقاء، وستصبح الطرقات المائية صالحة للملاحة.

كما هو الحال دائمًا كانت هيلينا تستمتع بركوب فرسها، بالهواء وهو يداعب وجهها، وهي تشعر كم يبدو جسد نايك قويًا حتى لكأنها تطير إلى الأمام، كانت تلك هي الحرية، حتى ولو كانت للحظات، كانت حياتها الخاصة محاطة بالممنوعات، من خلال قواعد وقوانين مكتوبة وغير مكتوبة حول الكيفية التي يجب أن تتصرف وفقها عندما تكون إلى جانب أناس آخرين.

كانت بركانًا من العواطف المتفجرة، جسدًا وروحًا وحيدين، جعلها الشوق تشعر في كثير من الأحيان بالحاجة لأن تصرخ بصوتٍ عالٍ لتخفف من حدة الضغط المتواصل، وهناك خارجًا في الغابة حيث تكون الأشجار السماء والحيوانات هم الشهود الوحيدين؛ تنظر بعيدًا نحو أحد الجبال ثم تنطلق

بصراخ حقيقي، صراخ يحمل كل شوقها المكبوت متوسلة إلى الريح أن تنقل ذلك الشوق نحو مزرعة آسكريك حيث يكون جيكوب هناك.

في المنزل في بيالبو كانت هناك ألف عين وأذن، وهناك كان يجب أن تعيش دور الزوجة المثالية للسيد الموقر ستورا ألوتسون.. هناك، حيث تشعر هيلينا أنها مقسومة إلى شطرين، كما لو أنها شخصين، ومن أجل أن تتعامل مع هذه اللعبة المزدوجة تكون لحظات وحدتها التي تقضيها خارجًا في المزارع وكل خططها حول ستوكهولمين كمتنفس ضروري لحياة منغلقة بشكل صارم.

تلك المسرحية التى نظمها بيرغر في القاعة في بيالبو قد أعطت لأحلامها مزيدًا من الفعالية، تحدثت معه مرتين قبل أن يسافر بعيدًا، كانا متفقين على أن ستوكهولمين قد أصبحت أحد الأماكن في المملكة التي يجب أن تحتوي على قلعة محصنة جدًا، وميناءين جديدين، واحدًا عند بحر البلطيق وآخر عند بحيرة مالارين، إن قلعة محصنة تعني سلامة وأمن، وهذا يعني أن العديد من الأشخاص التجار والحرفيين؛ سيختاروا أن يسكنوا فيها مع عوائلهم.

تصورت هيلينا سوقًا مزدهرًا مع عائدات جمارك غنية تأتي من التجارة والشحن، رأت كيف يأتي المزارعين بقواربهم الصغيرة نحو ستوكهولمين محملين بالفراء، السمك، الحطب، الجلود، ألواح الخشب، والحبوب من أجل بيع بضائعهم للقرويين وزوجاتهم.. سبق وأن تكلم بيرغر بدفء مع تجار الحديد، النحاس، والفضة الخام التي كانت أغراضًا مرغوبة للتجار الأجانب.

عادت إليها تلك الرؤيا التي أتتها ليلة عيد الميلاد في كنيسة فروسفيك، عادت بقوة متجددة، وفي ذهنها رأت القوارب القديمة محملة بكل أنواع البضائع المرغوبة: الملح، الأقمشة الصوفية والحريرية الملونة بكل ألوان قوس قزح، التوابل، المشروبات، والأواني الزجاجية ذات الألوان البراقة، وكما فهمت من بيرغر فإن القوارب القديمة سوف تأتي من مدينة لوبيك الواقعة في شمال ألمانيا..

شاهدت - متخيلة - العديد من المنازل في ستوكهولمين، شاهدت حشدًا من الناس، من الخادمات، عمال الزراعة، التجار، الحرفيين، فلاحون، صيادوا سمك، نبلاء ونساء، أطفال مع أمهاتهم وهم يحتشدون حول الأكشاك في الساحة، وعند أعلى نقطة في الجزيرة كانت تنتصب قلعة بيرغر القوية التحصين دفاعياَ ووقائياَ، وإلى جانب القلعة انتصبت كنيسة فخمة بنيت بالحجر في نفس المكان الذي كانت تقوم عليه الكنيسة الخشبية الصغيرة الآن.

نبح أولف فجأة فتهاوى القصر الملون الذي شيدته هيلينا في الهواء، كانت هناك فرقة مسرعة من الرجال تأتي نحوها ممتطية جيادها، بشكل غريزي استلت قوسها ووضعت فيه سهمًا سحبته من جعبة السهام، بلا ريب كانت متواجدة على ممتلكات عائلتها، ولكن الخطر لا يزال موجودًا في كل مكان، فمن الممكن أن يكون هؤلاء عبارة عن مجموعة من الخارجين على القانون الذين تعاونوا من أجل البقاء على قيد الحياة خلال فصل الشتاء البارد، كانت قد حلقت تمامًا مع أفكارها فما استطاعت الاستيقاظ منها لولا نباح أولف، والذي لولاه لما استطاعت أن تكتشف قدوم الرجال إلا بعد فوات الآوان، حتى الآن كان هناك وقتًا كافيًا للهرب، أن تستدير في مكانها منطلقة في رحلة عودة إلى المزرعة، ولكنها اختارت البقاء منتظرة الرجال وهي تسدد قوسها، وكما هو الحال دائمًا تفاجأت بهدوء جليدي شعرت به يداخلها وهي تواجه خطراَ يتهدد حياتها.

أصبح الرجال على مرمى حجر منها عندما رأت علامة عائلتها، ذلك الأسد المتأهب مرسومة على درع أحد الرجال، خفضت هيلينا قوسها وشعرت بجسدها مسترخياَ، رفعت يدها محيية عندما باتوا على مقربة منها، تعرفت على أحد الراكبين، إنه أحد حراس خالها الأسقف بنغت وقد شعرت أنهم يحملون رسالة، ارتعد الخاتم في إصبعها وهاجس من الحزن والأسى القادم جعل قلبها ينض بشدة، اختفت فجأة تلك الرغبة بالركوب والتنقل بين الحقول

في هذا اليوم من أيام شباط/ فبراير المشرقة، قادت نايك عائدة نحو المنزل في بيالبو، عارفة تمامًا أن الحوادث نادرًا ما تأتي منفردة.

* * *

تركت الشمس آثارها الواضحة على سطح الثلج الشتوي، بانت بالفعل شقوقًا واسعة في الثلج حيث بدت بعض الحشائش الذابلة من العام الذي مضى، وحيث بدت الأراضي التي استيقظت حديثًا وهي تتطلع نحو الأمام، لقد كان شهر آذار/ مارس، وقد بدأت الطيور تغني للربيع، كان جيكوب واقفًا في الباحة في آسكريك وقد استنشق نفسًا عميقًا من الربيع الذي أتى، إن الربيع يعني أن هيلينا ستعود قريباً نحو فروسفيك.

مجرد نطق اسمها يجعل القلب ينبض أسرع ويجعل الدم يغلي في عروقه، كان الشتاء طويلاً وشديد الظلمة، وقد سبب له الشوق إلى هيلينا ألمًا مضنياً مستمراً حاول أن يخفيه بالعمل المجهد، جعله انكساره يولي مزارعه عناية كبيرة مع إنه قد وجدها بحالة جيدة، ولكن بالنسبة له فقد كان ذلك تغييراً كبيراً - من أجل المضي قدمًا - في أن يكون قائدًا لحرس ملكي وفي أن يصبح فلاحًا مسؤولاً عن أشخاص آخرين، ماشية، أراضي زراعية، مروجًا وغابات.

غدت هيلينا رفيقته الدائمة، كانت إلى جانبه طوال ساعات النهار عندما كان يزاول أعماله في الحقول، وعندما كان يتنقل راكبًا بين أراضيه، وكانت خلال ساعات الليل تضع رأسها مستريحة على ذراعيه، غالبًا ما كان يعتقد أنه يسمع صوتها متنقلاً خلال الريح بينما كان عطرها يداعب فتحتا أنفه، أن يكون الحب حلوًا جدًا ومؤلمًا جدًا بنفس الوقت فإنها كانت تجربة حياتية جديدة عليه.

خلال وليمة عيد الميلاد في فروسفيك كان الكثير من عارضي الزواج يتوددون له من الذين كانت لهم نفس القضية، لقد كانوا يريدون أن يسمعوا فيما إذا كانت لديه الرغبة بالارتباط بامرأة طالما أن خطيبته السابقة قد غيبها الموت،

حتى أخوه كان قد لفت نظره إلى أن على المرء، بعد طول انتظار أن يختار لنفسه عروسًا جديدة.

لقد بذل شجاعة بوسع هذا العالم كي يختلق عذرًا مقبولاً لا يكون جارحًا لأحد، لقد اخترع كذبة أنه بحاجة لوقت أطول من أجل نسيان خطيبته، وأنه بحاجة الآن وقبل كل شيء لكي يجد نفسه في دوره الجديد، فحياة المحارب لا تزال معلقة على ظهره، ولكن كان هناك شخص واحد لم يتحدث معه مطلقًا حول ضرورة الزواج؛ وذلك كان أبوه، على الرغم من حقيقة إنه هو الذي كان ينبغي أن يكون القوة الدافعة في هذه المسألة المهمة، أحس جيكوب أن والده يعرف عن مشاعره الممنوعة لزوجة أبيه.

كان لدى جيكوب حدسًا بذلك منذ اليوم الذي غادرا فيه ستوكهولمين من أجل التوجه نحو فروسفيك، ذلك اليوم المؤلم الذي أجبر فيه على الافتراق عن هيلينا طيلة أشهر الشتاء القاسي التي لا نهاية لها، بدأ الأب - وبلا سبب - بالتحدث عن زوجته، تحدث عن الأسباب التي أدت به للزواج بامرأة كان عمرها يقارب عمر أبناءه، ففي ذلك اليوم الذي سيكون فيه بين يدي خالقه فإنه يريد أن يكون على يقين من أنه سيترك عائلته وهي تحت رعاية قوية، ولم يكن هناك في المملكة أقوى من سلالة بيالبو، وقد كشف الأب لابنه أنه لم يتقاسم الفراش مع هيلينا إلا مرة وحيدة وكانت هي ليلة الزفاف، من أجل أن يعتبر زواجهما نهائيًا وملزمًا من الناحية القانونية، وبعد تلك الليلة لم يعودا يعيشان كرجل وزوجته، مشاعره التي كان يحملها نحو هيلينا كانت بالضبط مشاعر أب نحو ابنته.

منذ أن غير الأب موضوع الحديث فإنهما لم يتطرقا أبدًا لهذا الموضوع المشحون، في تلك اللحظة شعر جيكوب بإعجاب لا حدود له بوالده، وبشكر لا يمكن أن يوصف بكلمات، إن تلك الغيرة المرهقة والمنهكة قد ولت هاربة بخزي إلى حيث الهاوية التي تنتمي إليها، بنفس الوقت كانت تشعر فيه هيلينا أن

ذلك شيء لا يمكن الوصول إليه ونيله أبدًا، ما دام لديه شرف يحتفظ به بين جنبيه فإنه لن يكون مصدر ضرر أو مكروه يمكن أن يصيب هذا الشخص العظيم الذي هو والده، مطلقًا، إنه لن يستطيع أن يعيش بلا شرف.

كان الاسطبل واقعًا خلف الفناء، حيث كان يربط حصانه، حيا جيكوب الرجل ثم تأرجح ممتطيًا سيزار، كل صباح كان يتنقل راكبًا بممتلكاته محييًا مواطنيه، أثناء ركوبه كان يتبادل أحاديث طويلة مع هيلينا، كان جيكوب يعيش تلك الأحاديث بقوة وكأنه يراها أمامه، كان يرى عيناها الزرقاوين اللتين لونهما كلون السماء، اللتان كانتا تلتمعان كالتماع البحر في يومٍ صيفي، رأى ثنايا جسدها المغري، ثدييها المكورين الطريين، فمها الأحمر الملتهب وخصلات الشعر الذهبية الجامحة وهي تحاول الخروج من تحت غطاء الرأس المشدود بقوة، سمع صوتها، وضحكاتها الؤلؤية الواضحة وكأنها كانت إلى جانبه.

سار جيكوب راكبًا على مهل مبتعدًا عن مزرعته، من حوله كانت الطبيعة تستيقظ بعد أن نامت طويلاً خلال الشتاء، نقار خشب ينقر بنغمة مستمرة على شجرة صنوبر، فرد الحسون الظالم بصوتٍ واهن، ومن خلال الغابة جاء الغناء الحزين لبومة الغابة، وعاليًا فوق رأسه طار سرب من الأوز البري بتشكيل رائع في ذلك الجو الرطب، وعلى بعض المروج كانت بعض البجعات تصيح وهي تستمتع ببعض الراحة التي تشتد حاجتها إليها في رحلتها الطويلة إلى مواقع تكاثرها في الشمال، كانت الشمس لا تزال منخفضة في السماء، ولكنها كانت دافئة على ظهره، قفز حيوان حفار الأرض فجأة على الطريق فجفل سيزار يعدو بخجل.

كان الربيع ولادة جديدة وأمل، كان الأمل والاعتقاد أن الغيوم سوف تتبدد وأن كل شيء كان ممكنًا.. خب سيزار فرحًا بسيره، كان كل يوم يسير بنفس الطريق فكان يعرفه سواء بالذهاب أو بالعودة، عندما تقدموا نحو الساحل المتاخم لـ "هاغيفاردن" توقف الحصان حيث كان يريد جيكوب أن يفعل ذلك

دائمًا، تطلع جيكوب نحو ذلك الخليج المتجمد، في الليلة السابقة تخيل أنه يسمع صوت الجليد وهو يهدر، بالفعل كان الجليد قد انسحب من عند الشاطئ وأصبح الماء يداعب صخور الشاطئ، وهكذا خلال كل يوم من أيام هذا الشتاء كان يأتي إلى هنا، كان ينظر إلى الجليد كيف ينخلق وكيف تتشكل طرقًا جديدة.

داعبت الريح وجهه، تصلب جيكوب، حملت الريح رسالة، هاجس من الأحزان والآلام القادمة، خطر على باله مباشرة أن شيئًا ما قد حدث لهيلينا، أخذت برودة جليدية تنتشر في جسده، شعر سيزار بقلق صاحبه فارتجف منزعجًا، ربت عليه جيكوب لتهدأته.

- سنركب عائدين للمنزل سيزار، ولسوف نعدو مسرعين.. شيء ما قد حدث، أشعر بذلك بجسدي وبروحي.

بقلبٍ منقبض دفع جيكوب باب منزله الأمامي بقوة، هرعت نحوه مسرعة إحدى الخادمات، أخبرته أن وكيل أبوه ينتظره في الصالة، مشى نحو الصالة بخطواتٍ متثاقلة وبقلبٍ مهموم، نهض وكيل أعمال أبوه "بيدي كارلسون" بسرعة وتقدم نحوه مصافحًا.

- مرحبًا بك في بيتي بيدي، ما الذي أتى بك إلى هنا؟ أرجو ألا تكون قد حملت معك رسالة مؤلمة؟

سمع جيكوب صوته يتهدج..

- للأسف هو كذلك، إن أباك لا يعرف أنني هنا وأنني قد مررت على أخواتك، كان قد قرر ألا أزعجكم ولكني أشعر أن واجبي يحتم علي أن أكلمكم عما يحدث لأبيكم، فمن بعض الوقت لاحظت أنه يعاني من آلام قاسية، إنه لم يقل شيء، فأباكم ليس بالشخص الذي يرغب بالرثاء، ولكني رأيت ذلك فيه، إنه لم يأكل شيئًا منذ حوالي أسبوعين، كان يبدو كما لو أن جسده لم يعد قادرًا على استقبال أي طعام.

تطلع بيدي إلى جيكوب مكتئباَ..

- لا أعرف إن كنت وأخواتك قادرين على أن تفعلوا شيئًا لتخفيف عذابه، ولكني أردت أن تعرفوا كيف يؤثر عليه ذلك، لم أود أن أحتفظ بذلك وحدي، هذا ما كنت أريد إخبارك به، والآن فإني سأعود للمنزل في فروسفيك.

سلم بيدي كارلسون عليه مودعًا ولكن جيكوب كان بالكاد يدرك أن المأمور قد ذهب، جلس وحده طويلاً في القاعة، غارقًا بأفكاره وذكرياته، وفي أعماقه عرف أن مرض والده كان خطيراَ، وأن عليه الآن أن يكون قويًا، لقد حان دورهم لكي يقوموا هو وإخوته برعاية الأب، نادى على وكيل أعماله وأخبره باختصار أنه ينوي الذهاب فورًا إلى فروسفيك، وأنه لا يعرف كم ستطول إقامته هناك.

# الفصل الثاني والثلاثون

كانت المسافة الواقعة بين قصر الأسقف والكاتدرائية بحراً من النبيلات والنبلاء ذوي الملابس الزاهية الثمينة والملوحين براياتهم، مليئة أيضًا بالحراس المتيقظين المدججين بالسلاح، وشخير الخيول، وفي كل أرجاء المدينة دوت أصوات نواقيس الكاتدرائية كأخر تحية وداع للأسقف بنغت الذي كان قد كرس في اليوم السابق لراحته الأبدية في داخل القاعة الكبرى في الكنيسة.

كان خليفته أسقف المستقبل هو "لارس" أو"لاورينتوس" - كما كان يطيب له أن يناديه - قد شارك في الجنازة، أقارب وأصدقاء، وحتى الأعداء تبادلوا معه تحية الوداع قبل أن يعود كل منهم إلى منزله.

داخل الكاتدرائية وقفت أنغريد - أيلفا مظلمة، ووقفت كريستينا وهيلينا إلى جانب اللوح الحجري الذي سبق أن أجريت عليه مراسم بنغت، رائحة البخور ثقيلة داخل الكنيسة وكان الصمت مطبقًا تمامًا، عكس ما كان عليه الأمر في الخارج حيث الهرج والمرج يسودان فناء الكنيسة الضخمة.

كانت النساء الثلاث قد أقمن في قصر الأسقف خلال الأسابيع الأخيرة، حيث أسرعن بالمجيء إلى لينشوبنغ حالما استلمن الرسالة التي تنبئ بمرض الأسقف الشديد، جلسن إلى جانب سريره وهو يتنفس أخر أنفاسه وكانت أنغريد - أيلفا هي التي أطبقت جفنيه.

- إنني آمل مخلصة ألا يذكر بنغت على أنه قد بنى الجزء الأكبر من الكاتدرائية فقط، ولكن ومن خلال وساطته ورعايته فقد تحولت الكنيسة إلى كاتدرائية رائعة، أنا أؤمن أن أرثه الذي سيبقى هو أنه كان رجلاً صالحًا، ومندوبًا يستحق منصبه الرفيع.

كانت أنغريد - أيلفا وهي تجثو على ركبتيها تداعب بلاطة الحجر التي نقش عليها اسم ابنها.

- أنا مقتنعة أماه أن تبرعه بإبراشيته لتكون هذا المبنى الجليل لم يكن أمرًا سيئًا، ويجب علينا ألا ننسى أن خليفته لم يتبوأ منصبه إلا بفضل بنغت، والذي سينتقل إلى قصر الأسقف الذي تم بناؤه لينافس القصر الملكي في جزيرة فيسينغ.

أخذت كريستينا ذراع أمها برعاية..

- الأرض باردة أماه، من الأفضل أن تنهضي.. لدينا ما يكفي من المرضى في الأسرة، فلا يجب أن تصابي أنت أيضًا بالبؤس والشقاء.

أتى أحد رفاق بيرغر داخلاً على عجل، انحنى للسيدات الثلاث مخبراً إياهن أن بيرغر ماغنوسون يبعث لهن تحية رقيقة وأن الملك أيريك مع راغنار منيخولد ومرافقيهم يتأهبون لمغادرة لينشوبنغ الآن وهم يرغبون بإلقاء تحية الوداع لهن.

- ونحن أيضًا يجب أن نغادر أماه، فالرسول القادم من فروسفيك يخبرنا أن هناك أمرًا مستعجلاً، إن زوجي بحالة سيئة منذ اليوم السابق، هل أنت متأكدة أنك لا تريدين من أمي البقاء معك، جدتي، وأن من الأفضل أن تسافر معي؟

كانت هيلينا قد أخذت ذراع أنغريد - أيلفا وعانقتها بقوة.

- لا تقلقي علي حبيبتي الصغيرة، سأبقى هنا في لينشوبنغ لعدة أيام أخرى قبل أن أعود أدراجي للمنزل في بيالبو، أريد أن أودع ابني بهدوء وأن أتركه بسلام، بدون أن يكون حولي أي أشخاص، وأنت هيلينا سوف تحتاجين أمك إلى جانبك، فأمامك أوقاتًا صعبة وعليك أن تكوني مستعدة لتقبل أن زوجك من الممكن ألا يعيش طويلاً.

نظرت أنغريد - أيلفا بحنو إلى حفيدتها، كانت تبحث عن علامات يمكن أن تسعفها، ربما علامات فرح ولو بسيط ولكنها لم تجد، بدت هيلينا قلقة لحالة زوجها الصحية.

وقفن في الخارج على سلم الكاتدرائية، نظرن إلى ذلك الجمع الكبير من الأشخاص والخيول، إلى رايات آل أيريك ذات الأسدين المتوجين وخلفيتهما ذات اللونين الأزرق والفضي، وهي ترفرف جنباً إلى جنب مع رايات أسد آل بيالبو المتوثب، كانوا يأخذون طريقهم سوياً بين الحشود، كان هناك تبادل للعديد من الكلمات المهذبة، ولكن إلى البعيد من هنا لم يكن الجميع مهتماً بذلك، فخلف الشفقة والتعزية الحزينة الكاذبة لأولئك المتعاطفين؛ يختفي الفرح الغامر والرضا بهذا المصاب، لأن أحد أصحاب النفوذ والتأثير من آل بيالبو، السلالة ذات السلسلة الطويلة من السلطة والنفوذ قد أصبح الآن حطاماً، وكما هو الحال دائماً كان نبلاء المملكة يتجمعون متآمرين، هائمين مثل ثعابين الصيد السامة، يختبئون بصعوبة خلف كلمات الإطراء والرحمة المختلفة.

وقفت أنغريد - أيلفا خارج مبنى الكاتدرائية ترقب الجميع يبتعدون راكبين، بدأت بالفعل تفتقد أبنائها وحفيدتها، وكان العديد من المشيعين الآخرين الذين كانوا مصدر للارتياح قد بدأوا بالرحيل، أخيراً سوف تبقى وحدها مع ابنها، ستجلس إلى جانب قبره وستتبعه - بخيالها - في رحلته خلال السنوات السبع.

وحيث كانت تقف رأت أخر مرافقي هيلينا وكريستينا وهم يختفون عبر الطريق العريض، الرايات ذات الأسد المتأهب وهي ترفرف بفخر في الريح، بحثت في داخلها عن جواب، ما الذي سوف يحدث عندما تعود هيلينا إلى فروسفيك؟ هل سيعود زوجها لعافيته؟ وإن لم يحدث ذلك هل سيصبحان هي وجيكوب ستوراسون زوجان إذن؟

شهقت شهقة عميقة عندما استدارت عائدة نحو قصر الأسقف، كان الأبناء والأحفاد في الواقع أجزاء متساوية من خبز الحياة وملحها.

كان أمام هيلينا وكريستينا ومرافقيهما رحلة طويلة، كان طريق غوتا الواسع يتلوى خلال الغابات الواسعة المهجورة، الأراضي الزراعية المبتسمة، الخلجان العميقة والبحيرات المتلألئة، سوف يسافرون عبر مزارع النبلاء الواسعة، القرى وتلك المدن الصغيرة نيشوبنغ وسودرتاليا قبل أن يصلوا إلى ستوكهولمين ثم فروسفيك.

كان ذلك أواخر شهر نيسان/ أبريل حيث تقف أشجار البتولا وسط حجابها الذائب، اكتست منحدرات الغابات بثوب الربيع الزاهي، وتزينت بسجاجيد من شقائق النعمان، الزهور الكبدية الزرقاء وباقات من زهور الربيع الصفراء، في الفسح المشمسة بدأت أولى الزنابق بالظهور ناشرة عطرها في الهواء، ولكن شهر نيسان/ أبريل كما هي الحياة، لا يمكن التنبؤ بهما، ففي أي وقت كان يمكن أن يتحول ذلك اليوم الربيعي المشرق إلى عاصفة هوجاء.

رمقت كريستينا ابنتها التي كانت تركب إلى جانبها بنظرة سريعة، كانت هيلينا كعادتها تركب على فرسها فاتحة ساقيها كما يفعل الرجال وليس مثلها حيث كانت تستخدم سرجًا مخصصًا لركوب النساء، كان يبدو على ابنتها أنها تغوص في تفكير عميق، وكانت كريستينا تتسائل عما كان يشغلها من أشياء، هل تفكر بنفس الحزن الذي غمرها وهي تجلس قرب فراش موت بنغت؟ ذلك الوقت الذي جعلها حتى الآن وبلا هوادة تتذكر زوال الحياة، لقد فقدت ثلاثة من أخواتها الأربعة، شحذ ملاك الموت منجله فذهب بعيدًا بأسرتها، وقريباَ ستقف هي نفسها بالدور، بالفعل فقد حصل أن عاشت أطول من غالبية النساء، بالضبط كأمها.

ولكن أنغريد - أيلفا لم تكن كالأخريات، لقد بدا كما لو أن الموت قد تجنب أم سلالة بيالبو، والآن فإن ملاك الموت قد توقف إلى جوار سرير ستورا ألوتسون،

هل ستكون هيلينا مجبرة منذ الآن على حراسة سرير موت؟ هل كان زوجها من كانت هيلينا تفكر به؟ أو ربما كان ذلك تساؤلاً عن ابنه؟.

هذا القلق الذي شعرت به جراء حب هيلينا المحرم لجيكوب، وتلك العواقب الوخيمة التي من الممكن أن تحطم مكانة العائلة، إذا ما توفي ستورا ألوتسون فسيكونان هيلينا وجيكوب قادرين على الارتباط ببعضهما بعد انقضاء أيام الحداد، إن لم تستطع عائلة جيكوب إقناعه خلال فصل الشتاء على الارتباط بامرأة أخرى من الطبقة الراقية، كان ذلك من المرجح ما قد تم القيام به لأنه في ظل تلك الظروف فإن ذلك سيكون هو الحل الأمثل إذا ما استرد ستورا عافيته، كان قلقها الآن هو كيفية مواجهة هيلينا حقيقة أن يكون جيكوب مرتبطًا.

قبضت كريستينا على لجام حصانها بقوة وهي تعاني من ألم في معدتها نتيجة التوتر، كان ذلك يمكن أن يسحق هيلينا ويحرمها من كل رغبة في العيش، إن الخطوبة لا تحطم الإنسان، ويمكن للشرف المفقود أن يتم استرجاعه بقوة السلاح.

حلق غرابان أسودان فوق رأسيهما، حط الطائران على شجرة بلوط ضخمة على جانب الطريق الواسع، وتردد نعيقهما في ذلك الصمت المطبق فوق الغابات والحقول، أبحرت غيمة رصاصية في الأعالي حاجبة الشمس والدفء، ارتعشت كريستينا فتدثرت بقوة عباءتها السميكة، عليها أن تجعل هيلينا على استعداد لتلقي خبر أنه من الجائز ألا يكون حرًا، فإذا ما أخذت البنت علمًا بذلك قبل أن تصلا إلى فروسفيك فإنها تكون مجبرة على إخفاء مشاعرها، ووجهها سيكون ككتاب مفتوح، إذا ما كانت هي وجيكوب قد نجحا في إخفاء حبهما سرًا حتى الآن فإنه لن يكون ملائمًا أبدًا أن يخفياه بعد أن - ربما - يذهب ستورا في رحلته الأبدية.

حدقت هيلينا أمامها وهي لا ترى شيئًا حيث كانت تمتطي فرسها، كانت أفكارها مع ستورا، هذا الطيب، الرجل المليء مروءة الذي كان زوجها والذي تقدره كثيراَ، كان مملوءاَ بحب الحياة والحيوية عندما افترقا بذلك اليوم في ستوكهولمين، والآن فإنه ملقى - حسب الرسول - يكافح من أجل البقاء، كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ ولكن ألم يكن ذلك ما حدث بنفس الطريقة مع خالها الذي كان أصغر سنًا بشكلٍ واضح، لغز الحياة الأبدي.. بدا لها الأمر كما لو أن الموت يختار ضحاياه عشوائيًا، لماذا كان على خلاف ذلك - حتى أنهم كثيراَ ما كانوا صغارًا جدًا، طيبي القلب، وصالحين - هم الذين يختارهم شبح الموت بينما يترك الأشرار والطغاة ينعمون بالحياة؟

صوت نعيق حاد جعلها ترفع نظرها للأعلى، زوجًا من الغربان يجلسان متأرجحين على غصن، رمقتهما للحظة بنظرة متحجرة قبل أن ينشرا أجنحتهما ويختفيان طائرين، في تلك اللحظة تمنت هيلينا لو أنها هي أيضًا تمتلك جناحين، لو أنها تستطيع أن تحلق في الفضاء وبسرعة الريح تقطع ذلك الطريق الطويل حتى نورسفيك، كان عدم اليقين حملاً ثقيلاً.

- هيلينا، حتى وإن كان الأمر سيئًا يجب علينا أن نتحدث عما ينتظرنا في المستقبل، قد يكون الأمر سيئًا للغاية بالنسبة إلى زوجك فنجبر على حضور جنازة أخرى، بالطبع لا ينبغي أن نتوقع الحزن مقدمًا، ولكن عليك مع ذلك أن تكوني مستعدة لتقبل الأسوأ، فإذا ما مات ستورا فإن ذلك سوف يحمل لك تغييرات كثيرة، فأنت لن تخسري زوجك فقط ولكن ستخسري بيتك أيضًا، فروسفيك سيرثها أكبر أبناء ستورا وربما سيكون من الصعب عليك العيش هناك.

تحدثت كريستينا بينما كانت تبحث عن طريقة لطيفة للتعبير عما تريد قوله حقيقة، كانت هيلينا تستمع بهدوء تام..

- آمل مخلصة أن يبقى أبناء ستورا كما هم الآن وأن يساعدوا بعضهم بعضًا محتفظين بقوتهم من أجل والدهم، وربما يسعد جيكوب أباه من خلال ارتباطه بامرأة نبيلة مناسبة، أنا أعرف أن العائلة تشتاق لذلك.

برعب رأت كريستينا كيف أن كل الألوان قد اختفت من وجه هيلينا، بلا سابق إنذار ضغطت بشدة على جانبي فرسها نايك وجعلتها تعدو بتهور، كلمات أمها كانت كطعنة تلقتها بقلبها.

كانت ساعة الذئب، تلك اللحظة من النهار عندما تكون الروح كأضعف ما تكون، وعندما يكون الموت كأقوى ما يكون؛ عض ستورا ألوتسون على الألم الذي لا يرحم والذي يأكله من الداخل، إنه يتخيل كما لو أن جرذانًا جائعة تمزق أحشاءه شيئًا فشيئًا، كانت ما تزال لديه أمنية وحيدة في الحياة، هي أن ينال الموت، ولكن كان لديه عملاً واحدًا متبقيًا عليه أن يقوم به قبل أن يتمكن من مغادرة هذه الحياة، لذلك فقد خرج إلى الخارج، كان ملاك الموت قد أضاء مظهرًا نفسه فوقه وقد رجاه أن يمد له الوقت قليلاً.

رفع يده إلى فمه كي يمنع صرخة ألم كادت تخرج من خلال حلقه الممزق، بالتأكيد لم يكن راغبًا بإيقاظ جيكوب الذي كان ينام على السرير الذي جلبه إلى غرفة نومه، جيكوب الذي أتى إلى فروسفيك يملاءه القلق، والحزن متبديًا في عينيه وهو يريد أن يستمع إليه.

في أي وقت كان يستيقظ فيه من اليوم كان يرى جيكوب كالمسكن يقف إلى جانبه مستعدًا لمسح العرق عن جبينه، أو يسرد عليه قصصًا ممتعة عن الترويج ليروح عنه ويبدد أفكاره، ولكن منذ اليوم السابق أصبح ستورا منهارًا تمامًا، وسريعًا ما سوف تكون طاقته قد نفذت تمامًا، ولكن كان هناك شيئًا متبقيًا عليه فعله، عليه أن يناضل لكي يحتفظ بالحياة لحين قدوم هيلينا، فلديه شيء مهم يجب أن يقوله لها.

# الفصل الثالث والثلاثون

صعدت توريد نحو سطح القلعة عند مزاغل الرمي حيث كانت تلك أعلى مكان يقع في ستوكهولمين، كان ذلك هو ما تفعله صباح كل يوم وفي المساء عندما يبدأ الشفق الأزرق بالهبوط نحو الأرض والبحر، محدقة نحو الجنوب، إلى البعيد حيث طريق غوتا الواسع الذي يتلوى وحيث يقع جسر الجنوب، كانت تنتظر مقدم هيلينا بفارغ الصبر، وكانت في كل يوم يمر من دون أن ترى أي ركاب سواء من فروسفيك أو من عائلة بيالبو وهم يحملون راياتهم المرفرفة، تصبح أكثر قلقًا، كانت الأخبار التي تصل من فروسفيك غير مطمئنة وكانت توريد تخشى ألا تتمكن هيلينا من إلقاء تحية الوداع على زوجها.

قدم الربيع إلى ستوكهولمين وكان جميع العاملين منشغلين تمامًا بالعمل، كان بيتهم هي ودافيد ولايف يتوسع ببطء، حتى أنهم أسموه مزرعة الحداد، ومن هناك من عند مزاغل الرمي كانت تستطيع أن ترى زوجها واقفًا يتحدث مع النجار المسؤول عن العمل.

ربتة طرية لينة جدًا حتى إنه كان من الصعب عليها ملاحظتها؛ جعلتها تضع يدها على بطنها.. طفل، ثمرة الحب النقي بينها وبين دافيد تنمو بداخلها، سبق لتوريد ودافيد أن تم تكريسهما زوجين بتلك الكنيسة الخشبية الصغيرة قبل سفر هيلينا وكريستينا إلى بيالبو، كان ذلك أول زواج يعقد هناك، ولقد دعي إلى حفل الزفاف كل الذين يعيشون ويعملون في الجزيرة.

خلال الشتاء الذي مضى كانت عائلتها الصغيرة تعيش في منزل هيلينا وستورا بانتظار اكتمال العمل في مزرعة الحداد، سمعت توريد دافيد يردد اسمها ويشير إليها من مكانه، استدارت عائدة، وكما هي دائمًا اكتست بالدفء لمجرد شعورها أنها سوف تتمتع بمرآه، كانت قد انتقمت من حياة العبودية من خلال

المصالحة مع الماضي، ومن خلال مسامحة أولئك الذين سببوا لها الألم، تنظفت من كل شيء قديم وبدل ذلك أفسحت المجال لذلك الحب الذي منحها إياه دافيد، تستيقظ كل صباح بمشاعر عميقة من الامتنان للحياة، والآن فها هي الربتة، ناعمة وطرية كأنها جناح فراشة.

فجأة بدت الرايات المرفرفة واضحة للعيان، أمعنت توريد النظر، بعد طول صبر ظهر شيئًا على الطريق الواسعِ، موكبًا كبيراً في الطريق قادمًا نحو طرف الجسر الجنوبي، خفق قلبها بشدة فرحًا وسعادة عندما تعرفت إلى ذلك الشعار المكون من رأس الأسد النسر الأسود وشعار الأسد المتأهب على الرايات ذات اللونين الأصفر والأزرق، أخيراً ها هي هيلينا هنا، أسرعت توريد بالنزول على سلم البرج الملتوي.

بدت ستوكهولمين وكأنها تعوم بحرية على سطح الماء الأزرق، وكأنها سراب أو حلمٌ أخضر، انطبقت حبال حنجرة هيلينا على بعضها بلا حراك، هنا كان منزلها على هذه الأرض، مهما حدث في الحياة فإن هنا نقطتها الثابتة في حياة متغيرة التكوين، هنا على هذه الجزيرة المحاطة بالجمال والملح تريد أن تسكن وتعيش.

بشعور كأنه العبادة، سارت راكبة عبر الجسر الخشبي المحدب محيية الحرس الذين ينظرون باهتمام لكل من يقصد ستوكهولمين، مدينة هيلينا سغتريدزدوتر.

على أجنحة الريح طارت الرسائل التي تنبئ بمقدم هيلينا فتجمع السكان، البناؤون، التجار صيادو السمك والفلاحون في الساحة، كانت مشاعر من السعادة والألم بنفس الوقت، السعادة لرجوعها، والألم لأن أيام ستورا المحبوب قد غدت معدودة.

بصحبة أولف المتبختر وهو يدور حول السيقان عانقت هيلينا وكريستينا كلا من توريد، لايف، دافيد، بيريتا وكل معارفهما، سقت توريد جميع المتوافدين

العطاش جعة ذات رغوة، وقعت على عاتق دافيد تلك المهمة الثقيلة لإخبار هيلينا أنها لا تستطيع المكوث طويلاً في ستوكهولمين، عليها أن تكمل طريقها إلى فروسفيك فالوقت كان قصيراً.

على وجه السرعة جلست على ظهر نايك، أشارت لاثنين من الحراس بمرافقتها، الأم وجزء من المرافقين سوف يتوجهون إلى هناك بأسرع ما يستطيعون، انطلقت هيلينا راكبة بسرعة، بكل سرعة.

تابعتها توريد بنظراتها عندما انطلقت بالطريق نحو الجسر الشمالي، يحيطها حارسيها، وركض أولف يائسًا ورائهم.

وصلت هيلينا إلى فروسفيك منهكة، يغطي ملابسها الوحل، جاءت إلى بيت الحزن، الحزن الذي جلس حتى على الجدران، استقبلها كاهن فروسفيك الوديع سيمون أيدفيسون، أخبرها أنه قد أخذ التناول بالفعل، وأنه كان هناك من أجل أن يسمع اعتراف الرجل الذي يشارف على الموت، جلب معه خبز التواصل، وقد حمل خادم الكنيسة معه شمعة وناقوسًا صغيراً، عقد سيمون يديه شاكرًا الرب أنه قد استجاب لصلاته في أن تصل هيلينا قبل نفاذ الوقت.

- دعينا ندخل لزوجك هيلينا، أبناؤه بالفعل قائمين على حراسته عند سريره، السيد ستورا يسأل عنك باستمرار، أنا أشعر أن ما يجعله محتفظًا بالحياة حتى الآن هو تلك الرغبة القوية في أن يراك لمرة أخيرة.

تناول سيمون يد هيلينا بكل رعاية وقادها خلال البيت إلى غرفة نوم ستورا، فبعد التناول الذي أعطاه امتلأ المنزل بالأقارب، الأصدقاء والمواطنين الذين يريدون الصلاة للمريض، نظروا جميعهم إليها بعطف عندما مرت بقربهم بصحبة القس.

حاولت هيلينا أن تكون قوية قبل أن تجتمع إلى زوجها، ولكن لا شيء كان يمكن أن يساعدها على تحمل ما رأته عندما دلفت إلى غرفته، تلك القامة الطويلة، ذلك الرجل القوي الذي ودعته في الخريف الذي مضى، كل ذلك لم

يعد موجودًا، في الفراش يستلقي بدلاً منه مجرد رمز من كومة يابسة تذكر على الأغلب بالهيكل العظمي.

جثت على ركبتيها إلى جانب سريره، أمسكت بيده الضخمة بينما تسابقت الدموع فوق وجنتيها، ببطء وصعوبة فتح ستورا عينيه وشبح ابتسامة باهتة انتشرت في جميع ملامح وجهه المعذبة.

- أتيت، هيلينا، أتيت.. أشكر الله لأنه قد استجاب لدعائي.

كان صوت ستورا ضعيفًا تمامًا حتى أنه كان من الصعوبة فهم كلماته.

- الآن، وبقلب متحرر أستطيع أن أترككم، ولكن أولاً هناك شيء أريد أن أقوله.

بحركة ضعيفة من يديه أوضح أنه يريد منهم الاقتراب جميعًا، أولاده الثلاثة، هيليغا، هيرمان، وجيكوب، الذي جثا أيضًا على ركبتيه وانحنى أمامًا ليتمكن من سماع ما يمكن أن تكون أخر كلمات أبوه.

- مرة أخرى، أريد أن أشكركم أبنائي، لكل تلك السعادة والبهجة التي غمرتموني بها، أنا رجل سعيد جدًا وكانت حياتي مباركة بكل شيء، ولكن بقيت هناك رغبة واحدة لي في هذه الحياة.

شعرت هيلينا بيده الضعيفة وهي تضغط على يدها بقوة.

- جيكوب، أعطني يدك.

أخذ جيكوب يد أبيه بيده، كانت ضعيفة جدًا وصغيرة جدًا.

- هيلينا، عندما أجبت بنعم على سؤال ولي أمرك إذا ما كان يمكنني أن أفكر بالزواج من ابنة أخته فقد كان لذلك دوافع أنانية تمامًا، أردت أن تتمتع عائلتي، أبنائي، ابنتي بالتبني وأحفادي بحماية قوية، لقد عشنا أوقاتًا شريرة صعبة كثيرة في مملكتنا، وكان يصعب العثور على عائلة مثل عائلة بيالبو بإمكانها منحنا ذلك الأمان.

تنفس ستورا بصعوبة، كان يبذل جهدًا كبيراً وهو يضغط على الكلمات.

- ولم أكن أعلم أن عروستي الشابة ستجلب أيضًا الكثير من الفرح والإثارة غير المتوقعة في حياتي، لقد احتفظت بالكثير منك هيلينا، وأريد أن أشكرك لكل ما قدمته لي.

نظر ستورا نحو هيلينا بمنتهى الحنان.

- والشيء الوحيد الذي يقلقني الآن، عندما تشارف حياتي على نهايتها، هو الألم الذي سوف يصيب عائلتي عندما لا أكون موجودًا، لذلك فإن لدي رجاء عندك هيلينا ورغبة أبوية لديك جيكوب.

أصبح تنفس ستورا أكثر صعوبة وصوته أكثر ضعفًا.

- إن بيرغر ماغنوسون، أكثر من أي شيء آخر، هذا الشخص هو الذي سوف يكون ملكنا القادم، إنه مستقبل بلدنا، لقد كنت على قناعة بذلك منذ أن التقينا أول مرة، عندما أموت سينفرط العقد مع سلالة بيالبو، وهذا شيء لا أريده أن يكون مطلقًا، لذلك أرجوكما هيلينا وجيكوب أن توافقا على أخر أمنية لرجل يموت، أرجوكما أنتما الاثنان من أعماق قلبي أن ترتبطا كزوجين بأسرع ما تسمح به التقاليد.

شعرت هيلينا كأن الأرض تميد من تحتها، وشعر جيكوب كيف أحرقت الدموع وجنتيه.

- كوني الولي عليك جيكوب، هل أستطيع أن أفرض عليك إرادتي، ولكن هذا ما لا أستطيع أن أفعله معك هيلينا بصفتك أرملتي، فالأمر متروك لك لاتخاذ القرار حول مستقبلك، أطلب منك أن تفكري مليًا حيث أنك بحاجة لرجل قوي إلى جانبك إذا ما أردت لخططك عن ستوكهولمين أن تتحقق.

سكت ستورا، أغلق عينيه، اجتاحته موجة جديدة من الألم، استجمع ما تبقى لديه من قوة فأخذ يدا هيلينا وجيكوب على صدره.. وجد هيلينا وجيكوب نفسيهما غارقين في مشاعر غير واقعية تمامًا، ومرة أخرى تذكرهما الحياة أنه عندما ينام الحزن في سريرهما، تجلس السعادة مستيقظة بهدوء عند مائدتهما.

- إنني أنتظر جوابكما.

فتح ستورا عينيه ناظراَ اليهما، هو يعرف - مسبقًا - جوابهما ولكنه كان يرغب أن يسمع ذلك ابنيه الآخرين، هيلغا وهيرمان.. كان صوت جيكوب غائم بالحزن والكبت عندما أعطى جوابه.

- أنا، جيكوب ستوراسون، أعد وأقسم أني سأعمل بما تأمرني به وسأتزوج بهيلينا سيغريدزدوتر إن هي أرادت ذلك.

ولأول مرة منذ أن دخلت هيلينا إلى الغرفة التقت نظراتهما سويًا، كانت واحدة من لحظات الحياة التي لا تنسى، بكت هيلينا، بكت من ألمها العميق، بكت إعجاباً وامتناناً لنكران الذات عند هذا الرجل الذي يموت، وبكت لتلك السعادة التي لم تكن متوقعة.

- نعم ستورا، أنا هيلينا سيغريدزدوتر أعد وأقسم أني سأعقد قراني على ابنك جيكوب ستوراسون، وأن عائلتي ستأخذ على عاتقها دائمًا تقديم الحماية لتركتك.

انهارت قوى ستورا، وطلب القس سيمون من كل الأحبة أن يتركوا الغرفة، كان الوقت قد حان لكي يستمع لأخر اعتراف من الرجل المشرف على الموت، سوف يعطى ستورا المغفرة والتواصل قبل أن تتلاشى الحياة، كان الراهب يعتقد أن هناك قلة من الناس القادرين على لقاء خالقهم بعقل نقي كما سيتمكن من ذلك كبير عائلة فروسفيك.

سبق وأن جلس سيمون إلى العديد من المشرفين على الموت، يتحدث مهدئًا وناصحًا لتخفيف الخوف من الموت ومنع الشيطان من جذب أرواح الموتى إليه، في الرحلة الطويلة لكل إنسان، عالي الشأن أو واطئه، الحصول على فرصة واحدة لطلب الصفح من الخطايا المخفية وأيضًا المغفرة لأولئك الذين أخطأوا معهم.

كان سيمون كالعادة يريد طرح سؤال فيما إذا كانت هناك أي مسروقات يجب أن تعاد إلى أصحابها الشرعيين، ولكنه توقف عن طرحه فإنسان شريف مثل ستورا كان يصعب العثور على مثله.

مع حماس صادق ككاهن طلب سيمون غفران الخطايا لستورا ثم التواصل، مسح بالزيت المقدس عينا ستورا ألوتسون، أذناه، شفتاه، أنفه، يداه وأقدامه، أشعل شمعة كان خادم الكنيسة قد حملها معه، وبدل أن يضعها في يد ستورا العاجز فقد وضعها على حامل شمع إلى جوار رأسه، ثم عقد يديه وقرأ عدة صلوات من أجل خلود نفس ذلك النبيل قبل أن ينادي على هيلينا والأبناء.

شعر ستورا بوجود أحبته إلى قربه وقد كان هادئًا، هدأت الآلام وكان مستعدًا، من خلال جفونه المغلقة اخترق ضوء ساطع، ضوء مشرق واضح لم يرَ له مثيلاً من قبل، لم يكن ملاك الموت الأسود هو من يقف إلى جانب سريره؛ بل كان مخلوق مشرق بضوء أبيض لامع هو من قدم له يده بلطف ودعاه لمرافقته، سارا معًا فوق جسر مضيء وكان ستورا سعيدًا كما لم يكن في أي يوم مضى.

رجل عائلة فروسفيك المحبوب مات؛ رجل غسل جسده والتف برداء أبيض، قرأ الكاهن صلاة بينما كان يعطر الجسد بالماء المقدس، وفي كنيسة فروسفيك قرعت النواقيس منبأة أن ستورا قد غادر الآن حياة الأرض، وقد أخذ صدى الأجراس الشر نحو البعيد.

عندما حطت كريستينا رحالها في فروسفيك مع مرافقيها كان ستورا ألوتسون قد مات للتو، ألقت هيلينا نفسها بين ذراعي والدتها باكية بعنف، أصبح المنزل مليئًا بالأشخاص المحزونين وانشغلت الخادمات بتقديم الجعة والمعجنات المعدة حديثًا.

في الأيام القادمة سيسجى الجسد الميت في الكنيسة، كان هناك ألف شيء على المرء القيام به، فهمت كريستينا أن هيلينا وفي ظل تلك الظروف لا يمكنها التعامل مع جميع المتطلبات كزوجة، وأنها بالتالي يجب أن تبقى إلى جانبها.

- هيلينا يجب عليك أن تنتهي من كل ذلك تمامًا، ما تحتاجينه هو الراحة، سوف أهتم بكل ما تحتاجينه لكي تكوني مستعدة، تعالي الآن، سأرافقك إلى مخدعك، عليك أن تنامي.

بلا اهتمام كبير تبعت هيلينا أمها، شعرت أن كل مشاعرها التي تمور في داخلها قد غدت مخدرة، كان الحزن على ستورا كأنه ثقب أسود حيث كان هناك ذنبًا وكان هناك عارًا، العار من تلك السعادة التي شعرت بها حين تحول المستحيل، بفعل موت إنسان آخر إلى ممكن، والذنب في أنها لم تتمكن أن تحب زوجها بالطريقة التي كان يجب على المرأة الصالحة أن تقوم بها، لم تتجرأ على أن تترك سعادتها، أو أن تجعل ذلك محبطًا جدًا، غير مناسب، وغير شرعي جدًا، أولاً يجب عليها أن تحزن، وأن تعطي لذكرى ستورا الوقت الذي يستحق، ولكن رغبة ستورا كانت صريحة في أن يرتبطا هي وجيكوب بأقرب وقت ممكن، هل كان ذلك مناسبًا بالفعل؟.

تمرغ الصراع بداخلها، ثقيلاً ومؤلمًا، بالكاد أدركت أن أمها قد طلبت منها الاستلقاء، ومن بعيد شعرت كم كان عمق لهفتها عليها، فراش ناعم وتقبيلها لوجنتيها، وراحت هيلينا بنوم عميق خالي من الأحلام.

وقف جيكوب وإخوته داخل القاعة يتقبلون تعازي الأقارب والأصدقاء، استلقى أولف الحيوان الأشعث تحت قدميه، رأى كريستينا وهي تلقي ذراعها حول هيلينا تقودها خارجة من القاعة، كان وجهها شاحبًا متعبًا، كان يريد أن يتبعهما أكثر من أي شيء آخر، أن تكون هيلينا على ذراعيه لكي يخبرها كم يحبها.

ولكنه كان يعلم جيدًا أن ذلك غير مناسب إطلاقًا، ليس الآن، وليس في مثل هذه الأيام. ربما قريبًا ستسنح الفرصة لديهما للحديث، ما تحتاجه هيلينا الآن هو الراحة، ووقت لكي تستوعب ما حدث.

خلال الوقت الذي أمضاه مستيقظًا بالقرب من سرير أبيه كان قد اعتاد على فكرة أن أيامهما معًا تقترب من نهايتها، وذلك الذي لم يقولاه لبعضهما لم يعد هناك متسعًا من الوقت لمناقشته، على الرغم من أن رغبة أبيه الأخيرة أتت كبرق من سماء صافية تمامًا، كانت هدية رائعة من رجل عظيم، رجل عاش بمنتهى الكرم والأخلاق إلى أخر رمق فيه، وكما تعود دائمًا أن يعيش.

حتى تقدم إليه صديق لأبيه يقدم تعازيه له ولإخوته أضطر لأن يبعد تفكيره عن هيلينا، كان الحاضر ملك لذكرى أبيه، أما المستقبل فهو لهما، هو وهيلينا.

كان السهر عند الجثة، الذي استمر ساعات المساء والليل يحمل الكثير من علامات الحزن، بالتأكيد كان الشوق لستورا ألوتسون كبيراً، ولكن السهر عند جسده كان فيه أكثر من امتنان لذلك الذي يعني الكثير للعديد من الناس، عندما أشرقت الشمس في الشرق معلنة ولادة يوم جديد، حمل جثمان كبير العائلة على نقالة إلى الكنيسة، وقد تبعه الكثيرون.

بدأ الراهب سيمون أيدفينسون بمراسم الجنازة، القداس باللاتينية، واستمعت هيلينا إلى القليل الذي تعرفه من اللغة الكنسية، بعد ذلك كلمة عن الفقيد، وقد جعلت كلمات الراهب الجميلة الكثير من عيون الحاضرين تغرورق بالدموع.

خلال مراسم الدفن وقفت هيلينا إلى جانب أمها، كانت فترة الراحة التي حصلت عليها قد جعلت أفكارها أكثر وضوحًا ولكنها كانت متعبة الروح، حصل الكثير خلال وقت قصير جدًا، توفي خالها، تلك الرحلة الشاقة الطويلة نحو المنزل في فروسفيك، صدمة رؤية ما فعله المرض بزوجها، ثم أخر رغباته التي لم تكن منها ومن جيكوب، وقبل أن يتح لها الوقت لكي تفهم حقًا معنى رغبته فقد ودعهم وبدأ رحلته الأخيرة بابتسامة على وجهه.

والآن ها هي تقف في الكنيسة قرب النقالة التي وضعت عليها بقايا ستورا الدنيوية، حيث ستتم مباركته بالبخور والماء المقدس لأجل الصلاة على روحه.

سوف يدفن كبير عائلة فروسفيك تحت المذبح، وخلال الليل قام أبناؤه، هيلغا، هيرمان وجيكوب بحفر قبر بأرضية الكنيسة وها هم يتعاونون الآن على إنزال جسد الأب إلى قبره، وقد صلى سيمون وقرأ عدة أجزاء من المزامير ثم سكب ثلاث جرفات من التربة بنفس الوقت الذي كان يعظ فيه بصوتٍ عالٍ:

- من التراب خلقتني، وباللحم كسوتني، يا مخلصنا ابعثني في يومي الأخير.

تلاشى صوت سيمون، بالنسبة لهيلينا أصبحت كلماته كموجات خافتة بصفحة ماء مستوية، تحرك الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير في إصبعها، نفس الضباب الذي احتضنها في أول ليلة عيد الميلاد في كنيسة فروسفيك؛ عاد من جديد يغطي قاعة الكنيسة فيخفي ما هو موجود حولها عن ناظريها.

بالقرب من سيمون عند المذبح وقف ضوء أبيض ناصع يرسل شعاعًا من السعادة والسلام، تعرفت هيلينا إلى زوجها المتوفي، رأته يبتسم إليها واختفت كل مشاعر الإثم والذنب في حبها الممنوع لجيكوب، سمعت بداخلها صوت ستورا وكانت كلماته كالبلسم لجروحها.

- الحياة مقدسة هيلينا، كل لحظة فيها لها ثمن عظيم، وأكبر منحة من الرب إلينا نحن أبناؤه هي قدرتنا على أن نهب الحب ونأخذه، أحبي ابني واجعليني سعيدًا، بادليه الحب وسوف تكون سعادتي كبيرة.

وكما فجأة أتى ذلك الضباب المتفرق، انكسر السحر، عادت هيلينا إلى واقعها، سمعت أن سيمون قد قرأ مزمورًا ثم طلب المزيد من الصلاة قبل أن يقوم جيكوب وأخواه بتجريف المزيد من التربة لإغلاق القبر، كان اللوح الحجري الذي من شأنه أن يظهر أين يرتاح جسد ستورا ألوتسون لم يكمل بعد، وكانت الأرض العارية سوداء مثل سواد العين، شارفت مراسم الجنازة على الانتهاء، وبصمت مهيب سار رجل خارجًا من الكنيسة.

استمر السهر على ستورا ألوتسون حتى صباح اليوم التالي، وخلال وجبة الطعام الجنائزية جلست هيلينا بالقرب من جيكوب، كان أخواه يعرفان أخر رغبات

والدهما، ولم يكن أيًا من المدعوين منزعجًا لجلوسهما سويًا فالمرء يفترض أن لديهما الكثير لكي يتحدثا عنه.

خلال مائدة العشاء الوفيرة جلسا وقد عقدا يديهما بيدي بعضهما، وجلس أولف خلفهما بالضبط، فرحًا لأن أحبته قد اجتمعا الآن.

- جيكوب، بأقرب فرصة وحين يكون ذلك لائقًا سأسافر إلى ستوكهولمين، فهناك أرغب أن أسكن وأعيش، إن فروسفيك لم تعد منزلي، وهي لم تكن كذلك أبدًا.

أمعنت هيلينا النظر بجيكوب، ارتعدت قليلاً لجوابه.

- تريدين أن تكوني هناك هيلينا، وكذلك أريد أنا أيضًا، إذا اخترت البقاء في بقعة تعصف بها رياح بحر البلطيق أو في كوخ من الأغصان اليابسة في الغابة فسوف أكون معك، إن الشيء الوحيد الذي له معنى هو أن نعيش سويًا، ولم أكن اعترف بالمعجزات سابقًا، ولكني اليوم أؤمن بها بشدة.

بدأ اثنان من الأطباء المعويين بالعزف على الفيولين والهرمونيكا، سرعان ما سيبدأ الضيوف بالغناء غناء يتناسب مع الحدث.

بعد يومين من السهر وجدت كريستينا منيخولد نفسها وحيدة في كنيسة فروسفيك، حيث جثت على ركبتيها عند المذبح، إلى جانب قبر ستورا، كان هناك شيئًا تريد أن تقوله له..

- عزيزي، صديقي العزيز.. أريد أن أشكرك لعملك بنكران ذات وطيبة قلب، لقد مت كما عشت، ساهرًا على مصالح الآخرين، إن الشكر لأنك أسبغت السعادة على ابنتي وعلى ابنك لا يمكن أن يوصف بكلمات، أستطيع الآن أن أنام مطمئنة، ستستطيع هيلينا إكمال مشوار حياتها بدون أن تحتاجني، أستطيع الآن أن أسافر إلى ابني وعقلي مملوء بالسلام لكي أكون إلى جانبه حين يرى أول أحفادي ضوء النهار.

وضعت كريستينا باقة قطفتها للتو من أزهار الربيع الصفراء عند قبر ستورا ألوتسون قبل أن تخرج مستقبلة يومًا جديدًا.

# الفصل الرابع والثلاثون

ليالي الشتاء كانت متلألئة والبرد قارس، نثر القمر فضته فوق ذلك البحر المتجمد، فوق الجزر النائمة والغابات ذات الرذاذ الأبيض، وهناك في ستوكهولمين يرخي الليل سدوله على النائمين بعمق، أشخاص وحيوانات، ولكن أشعة فوق بنفسجية طاردة لليل كانت تجلس عند فرع شجرة متجمد ترقب شخصين، رجل شاب وامرأة شابة وكلبهم الأشعث حيث كانوا يلهون بالثلج الأبيض، بنى الرجل والمرأة فوانيس الثلج حول منزلهما، وللمتجول الذي يأتي سائرًا على جليد بحر البلطيق، فإن تلك المصابيح تشبه نجومًا سقطت لكي تزين سطح الأرض.

ألقت هيلينا بجسدها على الثلج الناعم وقد عملت من جسمها شكل ملاك، ومن هناك نظرت إلى السماء السوداء، القمر والنجوم، كانت مملوءة تواضعًا واندهاشًا بما صنعته، تمدد جيكوب إلى جانبها واتخذ مثلها شكل الملاك، وكان أولف يلعب فرحًا بينهما.

شبكا يديهما واستلقيا لحظة بلا حراك عدا فرحتهما بوجودهما قرب بعضهما، التف جيكوب على جانبه، انحنى فوق هيلينا وقبلها بحنان وصدق، ثم أصبحت الرقة رغبة جامحة.

- ليس هنا جيكوب.. الجو بارد جدًا.

نهضت هيلينا ضاحكة وجنبًا إلى جنب مشيا، رجل وزوجته بخطوات ثقيلة وسط ذلك الثلج السميك نحو منزلهما، وحلقت بومة مبتعدة نحو مستوطنتها.

في داخل غرفة نومهما كانت النار مشتعلة في الموقد المفتوح، زادت قطع الحطب من اللهب الأحمر، لقد كانت غرفة للحب الصادق، مليئة بالفرح الغامر والعاطفة الجامحة، غُطيت الأرضية بالسجاجيد، أما الجدران الخشبية فقد غطيت بقماش ذو ألوان رائعة مشرقة، وكان في الغرفة سريرًا عريضًا، عمل

خصيصًا للهو والاستمتاع، غاصا بعشهما بعيدًا عن العالم الخارجي المليء بالرغبات والمتطلبات، هنا قضيا ليلة زفافهما، هنا ولأول مرة ناما على ذراعي بعضهما، الرأس يقابل الرأس، والقلب يقابل القلب، وتلك السعادة التي شعرا بها كانت مؤلمة - تقريبًا - في قوتها الهائلة، بنفس الوقت الذي كانت فيه شفافة كأي يوم ربيعي متردد، واضحة كليلة باردة، وساخنة كشمس يوم صيفي حار، في كل ليلة كان الحب بينهما كأنه ذو قوة ساحقة، وفي كل صباح كان الحب كأنه حب جديد لم يتم البوح به.

ببطء واستمتاع ينظر جيكوب إلى زوجته، وكما هو دائمًا كان مغرمًا ومتعجبًا لجمالها، غمر يديه بشعرها المشرق وقبلها بشغف بينما الرغبة تنبض في بدنه.. لفَّت هيلينا ذراعها حول جيكوب وضغطته بشدة، فمنذ ليلة زفافهما بدا كما لو أن جسدها قد استجاب للحياة، كما لو أنه كان نائمًا لغاية ذلك اليوم، وها هي الآن تشعر أنها لن تستطيع مطلقًا إلا أن تكون إلى قربه، وأن تشعر بهواه يسري في حضنها.

بعد أن أتعبهما الغرام وانتشيا سعادة؛ استراحا وهما يحتضنان بعضهما بإحكام.. ولكن، وبالضبط قبل أن تستسلم هيلينا للنوم شعرت بشيء ما داخلها، لم يكن أكثر من همس، ولكنه هناك، بالضبط مثل قمر يبزغ من سماء مظلمة، نامت مع ابتسامة ترتسم على شفتها، وفي الحلم احتضنت طفلة صغيرة بين يديها.

# الفصل الخامس والثلاثون

في شهر ماي/ مايو من سنة الرب١٢٤٧ مرض الدوق أولف فاز مرضًا شديدًا ولم يعد قادرًا على القيام بمسؤلياته، ومسألة من سيخلفه لم تعد متروكة للمستقبل.

وقف الملك أيريك أيريكسون بصحبة ملكته كاترينا سنيزدوتر على سطح القلعة الملكية يراقبان من خلال الفتحات غروب الشمس فوق بحيرة فاترين، خلال تلك السنوات الأربع التي كانا فيها متزوجين أصبحا معتادين على أن يكمل أحدهما الآخر، كانا مستمتعين معًا على الرغم من أن كاترينا كانت عاقرًا، غير قادرة على إعطاء زوجها وريثًا، كانت رقيقة ونحيلة وكانت تعطي انطباعًا بالهشاشة، كانت تقية جدًا وورعة، فقد نشأت في دير، ولكن خلف مظهرها الخارجي الدمث كانت تُخفي بداخلها سكينًا حادة وفكرًا متيقظًا وإرادة قوية جدًا.

الملك أيريك الذي دعي من قِبل معاصريه بالمتلعثم والمتملق فهم مبكرًا أن من ارتبط بها تمتلك حكمة عظيمة، بالتأكيد كان يجلس إلى جانبه رجال من ذوي الخبرة والحكمة، ولكن لا يمكن تجاهل حقيقة أنهم في كثير من الأحيان كانوا ينظرون لمصالحهم الخاصة وليس للمملكة أو مصلحة الملك، فهمت كاترينا المناورات السياسية، وكانت لديها مهارات تحليلية متميزة.

كل مساء حين كانا يراقبان غروب الشمس، وحيدين بدون أي آذان تصيخ السمع أو نظرات فضولية؛ كان الملك أيريك يتشاور مع زوجته، كان يحدثها عن الأسئلة التي تطرح خلال النهار وما كانت تعليمات أعضاء المجلس.

ولكن هذا المساء المتوهج، عندما لونت الشمس السماء وتماوجت فاترين بالأحمر والأصفر والبرتقالي كانت هناك فقط قضية واحدة شغلت اهتمامها، هي ذلك السؤال المهم عمن سيكون الدوق فيضع التاج الحديدي على رأسه.

كان هناك اثنين من الفصائل في المملكة، قسمين من النبلاء تفصل بينهما الكراهية وعدم الثقة، وكل منهما كان يرغب أن يكون مرشحه هو الدوق الجديد، فعلى جانب هناك الدوق أولف فاز وابنه كارل أولوفسون وهولمغير كنوتسون، ابن الملك السابق كنوت الطويل وحلفائهم من النبلاء، وعلى الجانب الآخر كان هناك بيرغر ماغنوسون مع الأقارب والحلفاء.

- أي من سنختاره سيرفضه الجانب الآخر، سوف يلجأون للسلاح، وسنتحمل حربًا برغبتنا.

تنهد أيريك بعمق، كان يكره العنف والصراع.

غرقت الشمس وراء الأفق ونزل الغسق مسرعًا فوق القلعة، استقبل هلال القمر الشاحب، الليل المقترب بترحاب.

- نعم زوجي العزيز، أنا أخشى أن الحرب لن يكون منها مفر، لذلك فمن المهم أن تختار المرشح المناسب، إنه أملك الوحيد إذا ما أردنا أن نضمن مستقبل بلدنا وتخفيف معاناتنا، لذا دعنا ننظر معًا إلى مرشحنا الأكثر قربًا إلى متطلباتنا.

نظرت كاترينا حولها لتتأكد من أنهما كانا وحدهما قبل أن تستمر.

- دوقك، ألف فاز آل بيالبو كان قد امتلك الدوقية فعلاً خلال فترة حكمك الأولى، وقد استمر كذلك حين أرغمك كنوت الطويل بقوة السلاح أن تتنازل عن العرش، ونفاك أنت وأختك خارج الوطن، وبعد وفاة كنوت الطويل فقد استعدت عرشك، ولقد اخترت أنت أيضًا أن يحتفظ الدوق أولف فاز بتاجه، أنا أعرف أنك قد قمت بذلك في محاولة تستحق الثناء، لكي يعم السلام في المملكة، ولقد نجحت في ذلك أيضًا، ولكني وكما أرى فإن الدوق أولف لم يصبح رجلك أبدًا، فأنت في الواقع كمن رعى ثعبانًا في حضنه، كما أن ابنه كارل أولوفسون، والذي ليس هناك من يرغب أن يتولى المسؤولية خلفًا لوالده، ولا حتى أنا أرغب بذلك، واللاعب الأخير في هذه المجموعة هو هولمغيركنوتسون فإنه لا يسعى لأن يصبح الدوق، إنه يسعى لكي يستولي على العرش.

تنهد أيريك بعمق وأومأ برأسه موافقًا، واستمرت كاترينا:

- وإن كنت أعرف السيدين هولمغير وكارل جيدًا فإنهما رجعيين متمسكين بالماضي خوفًا من الاضطرار للتخلي عن بعض الامتيازات التي حصلا عليها بشق الأنفس، وإذا ما دققنا بزعيم المجموعة الأخرى، بيرغر ماغنوسون ابن عم أولف فاز، الذي هو أيضًا من بيالبو سنكون أمام صورة أخرى.

مدت كاترينا يديها وكأنها اختارت أن تفتح نافذة على المستقبل.

- منذ أن كنت طفلاً وقف معك بيرغر بكل إخلاص، إنه لم يخنك مطلقًا خلال كل تلك السنين، وعلاوة على ذلك فإنه ومن خلال أختك أنغيبورغ قد ارتبط بك بعلاقة دم، ولا تنسَ أن بيرغر هو الذي أسرع بالتعاون مع الدول المجاورة لنا، وأنه قاد القوات الخاصة بك في معركة "أوسترليد" بينما كان الدوق أولف وابنه كارل جالسان في بيتهما غير مهتمين إلا بمنزلهما قبل كل شيء، بالإضافة إلى ذلك، فإن ما أريد أن أقوله هو أن لدى بيرغر أتباعًا أكثر بكثير مما لدى هولمغير وكارل، إذا ما كنت بمكانك أيريك فإن بيرغر ماغنوسون هو من سوف أسأله أن يتولى دفة تلك السفينة التي هي مملكتنا، ولكني لا أعني أنه سوف يبحر بمياه هادئة، بل على العكس، إن بيرغر هو رجل المستقبل، إنه الرجل الذي يعرف ما يريد وهو القادر على إحداث التغيير، ونحن البشر، نعم، نخاف من المجهول، غير المجرب، من أجل قيادة وتطوير بلدنا فإنك ستكون بحاجة لدوق قوي إلى جانبك أيريك، وهو ما تجده في بيرغر ماغنوسون.

سكتت كاترينا وهي تنظر إلى زوجها، كانت تنتظر منه جوابًا، المملكة على أبواب ساعة مصيرية وسوف يظهر التاريخ أن ذلك القرار الذي اتخذ هذا المساء تحت نور ذلك القمر المشرق وفي سطح القلعة الملكية كان قرارًا صائبًا، تنهد أيريك من جديد، كان يشعر أحيانًا بثقل التاج الذي كان يحمله.

- أنا أتفق معك بكل ما قلته، كاترينا.. لا يوجد غير خليفة واحد يأتي بعد أولف فاز، والشيء الوحيد الذي جعلني متردد هو معرفتي أنه طالما كان بيرغر على

متن سفينتي فإننا سوف نعبر دائمًا كل العواصف، ولكن السدود المستقبلية في مملكتنا ذات أبواب متينة وأنا لا أمتلك الحق في محاولة الحفاظ عليها مغلقة، سأرسل بالفعل عند شروق الشمس رسولاً إلى "لينا" في فسترغوتلاند أطلب من بيرغر الإسراع بالحضور إلى جزيرة فيسينغ.

عندما أنهى كلماته شعر كأن حملاً ثقيلاً قد رفع من على كاهليه، بنفس الوقت الذي شعر فيه أن الحرب قد باتت تقف خلف الباب.

كانت المزرعة الكبيرة "لينا" ملاصقة لمنحدر جبل فارف، في عام ١٢٠٨نشبت حربًا طاحنة بين آل أيريك وبين آل سفيركير، كان الإنسان يستطيع خلال ليالي كان القمر فيها بدرًا؛ أن يسمع صليل السيوف وصرخات عذاب الموتى، ولقد انتصر في هذه المعركة آل أيريك، سمح الملك أيريك كنوتسون والد زوجة بيرغر ببناء كنيسة في الموقع كشكر وتكريم لكل أولئك الذين لقوا حتفهم.

كانت لينا جزء من مهر أنغيبورغ عندما تزوجت من بيرغر، وقد سمح هو بإزالة المنزل الخشبي الطويل الذي كان موجودًا في المزرعة، وبدلاً منه بنى منزلاً حجريًا من ثلاثة طوابق، بلغ طوله ثلاثة وثلاثون مترًا، أما عرضه فقد بلغ ثلاثون مترًا، في الطابق الأسفل كان هناك المطبخ ومكانًا لبقية الأعمال المنزلية اليومية، أما الطابق الأوسط فقد احتوى على صالة باذخة وغرفًا لمعيشة الأسرة المتزايدة بينما خصص الطابق الأعلى للعديد من الحرس الخاص.

كان مبنى رائع، مظهر من مظاهر أصحاب الطبقة العالية، وكان أيضًا بناء سوف يكون من السهولة الدفاع عنه عند أي هجوم عدائي، لم يفعل بيرغر ماغنوسون شيء بشكل عشوائي.

في ذلك اليوم كانت المزرعة تعج بالحياة وكانت أيام الزوجة أنغيبورغ أيامًا مزدحمة، سوف يغادر زوجها في مهمة رسمية غير متوقعة، وكما هي العادة فسوف يصحبه عدد كبير من الحرس.

وقف بيرغر عند الباحة يرقب مكان لعبه وهو طفل، أعطته أنغيبورغ أربعة أولاد بعد ريكيسا، فالديمار، ماغنوس، بنغت وأيريك وهي الآن حامل أيضًا، كان كعادته مستمتعًا بتواجده مع عائلته، ولكنه كان في تلك الأيام مشغول الفكر بأمر ما.

نسيم الصيف الدافئ الذي جاء مبكرًا قد حمل معه قلقًا، حمل رائحة خيانة، رائحة حسد، ورائحة انتقام، والدلائل كانت كثيرة، قمر بلون الدم أحمر، ثعبانًا برأسين، واثنين من الخادمات قد أقسمن بخلاصهن الروحي أنهن قد رأين - في ضوء الفجر الخافت - الشيطان ذو القرنين بجبهته وهو يتسلل حول المنزل الحجري الكبير.

قريب بيرغر، أولف فاز الذي جعل من نفسه عدوًا له، أولف فاز وحسب أخر التقارير قد شارفت رحلته على نهايتها، وبشكل فعلي فإن المملكة اليوم بدون دوق، وهذا شيء خطير، ومنذ معركة أولستروم لم يكن الصدع في عشيرتهم عميقًا كما هو عليه اليوم.

في كل يوم يتجمع العديد من الفرسان في لينا، رجال مخلصين يتمنى كلهم رؤيته، بيرغر ماغنوسون، كدوق قادم للملكة، ولكن ذلك كان قرار بيد الملك أيريك أيريكسون، وهو لن يعمد لافتعال اشتباك مع مليكه ووليه فيما إذا كان القرار ليس بصالحه، كان الملك قادرًا إذا حدث ما يضعفه كحاكم، ولكن بيرغر لم يكن مقتنعًا أنه سوف يكون قادرًا على منع أتباعه من اللجوء للسلاح، تدافع من حوله أبناؤه وجرجروه، كان قد وعد أن يشاهدهم عندما يبدأ أولئك الثلاثة الكبار بالتعامل مع سيوفهم الخشبية تحت إشراف أحد الفرسان، رفع بيرغر أصغر أبناؤه أيريك بين ذراعيه وسار مطيعًا أبناؤه إلى ذلك المكان المفتوح الذي يباشر به الحرس تمريناتهم اليومية على استخدام السيف، القوس والسهام.

عندما وقف هناك يراقب ذريته، ذهبت روحه بعيدًا وهو يرى ما هو مجرد لعبة يستمتعون بها الآن، فإنها ستكون في المستقبل لعبة خطرة قاتلة، وذهبت به أفكاره بعيدًا، فكر مسترجعًا تلك اللحظة عندما اقترح أن يحتفظ أولف فاز بمنصبه كدوق على الرغم من أنه قد خان ملكه وقلل من ولائه للملك كنوت الطويل، وتذكر أيضًا خيبة أمله وغضبه عندما تبع الملك تلك النصيحة.

واليوم فإنه ممتن تمامًا لأن الملك أيريك أيريكسون على الرغم من صغر سنه، كان ذكيًا أنه حتى هذه اللحظة الحرجة من الوقت لم يسمه دوقًا له، هذا الوجه قد أضعفته السنون ومدرسة الحياة الصعبة، إذن لماذا في هذه المرة اختاره لكي يصبح الدوق؟ هل لأنه يريد أن تكون المملكة أحسن ما يمكن أن تراه العين، وأنه يعتبر نفسه الأكثر ملائمة لهذه المهمة الصعبة؟ يمكن أنه قد تصرف بهذه الطريقة، حماقة الشباب المتبجح التي كانت بالتأكيد ضرورية من أجل السيطرة على أمور الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها، ولكنها تكون متواضعة في مواجهة الخبرة والمعرفة، وعلى أساس وجهة النظر تلك فقد كان اليوم أكثر إمعانًا وتمحيصًا مما كان عليه في أيام الشباب النارية، أصبح بيرغر ماغنوسون له دوافع عميقة وأقل انبهارًا بمختلف صور الإغراءات.

ماتت في داخله الرغبة الشخصية للسلطة، كانت لديه في السابق رغبة في أن يكون مطاعًا وبدون أي تشكيك مطلقًا، كان يريد أن يجني الانتصارات في أرض المعركة، مثيرًا للإعجاب والحسد، لم يكن يفهم أبدًا أن امتلاك السلطة يعني أن يخدم، أن يخدم الملك والشعب، وأن هذه السلطة وحدها لا تعني شيئًا إذا لم تستخدم للتخفيف عن معاناة البشر، لمساعدة الضعفاء، والمسالمين والوقوف بحزم ضد الشر، ينبغي أن تكون القوة والسلطة سلاحًا في خدمة الخير.

إذا ما وضع تاج الدوقية اليوم على رأسه، فهل سيتمكن من العيش لتحقيق تلك الأهداف النبيلة؟ وبكل أمانة، لابد له من الاعتراف أنه لا يعرف ذلك، نعم لقد عاش جزءًا كبيرًا من حياته مكرسًا فيه تلك الأهداف النبيلة، لقد بلغ من

العمر السابعة والثلاثين وإذا ما شاء الله فإن لديه من العمر جزء متبقي لكي يسبر ويتعلم الشيء الكثير.

- كفى الآن.

سحب صوت المقاتل بيرغر من أعماق تفكيره، تدحرج فالديمار وماغنوس على الحشائش وهم يتضاربون بعنف، رموا سيوفهم الخشبية جانبًا وتضاربا بقبضتيهما، كان بينغت وأيريك يقفان ينظران بعيون واسعة لأخويهما، ركض بيرغر صاعدًا ليفصل بين هذين الاثنين اللذين يتبادلان اللكمات، كانت هناك منافسة كبيرة بين ابنيه الأكبر سنًا، كانت منافسة مستمرة حول من هو الأقوى بينهما، والمحبوب أكثر، فكر في أن ذلك شيئًا جيدًا، إنه سيكون تحفيزًا لأبناءه في استمرار محاولاتهم لكي يكونوا أفضل، ولكنه يعرف أن ذلك بالنسبة إلى أغيبورغ سيكون مصدر فتنة وألم.

- علام تتخاصمان هذه المرة؟

نظر بيرغر إلى ابنيه بكل حدة.

- إنه هو من بدأ.

دفع ماغنوس أخيه.

- كلا لم يكن ذلك على الإطلاق.

لوح فالديمار بقبضته نحو ماغنوس ولكن أباه أوقفه.

- بيرغر ماغنوسون، لدي رسالة إليكم من الملك.

استدار بيرغر مندهشًا، فلم يكن قد رأى الرجل الذي ارتدى الألوان الملكية وهو قادم إلى الباحة راكبًا.

- يأمل الملك أن تتوجهوا بأسرع ما تستطيعون نحو جزيرة فيسينغ، إنه يريد محادثتكم بموضوع على درجة عالية من الأهمية فيما يخص المملكة.

وقف بيرغر ماغنوسون بلا حراك، مس وجنتيه نسيمًا دافئًا، حاملاً مه رائحة من توقع، من انتصار ولكن أيضًا رائحة من معركة.

- حسنًا، سأغادر المنزل على الفور، وأنتم... - قال بيرغر وهو يضم بحضنه ولديه المخطئين- أنتما اذهبا إلى أمكما، سوف أخبرها أننا جميعًا سنشد الرحال نحو جزيرة فيسينغ حالما نكون مستعدين.

أسرع بيرغر نحو منزله بخطواتٍ سريعة، فإن حلَّت الحرب فإن عائلته ستكون مهددة، لذا فإن أكثر مكان آمن لهم سيكون القلعة الملكية في جزيرة فيسينغ.

استيقظت أنغريد - أيلفا مبكرة صباح هذا اليوم الصيفي المبكر، ابتسمت لشمس الصباح المشرقة ابتسامتها الرائعة تلك وقبلت المروج الزهرة وأغصان الغابات المولودة حديثًا، كانت تريد أن تتجول لفترة من الوقت بمفردها في الأراضي الفائقة الروعة قبل أن تنشغل بواجباتها اليومية، وكان لديها في ذلك اليوم مسألة فائقة الأهمية عليها القيام بها، وعليها أن تسرع بالصعود إلى برجها. في المساء السابق كانا قد سافرا معًا، هي وذلك النسر ذو اللون البني الغامق، وهي تعرف مسبقًا ما الذي حدث في جزيرة فيسين، قريبًا ستكون على بينة حين يأتيها ذلك الرسول الراكب مسرعًا وهو يقترب من مزرعتها حاملاً معه رسالة من ابنها، وقبل ذلك ستكون رسالتها إلى بيرغر جاهزة لكي يعود بها الرسول.

توقفت، انحنت وقطفت زهور الفيولا البيضاء، شمتها ووجدت أن عطر المساء ما يزال فيها، ولو أنه كان ضعيفًا، هدلت حمامة الغابات برقة، صرخت بعض الغربان بصوتٍ متشائم أجش، طير دراج انطلق صائحًا وزغردت قبرة حلوة، عزفت لها فرقة موسيقى الغابة عندما مشت بين جذوع الغابة الباسقات، ولكن الريح حملت معها رسالة جعلت ذلك الصباح المشرق يبدو مظلمًا وفهمت أنغريد - أيلفا أن ساعة مصير المملكة قد حلت، وعليها هي نفسها أن تقوم بكتابة رسالة.

مشت أنغريد - أيلفا بتثاقل، بخطوات متعبة صعدت عبر سلم البرج الملتف حيث غرفة نومها، لهثت من الإجهاد، ففي كل يوم يمر كان السلم يبدو أكثر طولاً، وأكثر انحدارًا، وفي غرفة نومها ألقت بنفسها على مقعد حجري طويل مغطى بفراء خراف رمادية ناعمة، وعلى المائدة التي أمامها كانت هناك علبة لم تفتحها منذ عشرة أعوام طويلة، بصرير مكتوم رفعت الغطاء بشعور كأنه الصلاة، تناولت تاجًا حديديًا وورقة الرق الملفوفة تلك، وزنت التاج بيدها، شعرت بثقله، تاج الدوقية هذا الذي يحمله الآن ابنها على رأسه كان بالتأكيد من الفضة، لكنها تشك في أنه - لذلك - كان يسهل حمله، كسرت الختم وقرأت الكلمات التي كان بيرغر قد كتبها منذ زمنٍ بعيد.

مملكة جديدة، تستطيع أن تمسكها بتلك الرقاقة المتصلبة، هنا تجد بيرغر وقد سجل حلمها وحلم عائلتها في عالم أفضل، والآن فإن الوقت قد حان لإرسال هذه الوثيقة إلى الدوق الجديد، كتذكار وكمعين للتفكير.

ولكن هناك شيء قد تم اتخاذه، وضعت أنغريد - أيلفا أمامها رقعة لامعة وبخطها المزخرف كتبت مقطعًا للشاعر هافامال، مقطعًا تمنت لو أن بيرغر يأخذه على محمل الجد ويتأمله بعناية..

**الماشية تموت**

**الأقرباء يموتون**

**وكذلك أنت نفسك تموت**

**شيءٌ واحدٌ أعرف أنه لا يموت أبدًا**

**هو حكم الموت على الإنسان...**

عندما دلف الرسول إلى غرفتها كي يسلمها رسالة ابنها؛ سلمته هي رسالتها إليه، الرسالة التي كتبت إلى دوق المملكة الجديد بيرغر ماغنوسون من عائلة آل بيالبو.

# الفصل السادس والثلاثون

وقفت هيلينا سيغريدزدوتر فوق سطح القلعة مع أبنائها الثلاثة فولكي، توربيورن وماتيوس، الذين تبلغ أعمارهم ثمان، ست وخمس سنوات، ابتسم قلبها عندما راقبت وجوههم الطاهرة بفارغ الصبر، فمن أجلهم أتت المغامرة إلى ستوكهولمين.

المنطقة المحيطة بالقلعة، الكنيسة وبيتهما وجيكوب، مزرعة الحداد والساحة كانت تتمايل على بحر من لافتات الملك أيريك وألوان الدوق، أشعة الشمس تومض من خوذات المحاربين، أسلحتهم ودروعهم، إنه يوم المعركة، وقد تفقد دوق المملكة بيرغر ماغنوسون قواته، كانت هيلينا تعرف أن بيرغر قد تلقى تقارير تفيد أن هولمغيرسون قد حشد قواته في مزرعته "سكو" في مقاطعة أوبلاند وأنهم الآن في مسيرة نحو "سبارستارا"، والتي تبعد خمسة أميال إلى الشمال من ستوكهولمين.

سمعت صوت خالها القوي، سمعته وهو يعطي إشارة الانطلاق، ومن مكانها المرتفع رأتهم، هي وأطفالها، يبتعدون راكبين، بيرغر، أخيها راغنار، الأقارب والملك وكل المحاربين التابعين للدوق، مثل سلسلة طويلة من اللؤلؤ مضفورة بصفوف من الرجال المدججين بالسلاح، خيول وعربات محملة بالكامل يمرون فوق الجسر الشمالي.

سمعت صوت جيكوب على سلم البرج، شعرت بيديه فوق كتفيها وكما في كل مرة فقد خفق قلبها بشدة فرحًا لوجوده بقربها، لم تكن السنوات قادرة على إشباع الرغبة والحب بينهما.

لن يشارك جيكوب بالحرب في سبارستارا، فكلاهما هو وهيلينا كانا مكلفان بواجب الدفاع عن ستوكهولمين، لم يتمكن بيرغر من توضيح أهمية ستوكهولمين بشكلٍ كاف، ولكن كان يجب ألا تسقط بأيدي رجال هولمغير الجشعين.

- كيف باعتقادك سوف تسير الأمور، هل سيتمكنون من الانتصار؟

حاولت هيلينا أن تبدو هادئة حتى لا تخيف الأطفال..

- إن بيرغر واثق من ذلك، لدى هولمغير عدد من الرجال أقل مما لدى بيرغر، إن هولمغير يتحرق رغبة للانتقام وإشباع رغبته بالسلطة، وهذا ما سيحجب عنه القدرة على التمييز، والمأساة هي أنه بسبب حفنة من الرجال ذوي الرغبات الشخصية بالتسلط، فإن العديد من الأبرياء سيفقدوا حياتهم هذا اليوم.

ضغط جيكوب على كتفي هيلينا بشدة.

نزل أولادهما من على سطح القلعة برفقة مربيتهم، هذه المرأة المسكينة التي كانت لديها مهمة كبيرة، فلقد كان عليها رعاية أبناء هيلينا وجيكوب ذوي الحيوية والبراعة واحتضانهم.

إلى جانبهم على السطح وعند مزاغل الرمي كان رجالهما منشغلين بطلاء السهام الطويلة بطبقة من الكبريت، ووضع رقائق النحاس لأنها سوف تحترق عندما تصيب أهدافها، كانت الأقواس والسهام جاهزة، وإلى ما فوق عند الطرف الشمالي للجسر تجاه البر الرئيسي؛ وقفت فرقتين من النبلاء على أهبة الاستعداد لنشر الموت والدمار فيما بينهما، التمعت السيوف المشحوذة حديثًا، وعند كِلا الجسرين وحول شواطئ ستوكهولمين، تم نشر حراس متيقظين، عند أول إشارة باقتراب الخطر كان على جميع الساكنين على الجزيرة البحث عن ملجأ خلف الأسوار التي أقامها جيكوب وهيلينا حول المباني، التي بدأت تأخذ على نحو متزايد شكل المدينة، مدينة أحلام هيلينا.

خارج الأسوار كان الرجال مشغولين بملئ دلاء الماء، جلب أغصان خضراء وجلود أبقار رطبة من أجل سرعة إطفاء الحرائق التي يمكن أن تسببها نبال الأعداء المشتعلة، إذا ما سارت المعركة عند سبارستارا بعكس ما يرغب بيرغر فإن رجاله سينسحبون نحو ستوكهولمين، وعندها ستنتقل المعركة إلى هناك.

- سأركب متجولاً حول الجزيرة، أريد أن أعرف كيف هي أحوال الناس، ولكي أذكرهم أنه عند حلول الظلام فإن على الجميع الاحتماء داخل الأسوار.

قبلته هيلينا واستعدت لمغادرة المكان، ولكنه احتضنها بقوة.

- وأنتِ، زوجتي الحبيبة، لا تعرضي نفسك لأي مخاطر غير ضرورية، يجب عليك أن تعديني، عندما أجتمع مع رجالنا الآن للمرة الأخيرة للمراجعة النهائية للاستراتيجية التي اتفقنا عليها مع بيرغر؛ يجب أن أكون قادرًا على التركيز على المهمة، لا أستطيع بنفس الوقت أن أنشغل بالتفكير فيما قد تتعرضين له.

- لا عليك جيكوب، لا تقلق، يمكنني الاعتناء بنفسي، أنت تعرف ذلك.

أبعد جيكوب يديه عن كتفي هيلينا على مضض، الأهم من كل ذلك أنه كان لا يريد أيًا منهم أن يغادر القلعة، لا هي ولا الأطفال، سيفعل الأطفال ما يأمرهم به ولكن ليس زوجته، كان لدى هيلينا إرادة تستطيع أن تحرك الجبال، وقد عرف هو ذلك بتلك السنوات التي قضياها معًا، وعلى الرغم من أنها لم تجعل حياته سهلة دائمًا، إلا أنها كانت من النوع الذي يجعله يشعر بالإعجاب بها.. كتم تنهيدة طالبًا من أحد الرجال على سطح القلعة أن يطلب من الفرسان التجمع سريعًا في الساحة.

خارج القلعة كان أبناء هيلينا يلعبون لعبة الحرب، كانوا مسلحين بسيوف خشبية، حول أقدامهم كان هناك كلبان أشعثان يلفان ويلهوان، كانا من ذرية أولف، ذلك الكلب المحبوب الذي لم يعد موجودًا معهم بعد، وبصوتها الآمر صاحت هيلينا على أطفالها ومربيتهم باللجوء إلى داخل القلعة في أي وقت يحدث فيه أي خطر.

بينما كان عامل الاسطبل يسرج حصانها، ذلك الحصان الناري الذي يدعى "سنتوريون" والذي استخدمته بعد نايك، تبادلت بعض الأحاديث مع من كان يرغب بتبادل الحديث معها، انتشر هدوء هيلينا وثقتها بين الناس كالعدوى،

فإن كانت هي هادئة فليس هناك من سبب يدعو للقلق، لقد كانت ثقتهم كبيرة جدًا بسيدة ستوكهولمين.

امتطت هيلينا سنتوريون الذي كان يرقص دائرًا خارج الاسطبل، لم يسمح لغير هيلينا بركوبه، لقد كانت هناك عندما ولدته نايك، وكانت هي أول من تقع عينيه عليها، وأول من داعبه، لقد كان بين تلك الفرس الكستنائية اللون وهذه المرأة ذات الشعر الذهبي حبًا كبيرًا.

قادت هيلينا حصانها سنتوريون في الساحة، حيث كان المتسوقون يتجولون كما لو أنه كان يومًا عاديًا، ركبت نحو مزرعة الحداد حيث كان هناك توريد، دافيد، وأربعة أطفال لوحوا لها من عند سلم المدخل، أوقفت سنتوريون قرب توريد وأسرعت إليها وقد كانت تحمل الصغيرة سارة على ذراعها، وكما هو الحال دائمًا فقد كان الخوف من التغيير الذي كان بعيد الاحتمال في حياة عبوديتها يتنازعها منذ أن تزوجت دافيد فليوري.

لم يكن تغييرًا خارجيًا كبيرًا، فهي ما تزال جميلة لافتة للنظر، كان ذلك شيئًا مختلفًا تمامًا، شيئًا لم يكن مرئيًا بالنسبة للعين المجردة، ولكنه واضح تمامًا، تلك الزوجة الجميلة لفليوري، ربة المنزل في مزرعة الحداد الواقعة على الشاطئ المزهر، التي تشع أمانًا، سلامًا ووئامًا، لقد كانت شخص وجد نواته الداخلية المؤلفة من الضوء، دافيد بحبه غير المشروط طارد كل شياطينها المظلمة وأجبرها على الهرب، أولئك الذين كانوا يختبئون تحت مسميات الخوف، الخجل، الشعور بالذنب والشعور بعدم قيمتهم، مع دافيد استطاعت أن تبني لها بيتًا كان مفتوحًا دومًا لكل من كان بحاجة للمساعدة، لأولئك المحتاجين لكتف يبكون عنده، أو لإطعام كل جائع، كانت هيلينا تكن إعجابًا عميقًا واحترامًا للزوجين فليوري، وكانت تثمن كثيرًا صداقتهما لها.

قادت توريد الحصان سنتوريون من لجامه كما لو أنها تريد تقييده لمنع هيلينا من امتطاءه مجددًا.

- كوني على حذر هيلينا، عديني بألا تقومي بأي مخاطرة لا معنى لها، تذكري أننا نحن الذين نعيش في ستوكهولمين سنكون بدونك كالأم التي فقدت أبناءها، كالحملان التي بلا حماية متروكين للذئاب الجائعة.

مالت هيلينا وهي على ظهر حصانها ومسدت بلطف وجه توريد.

- أعدك، توريد.. ولكن عليك أن تعديني أنت أيضًا أنك وعائلتك ستلجأون إلى داخل الأسوار، علي المضي الآن.

لكزت هيلينا جانبي حصانها فهرول بها بخفة، ركبت لغاية الكنيسة الصغيرة، وفي واحد من الأزقة الضيقة والذي يقع وسط العديد من المنازل التي أصبحت تحتشد الآن داخل السور الواقي، سألها الناس القلقين باستمرار عن أخبار المعارك، أسئلة لم يكن باستطاعتها الإجابة عليها، استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تتمكن من الركوب خارجة من خلال بوابة السور الجنوبية.

ركبت هيلينا نحو منازل الصيادين، تكلمت مع النساء ومع الفلاحين الذين أتوا من المزارع المحيطة ببحيرة مالارين متأملين بيع محاصيلهم في ساحة المدينة، ذكرتهم أنه لدى شعورهم بأي علامة خطر أو على الأقل حين غروب الشمس، عليهم تلمس الأمان داخل أسوار القلعة، تكلمت مع جميع الحراس، خصوصًا مع أولئك المدججين بالأسلحة الثقيلة المكلفين بحراسة الجسرين المتحركين، والتي تقف الآن شامخة، كل من يرغب في هذا اليوم السفر عبر جسور ستوكهولمين يجب أن يكون قادرًا بكل دقة على معرفة من هم الذين أقاموها وماذا كانت غاياتهم.

* * *

كما هو الحال دائمًا فقد كان هناك عدد من المراكب الألمانية راسية، وقد سبق لجيكوب أن تكلم مع بحارتها فيما إذا اقتربت المعركة من ستوكهولمين فإن عليهم رفع مراسيهم والإبحار نحو بحر البلطيق.

بدا اليوم وكأنه لا نهاية له، وفي السماء العالية كانت الشمس ثابتة لا تتحرك مؤلمة بشدة، وغذى الانتظار المخاوف والأوهام المظلمة.

عندما انخفض الشفق الأزرق نحو ستوكهولمين تجمع الكل داخل أسوار القلعة وأغلقت البوابات خلال الليل، لم يبق خارجًا إلا الحراس المتجولون في أماكنهم، عددٌ من المزارعين عند بحيرة مالارين، فضلوا البقاء في مساكنهم بدل قضاء هزيع الليل داخل أسوار القلعة المهيأة للحماة، لكنها كانت أيضًا هدفًا للهجوم.

جلسا، هيلينا وجيكوب خارج منزلهما، جلسا هناك يبدو عليهما الهدوء والاسترخاء ولكنهما كانا يستمعان باهتمام لأقل صوت، لكل صوت يأتي من الحراس المستيقظين، وقد اكتشف جيكوب أنه يحكم قبضته على مقبض سيفه.

نساء، أطفال، شيوخ استسلموا لراحة قلقة بينما كان القمر يتأمل بهدوء ويلاحظ عالم البشر الغريب، عندما تحولت ليلة الصيف إلى فجر وردي؛ سمعت صيحات من تحت الطرف الشمالي للجسر وصوت صرير السلاسل عندما انخفض الجسر المتحرك للأسفل.

هرعا، هيلينا وجيكوب نحو بوابة السور وأمرا بفتحها، ما إن فتحت البوابة الثقيلة بالكاد وبصوت صريرها العالي؛ حتى دخل فارسًا لاهثًا ترفرف على درعه راية الأسد المتأهب وهو يعدو بجواده الذي يزبد.

دق قلب هيلينا بقوة مؤلمة، أخذ جيكوب يدها ووقف معها جنبًا إلى جنب وانتظرا أن يخبرهما الفارس بما حصل في سبارستارا، هل لا يزال بيرغر دوقًا، ألا يزال أيريك أيريكسون ملكًا للبلاد، أو أن هولمغير كنوتسون هو الحاكم الآن؟

- حبًا بالله، أعطوني شيئًا أشربه.

انحنى الرجل متثاقلاً وهو على صهوة جواده والذي لم يعد باستطاعته البقاء عليه أطول، لحظة قلق وتوتر، شرب الرجل بشراهة، رشفات ممتعة، مسح بيده على فمه رغوة الجعة قبل أن يتكلم أخيراً.

- لقد انتصرنا في سبارستارا، هزمت قوات هولمغير من قبل شعبنا، ولكن العديد قد فقدوا حياتهم، هرب هولمغير بعيدًا، هرب نحو الشمال وراغنار سيغريدزسون، أخوكم سيدة هيلينا، أسرع في ملاحقته، وقد هرب أيضًا فيليب شقيق هولمغير نحو الجنوب يتبعه الدوق بيرغر.

ناول الرجل قدح الجعة الفارغ إلى هيلينا.

- خلال يوم النصر الذي ارتفع حتى ملأ الأفق، سوف يحضر الدوق وكل الرجال الذين شهدوا المعركة عند سبيراسترا، سوف يحضرون هنا إلى ستوكهولمين، وأعتقد أنكم سوف تستقبلونهم كما يليق ذلك بالمنتصرين.

ترجل الرجل من صهوة جواده فالتوت ساقاه تحته، لقد أنجز مهمته وشارفت قوته على نهايتها.. أمر جيكوب رجاله العناية بالفارس وجواده، بينما انتشر الابتهاج فوق ستوكهولمين، كان الخطر قد زال.

ولكن القلق ما يزال يتنقل داخل هيلينا، كفئران قلقة ترفض الابتعاد عن الطريق، راغنار يطارد هولمغير، نجا شقيقها بالفعل في معركة سبارستارا ولكنه كان بعيدًا تمامًا عن الأمان، في المساء حل العيد على ستوكهولمين، استمتع المنتصرين بالطعام والشراب الذي انشغلت النساء بإعداده طوال اليوم، احتفل الدوق بيرغر مع رجاله الذين وصلوا متأخرين وتذوقوا كل الأطايب، ولكن قبل انقضاء الليل دعا بيرغر كل من هيلينا وجيكوب للحاق به إلى داخل القلعة، كان يريد التحدث إليهما بهدوء.

كانت هيلينا تعرف خالها بشكلٍ جيد، كانت من بين الأشخاص الذين يستطيعون اكتشاف قلقه من خلف هيئته الجامدة، عندما استقروا أخيراً في الأعلى عند غرفة نوم هيلينا القديمة، وقد وضعوا في الخارج حارسًا من حراس ستوكهولمين لمنع الناس من الصعود إلى القلعة، حيث وجدوا أنفسهم فيها أخيراً وحيث يستطيعون رفع الأقنعة عن وجوههم، وأن يسمحوا للمشاعر أن تتدفق بحرية.

- بيرغر، هل أنت قلق على راغنار؟ هل لديك مخاوف من أنه قد يصاب بأذى؟

نظر إليها بيرغر مندهشًا..

- كلا، أتعرفين؟ أنا غير قلق ولو للحظة على أخيك، سينفذ راغنار مهمته وفقًا لتعليماتي.

- وما هي تعليماتك؟

سمعت هيلينا حدة في صوتها.

نظر إليها دوق الدولة بعينيه مباشرة عندما أجابها.

- تقضي الأوامر أن يتم القبض على الخائن هولمغير كنوتسون حيًا، ولكن أتباعه يمكن أن يقتلوا، وعليه بعد ذلك أن يقود هولمغير نحو جزيرة فيسينغ، حيث سيحكم عليه الملك أيريك بالموت، وسوف تتمكن أسرته من الحصول على جثمانه، وأنا أفترض أنهم سوف يدفنونه في مزرعته سكو إلى جانب أبيه كنوت الطويل، ليس راغنار من أقلق بشأنه هيلينا، إن قلقي على شيء آخر تمامًا.

- إنه شيء يتعلق بمعركة اليوم، أليس كذلك؟ ذلك النصر الذي يحتفل به رجالكم ورجال الملك في الخارج.

كان الحزن يشوب صوت جيكوب.

- نعم، أنت على حق، جيكوب.. إن فرساننا والشعب هنا في ستوكهولمين يحتفلون بنصرنا، وأنا لا أرغب بانتزاع الفرحة منهم، إنهم لا يفهمون أن ما جرى في سبارستارا لن ينتهي من خلال المعارك، لن ينتهي بالقتال من أجل السلطة في المملكة، الذي سرعان ما سيبدأ.

بحث بيرغر في جيوب سترته وأخرج وثيقة مطوية، ناولها تلك الوثيقة..

- أتعرفين هذه، أتتذكرين عندما كتبت بها تلك الكلمات؟

عندما أخذت هيلينا الورقة، تحرك الخاتم الذي في أصبعها، كما لو أنه يتألم، بالكاد شعرت به، ثم ناولتها إلى جيكوب.

- أرسلتها إلي أمي، أنغريد - أيلفا، عندما قرر الملك تسميتي دوقًا، أعتقد أن ذلك كان من أجل تذكيري.

اهتزت يدا جيكوب، عندما كتبتها العائلة في بيالبو بأعياد الميلاد قبل ما يزيد على عشرة سنين، كانت تلك مملكة جديدة، مملكة مبنية بالقوانين وقوة مركزية تشع من تلك الرقاقة المتصلبة إلى كل الاتجاهات.

- إن السلالات النبيلة التي انتصرت عليها اليوم، بيرغر، لن تقبل - من دون معارك - ما هو مسطر هنا، هل نستطيع القول إنك تنوي تنفيذ ذلك؟

- سأقوم بذلك، ولكني أعي أن ذلك سوف يستغرق وقتًا، وأنت محق تمامًا في أن أولئك النبلاء الذين اشتركوا في معركة سبارستارا والذين انتصرت عليهم، ومن ضمنهم فيليب شقيق هولمغير لا زالوا يتحرقون للانتقام.

تنهد بيرغر بعمق..

- وعندما - فوق ذلك - سيكتشفون أن زمنًا جديدًا يطل علينا، زمنًا يتضمن فقدان الامتيازات والنفوذ، لذا سيعودون لحمل السلاح من جديد، حينذاك سيكونون أفضل استعدادًا بكثير، علمته سبارستارا درسًا، وكان ذلك خطأ كبير من قبلي أنني لم ألاحق فيليب كنوتسون، أما الآن فقد فات الأوان، وكان من دواعي سروري أن كارل أولوفسون لم يكن من بين الذين قاتلناهم يوم أمس، ولكن إن أصبحنا الآن أعداء فإنني سوف أحذو حذوه.

تصلب صوت بيرغر..

- سوف أقوم ببناء قلاع قوية في مناطق عديدة من البلاد، وإحدى تلك القلاع ستكون الأكبر والأكثر أهمية من باقي القلاع، تلك القلاع ستكون محصنة جيدًا والقلعة الرئيسية ستكون فخمة تحيط بها جدران سميكة، تلك القلعة ستكون

هنا في ستوكهولمين، وأنتم أهلي الأعزاء ستكونان سيد وسيدة القلعة الملكية الرئيسيان، ستقع على عاتقيكما مهمة كبيرة هي الدفاع عن مدخل بحيرة مالارين وصد أي هجوم يقوم به الأعداء.

جلس جيكوب صامتًا، وجلست هيلينا صامتة، ولكن الخاتم رقص فرحًا في إصبعها، وقبل أن يتاح لهما قول شيء ما استمر بيرغر يقول:

- بإمعان النظر بما قلته لكما فإنه يكون لزامًا علي أن أتكلم معك هيلينا عن شيء ما، ذلك هو اسم مهر زواجك.

- الاسم، هل هناك خطأ ما فيه؟

أنصتت هيلينا بتوثب، وضحك بيرغر عاليًا..

- كلا صديقتي الحبيبة، ليس هناك أي خطأ، ما أعنيه هو أن اسم ستوكهولمين ليس له أي جرس موسيقي بأذني، مجرد جزيرة صغيرة بين مجموعة جزر، إذا ما أردنا لأحلامنا، أنت وأنا، أن تتحقق على أرض الواقع، وهو أن تنمو من هنا مدينة كبيرة ومهمة، مدينة تنافس شوارعها يومًا ما في المستقبل شوارع "فيسبي"، مدينة نعمدها باسم ستوكهولم، أليس لهذا الاسم رنة موسيقية أجمل وأفضل دلالة لما نحلم به؟

تذوقت هيلينا الاسم، رددته بصوت عال، استمعت لصداه، شع الخاتم دفئًا وهو في إصبعها وأحست بشعور واسع من الرضا.

- ستوكهولم..

بدا الاسم كأنه عناق، كأنه ضحكتها الطفولية اللؤلؤية، كنسر البحر المنطلق بسرعة السهم، كما رائحة زهر العسل في فصل الربيع، ابتسمت هيلينا لخالها ابتسامة متألقة.

- ستوكهولم، ستكون شيئًا رائعًا، ستكون رائعة جدًا، منذ هذا اليوم من أيام تموز/ يوليو من سنة النعمة ١٢٤٧ سيسمى مهري، ستوكهولم، ومتى تعتقد أنك سوف تبدأ ببناء أكبر قلعة في المملكة؟.

* * *

يقع حصن "كيتل" في قلب منطقة غاستريكلاند، وقد تعود الناس على التردد لزيارته، حيث كان طافيًا على أعلى الجبل فوق بقايا قلعة قديمة، ولكن لم يتبقَ منها الآن غير بعض الأسوار المهدمة، مخبأة تمامًا تحت الطحالب والأشنات والزواحف، لأي متجول جاهل لم يكن إلا مجرد حجارة لا معنى لها، وضعت من قبل الطبيعة نفسها، لقد نسي ذلك الذي بنى في يوم ما هذا البناء الدفاعي، الذي يحميه من أعدائه، شخص اختبأ تمامًا فأصبح وكأنه شبحًا يسكن حصن كيتل.

روت الخادمات والخدم الذين كانت ماشيتهم ترعى عند أقدام سفح الجبل أشياء مخيفة، في أعلى القلعة كانوا يسمعوا صراخًا، صيحات وقعقعة سيوف، حتى أنهم كانوا يسمعون أحيانًا صوت غناء، أما الشجعان الذين كانوا يتجرأون على النظر إلى الأعلى نحو قمة القلعة؛ فقد كانوا يرون رجلاً يحمل فأسًا يلوح به في الهواء، كأنما ينزل ضربًا بأعداء غير مرئيين.

قال بعض المسافرين وكان الرعب يشوب صوتهم إن رجالاً بلا رؤوس كانوا يتجولون في الأعلى، بينما لعنات الأسلاف تتردد فوق الحصن، لم يكن لدى هولمغير كنوتسون ومرافقوه علمًا عن هذا المكان، لقد انسحبوا لوجود خطر آخر مختلف تمامًا؛ وهو انتقام سيوف الملك والدوق.

في الأيام الأخيرة لم يكن لدى كشافة هولمغير ما يرسلوه من تقارير، لم يظهر أي أثر لمحاربين يطاردونهم، اعتقد أولئك الرجال المتعبين أنهم قد ابتعدوا - تقريبًا - عن تهديد أعدائهم، وعلى أنهم قد ضللوهم بمتاهات كاذبة.

نظر هولمغير للأعلى، نحو قمة حصن كيتل ورأى أن هذا المكان سيكون مكانًا مناسبًا لكي يقضوا به ليلتهم، كان المكان غير مرأي، من السهل المدافعة فيه عند وقوع هجوم، وهناك في الأعلى يكون لدى المرء مجالاً واسعًا للرؤية في جميع الاتجاهات.

أمر هولمغير رجاله بربط خيولهم داخل الغابة، والصعود سيراً نحو أعلى الحصن.. ألقى الرجال المتعبين بعد إنهاك الركوب لعدة أيام - هاربين من أعدائهم - بأنفسهم وسط ذلك الحصن، وبعد أن أمعنوا النظر تناولوا وجبة طعام سريعة، قبل أن يتم اختيار من سيقوم بالحراسة أولاً، ثم ذهبوا بعد ذلك لاستراحة دون أن يعرفوا أن في المكان الذي استلقوا فيه كان هناك الكثير من المعارك التي تدور رحاها.

تدرب راغنار سيغريدزسون على أن يكون رجل غابة، فمنذ كان صبيًا يعيش في منزلهم في بيالبو كان يتبع رايم إلى الغابات والمروج، ومن وقت أن عادت هيلينا بعد رحلة اختفائها الطويلة قضيا معًا وقتًا طويلاً في الخارج، في المراعي والحقول والمروج، ولقد تعلم من ذينك الاثنين أن يفسر لغة الغابات الخاصة.

كان يستطيع أن يرى الأشياء المخفية التي لا يستطيع الآخرون الذين ليس لديهم قوة ملاحظة أن يروها، وكان يستطيع التنقل بلا أدنى صوت بين المجالات الخضراء بالغابة، مثل حزمة ذئاب صيد طار مسرعًا هو ومحاربيه بأعقاب هولمغير، واصلوا الليل بالنهار محلقين نحو الشمال للحاق بالخائن، وقد بدأ التعب الآن يبدو عليهم واضحًا، إذا ما أريد للتغيير أن يفلت منهم فإن عليه أن يغير طريقته.

أمر راغنار رجاله أن يأخذوا قسطًا من الراحة، وكذلك خيولهم التي كانت بحاجة للاستراحة، نظر إليه رجاله باستغراب، فبينما يتمتعون هم بالاستراحة يكون هولمغير قد ابتعد كثيراً، ولكن راغنار كان ينوي الآن الارتكان إلى تلك المعلومات التي تعلمها من رايم وهيلينا، القدرة على تتبع الأثر، سيركن كشافة

هوملغير إلى الاعتقاد الخاطئ أنه قد تخلى عن مطاردتهم، أو أنه قد تاه وسط تلك الطرقات المضللة، تأمل أن يبطئ هوملغير من سرعة هروبه وأن يقلل من حذره.

بقدرة رجل الغابة الذي يستطيع تفسير أغاني الغابة، يشعر بمزاجها، برائحتها وأصوات عرف راغنار أن هوملغير سيخيم هذه الليلة، عند الفجر عندما تكون الروح أكثر ضعفًا وتنفتح أبواب الأبدية على مصراعيها؛ سيتقدم راغنار ورجاله وسوف يكونوا عند برج كيتل، في الجانب الشمالي من الحصن تمت أغصان الغابة بكثافة وسوف يتسللون من هناك.

كان الحارس المعين أول ضحايا سهام راغنار، وبدون أن تنطق شفتيه بأي كلمة تحذير خر صريعًا، قتل بقية رجال هوملغير وهم نيام إما بالسهام الثاقبة أو بالسيوف الحادة، لم يبقوا إلا على هوملغير على قيد الحياة، لقد أمر الدوق بيرغر أن يحمل ابن كنوت الطويل إلى جزيرة فيسينغ.

عندما كانت الشمس مرتفعة في الأعلى وقد دفن رجال بيرغر قتلاهم باشروا برحلتهم الطويلة نحو القلعة الملكية، إلى الجزيرة الواقعة في بحيرة فاترين، وفي القلعة المهدمة كيتل، لا تزال الكثير من الأرواح هائمة، أرواح محاربين كثر ماتوا بعنف من دون أن يرتاحوا في قبورهم.

# الفصل السابع والثلاثون

كان ذلك أبرد شهر شباط/ فبراير يمكن أن يتذكره إنسان، كان الجليد سميكًا وصالحًا للسير فيه سواء في بحيرة مالارين أو على بحر البلطيق. كان من السهولة على المزارعين والصيادين سواء الساكنين خارج الأرخبيل أو حول مالارين أن يأتوا نحو ستوكهولم بواسطة الخيول أو الزلاجات.

ملح بذور، فراء، أقمشة صوفية، سمك، بيض، زبدة وجبن كانت تتداول داخل مخزن الرجل القروي "يوهانيس لارسون". كان المرء يستطيع شراء كل شيء لدى يوهانيس، راهب ستوكهولم السابق، لأن المرء يعرف أنه كان إنسانًا صادقا لم يسبق أن خدع أي إنسان، ولم يكذب يومًا. بيديه اللتين كادتا أن تتخشبا بردًا خدم يوهانيس زبائن دكانه في ذلك اليوم.كان الموقد المفتوح يعطي الحرارة فقط لمن يقترب منه.كانت النار غير كافية أبدًا لتدفئة تلك الغرفة الواسعة حيث كانت السلع تزدحم على طول الجدران.

جاء غلام الكاهن الجديد يروم شراء ملحٍ وقد قلب ذاكرته لحظة وهو ينظر إلى يوهانيس. فقبل سنتين كان هو القس في ستوكهولم. تلك الكنيسة الخشبية الصغيرة، التي أصبحت بمرور الوقت لا تتسع لأعداد الناس المتزايدة والتي أصبحت مكان عمل. أصبح الآن فقط واحدًا من زوار الكنيسة الآخرين، ولكنه لا يسمح أبدًا للمرارة أن تتجذر بداخله. لقد اختار طريقه وهو لن يحيد عنه أبدًا. إنه يتذكر ذلك كما لو أنه قد حصل أمس، في ذلك اليوم عندما تلقى رسالة من الأسقف وبدا وكأن الحزن قد حفر عميقًا في داخله.كانت الرسالة تتحدث عما جرى في اجتماع سكينينغ في شهر شباط/فبراير من العام ١٢٤٨. كان ذلك الاجتماع قد جرى قبل يومين.

كان البابا "أينوسنتيوس الخامس" قد أرسل الكاردينال "فيلهيلم أوف سابينا" إلى تلك المملكة البعيدة في الشمال مع بعثة لأصلاح كنيستها. اشترك في اجتماع سمينينغ كل الأساقفة السويديين وكانت السلطة الدنيوية ممثلة بالدوق بيرغر ماغنوسون.

بالكاد كان قد تصور بأن رسالة الأسقف ستحيل حياته إلى حالة يرثى لها. بدأت الرسالة بالبراءة تمامًا مما عرضه الأسقف من قرار بإنشاء إدارة للكنيسة، ومن أن هناك حاجة لفصل الكنيسة عن سلطة الدولة. ففي ذلك لم يكن هناك من يعترض عليه، بل على العكس. ولكن بعد ذلك جاءت الضربة القاتلة.

خلافًا لما كان في العالم المسيحي فإن القساوسة في مملكة الملك أيريك أيريكسون كان بأمكانهم الزواج وإنجاب الأبناء. وبعد ذلك أصبحت تلك هي المسيحية المعتمدة في البلاد ولم يكن أحد ليتصور أن ذلك قد يقود إلى المواجهة المسلحة مع التعاليم المسيحية. لكن ذلك لك يكن مما يعجب الحبر الأعظم.

مع الإشارة للقانون الكنسي كان فيلهيلم أوف سابينا قد أجبر الأساقفة في اجتماع سكانينغ أنه يجب على الرهبان في البلاد أن يعيشوا عزابًا من الآن فصاعدًا. وقد تهدد من لا يلتزم بهذا المرسوم بالحظر. ولقد أعطي الرهبان فترة سنة واحدة لتسوية أوضاعهم العائلية.

كان بإمكان الرهبان الذين يبلغون الخمسين من العمر فما فوق البقاء متزوجين ولكن بشرط ألا يعيشوا مع زوجاتهم تحت سقف واحد. أما زوجات الرهبان الذين هم أصغر سنًا فيجب أن يتحولن إلى عبدات ويصبح الرباط الزوجي بينهما لاغيًا. والأقسى من كل ذلك هو أنه لا يمكن لأي راهبٍ الاحتفاظ بأبناءه. ومنذ اجتماع سكانينغ اعتبر أبناء رهبان البلاد أبناء غير شرعيين وقد سلبوا حق حمل أسماء آباءهم.

كان الحب والعلاقات الإنسانية هم الخاسرين منذ اجتماع سكانينغ. تذكر يوهانيس يأسه وحزنه العميقين، تلك الكنيسة التي وهبها حياته بدون أي

مكسب أصبحت تطالبه الآن بكل ما له معنى في حياته، الحب. ولكن في قلبه وفي قوة إيمانه العميق بالله وبرسالة المحبة المسيحية فقد عرف بأن هذا كان مجرد مرسومٍ كتب من قبل أشخاص، أبدًا لم يكن هو مرسومًا من عند الله، ليس لأنه قد أحب الله قليلاً، بل لأنه كان يحمل أيضًا حبًا لزوجته وأبناءه، أولئك الذين لم يتعلموا بعد معنى الحب وجوهره، إن الحب لا يأخذ شيء، الحب يعطي فقط.

عندما جاء بيدٍ ترتجف يأسًا سقطت منه رسالة الأسقف وخر على ركبتيه أمام مذبح الكنيسةَ راجيًا التوجيه، وقد استجاب الله لصلواته وجعل صورة زوجته وأطفاله تشرق في داخله. في ذلك اليوم خلع لباس الكهنوت وبعث يخبر السيدة هيلينا أنه لم يعد يستطيع العمل في سلك الكهنوت الذي اختير للعمل فيه، وأنه لن يغير قراره هذا، لن يرمي بزوجته وأطفاله إلى الشارع، الشيء الذي يعتقد أنه يتعارض مع الإيمان المسيحي الذي يعرفه ويؤمن به.

احترمت السيدة هيلينا وكذا السيد جيكوب قراره، وبإيمان تحدثت السيدة هيلينا قائلة له إن شرط العزوبة لم يكن شيئًا يؤيده الدوق بيرغر من قلبه، ولكن حرصًا على سلامة المملكة كان من الأهمية بمكان ألا يكون بين السلطة المدنية والكنيسة أي عداء مع بعضهما. في الدانمارك، البلد المجاور، كان الخلاف بين الملك "أبيل" والكنيسة كبير جدًا ولم يعد ذلك بالفائدة على الشعب، ولكن الدوق بيرغر قد أعطى انطباعًا أن الكنيسة وليس السلطة المدنية هي التي يجب أن تتأكد من أن مطلب العزوبة يتم احترامه.

دخل إلى الدكان عديد من الأشخاص يرتدون الكثير من الملابس وعديد من المخمورين القادمين من الأرخبيل.

ابتعدت الأفكار عما قد كان، الحياة هي ما هي عليه الآن، وهي حياة جيدة. كان ذلك منذ أن أصبحت حياته بأحسن حال عندما خلع ثوب الكهنوت وأصبح تاجرًا.

ارتفعت أصوات الرجال القادمين محملين بلحوم الفقمة وجلودها بنية تبديلها ببذورٍ وملح. أصبح لديه الكثير من العمل هذا اليوم وقد تأسف لأنه قد قال لابنيه الكبيرين أنه ليس بحاجة لمساعدتهما هذا اليوم. جاء إلى الدكان الكثير من الأشخاص وكان من بينهم زوجته. غنى وانتعش لأنها وكما هي العادة ستهتم بالزبائن من النساء. ولكن يوهانيس عندما نظر إلى عينيها عرف أنها جاءت لتخبره بشيء ما. وقد جعله الاحمرار المتدفق من وجنتيها يفهم أن ذلك كان شيئًا ذا أهمية.

ترنح مزارعي الأرخبيل وهم في حالة سكرٍ، وللحظة وجيزة وجد الزوجان نفسيهما وحيدين في تلك الغرفة الباردة. وقفا بقرب بعضٍ تمامًا أمام الموقد المفتوح ووضع يوهانيس بعض قطع الخشب في الموقد، وأخيراَ تمكنت "سارة" من طرح ما لديها.

- يوهانيس، جاءت اليوم إحدى خادمات السيدة هيلينا إلى منزلنا حاملة رسالة من سيدتها ومن السيد جيكوب وهما يرغبان التحدث إليك عن تعدين المعادن. أعتقد أن ذلك في فالون ونوربيرغ، لقد تمت دعوتنا إلى منزلهما مساء، وأنا لذلك متوترة جدًا.

شبكت سارة يديها.

- ولكن عزيزتي، لم ذلك؟ إنها ليست المرة الأولى التي نجلس فيها إلى مائدة السيدة هيلينا والسيد جيكوب.

- أعرف ذلك. ولكن الآن، هناك السيدة أنغيبورغ أيريكس دوتر، أخت الملك وزوجة الدوق بيرغر، وهناك أيضًا السيدة كريستينا منيخولد، إنهن سيدات مملكتنا الرئيسيات. أنا اعرف أني سوف أشعر بأنني تائهة تمامًا ولن أجرؤ حتى على فتح فمي. وبالتأكيد سوف أتساءل ما الذي أفعله أنا هناك.

- ألديك حقًا مثل هذا الرأي المتواضع عن نفسك وعن النساء اللواتي ستلتقيهن الليلة؟ إن هذا يؤلمني، سارة، فالصورة التي تحملينها عن نفسك سوف

تعكسينها لتلكم السيدات اللواتي ستلتقيهن. نحن كلنا أولاد نفس الرب. إنه لا يفرق بين الناس، وأنت أيضًا عليك ألا تشعري أو تتصرفي بغير ذلك.

طوى يوهانيس خصر زوجته النحيل. فتحت باب الدكان ودلف اثنان من الصيادين من سكنة ستوكهولم مستصحبين معهم ريحًا باردة جدًا.

- اذهبي لمنزلك الدافئ سارة، سألحق بك حالما أتمكن.. سترين أننا سنمضي أمسية رائعة بصحبة السيدة هيلينا والسيد جيكوب.

* * *

تفحصت أنغيبورغ أيريكسدوتر صغارها الكثر، ابنتان وأربعة أبناء. وبصوتها الحازم أخبرتهم بأن عليهم أن يتصرفوا بشكلٍ لائق خلال مأدبة العشاء، أن يجلسوا هادئين، لا يتحدثون بصوتٍ عال، والأهم من كل ذلك ألا يتشاجروا.

تمخطت ريكيسا بقوة، إنها لم تعد طفلة وهي لم تعد بحاجة لتذكيرها بأي تحذيرات. إنها الآن مخطوبة لابن الملك هوكان وعندما يحين الوقت سوف تنتقل إلى وطنها الجديد.

لاحظت أنغيبورغ انزعاج ريكيسا وقد تملكها الحزن. كانت الابنة أصغر من أن تأخذ دور زوجة ولي عهد النرويج، ولكن بالاعتماد على ثقة الشباب بالنفس وبالحماقة، لم تدرك أنها لم تكن كذلك. أحد الأسباب التي أدت لأن تقضي ذلك الشتاء الطويل والمظلم في ستوكهولم هي ريكيسا. فقد كان عليها أن تتعلم من جيكوب الكثير عن شكل الحياة في البلاط النرويجي، فلقد كان جيكوب قائدًا لحرس الملك النرويجي وقد عاش قريباً من العائلة المالكة. ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد. كانت علاقتها جيدة مع هيلينا. وبما إن زوجها الدوق بيرغر موجود الآن على الجانب الآخر من البلطيق، في تافازلاند، فقد كانت ستوكهولم المكان الأكثر أمنًا لها ولأبنائها. علاوة على أنها كانت تضج بالحياة، بالمستقبل الواثق والأمل.

كان بناء قلعة بيرغر الكبيرة يجري على قدمٍ وساق حتى لو استغرق العمل سنوات طوال، ستكون تلك القلعة العالية مؤلفة من عدة طبقات، منزل حجري يذكرهم بمنزلهم في لينا، مع الاختلاف إن هذا المبنى سيكون أكبر حجمًا، وأيضًا فإن الطابق السكني هنا سيشغل الطابق الثاني وسيكون متاخمًا للقاعة الكبرى حيث يتم الاحتفال بالأعياد.

طرقات خفيفة على الباب ودخول كريستينا منيخولد مع أبناء هيلينا وجيكوب مع كلبان رماديان كبيران. سرعان ما أصبحت الغرفة كأنها عش دبابيرٍ تأثر بأصوات الأطفال ونباح الكلبين. اتخذت كريستينا ابنة إنغيبورغ الصغرى مكانًا لها ملاصقًا لأمها، فسبعة أولاد ذوي حيوية بالغة وخيال واسع بقربها يجعلها ـ وكما علمتها التجربة ـ أن الأسلم لها هو أن تأخذ ذلك المكان.

نقلت ريكيسا نظرها بأنحاء الغرفة بنظرة متعالية بينما كانت تغمغم:
- أطفال صغار، ألا يستطيع المرء إن يحظى بلحظة هدوء في هذا المنزل؟

نظرت كريستينا وإنغيبورغ إلى بعضهما نظرة ذات معنى، لم يكن من السهولة إيجاد حدود بين الطفولة والبلوغ.

- تتساءل هيلينا إن كنتم جاهزين، سيقدم طعام العشاء في الصالة.

- نعم، أعتقد ذلك، أو قريبًا، كما أتمنى.

مع بعض الصعوبة نجحت كريستينا وإنغيبورغ بضم كل الأطفال إليهما.

كان المعتقد أنها ستكون أمسية طويلة وهادئة في ذلك البيت الكبير المبني من الحجر والذي بني بنفس وقت بناء تلك القلعة القديمة. في الصالة كانت هناك مائدة واحدة فقط مفروشة بمفرش، معدة على شرف ضيفيهما يوهانيس لارسون وزوجته سارة.

كان جيكوب وهيلينا قد خططا لكي يكون الحديث مركزًا على كيفية أن تكون ستوكهولم محورًا، ميناء رئيسي لشحن خامات الحديد، الفضة والنحاس. ولكن خلال النهار كان جيكوب قد لاحظ أن هيلينا بدت شاردة الذهن كما لو أنها كانت في مكان آخر. والآن بعد أن جلسوا متحلقين حول المائدة المفروشة وقد انقض الأطفال بشراهةٍ على اللحم المقدد بينما ينظرون بشهية ناحية كعكة التوت البري اللذيذة، حينذاك جلست وبدأت بالأكل.

أراد التحدث مع زوجته ليعلم ما الذي يشغلها، ولكن اليوم كان مشحونًا بالعمل وبالناس الذين كانوا يودون التحدث معه ابتداءً من البضائع وحتى المواضيع الشخصية. ولم يتسع الوقت لتبادل الحديث مع زوجته.

ثار غضب الخاتم الذي في إصبعها، بدا كما لو أنه قد تشنج، أو لربما يكون إصبعها هو الذي قد تورم؟ ولكنه في نفس الوقت تألق جمالاً. رأت بعينها أن حجرة الكهرمان قد أضاءت بالكثير من الأضواء. في الأوقات العصيبة التي مضت كانت قد فكرت بخاتمها ذو اللغز. كانت في أحلامها قد سمعت أصوات تأتي من الماضي، من أولئك السيدات اللواتي حصلن عليه قبلها. أصوات حدثتها عن المصائر التي تشبعت بالقسوة، الغدر، الخيانة والطمع بالسلطة، وأيضًا عن المصائر التي تشبعت بحب كبير، بالتواضع، الشجاعة ونكران الذات. لقد علمت أن العديد من تلكم النساء قد حاولن فك لغز الخاتم، وفي الأحلام كانت هي أيضًا تبحث عن إجابة ولكن بلا طائل.

خلال السنوات التي حملته فيها تعلمت ـ مع ذلك ـ أن تعرف لغته. واليوم فقد اختار أن يخبرها أن شيئًا ثقيلاً جدًا قد وقع. وهذا الذي حصل يحمل الاثنين معًا: الألم والسعادة بنفس الوقت.

لم تستطع التركيز حين تحدثت مع يوهانيس. بدل ذلك كانت ممتلئة بشعورٍ يكاد أن يكون مؤلمًا، فكم كان حبها كبيراً لأولئك الذين يجلسون حول المائدة،

أبنائها، زوجها، أمها، أنغيبورغ وكل أبنائها. لقد كانوا عائلتها وكانت تشعر بأنها ستقوم بكل ما من شأنه حمايتهم من كل الذين يضمرون لهم الشر.

قبل أن يفهم أي أحد آخر ممن في الغرفة شيئًا ما، سمعت هي أصوات خطوات سريعة، فنظرت نحو باب القاعة المزخرف الجميل. على عجل دخل رجل من قوة حرسها، وقبل أن يستطيع التقدم أكثر، صرخ بما يحمله.

- سيدة هيلينا، سد جيكوب، حشدٌ كبيرٌ من النبلاء من علية القوم على رأسهم راغنار سيغريدزسون، و"يوار ـ بلو" قد عبروا الجسر الجنوبي، وسوف يكونوا هنا في أية لحظة.

ألقى الرجل برسالته واختفى بسرعة، بالضبط كما حضر. تبعت ذلك لحظة شريرة. لا يستطيع أي إنسان الخروج بمثل هذه الرحلة الطويلة على تلك الطرقات الشتائية المتجمدة وغير السالكة إذا لم يكن لديه مسألة على درجة كبيرة جدًا من الأهمية. وباللحظة التي تلت امتلأت الصالة بعدد كبير جدًا من النبلاء ولم يكن أيًا منهم غير معروف بالنسبة لأولئك الذين كانوا متحلقين حول المائدة.

عانق راغنار أمه وأخته ولكنه عند أنغيبورغ جثا على ركبته. عندما بدأ الكلام كان صوته متعكرًا وهو يحاول أن يضبط إيقاعه.

- سيدتي المبجلة الكبيرة أنغيبورغ أيريكسدوتر. إن لدي مهمة مؤلمة وهي إعلامكم بأن ملكنا الحبيب، أيريك أيريكسون، في اليوم الثاني من شباط/ فبراير من عام الرب١٢٥٠ قد غادرنا إلى الأبد. لقد عانى من حمى مفاجئة لم يستطع أحد إنقاذ حياته. لقد تم جلب رفات الملك إلى الدير الكنسي في فارنهايم حيث سيدفن إلى جانب أبيك وبقية الملوك من عائلة أيريك.

نهض راغنار وهو يتنقل ببصره في الصالة قبل أن يكمل.

- إن بلدنا الآن تقف بدون ملك وأن الدوق موجود الآن في الناحية الأخرى من بحر البلطيق. إن مملكتنا الحزينة تقف الآن بلا حراك وسط العاصفة.

وقفت إنغيبورغ مشلولة، غير قابلة على استيعاب ما قد ذكره راغنار. كيف يمكن أن يكون ذلك ممكنًا؟ كان إيريك في الرابعة والثلاثين من العمر، وفي أخر مرة تقابلا فيها، بالضبط قبل قدومها إلى ستوكهولم، كان يتمتع بصحة ممتازة. شعرت بأذرع هيلينا وكريستينا وهي تطوق خصرها لإسنادها، شعرت بتعاطفهم الصامت.

تقدم ذلك المارد الكبير يوار ـ بلو ناحية إنغيبورغ منحنيَا بأدب.

- نحن الذين جئنا هنا، إلى ستوكهولم، بهذا المساء البارد من شباط/ فبراير، نحن الذين نمثل كل النبلاء الذين كنا مخلصين للملك أيريك أيريكسون، لا تزال لدينا قضية نريد طرحها. فمنذ غياب أخيكم بتلك الطريقة المأساوية فإن كلا الملكين من عائلة أيريك ومن عائلة سفيركير قد ماتا إلى جانب سيوفهم. ولكن الدم الملكي من كلا الملكين لا يزال يجري في عروقك وفي عروق أبناؤك وأبناء الدوق بيرغر سيدة إنغيبورغ.

شعرت إنغيبورغ بضغطِ هائلِ فوق صدرها، هاجس من ليالِ طوالِ قادمات.

انزاح القلق الذي رافق هيلينا طوال اليوم، ذهب الحزن الذي أصابها مع هدوء الجليد. كان ذلك كما لو أن الجسد والروح بدءا بالتهيؤ لمهمةِ صعبة.

شعرت كريستينا منيخولد فجأة بكل تلك السنوات التي عاشتها بالقرب من مركز السلطة وتعودها لذلك التعب الكبير الذي يسببه ذلك القرب.

عندما حامت كلمات يوار ـ بلو كالطائر، في الغرفة رأى جيكوب ذلك الهدوء الذي يظهر دائمًا قبل المعركة. وبذاكرته شعر بتلك الرائحة اللاذعة من الخوف وقلق الموت.

- ولذلك فقد قرر نواب عائلتينا على تسمية أكبر أبناءك، فالديمار بيرغرسون، لكي يكون الملك القادم. وعند الشروق سوف نأتي لمرافقة فالديمار إلى صخور "مورا" خارج "أوسترا أروس "حيث سيلاقينا هناك قاضي أوبلاند. ثم سوف ندعو هناك عند صخور مورا لتتويج فالديمار ملكًا. إن الحاجة ملحة للاختيار سيدة إنغيبورغ لأن هناك من يسعى خلف التاج. بعد تتويج فالديمار سنصحبه فورًا إلى القلعة في فيسينغ حيث نستطيع هناك أن نحميه بأفضل ما يمكن.

صرخة صامتة وجدت طريقها إلى حلق أنغيبورغ الجاف. أرادت أن تعترض رافضة:" ليس ابني، إنه طفل صغيرٌ فقط"، ولكن الحياة بالقرب من مركز السلطة علمتها أن تخفي مشاعرها، بصوتٍ غير مرتعش، لا يفضح ما كانت تشعر به أخذت بالكلام:

- هل زوجي الدوق بيرغر على علم بذلك؟ هل لديه علم أن الملك أيريك ما عاد موجود وأن ابنه فالديمار قد تم تعيينه حاكمًا جديدًا؟

- إن الرسول في طريقه نحو حصن "تفاست بورغ" حيث بيرغر. من المفرح أن الجليد سميكٌ وصالحٌ للسير عليه وإلا فإننا لم نكن نستطيع الوصول إليه قبل الربيع. نعتقد إنه سيعود أدراجه بأسرع ما يمكن.

أخذ راغنار يدا إنغيبورغ وداعبها محرجًا.

- وأنت قريبتي العزيزة، ستسافرين غدًا صباحًا مع أبناؤك نحو فالدهايم لإلقاء نظرة الوداع على أخيك. لا تقلقي بشأن فالديمار.سنسافر أنا وهيلينا معه إلى صخور مورا وكذلك إلى جزيرة فيسينغ.

جلس فالديمار طوال الوقت عند مائدة الطعام مع أخوته، وأبناء هيلينا وجيكوب ومع سارة ويوهانس. كان يشعر بوخزاتٍ من الإثارة عندما احتشد كل أولئك الرجال المسلحين في تلك الصالة الكبيرة. وقد تحولت الإثارة إلى حزن

عندما عرف أن خاله الحبيب قد مات، وبعد ذلك لم يبد أنه يهتم لسماع ما كان يقوله الرجل الكبير يوار ـ بلو.

كان ذلك أولاً حين ركله أخوه ماغنوس بقدمه الصغيرة وهمس في أذنه من أنه قد فهم أن كلمات يوار ـ بلو كانت تتعلق به شخصياَ.

- ذلك ليس عدلاً. لماذا ستكون أنت الملك، فقط لأنك الأكبر سنًا؟

دفعه رجل إلى الأمام برفق حتى أن جميع من في الغرفة استطاع أن يراه. احتضنته أمه بقوة حتى ليخيل أنها لن تتركه أبدًا. ونظر إليه كل أولئك النبلاء بنظرات حنونة. لم يكن قد أفتقد أباه كما هو الآن في هذه اللحظة وفضل لو أنه يستطيع أن يعدو ويختبئ.

حاولت هيلينا أن تستجمع نفسها وأن تؤدي دورها كسيدة للمنزل. أمرت خدمها بتقديم كل ما يتوفر في المنزل من طعام وشراب لأولئك الرجال الجياع البردانين. بنفس الوقت الذي كانت تنتقل فيه بين الآخرين فكرت في أنها وفي الصباح الباكر ستترك أبنائها وزوجها. استطاع راغنار أن يجد الوقت ليتحدث معها، لماذا كان يريد أن يصحبها معه إلى أوسترا أروس.

بينما كانت هيلينا منشغلة بتوضيب نفسها رأت جيكوب وهو يختلي براغنار جانباَ.

- لماذا ستذهب هيلينا برفقتك إلى صخور مورا ومن ثم إلى جزيرة فيسينغ؟ إن الحاجة إليها هنا في المنزل كبيرة.

حاول جيكوب أن يخفي قلقه ولكن جسمه كله كان يتكلم عنه بلغةٍ واضحة.

- أنا وأختي سنكون في الطليعة. أنت تعرف أنه لا يوجد هناك كشافٌ أفضل من هيلينا. إنها تستطيع أن تكتشف الخطر في الوقت الذي لا نرى نحن إلا غابات آمنة. أنها تستطيع إن تعرف آثار الأرض وتعرف تفسير أصوات الحيوانات الحذرة. أنا أعرف تمامًا أنك قلق وأنك تطلب الأمان لزوجتك

وخصوصًا خارج أسوار ستوكهولم. ولكن، إن الأمر الآن يتعلق بمستقبل بلدنا، وعلينا لذلك أن نكون أقوى من مخاوفنا. إذا ما استولى أعدائنا على السلطة فإن ستوكهولم ستكون إحدى أهم أهدافهم. وحينها لن تكون حياة هيلينا هي المهددة لوحدها وإنما حياة أطفالكم أيضًا. إن الحاجة إليك أنت أن تكون هنا، وذلك ما تعرفه أنت جيدًا.

سكت جيكوب، كان يعرف أن ذلك هو ثمن السلطة.. تقدم يوار ـ بلو نحوهما، لاحظ جيكوب أنه يبدو متجهمًا.

- راغنار، أريد أن أتحدث إليك على انفراد.

انسحب جيكوب بهدوء.. الرسالة كانت واضحة.

نظر راغنار إلى الموائد عندما سحبه يوار ـ بلو إلى جانب. أحس بما يدور في قلوب أولئك المحاربين.

- علي أن أقول لك أنك قد أدهشتني راغنار، بحق جميع الألهة لماذا سوف نصحب معنا السيدة هيلينا؟ امرأة، بماذا تفكر أنت؟ قضيتنا عاجلة وخطيرة ولسوف تؤخرنا هي بأكثر من طريقة.

- أنا أعذرك يوار، لا أنوي أن أفهم كلماتك التي تحط من قدر أختي فهمًا خاطئًا، لأنك لا تعرفها. إن قدرة أختي على إيجاد الآثر واقتفاءه على الأرض وقدرتها على اكتشاف الكمائن الغادرة هو شيء مذهل. وفي هذا الصدد فإنها أهم مني ومن الكثير من الرجال. وفيما يتعلق بالمهارة في استخدام القوس فلا أنا ولا الدوق بيرغر نعرف أحد ما يمكن أن يضاهيها. ولسوف تصبح على بينة من مقدرتها على امتطاء الجياد حالما تراها جالسة على ظهر حصانها. هيلينا هي الوحيدة القادرة على امتطاء صهوة سنتوريون. أود أن أؤكد لك، صديقي العزيز، أن أختي لن تكون عامل إعاقة لنا.

لم يتقدم يوار ـ بلو بالمزيد من الاعتراضات.

جلس الدوق بيرغر في غرفة المجلس الباردة في حصن تفاست بورغ وقد شعر بالضيق بداخله. توغل البرد في عظامه حتى النخاع وشعورٌ بالحمى في جسده جعله يتمنى لو أنه كان موجودًا بالجانب الآخر من البحر، في بيته ومع عائلته.

كان هناك سببان لوجوده هنا في تفاست بورغ. السبب الأول والأهم كان هو المعركة المستمرة مع نوفكورود الروسية، ومهمته كانت قيادة جيوش الملك أيريك أيريكسون في المعارك. وفي أواخر الخريف كان قد ساعد أيضًا على تعيين أسقف جديد. ولكن كان عليه أن ينتظر حتى الربيع عندما تذوب الثلوج فيصبح بإمكان بواخره أن تصنع لها مسارًا نحو ستوكهولم.

عوت الرياح خارج الحصن بقوة، وكانت قطعان الذئاب تدور حول الأسوار، فلقد اشتمت رائحة الإنسان والحيوان. عندما دخل أحد القائمين على خدمته قاعة المجلس مخبراَ إياه إن بعض الرجال، الذين رفضوا الإفصاح عن غايتهم يرغبون بالتحدث إليه، تنهد بعمق. كان يرغب بالبقاء وحيدًا مع نفسه المتألمة وحنينه الشديد إلى الوطن. لم يكن يعلم أن حياته خلال بضعة دقات قلب ستتغير تغيراَ كبيراَ. عندما دخل إلى القاعة ثلاثة من الرجال المتعبين، البردانين تمامًا تصلب الدوق بيرغر فزعًا. كان الرجال يلبسون ملابس فرسان الملك أيريك ولابد إن يكونوا قد سافروا عبر جليد بحر البلطيق. ارتعدت فرائصه لما يمكن أن يقولوه له.

- دوق بيرغر، لقد جئنا برسالةِ من جزيرة فيسينغ...

فرد الحزن جناحيه على بيرغر، خانقًا، لا هوادة فيه. ملكه، ذلك المحب للسلام، الطيب أيريك أيريكسون، قد مات.وبالنسبة له لم يكن قد فقد ملكًا فقط، ولكن أيضًا صديقه المقرب.

- نحن آسفون حقيقة، دوق بيرغر، لأننا سنعرض عليكم هذه الرسالة المؤلمة، ولكنها ليست الشيء الوحيد الذي نحمله لكم.

سمع بيرغر كلمات الرجل وكأنها تأتي من بعيد واستغرق بعض الوقت قبل أن يفهم معناها. عندما تلاقت عيونه مع وجه الرجل كان كمن يدفع نحو هاوية حادة. فالديمار، ذكريات مصورة ملأت كل أفكاره. احتضن ابنه البكر بذراعيه، شعر بوزنه الخفيف، أول خطواته وهو يسير، سمع صوت ضحكات ابنه، بكاءه، غضبه. ابنه ذو الحادية عشرة أصبح ملكًا. مخلبًا من الحديد أمسك بقلبه. هناك الكثير من الذين يتحرقون شوقًا لوضع التاج على رؤوسهم. فيليب كنوتسون، الذي ألتجأ إلى أديل ملك الدانمارك وعدوه الشخصي كنوت ماغنوسون، ابن حفيد الدوق الأكبر بيرغر ابن عائلة بيالبو.

ابن بيرغر، نعم، كل عائلته أصبحت حياتهم مهددة. وها هو هنا على الجانب الآخر من بحر البلطيق، عاجزًا عن حمايتهم. قبل أن يكمل الرسل المتعبين عرض رسالتهم أصدر الدوق أوامره. عند بزوغ صباح الغد سينطلق هو ومرافقوه الفرسان عبر بحر البلطيق المتجمد. عليه أن يكون في منزله مع عائلته. في منزله مع ملك البلاد، الطفل الجديد.

منعته الأفكار من النوم عندما استلقى على سريره، تتقاذفه كأنها المطارق. فالديمار، إنه ليس إلا طفل ليست لديه القدرة على إدارة البلاد. أصبحت كل السلطة الآن بين يديه، يستطيع القول إنها... بين يديه وحده.

# الفصل الثامن والثلاثون

لبست هيلينا ملابسها الرجالية وأصر جيكوب على أن تلبس تحت سترتها القصيرة وعباءتها السميكة درعها ذو الحلقات الحديدية. وقف هو وأطفالها والكلبين الأشعثين ملتفين حولها. جعلت نفسها صلبة كي تتجاهل الشوق الذي تراه في عيون أبنائها وفي صوت جيكوب.

- قبل أن نبدأ المسير إلى جزيرة فيسينغ فإننا سوف نقضي الليل هنا في ستوكهولم. وإذا ما سار كل شئ على ما يرام فسوف أحضر صباحًا.

- ولكن ذلك سيأخذ وقتًا طويلاً قبل أن تعودي إلى المنزل.

بدأت عينا ماتيوس تترقرقان بالدمع.

- نعم هذا صحيح، وسوف أفتقدكم أكثر مما تستطيع الكلمات أن تصف.

ثبتت هيلينا سيفها في غمده وعلقت على كتفيها القوس وجعبة السهام.

- سنقول وداعًا هنا.

قبلت هيلينا أبنائها وزوجها قبل أن تسرع في طريقها. أحست بسخونة بشرتها وكان في داخلها شعورًا ناريًا من اللذة بعد ليلة حب ممتعة. شعرت بأذرع أبنائها الطرية التي تطوق رقبتها. بدأ الشوق يعتمل في داخلها فعلاً. ودعت أمها وإنغيبورغ وتمنت لهم رحلة آمنة إلى فارنهايم. قريباَ ستتناثر عائلتها في الريح وسوف تهددهم الأخطار في كل مكان. لربما ستصبح المملكة أكثر أمانًا مع فالديمار، الملك الصوري ومع بيرغر القائد الفعلي. أنها تأمل بصدق أن يكون الحال كذلك. كان سنتوريون يدق بقوة الأرض بحافريه داخل الاسطبل. جعلته رائحة الخيول التي أمامه يبدو هجومياَ. لم يستطع أي من العاملين وضع السرج عليه.

نظر يوار ـ بلو بإعجاب لذلك المهر الضخم. كان النبيل قد أفاق منذ شروق الشمس وكان ينتظر بفارغ الصبر موعد انطلاقهم.

- صباح الخير سد يوار.. أرجو أن تكون قد نمت جيدًا.

احتاج يوار ـ بلو لكل شجاعة العالم لكي يكبت جماح مفاجأته. هيلينا سيغريدزدوتر ترتدي ملابس الرجال مسلحة، تجلس على السرج، يطيعها سنتوريون بكل هدوء وقد سمح لها بامتطاء صهوته بكل حب وعن طيب خاطر.

- نعم، شكرًا سيدة سيغريدزدوتر، لقد نمت بهدوء تمامًا.

التمع الكذب على شفتيه بكل وضوح. فهو لا يعتقد أنه سيعترف لهذه المرأة الرائعة أن مخاوفه قد جعلت النوم يحلق بعيدًا عنه.

- هل أنتم وأخوكم جاهزان للمسير؟

- نعم، إن راغنار ينتظرنا خارجًا.

ومن وراء إحدى نوافذ البيت الحجري وقف جيكوب مع أبنائه ينظرون لهيلينا وراغنار وهما يبتعدان. وقفوا هناك حتى اختفى عن أنظارهم أخر الفرسان داخلين الغابة في الجانب الآخر من تلك العاصفة الشمالية الباردة جدًا.

سيكون النهار مليئًا بالوداع، أولاً سيلتحق فالديمار وكل مرافقيه من النبلاء بهيلينا وراغنار المتوجهين نحو مرج مورا حيث سيودعون أولاً كريستينا، إنغيبورغ وكل أطفالها. سيكون المكان خاليًا إلا من الاشتياق والقلق. رفع جيكوب ابنه ماتيوس بين ذراعيه، كان ملزمًا بالمحافظة على نفسه وعلى أبنائه.

- ستتبعوني الآن لكي نتفقد حرس الكنيسة، عندما لا تكون أمكم في المنزل فأنكم سوف تقومون بمساعدتي على إدارة شؤون ستوكهولم.

- لقد مرت فترة طويلة منذ أن ركبنا معًا هيلينا.

لقد ترك الآخوين ستوكهولم ورائهما.

- نعم، لم يحصل ذلك منذ أن كنا نعيش معًا في بيالبو. أود إن أخبرك بأني أعتزم زيارة بيالبو، عندما نصل إلى شاطئ فاترين وعندما تستمر أنت راكبًا فوق جليد البحيرة نحو جزيرة فيسينغ سأترككم أنا ورجالي. لقد مضى وقت طويل لم ألتق فيه أنغريد ـ أيلفا. لم تعد جدتنا صغيرة. إنها لن تستمر بالعيش أكثر مما عاشته.

- هذا صحيح. كنت أتمنى أن ألتقيها ولكن دائمًا ما كان يحصل مانعًا. ولم يكن الوقت يتسع لذلك. الآن فقط، حين يصل بيرغر إلى منزله، فأنا سأكون مشغولاً إلى حين عودته.

- أنا أتفق معك. أشعر أن مصير بلدنا قد أصبح معلقًا بين يدي رجل واحد. ولكن علينا أن نركن الآن إلى الصمت. أنا بحاجة لكل تفكيري لكي أستطيع التركيز على تلك المعلومات التي تتضح أمامنا.

* * *

تقدموا راكبين بصمتٍ وبانتباه شديد.كان يوم شتائي جميل يتشكل، فتلك الغيوم الكثيفة كأنها سقف رمادي يستند على نهايات الأشجار، إن الأيام الأخيرة من شهر شباط/فبراير ستمضي الآن في طريقها مخلفة السماء زرقاء مشرقة. شهر آذار/ مارس ينتظر خلف الزوايا بفارغ الصبر كأنه تحية مرسلة من ذلك الربيع الذي طال الاشتياق له. نمى الضوء أقوى مع مرور الأيام، وبدت زقزقة الطيور أكثر كثافة من أي وقتٍ مضى. كان الشعور بأنه منذ هذا اليوم سيكون البرد أقل حدة.

سارا يتبعان الطريق الواسع القديم نحو أسترا أروس.لقد كان المكان مركزًا رئيسيًا للعبادات الوثنية، وهناك كانت أيضًا تلك المدافن الضخمة التي كانت شاهدة على الأزمان الغابرة. أحجار مورا، التي لونت بألوانهم، تقع في برج مورا وهو مكان يقع على مسافة ميل عن أسترا أروس على الحدود بين أتوندالاند وتيوندالاند.

كان الطريق الواسع يتلوى بين القرى الصغيرة حيث كان الدخان يتصاعد من البيوت نحو تلك السماء الزرقاء، يمضي بين المزارع المغطاة بالثلوج وبين الغابات الكثيفة. تلك الغابات التي تضم مخاطر عديدة. أرسلت الكشافة من قبل أنصار فيليب كنوتسون كي يتمكنوا من الاختباء هنا بلا مشاكل. أو ما هو أسوأ، فرقة من القوات تتخفى في الغابة بانتظار اللحظة المناسبة للانقضاض على أتباع فالديمار.

سارت هيلينا برفقة راغنار وهما متأهبان لكل شاردة وواردة، عندما وصلا لمنتصف الطريق أوقفت هيلينا، بشكل مفاجئ حصانها سنتوريون واستلت قوسها، طلبت من راغنار أن يسير ورائها عند تقدمها في الغابة. ربطا حصانيهما عند شجرة مطروحة على الطريق وسارا على أقدامهما نحو الأمام.

أخذ الرجال الذين كانوا مستلقين بانتظار تسليب المسافرين الذين هم في طريقهم من ستوكهولم إلى أسترا أروس على حين غرة تمامًا. لم يدر بخلدهم أبدًا أنهم سوف يهاجموا من الخلف، من داخل الغابة وهم قد كانوا يولون جل اهتمامهم نحو الطريق الرئيسي... كانوا خمسة رجال، خمسة من الخارجين على القانون الذين كان يمكن أن يموتوا فقط من أجل الحصول على القليل من الطعام. ولقد سقطوا بسهام هيلينا وراغنار.

عندما تمعنت هيلينا بوجوههم الشاحبة، عرفت أن هؤلاء الرجال لم يكونوا يشكلون خطرًا على حراس فالديمار. ولكن وبشكل دوري كان جيكوب يركب سائرًا على الطريق الرئيسي مع حراسه من أجل تأمين الطريق من قطاع الطرق والخارجين على القانون. كان يجب أن يشعر الجميع، تجارًا، حرفيون، مزارعون، نساء وأطفال بالأمان وهم يستخدمون الطريق قادمين نحو ستوكهولم.

- هل نستمر بالسير؟

كان راغنار عائدًا في طريقه نحو حصانيهما. بدا متأثرًا تمامًا لأنه قد أرسل للتو خمسة من الرجال نحو مصيرهم. وتذكرت هيلينا مرة أخرى أنها كانت معتادة

على القتل. أما بالنسبة لراغنار، جيكوب، بيرغر وكل أولئك المحاربين فقد شعرت بأن معاركهم وقتلهم للآخرين كان جزءاَ طبيعيًا من الحياة. بالنسبة لهم لم يكن هناك إلا أصدقاء أو أعداء ومن أجل أن يعيش المرء ما كان يستطيع أن يظهر جانبًا من الرحمة. أو لربما يستطيع ذلك؟ وربما كان ذلك هو الطريق الوحيد لوضع حد لإراقة الدماء؟

- ألن نغطي تلك الأجساد؟

- لن نتمكن من ذلك هيلينا، لقد أصبحت الغابات هي مسكن أولئك الرجال، وستكون الآن قبور لهم.. تعالي الآن.

تقدموا خلال تلك الأراضي المغطاة بالثلوج، لم يكن هناك الكثير من المسافرين على ذلك الطريق، كان هناك فقط زوجًا من الحرفيين، وبضع عبيد اكتسوا بملابس خفيفة يحملون ربطات ثقيلة من الحطب أو أكياس مليئة بالحبوب.

وصلوا عند وقت الظهيرة أمام مرج مورا. وعند تلك الصخرة المسطحة الكبيرة ستتم إجراءات اختيار الملك. أكلوا من الطعام المعد للرحلة وتركوا خيولهم تأخذ قسطًا من الراحة. لقد سار كل شيء ـ حتى الآن ـ على ما يرام. ولكن خارج مرج مورا كانت الغابات كثيفة وعالية. وكان ذلك يوفر حماية جيدة لعيون الكشافة وللسهام القاتلة. كانت مهمتهم بعيدة عن نهايتها.

بينما كانوا مع مرافقيهم بانتظار القاضي القادم من أوبلاند وكان فالديمار ويوار ـ بلو ومرافقيهم من النبلاء على وشك الوصول حيث سيأتون راكبين بمحاذاة حافة الغابة وهم يقظين مما بين الأشجار إذا بصرخة طير جارح جعلت هيلينا ترفع نظرها نحو تلك السماء الزرقاء المتقلبة، فإذا بها ترى الملك النسر ذو اللون البني الغامق يحلق مهيبًا فوقهم.

- أعتقد أنهم قادمين الآن.

فرد راغنار نفسه حيث كان جالسًا على صهوة جواده ناظرًا نحو الطريق الرئيسي. جاءت مجموعة من الرجال الخطيرين، ممثلي أقوى العشائر في

المملكة، دخلو مرج مورا راكبين خيولهم. كانوا مملؤين بلحظات الفخر وبينهم كان يركب صبياََ شاحباََ يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة، والذي سوف يتم قريباََ تنصيبه ملكََا جديدًا للمملكة.

شعرت هيلينا بشفقة عميقة. كم كان فالديمار وحيدًا ومتروكًا. تقدمت راكبة نحوه فلفتت انتباهه. كانت تريد أن تأخذه بين ذراعيها، أن تبعد الخوف وعدم الاطمئنان عن وجهه وأن تؤكد له أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأن والده سيصل قريباََ وسوف يعتني به وبالمملكة. ولكنها امتنعت عن ذلك. لقد شعرت أن ذلك سوف يزيد من مخاوفه، لأن فالديمار، بين الرجال، لا يجب أن يظهر بمظهر الطفل. الطفل الذي كان في الطريق لنهاية طفولته فجأة.. بدل ذلك ابتسمت له، ابتسامة أملت أن تستطيع أن تنقل إليه كل ما كانت تريد قوله.

- لقد جاء القاضي، نستطيع الآن أن نتهيأ للعمل.

سمعت هيلينا شعور الراحة بصوت يوار ـ بلو، ساعدت الأيادي على إنزال فالديمار عن حصانه، وبمرافقة يوار ـ بلو والقاضي، سارا أماما نحو صخرة مورا. وقف على الصخرة الأسطورية ذات النهايات الحادة والتي تم تنظيفها من الثلج.

صرخ الطير الجارح بصوتٍ أعلى من كل مرة فنظرت هيلينا نحو السماء. كان النسر لا يزال يطير في الأعالي في عظمة انفرادية، شعرت هيلينا فجأة أنه يثبت نظره على وجهها بعينيه ذات السواد الفاحم بالتحديد. وأن ذلك كان تذكير بالسبب الذي كانت من أجله في مرج مورا.

عندما وقف فالديمار، هناك فوق صخرة مورا، صبي صغير، وحيد، والذي سيصبح الآن ملك ويحكم عليه، بتلك المرتبة الكريمة، الرفيعة. سمعت كيف انتخبه كل النبلاء، بكل انسجام، ملك جديد للسويد، وكيف نصبه القاضي بذلك المنصب، عندما كان فالديمار، يقف هناك يتلقى التهاني ركبت هي نحو طرف

الغابة حيث ترجلت عن سنتوريون. بلا أي صوت زحفت بين الأشجار مستحضرة كل العلوم التي وضعها فيها دانييل ورايم.

لم تر هيلينا ذلك الرجل الذي جلس القرفصاء خلف شجرة الصنوبر التي تخفيه عن النظر ولكنها شعرت فقط بوجوده. سمعت صوت السهم القاتل الذي يتم تثبيته على قوس طويل. ولكن بلمحة بصرٍ سريعة وقبل أن ينطلق السهم من قوسه، ذلك السهم الذي كان مصوبًا نحو فالديمار، تلقى الرجل ضربة من سيف هيلينا القاتل فشطرته.

فالديمار بيرغيرسون أصبح الآن ملك الويد المنتخب. ثم بعد ذلك تمت إزاحة اللوح الحجري الذي يحمل اسم الملك أيريك أيريكسون من مكانه في أعلى صخرة مورا. ولسوف يرتاح الآن ذلك اللوح الحجري إلى جانب الألواح الحجرية للملوك السابقين. لوحًا حجريًا محفورًا عليه اسم فالديمار انتصب بالأعلى فوق صخرة مورا.

قطاعات كبيرة من طبقة المجتمع المميزة في هذا اليوم من شهر شباط/فبراير من عام النعمة ١٢٥٠ اختارت أن يكون ذلك الشاب الصغير فالديمار ملك عليهم، ولكنه لغاية الآن لم يكن قد حصل على مباركة السلطة الكنسية، ومن أجل ذلك فلا بد أن يتوجه أسقف ويجعله ملك بموجب الحق الإلهي. وقبل أن يكون التتويج ممكنًا كان يجب أن يكون الوصي الحقيقي، بيرغر موجود بالمكان.

# الفصل التاسع والثلاثون

عانت أنغريد ـ أيلفا من الألم الشديد في ساقيها حيث أنها كانت مجبرة على الوقوف طويلاً أثناء مراسم التنصيب الملكية الطويلة في كاتدرائية لينشوبنغ. ولكن قوة إرادتها وافتخارها كانا أقوى من الألم ولم يستطع أي أحد من المدعوين أن يرى معاناتها.

أمامًا عند المذبح العالي كان حفيدها فالديمار ذو الأحد عشر عامًا يتلقى طقوس التزييت بالزيت المقدس، بعد ذلك أعطاه الأسقف لاورينتيوس الأذن بموجب الحق الإلهي أن يدير البلاد. امتلأت عيناها بالدموع وغسلت الذكريات وجهها. ففي هذه الكاتدرائية المذهلة كان اثنان من أبنائها قد أصبحا أساقفة.

كلا الاثنين قد ماتا بينما هي، أمهما، لم تزل موجودة على الأرض لحد الآن. وهي لم تتوقف عن الاعتقاد مطلقًا أن الرب في الأعالي، في سماواته الآمنة قد كان قاسيًا عندما سمح للأطفال أن يهيموا على وجوههم إلى الأبد قبل ذويهم. شعرت بالتعب يدب في جسدها وفي روحها. شعرت بأنها مستعدة لمغادرة الحياة الأرضية هذه بنفس الوقت الذي كانت فيه ممتنة تمامًا لأن الحياة قد أوصلتها لهذا اليوم الذي لا يقدر بثمن.

عادت بالذاكرة إلى الوراء ووجدت صورًا مفككة لذلك المستقبل الذي سبق للنسر وأن جعلها تراه وتشهده. كان ذلك قبل سنوات عدة من الآن ولكنها لا تزال مضيئة وواضحة بداخلها. كانت قد رأت ابنها بيرغر كرجل ذو قوة عظيمة لا يمكن تخيلها. هذا الرجل يقف الآن إلى جانب الأسقف لاورينتيوس وابنه فالديمار أمامه عند المذبح. كان دوق المملكة وحاكمها الحقيقي.

إنها تتذكر أنه كانت هناك إثنان من التيجان يحومان حول بيرغر، وقد وجد الآن أحدها مكانه. ولقد بقي الثاني. والجواب عمن سيكون صاحب هذا التاج

فإنه موجود ومكتوب في المستقبل.المستقبل الذي لن تتمكن من أن تكون جزءاَ منه. ولذلك فقد كانت هناك صورة مؤلمة أكثر من أي من الصور التي أراها النسر إياها والتي علقت بوعيها بقوة. صورة لبيرغر وبيده سيف يقطر دم.

ومن بين الذكريات اخترق صوت فالديمار الصبي المشرق وهو يقسم اليمين الملكي وقوفًا أولاً وثم وهو جالس على العرش الذي جيء به إلى لينشوبنغ من القلعة الملكية في جزيرة فيسينغ.

ولكن فجأة غرق صوت فالديمار بصوتِ آتِ من ضربات أجنحة عظيمة وفي يديها عرفت تلك الريشة الناعمة التي أتت من ذلك الطائر. جاءت مع ألم كبير حتى شعرت أنها سوف تكون قادرة على حمله. بكل قوتها المتبقية أوقفت ذلك الذي أراد النسر أن يريها إياه، وصلت بتواضع لأن ينتظر حتى تكون وحدها في غرفتها داخل قصر الأسقف. فإذا ما كان هذا الألم الجديد سيوضع على كتفيها فإنها لن تستطيع أن تحافظ على رأسها مرفوع خلال ما تبقى من مراسم التتويج. وكان ذلك اليوم يجب أن يكون يومًا للفرح والاحتفال.

شعرت أن نظرات هيلينا تشتعل بوجنتيها وعرفت أنها لا تريد أن تخفي ما الذي يعتمل بداخلها. ليس من أجل هيلينا تلك الفرد من أفراد عائلتها والتي كانت الأكثر شبهًا بها والتي كانت هي الشخص الوحيد الذي كان مستقبلها مخفياَ عليها. تحولت الأفكار من جديد.

إن فرعهم التابع لآل بيالبو كان لديه الكثير ليشكر هيلينا عليه. فإن لم تكن هي من ضمن المرافقين نحو صخور مورا وأن لم تسافر حتى جزيرة فيسينغ فإن فالديمار لم يكن ليكون هنا في كاتدرائية لينشوبنغ. لم يكن ليستطيع استقبال التاج الذهبي المرصع بالأحجار الكريمة أو الصولجان، ذلك الذي على شكل صليب مرصع بالتفاح والسيف كعلامة على سلطاته الملكية.

مرت أكثر من سنة منذ اختيار الملك في مرج مورا. وقد مضى بسرعة كبيرة كما الماء الذي ينساب من بين أصابعها، من المستحيل وقفه. تذكرت أنغريد ـ أيلفا

فرحتها الكبيرة عندما أتت هيلينا ومرافقيها إلى بيالبو وحدثتها من أن فالديمار أصبح آمنًا وسليمًا في جزيرة فيسينغ. ترك ذلك الوقت الذي قضوه معًا كثيراَ من الذكريات المضيئة.

كانت تدرك أنها تعيش الآن مع ذكريات ذلك الزمان الذي مضى. كانت لحظة شعرت بأنها بعيدة جدًا، كما لو أنها لم تعني لها شيئًا.. شعرت أنغريد ـ أيلفا بذراع كريستينا تحت ذراعها.

- حان الوقت للذهاب أماه، لقد انتهت المراسيم. إن فالديمار أصبح الآن ملكنا المتوج.

بقليل من الخجل أدركت أنغريد ـ أيلفا أنها قد فشلت مرة واحدة في ألا تظهر اهتمامها في تفكيرها الذي كان في مكان آخر.

- أتودين أن تنالي قسط من الراحة قبل حفلة التتويج الكبرى؟

- نعم كريستينا، أرغب بذلك، بل لعله من الأفضل أن أستأذن عدم الحضور. أنا جدًا، جدًا متعبة. ونسبة لحكم العمر فلا أعتقد أنه يوجد هناك من مانع لو أني سحبت نفسي. ثم إن لدي اجتماع لا يمكن أن ينتظر.

تلك الكلمات الأخيرة كانت أنغريد ـ أيلفا قد قالتها همسًا، فهي لم تقصد بتلك الكلمات غير نفسها.

وبينما كانت صالة قصر الأسقف الجميلة التزيين مملوءة بالأشخاص الذين يرتدون ملابس الاحتفال، وخيمة الجعة المتقوسة لكثرة الفرسان الحاملين كؤوسهم. انسحبت أنغريد ـ أيلفا نحو غرفتها.أخبرت خادمتها أنها تريد أن تتناول عشائها وطلبت بعد ذلك أن تترك وحدها. ألقت بنفسها على سريرها العريض، الناعم، ملأت رأسها بالأفكار ثم نادت على النسر...

سمعت خفقات الأجنحة المدوية وبالضبط كما في أول لقاء لهما قبل عدة سنوات أصبحت هي نفسها ذلك النسر الذي يرى كل شيء. كان ذلك الذي

سمعته هو صوت أجنحتها العظيمة. شعرت كيف أن الريح قد لامست ريشها اللامع، الشعور بالحرية لدى انعدام الوزن جعلت قلبها يخفق بسرعة. بهيئة نسر طارت فوق الغابات المظلمة، الجبال العالية التي تعصف بها الرياح والمياه الزرقاء التي وصلت إلى وجهتها عند المرج المفتوح وكذلك عند النهر المترقرق.

رأت اصطفاف عدد كبير لا يمكن تصوره من الفرسان والجنود المشاة على جانبي النهر يقفون باطمئنان. صوت البوق القرن العالي، سهام ممطرة كثيفة تحجب الشمس.

ثم صعد الجحيم نحو الأرض.. جيشان من العمالقة هاجما بعضهما، وعند الحافة الحادة حضر ابنها بيرغر راكبًا.

من فوق السماء رأت الرؤى المرعبة وهي تحل محل بعضها البعض. مشوهين، أشخاص ميتين، حلقت صرخات عذابهم، خيول تبكي... جريحة خائفة تنزلق بالدم وبأحشائها. جثثًا تتكدس فوق بعضها، محاربين جرحى صلوا من أجل حياتهم قبل أن يخرق العدو أجسادهم. ولم تعد مياه النهر زرقاء، لقد أصبحت حمراء داكنة.

وعندما انقشع كل شيء، عندما صمت الصراخ وتلاشى صوت البكاء، عندما مشت نشوة النصر تتأبط يد الحزن، وقف ابنها منتصرًا.. سمعت صوت بيرغر القاسي وهو يأمر بإعدام قادة جيش العدو الذي ألقى القبض عليهم فورًا. وكان من ضمنهم عدد من أفراد عشيرته.

بعيني النسر الملتمعتين طارت بعيدًا..

بكت أنغريد ـ أيلفا حتى ارتعشت، وفي هذه اللحظات المريرة لعنت قدرتها على رؤية المستقبل. سينتصر بيرغر بالتأكيد على معارضيه، ولكن بأي ثمن؟ ماذا سيكون إرثه؟ هل يعطي الحكم بقتل إنسان خلود للحياة؟

عقدت يديها وصلت إلى ربها بأن يعطي لابنها القدرة على فعل الخير الذي لا تعرف أنه يريد إنجازه. ربما كان ذلك لأن بيرغر قد أجبر على ارتكاب ما كان مؤلمًا من أجل الحصول على السلطة التي تمكنه من فعل الخير؟

القول، إن الغاية تبرر الوسيلة، قد يكون صحيحًا. أو كيف يكون الوضع معها حقًا؟ لم تستطع الأجابة على تساؤلها.كانت متعبةً تمامًا، في كليهما، جسدها وروحها. لقد وصلت إلى نهاية طريقها. كانت قد ملأت كأس حياتها حتى نهايته. ولن يتسع للمزيد. على الرب أن يسمح لها بالتنحي، أن تترك مكانها لشخص آخر.

باكرًا، في الصباح كان عليها أن تسافر عائدة إلى بيالبو. كانت احتفالات التنصيب ستستمر ليومين آخرين، لكنها حصلت على استثناء بعدم حضورها. وقبل سفرها قصدت أن ترجو جميع عائلتها الموجودين أن يأتوا إلى بيالبو عندما تنتهي الاحتفالات في لينشوبنغ.

لم تشأ أن تعطي توضيحًا عن مقصدها لأي شخص. أم العشيرة، أنغريد ـ أيلفا، المطاعة حتى من قبل ملك أو من قبل دوق.

عندما حضرت الخادمة حاملة صينية مملوءة بالطعام وجدتها نائمة. وضعت الصينية بحذر ثم تسللت بهدوء خارجة من الغرفة.

ركبت أنغريد ـ أيلفا خلال ذلك الربيع، عبر بحر من شقائق النعمان وأزهار الكبدية الزرقاء وعبر فروع أشجار البتولا الحديثة. كان الهواء منعشًا ونقيًا كالزجاج. عرفت أن هذه هي رحلتها الأخيرة في حياتها على الأرض ولربما لهذا السبب هي تبدو مستمتعة كما لم تكن كذلك من قبل. كان هذا وداعًا لها، وكانت هي مملوءة حبًا وامتنانًا على تلك الحياة الثمينة كانت هدية. نعم كانت هناك الآمًا عميقة، شر وقسوة ولكن وقبل كل شيء فإن حياتها كانت مليئة بالحب.

إلى جانبها على الطريق الرئيسي ركب ذلك الذي ذهب بعيدًا منذ فترة طويلة، زوجها، ماغنوس منيخولد، وذكريات ليالي حبهما الكثيرة جعلت وجنتيها المتجعدتين تشتعلان. لقد قضوا سنوات جميلة معًا. ولكنها كانت قليلة جدًا.

إلى جانب ماغنوس كان يركب أطفالهما، أيسكل، كارل وبنغت: كان فرحها ليس له حدود لمعرفتها في أنها قريبًا سوف تراهم مرة أخرى، ولسوف تأخذهم بين ذراعيها مرة أخرى. بينما كانوا يركبون خلال ذلك الربيع تحدثت لهم عن تتويج فالديمار وأن كل العائلة سوف تجتمع قريبًا في منزلهم في بيالبو.
لم تلحظ نظرات الاستغراب الملتمعة بعيون حراسها، وخادماتها، لأن أنغريد ـ أيلفا كانت بالفعل موجودة على الحدود بين ذلك الذي قد كان وبين ذلك الذي سيأتي.

عندما وصلت ومرافقيها إلى باحة بيالبو كان الشفق الأزرق قد نزل فعلاً فوق المزرعة وفوق الكنيسة. أخبرت موظفي الخدمة المنتظرين أن الملك فالديمار، الدوق بيرغر، وباقي أعضاء عائلتها سيأتون إلى بيالبو في الأيام القريبة القادمة. كل شيء يجب أن يكون معدًا وجاهزًا عند قدومهم. ثم أمرت خادمتها المقربة أن تستدعي كاهن بيالبو، فهي تريد الاعتراف له وذلك سيكون في مخدعها الواقع في أعلى البرج، حيث تنوي قضاء الليل هناك.

أنهكتها رحلة العودة وأخذت من طاقتها الكثير وكان من الصعوبة عليها بمكان أن تصعد سلم البرج الملتوي. ولكن كبريائها أبت أن تقدم لها المساعدة. كبريائها التي كانت رفيقها الأمين، والتي لن تفارقها الآن عندما تكون النهاية قريبة.

أغمضت أنغريد ـ أيلفا عينيها كي لا ترى القلق في عيني خادمتها المخلصة عندما قالت لها إنها لا تريد أن تأكل شيء. الشيء الوحيد الذي تريده الآن هو الاعتراف ثم أن تبقى وحدها. مسحت أنغريد ـ أيلفا تجاعيد المرأة العجوز مودعة.

وقفت أنغريد ـ أيلفا في برجها تلقي نظرة على أراضي بيالو. عانقت بنظرها المنازل، المروج، الغابات والحقول للمرة الأخيرة قبل أن تستلقي على سريرها. كانت هادئة، كانت متحمسة، وكانت مستعدة للمغادرة.. أشرق إلى جانبها ضوء أبيض، مستعد لمرافقتها عبر الجسر المتألق إلى أرض ما وراء النجوم. وقد كانت متشوقة بالفعل للذهاب إلى هناك.

في الصباح وجدت خادمتها المخلصة أن أنغريد ـ أيلفا ميتة، وعلى شفتيها تلتمع ابتسامة.

إثنتين من الخادمات أخذن طريقهن نحو الحظيرة لحلب الأبقار، أحد عمال المزرعة كان في طريقه للبيت بعد لقاء حب، أحدهم سار مبكرًا، الكل كان يتكلم عن شيء واحد. في ساعة الشروق الوردي تلك، كانوا قد رأوا نسر أبيض لامع يحوم حول برج أنغريد ـ أيلفا.

بعد يومين وصلت عائلة أنغريد ـ أيلفا راكبة وحطت في باحة بيالبو يرافقهم جميع الحرس الملكي. جاؤوا مباشرة من حفل التنصيب إلى المنزل الأكثر حزنًا والأكثر وحشة. في داخل كنيسة بيالبو يستريح جسد الأم الكبيرة بانتظار المغادرة إلى مثواها الأخير.

كان بيرغر مشلولاً جراء الصدمة والحزن. أمه القوية، المنحدر الصخري الشاهق في عالم متغير باستمرار، لم يعد لها وجود بعد. كانت تقول دائمًا أنها لطالما كان رأسها مرفوع فإن سلطة آل بيالبو لن تخذل أبدًا. مادت الأرض من تحته.

بكت كريستينا، أنغيبورغ، أولفهيلد، جيكوب وكذلك بكى رايم.

وقفت هيلينا إلى جانب جسد جدتها بلا دموع. في رأسها صدح صوت أجنحة ثقيلة وفي مخيلتها رأت وجه أنغريد ـ أيلفا ذو الابتسامة السعيدة. تحرك الخاتم في إصبعها على مهل، غنى أغنية عن الحزن والشوق لأولئك الذين لا يزالون على قيد الحياة. أنغريد ـ أيلفا سونسدوتر دفنت أسفل المذبح في كنيسة

بيالبو في يوم ربيعي جميل مشرق. قام كاهن المزرعة الخاص "أيلمير غوستافسون" بمراسم الدفن.

أنغريد ـ أيلفا سيدة أوستر غوتلاند ذات السلطة الأوسع كانت قد أصبحت أسطورة خلال حياتها. والقصص عن قواها السحرة، عن قدراتها على استشراق المستقبل كانت لا تحصى. وها هي تنتشر الآن مع الريح بكل أنحاء المملكة، وحتى داخل المستقبل.

ولكن الحياة تستمر بلا هوادة، لا تهتم الحياة طويلاً إن لم يكن هناك بعد شبيهًا بأنغريد ـ أيلفا. بعد السهر عند جثة أمه جمع بيرغر عائلته في غرفة نومها في أعلى البرج. كان هناك شيء يود قوله لهم، شيء يخص فقط الدائرة الأقرب في عائلتها، وليس من أصبح من ضمن عائلتها لاحقًا. عندما حلت الليلة الربيعية على بيالبو ونام سكان المزرعة، اجتمع بيرغر، راغنار، كريستينا، هيلينا وجيكوب في داخل الكنيسة. اشتركوا بكل طاقتهم من أجل إزاحة ذلك الحجر الثقيل الذي غطى قبر أنغريد ـ أيلفا جانبًا ورفع بيرغر بعناية جسد أمه. بمنتهى السرية سوف تحظى سيدة العشيرة على مستقر جديد لراحتها الأبدية.

خلال ساعات الليل الهادئة بنى الرجال دعامة جدار في غرفة الكنيسة القديمة تلك. حتى في الموت يجب أن تحتفظ أنغريد ـ أيلفا برأسها مرفوع، وشامخ للأعلى. هكذا قرر بيرغر. ستبقى واقفة في ذلك العمود تراقب وتحمي عشيرتها.

إن خطر كبير يهدد المملكة الآن، وأن تاج فالديمار لا يجلس أمنًا تمامًا فوق رأسه.

أفاد جامعي المعلومات الذين أرسلهم بيرغر في تقاريرهم بأن فيليب كنوتسون وبمساعة ملك الدانمارك أديل قد استأجر جيشًا من المرتزقة الألمان قوامه خمسمائة فارس وعدة آلاف من جنود المشاة، وقبل أن يحل الشتاء ستكون تلك القوات العظيمة مستعدة لدخول البلاد.

**إذا لم ينجح رجال الملك فالديمار بإيقاف الأعداء فلسوف يكونون كلهم تحت التراب.**

**نظرت هيلينا بينما كان الرجال يبنون عمود لجسد جدتها وفكرت في ذهنها المتصلب بأن ذلك لم يكن هو ما قصدته جدتها عندما قالت إنها طالما كانت تحتفظ برأسها عالياً فإن آل بيالبو سوف يبقون محافظين على قوتهم. ولكن لأنها كانت ذكية كتلك السيدة فقد اختارت الصمت.**

# الفصل الأربعون

جاهدت هيلينا من أجل التخلص من قبضة الكابوس الحديدية، دق قلبها بسرعةِ كبيرة، كانت غارقة في العرق والطفل الذي في رحمها قد ركلها بعنف. كانت الأم مرعوبة أيضًا لمخاوف ذلك الطفل الذي لم يولد بعد. ولكن رعشة جعلتها تجلس في فراشها باحثة بيدها عن جيكوب. عندما شعرت بدفئه، ومن أجل حماية الجسم بكت طلبًا للإغاثة. لم يكن ميتًا، ما رأته في كابوسها لم يكن حقيقيًا، لم يكن جيكوب أحد أولئك الآلاف من الرجال الذين لقوا حتفهم في المعركة عند جسر"هيريفاد" وصبغت دمائهم مياه نهر "سافي" باللون الأحمر.

كان نفس الكابوس المروع يراودها منذ أن عاد رجال ستوكهولم الذين استجابوا لدعوة الدوق بيرغر من أجل الدفاع عن بلدهم ضد الأعداء من المرتزقة. ولكن لم يعودوا كلهم، فعدد مرعب منهم قد بقت جثثهم ملقاة في السهل الذي جرت به المعركة في مقاطعة فاسترغوتلاند.و هؤلاء الذين اضطروا لمرافقته وبقوا على قيد الحياة قد رووا أشياء أكثر من مروعة. وسوف يبقى ذلك معلق بذاكرتهم فترة طويلة من حياتهم.

كان الدوق بيرغر قد قاد جيوش الملك فالديمار للنصر هنا عند جسر هيريفاد. كان قد أجبر جيش المرتزقة الألماني على الاستسلام، وأجبر قادتهم على أن يجثوا على ركبهم وأن يلقوا بأسلحتهم أمامه، هو دوق مملكة السويد القوي. ومن بين الذين جثوا على ركبهم كان فيليب كنوتسون ابن كنوت الطويل وكذلك كنوت ماغنوسون من عشيرة آل بيالبو.

على الرغم من حقيقة أن هؤلاء الرجال المتفاخرين قد استسلموا، إلا أن الدوق بيرغر لم يبد أي رحمة. لقد قطع رؤؤسهم كلهم، هناك عند شاطئ نهر سافي، وانتشرت موجة الصدمة مع الريح فوق كل أرجاء المملكة.

ركل الطفل بحماس داخل جسدها. لم تكن مجدية محاولة النوم، سوف يعاودها الكابوس مع كل مخاوفها. استدارت هيلينا من فوق زوجها النائم وقبلت بلطف جبهته، عيونه المغلقة، وفمه الطري قبل أن تنزل عن الفراش واقفة. لبست حذائها ذو الجلد الطري وعباءتها السميكة. خارج بيتهم زأرت الرياح الخريفية، وفي الأعلى، في برجها، حيث تروم الذهاب هناك، كانت الريح تعصف بحرية. تناولت الفانوس اليدوي المضيء. وتسللت بهدوء خارجة من الغرفة وكما تفعل دائما حينما يأتيها ذلك الكابوس كانت تذهب لغرفة أبنائها. على ضوء الفانوس، المضطرب تأملت وجوه أبنائها النائمين بوداعة وقبلت وجناتهم الطرية. لا شيء سيء قد حدث لهم. كان مقر إقامة الكابوس عند جسر هيريفاد وفي داخل عقلها.

مشت بصمت عبر ذلك المنزل النائم، فتحت الباب ذو الصرير الذي يقود إلى تلك القلعة القديمة والى ذلك السلم الملتوي وفي الأعلى عند غرفة نومها في البرج تدفق ضوء القمر إلى الداخل عبر فتحات الرمي. كان القمر بدرًا بتلك الليلة.

حيث هي واقفة في غرفة نومها ألقت ببصرها على ستوكهولم، مملكتها، وحلمها. وقد اختفت البقايا الأخيرة من ذلك الكابوس الأسود.

في الخارج، عند بحر البلطيق، التمعت أحزمة من أشعة القمر الفضية، كانت ليلة جميلة للغاية إلى حد أنها قد آلمتها تقريبًا. داعبت مدينتها ببصرها وأمسكت بتبجيل داخلي ذلك الذي رأته. بدت ستوكهولم كما لو أنها قد تم لمسها بعصا سحرية، هناك حيث تستحم المدينة في ضوء القمر.

كان تطور المدينة المدهشة قد تجاوز حتى أحلامها. نمت القلعة في حجمها ونطاقها، إلى جانب تلك الكنيسة الخشبية الصغيرة، كانت هناك كنيسة تشيد بالحجر قيد الإنشاء، وهي وجيكوب قد خططا طويلاً لإنشاء مدرسة، مستشفى، وبيت للمقدسات. وكان عدد سكان ستوكهولم يتزايد دومًا.

تذكرت ذلك كما لو أنه قد حدث يوم أمس، تلك المرة الاولى التي وطأت أقدامها فيها أرض الجزيرة. كان ذلك عندما كانت بصحبة ستورا وقد جاءت لترى هدية مهرها. كان الوقت خريفًا، بالضبط كما هو الآن. واحد من أيام المغفرة الإلهية الجميلة عندما تشتعل أغصان الغابات بالأحمر، الأصفر، البرتقالي والذهبي. كانت قد سافرت على متن قارب إلى ستوكهولمين، كما كانت تُسمى. تذكرت الشعور بالانتماء، شعور التوحد مع الأرض والمياه التي احتضنت الجزيرة بلطف. كانت تشعر كما لو أنها قد عادت أخيراَ إلى منزلها، كما لو أن الجزيرة كانت مستلقية هناك منتظرة فقط لحظة وصولها إليها. رقص الخاتم ذو حجر الكهرمان الكبير في إصبعها مبتهجًا ومن فوق رأسها كان نسرَا جميلاً يدور كما لو أنه أراد أن يلقي عليها تحية ترحيب.

كانت قد تسلقت السلم إلى مدخل القلعة وصعدت حتى الطابق الأعلى. سلب المنظر من هناك روحها. كان ذلك هنا، على هذه الجزيرة المباركة، عندما التقت بجيكوب. خفق قلبها فرحًا، بشدة. جيكوب، إن اسمه يعني الحب، حب مدى الحياة.

بدأ الطفل في رحمها يرفس بقوة وتحد. وضعت هيلينا يدها برفق على بطنها ولكن ذلك لم يساعد كثيراَ. لم يكن أيًا من أبناءها الذين ولدتهم بنفس تلك الحيوية أو مطالب بعناد بقدر من الاهتمام مثل هذا الطفل. الطفل الذي كان أحد ثمار ذلك الحب النابع من أعماق القلب بينها وبين جيكوب.

لا هي ولا جيكوب كانا يعتقدان بأنهما سيحصلان على كثير من الأطفال. أصغر أبنائهما، ماتيوس قد بلغ للتو الحادية عشر عامًا عندما استمرت بالحمل لعدة مرات. وكانت تعرف بالضبط عندما يحين الموعد.

كان ذلك في الليلة عندما ودعت جدتها أنغريد ـ أيلفا حياتها الأرضية. استيقظت هيلينا في الغرفة في قصر الأسقف في لينشوبينغ مع شعور غريب في

جسدها. شعور مفعم بالأمل وحركة سلسة في داخلها، مثل فرخ طائر صغير يجلس في عشه خجلاً بانتظار أن تغطيه أجنحته.

أصبحت سعادتهم كبيرة وقد أمضيا وقتًا طويلاً بالبحث عن الاسم الذي سوف يعطيانه لذلك الطفل الصغير الجديد، فلقد كانا مقتنعين أن ما تحمله في رحمها سوف يكون ولد، ولكن مع ذلك لم يستطيعا أن يحددا اسم مناسب له. طفل.. يجب أن يكون الطفل الذي أخذ وقت مناسب لكي يتهيأ للنزول إلى حياة غير مستقرة يجب أن تكون لديه مهمة كبيرة وصعبة بانتظاره. ربما كان ذلك هو السبب الذي من أجله قد تردد طويلاً. وكان اسم الطفل مسألة مهمة. كانا قد اقترحا أسماء دانييل، بيتر، ستورا ولكن لم تحل تلك الأسماء على الرضا المطلوب.

رددت هيلينا اسم بصمت بينها وبين نفسها بينما كانت تداعب بطنها الرقيقة المدورة. رفسة قوية، أقوى مما سبق.

اشتعل الخاتم الكبير ذو حجر الكهرمان في إصبعها بأشعة من ذلك القمر الفضي، وولدت أغنية عندما كان الوقت مبكرًا يملأ غرفة البرج. كانت أغنية عن الحياة، تلك القاسية، تلك الرائعة والتي لا يمكن التنبؤ بها.

ويقينًا كانت هناك، كما هي المفاجأة، وكما هي واضحة، مثل نجم مطلق.

لم يكن صبيًا من ستلده قريبًا، لقد كانت طفلة.. ابنة

" انتهت "

# الخاتمة

بعد معركة الدوق بيرغر الدامية عند جسر هيرفاد كان جميع من طالب بالعرش قد مات. لم يتجرأ أحد على تحدي الدوق القوي وقد عاشت البلاد حوالي عقدين من السلام. فالديمار كان بالتأكيد هو الملك ولكن أبوه، الدوق، هو من كان يدير المملكة فعلياَ

في سويد القرون الوسطى، حيث كانت العواصف المحلية تستنزف الكثير من الطاقة، تطلب الأمر وجود سلطة قوية تستطيع إجبار أولئك النبلاء بالخضوع إلى إملاءات السلطة الحاكمة. وبعد تلك المعركة استحوذ الدوق على تلك السلطة.

ارتبط الماضي بقوة في المملكة التي تفتقر إلى كل من القانون العام والمؤسسات المشتركة، التطور الذي قاده الدوق بيرغر قاد إلى ظهور مملكة أوربية غربية حديثة. بدأ الدوق بيرغر بتنظيم النظام الضريبي، الذي أعطى الاقتصاد فائضًا كانت تحتاجه المملكة لإعادة تشكيلها، أنشأ المدن، بنى القلاع والعزبات، قدم إصلاحًا للعملات، أحضر خبراء ألمان متخصصين بالتجارة والمناجم وجهز الكثير من الفرسان وجنود المشاة.

فرض قوانينه المشهورة للسلام، عن السلام الداخلي، سلامة النساء، السلام في المحاكم وسلمية الكنيسة. وقد نجح أيضًا في تحقيق شيء نادر جدًا، وهو الهدنة بين النظام الملكي والنبلاء والكنيسة.

أول زوجات الدوق بيرغر، أنغيبورغ توفيت في العام ١٢٥٤ كانت قد رزقت منه بستة أطفال. اثنين من الأبناء أصبحوا ملوكًا، فالديمار وماغنوس، أيريك أصبح دوقًا وبينغت أصبح أسقفًا في لينشوبنغ إلى جانب أخيه الدوق. الملكة ريكيسا تزوجت من ولي عهد النرويج هوكان وكريستينا تزوجت من الكبير "سيفي غوتورمسون"

في العام ١٢٦١ تزوج الدوق من الملكة الدانماركية "ماشتالد". كانت أرملة بعد موت زوجها العدو اللدود للدوق بيرغر، الملك أبيل. كان لذلك الزواج قيمة وهيبة كبيرة بالنسبة للدوق، فلقد كانت العروس أعلى مرتبة من العريس.

في الثاني والعشرين من تشرين أول / أكتوبر ١٢٦٦ كان عصر الدوق بيرغر قد انتهى. دفن في دير كنيسة قارنهايم، هناك حيث مرقده الحجري ورفاته لا يزال هناك حيث يمكن زيارته.

كان بيرغر هو الدوق ذو السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية الذي لا يرحم والذي أنشأ سلطة مركزية وقوية لمملكة موحدة ومتماسكة. رجل كان معاصروه يخشونه أكثر مما يحبونه. تركته كانت معقدة ومتعددة الأوجه كما كان هو شخصياً. كان هو الدوق القوي الأخير للمملكة. فبعد السلطة المركزية القوية التي أنشأها لم تعد المملكة بحاجة إلى دوق.



# المؤلفة في سطور

- ولدت في العام ١٩٥٠ في مدينة ستوكهولم.
- متزوجة من طبيب الأسنان بيار غولناندير ولها ابنتان.
- عملت أستاذة للتاريخ وتاريخ الفن وعلوم السينما.
- تفرغت للكتابة وأصدرت الكثير من الروايات منها:

- خلف النجوم ٢٠٠٢
- الزنبقة البيضاء ٢٠٠٣
- زمن الجوارح ٢٠٠٥
- جزيرة الرياح ٢٠٠٧
- بحر المصير ٢٠٠٩
- ابنة الضياء ٢٠١١
- القمر الأحمر ٢٠١٣
- لغز الخاتم ٢٠١٤
- زمن الذئاب ٢٠١٥

- ترجمت كتبها للعديد من لغات العالم.




(+2) 02 27270004، (+2) 01288890065

www.shams-group.net